

www.obeikandi.com

رَوَائِعُ السَّعْدِ الْمَلُوكِيِّ

obeikandi.com

موسوعة
روائع الشعر العربي

روائع الشعر المحلوي

جمع وإعداد

حسن الطيبي

أنس بريوي

دار المعرفة
بيروت - لبنان

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار المعرفة بيروت - لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by Dar El-Marefah Beirut - Lebanon.

ISBN 9953 - 446 - 46 - 6

الطبعة الاولى
1426 هـ 2005 م

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing



دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

جسر المطار - شارع البرجاوي - ص.ب: ٧٨٧٦ - هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٥٨٨٣٠ - فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت - لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 858930, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http://www.marefah.com E.mail: info@marefah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقدّم للقارئ العربي الجزء السابع من موسوعة (روائع الشعر العربي)، والذي يضم بين دفتيه مجموعة منتقاة بعناية من الشعر المملوكي، هذا الشعر الذي لم يأخذ حقه لدى الباحثين والدارسين من الاهتمام والرعاية، بله الدراسة والنقد، فالعصر المملوكي الذي حُدد زمنياً من قبل المؤرخين والنقاد بين 648- 922هـ لم يُدرس - على سبيل المثال - كما دُرِس الشعر الجاهلي أو كما دُرِس الشعر العباسي، والسبب في ذلك لا يعود إلى قلة الدواوين الشعرية أو قلة الشعراء في العصر المملوكي، فهذا العصر زاخر بشعراء كُثُر من ذوي الطبقة العالية - إذا استخدمنا تقسيم ابن سلام - ونحن لا يهمنا هنا البحث عن تلك الأسباب التي حدثت بالدارسين العرب والأجانب إلى الابتعاد عن الاهتمام بهذا العصر، بل ما يهمنا هو التأكيد على وجود مادة شعرية كبيرة ومتنوعة وجيدة في ذلك العصر.

وتمشياً مع الخطة التي رسمناها في إعداد هذه الموسوعة الشعرية فقد قمنا بانتقاء مادة شعرية وفيرة من شعر ذلك العصر، تتناول جميع الأغراض الشعرية المعروفة في ذلك الوقت، هادفين من وراء ذلك إلى إظهار هذا الشعر للعيان، وتقديمه إلى القراء، لعلهم يجدون فيه ما تصبو إليه نفوسهم، ولعلنا بذلك قد أسهمنا في جلاء روح ذلك العصر، من خلال هذه المادة الشعرية التي تعكس حياة العرب والمسلمين في ذلك الوقت، ولعلنا بذلك أيضاً قد كشفنا الغطاء عن بعض الكنوز الشعرية التي كانت طيّ النسيان.

والله من وراء القصد.

obeikandi.com

قال ابن نباتة (*) مَدَحًا الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

شُجُونٌ نَحَوَهَا الْعُشَّاقُ فَاؤُوا	وَصَبُّ مَالِهِ فِي الصَّبْرِ رَاءُ ⁽¹⁾
وَصَحْبٌ إِنْ غُرُوا بِمَلَامٍ مِثْلِي	فَرُبَّ أَصَاحِبٍ بِالْإِثْمِ بَاؤُوا ⁽²⁾
وَعَيْنٌ دَمَعُهَا فِي الْحُبِّ طَهْرٌ	كَأَنَّ دُمُوعَ عَيْنِي بَيْرُحَاءُ ⁽³⁾
وَلَاخَ مَالَهُ هَاءٌ وَمِيمٌ	لَهُ مِنْ صَبُوتِي مِيمٌ وَهَاءُ
وَمِثْلِي مَا لِعَشَقَتِهِ هُدُوءٌ	يُرَامُ وَلَا لِسَلَوَتِهِ اهْتِدَاءُ ⁽⁴⁾
كَأَنَّ الْحُبَّ دَائِرَةٌ بِقَلْبِي	فَحَيْثُ الْانْتِهَاءُ الْابْتِدَاءُ
بِرُوحِي جِيرَةٌ رَحَلُوا بِقَلْبِي	أَحَبُّ وَأَحْسَنُوا فِيمَا أَسَاؤُوا
بِهِمْ أَيَّامٌ عَيْشِي وَاللَّيَالِي	هِيَ الْغِلْمَانُ كَانَتْ وَالْإِمَاءُ ⁽⁵⁾
تَوَلَّى مِنْ جَمَالِهِمْ رَبِيعٌ	فَجَاءَ بِنُوءٍ أَجْفَانِي الشِّتَاءُ ⁽⁶⁾

(*) ابن نباتة المصري هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ولد سنة 686هـ، ونشأ بالقاهرة، وتلقى العلم والأدب، وأكب على قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله، فرسخت فيه طريقته من الولوع بالتورية والتلميح والطباق، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشام من بلغ غايته في لطف التصوّر ورقة اللفظ وانسجام العبارة، ومات سنة 768هـ.

- (1) الشجون: الأحزان والهموم مفردها شجن - فاؤوا: رجعوا - الصب: المحب المشتاق.
- (2) باؤوا: رجعوا.
- (3) البيرحاء: الحمى.
- (4) هدوء: هدوء. السلوة: من سلا عنه إذا نسيه وانشغل عنه.
- (5) الغلمان: العبيد. الإماء: الجواري، واحدها أمة.
- (6) تولى: ذهب بعيداً. النوء: المطر الغزير.

وَبَتْ صَبَابَتِي إِنْسَانُ عَيْنِي فَيَا عَجَباً وَفِي الْفَمِ مِنْهُ مَاءٌ⁽¹⁾
 عَلَى خَدِّي حَمِيمٌ مِنْ دُمُوعِي صَدِيقٌ إِنْ ذَنُوا وَنَاوَا سَوَاءٌ⁽²⁾
 فَأُبْكِي حَسْرَةً حَيْثُ التَّنَائِي وَأُبْكِي فَرَحَةً حَيْثُ اللَّقَاءُ⁽³⁾
 كَأَنَّ بُكَايَ لِي عَبْدٌ مُجْنِبٌ فَمَا فَرَجِي إِذَا إِلَّا الْبُكَاءُ
 بِعَيْنِ اللَّهِ عَيْنٌ قَدْ جَفَاها كَرَاهَا وَالْأَجْبَةُ وَالْهِنَاءُ⁽⁴⁾
 لِفِكْرَتِهِ سَرَى فِي كُلِّ وَادٍ كَأَنَّ حَنِينَهُ فِيهَا حِدَاءُ
 ذَكَتْ أَشْوَاقُهُ فَمَتَى تَرَاهَا قَبَابٌ قَباً كَمَا لَمَعَتْ ذُكَاؤُ⁽⁵⁾
 بِحَيْثُ الْأَفْقُ يَشْرِقُ مَطْلَعَاهُ وَحَيْثُ سَنَا الثُّبُوءُ وَالسَّنَاءُ⁽⁶⁾
 وَبَابُ مُحَمَّدٍ الْمَرْجُو يُرَوَى لِقَاصِدِهِ نَجَاحٌ أَوْ نَجَاءُ
 تَلُوذُ بِجَاهِهِ الْفُقَرَاءُ مِثْلِي مِنَ الْعَمَلِ الرَّدِيِّ وَالْأَمْلِيَاءُ⁽⁷⁾
 فَأَمَّا وَاجِدٌ فَرَوَى رِبَاحُ وَأَمَّا مَقْتِرٌ فَرَوَى عَطَاءُ
 لَنَا سَنَدٌ مِنَ الرَّجْوَى لَدَيْهِ غَدَاةٌ غَدٍ يُعْنَعُنُهُ الْوَفَاءُ⁽⁸⁾
 وَتَرْتَقُبُ الْعُصَاةُ نَدَى شَفِيعِ مَجَابٍ قَبْلَ مَا وَقَعَ النَّدَاءُ⁽⁹⁾
 سَلَامُ اللَّهِ أَصْبَاحاً وَمَمْسَى عَلَى مِثْوَاهُ وَالسُّحْبُ الْبِطَاءُ
 كَمَا كَانَ الْعَمَامُ عَلَيْهِ ظِلًّا عَلَيْهِ الْآنَ يَسْفَحُ مَا يَشَاءُ⁽¹⁰⁾
 أَلَا يَا حَبَّذا فِي الرُّسْلِ شَافِي قُلُوبٍ شَفَّاهَا لِلْعِشْقِ دَاءُ⁽¹¹⁾

(1) الصبابة: الشوق وحرارته. إنسان العين: ناظرها.

(2) الحميم: ما انصهر من المعادن والأحجار.

(3) التناي: البعاد والفراق.

(4) الكرى: النوم.

(5) ذكت: زاد لهيبها. ذكاء: الشمس.

(6) السنا: النور. السناء: الرفعة والسيادة والمجد.

(7) تلوذ: تلجأ.

(8) يعنعه: من عنعن الراوي إذا قال عن فلان عن فلان عن فلان إلى آخر السند.

(9) الندى: العطاء والفضل.

(10) يسفح: يسكب.

(11) شفها: أضعها وجعلها هزيلة.

وَيَعْفَى الدَّاءَ بَادِرُهُ الدَّوَاءُ
وعنها الأرضُ تُفْصِحُ والسَّمَاءُ⁽¹⁾
وَيَجْرِي مِنْ يَدَيْهِ نَدَى وَمَاءُ
حُرُوبِ النِّصْرِ وَازدَحَمَ الظُّمَاءُ
وفي الأخرى لنا الحوضُ الرِّوَاءُ
لأنفُسِهِمْ بِهَا وَلَهَا انْطِفَاءُ
يُنَادِي مَا عَلَى صَبْحِ غَطَاءِ
جَحِيمًا إِنَّا مِنْكُمْ بَرَاءُ⁽²⁾
لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
وَجَنَّهُمُ وَلِنَعْلِيهِ فِدَاءُ
جَمَالَ الشَّمْسِ يَجْلُوها الضُّحَاءُ
سَنَاهُ لِمَا أَلَمَ بِهَا بَهَاءُ
لَهُ وَالشَّمْسُ ضَرَجَهَا حَيَاءُ⁽³⁾
لِمَنْطِقِهِ وَلِلضَّادِ اخْتِبَاءُ
وَقَامَتْ خِدْمَةٌ لِلضَّادِ ظَاءُ
بَنُو سَعْدٍ بِهَا أَبْدَاءُ وَضَاءُ
وَلِلْهَادِيْنَ نَوْرٌ يُسْتَضَاءُ⁽⁴⁾
وَبَأْسٌ تَحْتَوِيهِ الْأَشْقِيَاءُ
وَيَنْصَبُ فِي مَكَارِمِهِ الثَّرَاءُ
سُطُورًا مَا لِأَحْرُفِهَا هَجَاءُ⁽⁵⁾

فمرسلة لها سُحِبَ العَوَافِي
وما انتقبت مناقبُ أَبْطَحِي
فَيَشْهَدُ نَجْمُ تِلْكَ وَنَجْمُ هَذَا
عَلَى سَاقِ سَعْتِ شَجَرٍ وَقَامَتْ
فَفِي الدُّنْيَا لَنَا بِجَدَاهُ سَاقِ
وَفِي نَارِ الْمُجُوسِ لَنَا دَلِيلُ
وَفِي الْأَسْرَى وَصَبَحَتْهُ فَخَارُ
فَقُلْ لِلْمَلْحِدِينَ تَنْقَلُّوْهَا
وَأَنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِزُّي
وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَحَبِيبُ إِنْسِ
نَبِيٌّ تَجْمَلُ الْأَنْبَاءُ عَنْهُ
وَأَبْنُ الشَّمْسِ مِنْهُ سَنَاءٌ وَلَوْ لَا
كَأَنَّ الْبَدْرَ صَفَّرَهُ خُشُوعُ
سَرِيٍّ فِي حُرُوفِ اللَّفْظِ سَرَّ
أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا جَلَسَتْ لِفَخْرِ
يُولَدُ فَضْلٌ مَوْلَدِهِ سُعُودًا
لِمَبْعَثِهِ عَلَى الْعَادِيْنَ نَارُ
فَخَيْرٌ يَنْعَمُ السُّعْدَاءُ فِيهِ
يَجْرُ عَلَى الثَّرَى ذَيْلَ اتِّضَاعِ
وَيَكْتُبُ بِالنِّصَالِ غَدَاةَ رُوعِ

(1) المناقب: مفردا منقبة: وهي الفعل الكريم والمفخرة.

(2) الملحدين: مفردا ملحد: مَنْ مال عن الدين وطعن فيه.

(3) ضَرَجَهَا: صبغها.

(4) العادين: المعتدين، يستضاء: يُطلَبُ ضوءه.

(5) يوم الروع: يوم المعركة.

ممدحة ثلاثتها لضر⁽¹⁾
 فيا لك من أخي صول ونسك⁽²⁾
 سها⁽³⁾ دعاله وسها⁽³⁾ رأي⁽³⁾
 دري ذو الجيش ما صنعت ظبا⁽³⁾
 وقال الجود بعد الحلم حسبي
 فنعم الحصن إن طلعت خطوب⁽³⁾
 ونعم الغوث إن دهياء دارت⁽³⁾
 ونعم المصطفى من معشر ما
 تقدم سؤدد وقديم مجد⁽³⁾
 صفت حلل الثنا وصفت لديه⁽³⁾
 قلولا معرب الأمداح فيه⁽³⁾
 ولولاه لما حجت وعجت⁽³⁾
 فإن يتلى له في الحج حمد⁽³⁾
 أعذلي يا رجاء زمان قرب⁽³⁾
 ولثم حصي لتربته ذكي⁽³⁾
 وشكوى كربة فرجت وكانت⁽³⁾
 ونفس ذنبها كالنيل مدا⁽³⁾
 مشوقة متى وعدت بخير⁽³⁾

ضراب⁽¹⁾ أو طعان⁽¹⁾ أو رماء⁽¹⁾
 تقر له العدى والأولياء⁽²⁾
 لها في كل معركة مضاء⁽³⁾
 وما يدرى ما صنع الدعاء⁽³⁾
 حياء⁽³⁾ إن شيمتك الحياء⁽³⁾
 ونعم القطب إن دار الثناء⁽³⁾
 ونعم العون إن دار الرجاء⁽⁴⁾
 نجوم النيرات لهم كفاء⁽⁵⁾
 على سعد السعود له حباء⁽⁶⁾
 وأدم بعدها طين وماء⁽⁶⁾
 هوى بيت القريض ولا بناء⁽⁷⁾
 وفود البيت ضاق بها الفضاء⁽⁷⁾
 فقدمأ قد تلتته الأنبياء⁽⁷⁾
 بروضته أعذلي يا رجاء⁽⁷⁾
 كأن شذاه في نفسي كباء⁽⁷⁾
 من اللاتي يمد بها العناء⁽⁷⁾
 وما لوعود توبتها وفاء⁽⁷⁾
 تقل سين وواو ثم فاء⁽⁷⁾

(1) الضراب: الضرب بالسيف. الطعان: الطعن بالرمح. الرماء: الرمي بالسهم.

(2) النسك: التعبد.

(3) ظبا: مفردهما: طلبة؛ وهي حد السيف أو السنان أو الخنجر أو ما شابهها.

(4) الدهياء: المصيبة والنابذة والخطب الجلل.

(5) كفاء: مماثلون.

(6) السؤدد: السيادة.

(7) القريض: الشعر.

- وَلَكِنْ حُبُّهَا وَشَهَادَتَاهَا مِنْ النَّيْرَانِ نَعَمَ الْأَكْفِيَاءُ⁽¹⁾
 صَفِيَّ اللَّهِ يَا أَزْكَى الْبَرَايَا بِحُبِّكَ مِنْ عَقَائِدِنَا الصِّفَاءِ⁽²⁾
 وَيَعْتَقِنَا الْمَشْفُوعُ مِنْ جَحِيمٍ فَلَا عَجَبٌ لَهُ مِنَّا الْوَلَاءُ
 عَلَيْكَ مِنَ الْمَلَائِكِ كُلِّ وَقْتٍ صَلَاةٌ فِي الْجَنَانِ لَهَا أَدَاءُ
 وَأَمْدَاخٌ بِالسِّنَةِ الْوَرَى فِي مَطَالِعِهَا ارْتِقَاءُ وَانْتِقَاءُ⁽³⁾
 إِذَا خُتِمَتْ تُعَادُ فَكُلُّ تَالٍ لَهُ وَقْفٌ عَلَيْهَا وَابْتِدَاءُ

2

قال الشاب الظريف^(*) في النسيب في مطلع إحدى قصائد المدح:

- يَا رَاقِدَ الظَّرْفِ، مَا لِلظَّرْفِ إِغْفَاءُ حَدَّثَ بِذَاكَ، فَمَا فِي الْحَبِّ إِخْفَاءُ⁽⁴⁾
 إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ مِنْ غَزَلِي فِي الْحَسَنِ وَالْحَبِّ أَبْنَاءُ وَأَنْبَاءُ
 إِذْ كُلُّ نَافِرَةٍ فِي الْحَبِّ أَنْسَةٌ وَكُلُّ مَائِسَةٍ فِي الْحَيِّ خَضْرَاءُ⁽⁵⁾
 وَصَفْوَةُ الدَّهْرِ بَحْرٌ وَالصِّفَا سَفْنُ وَلِلْخَلَاةِ إِرْسَاءُ وَإِسْرَاءُ

(1) الأكفياء: أكتفي بهما عن غيرهما.

(2) البرايا: المخلوقات: ويقصد الناس.

(3) الورى: الناس.

(*) الشاب الظريف 661- 688هـ / 1263- 1289م: هو شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن الشيخ عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف. ولد في القاهرة، ونشأ في دمشق حيث أصبح والده مباشراً لاستيفاء أموال خزينة الدولة. عاش نحو ثلاثين سنة، وكانت وفاته قبل أبيه في دمشق.

الشاب الظريف شاعر رقيق مُقَصِّد ومَوْشَّح. وشعره رشيقي الألفاظ سهل على الحُفَاط، وإن كان لا يخلو أحياناً من الكلمات العامية. وفي شعره كثير من أوجه الصناعة. وأكثر شعره النسيب والغزل والأغراض الوجدانية العارضة، ومعظمه مقطعات قصيرة. وله أيضاً مدح وشيء من الرثاء. وله شيء من البديعيات في مدح الرسول ﷺ، وله نثرٌ من خطب ومقامات.

(4) الطرف: العين.

(5) الأنسة: الفتاة الطيبة القلب المحبوب قريها وحديثها.

قال ابن مليك الحموي (*) مادحاً:

فَسِرْ فِي الْأَرْضِ فِي دَعَا وَحِفْظِ
فَأَرْضُ بِنْتٍ عَنْهَا فَهِيَ قَفْرُ
فِيَا شَوْقِي لَكُمْ حِينَ الثَّنَائِي
أَعِيذُكَ أَنْ تَغِيْبَ قُدَّتْكَ رُوحِي
فَمَنْ إِنْ غِبْتَ يُولِينَا جَمِيلاً
وَمَنْ يَجْلُو ظِلَامَ الْفَقْرِ عَنَّا
وَمَنْ يَحْلُو بِهِ تَكَرَّارُ مَدْحِي
وَمَنْ يَحْنُو عَلَى أَيْتَامِ نَظْمِي
فَقُرْبِي مِنْ حَيَاتِكَ لِي نَعِيمُ
فَصَبْرًا يَا دَمَشْقُ عَلَيْهِ صَبْرًا
فَبَحْرُ الْجُودِ قَدْ وَاثَاكَ حَقًّا
إِمَامٌ بِالثَّقَى وَالْحَقِّ يَقْضِي
غَنِيْتُ بِمَدْحِهِ فَطَرِبْتُ شَوْقًا

تَحَفُّ بِكَ السَّلَامَةُ وَالْبَقَاءُ⁽¹⁾
وَأَرْضٌ قَدْ حَلَلَتْ بِهَا سَمَاءُ⁽²⁾
وَيَا أَنْسِي بِكُمْ حِينَ اللَّقَاءِ
وَقَدْ قَلَّتْ لَكَ الرُّوحُ الْفِدَاءِ
وَمَنْ يَعْتَاذُنَا مِنْهُ الْحَيَاءِ
وَلَيْسَ بِغَيْرِ وَجْهِكَ يُسْتَضَاءِ
إِذَا مَا الْمَدْحُ طَرَزَهُ الثَّنَاءِ
وَأَنْتَ كَفَيْلُهَا وَلَكَ الْوَلَاءِ
وَبُعْدِي عَنْ نَدَاكَ هُوَ الشَّقَاءُ⁽³⁾
وَيَا مَصْرُوبَهُ فَلَكَ الْهَنَاءِ
وَزَادَكَ بِهَجَّةٍ هَذَا الْوَفَاءِ
وَلَيْسَ لِعِزِّ عَلَيْهِ انْقِضَاءِ
وَدُّو الْأَشْوَاقِ يُطْرِبُهُ الْغِنَاءِ

(*) علاء الدين، علي بن محمد بن علي بن عبد الله المعروف بابن مليك، الحموي ثم الدمشقي، الفُقَاعِي، الحنفي.

ولد بحماسة سنة 840هـ، وتفقه في اللغة والأدب والدين، فقد أخذ اللغة والنحو والصرف والعروض عن الشيخ بهاء الدين بن سالم، وأخذ الأدب عن فخر الدين عثمان بن العيد التنوخي، وأخذ عن غيرهما من أعلام عصره. امتحن ببيع الفقاع، انتقل إلى دمشق وتابع عمله ببيع الفقاع، ثم ما لبث أن ترك بيع الفقاع ليتفرغ للعلم والشعر، مدح الأمراء والأعلام في عصره، توفي سنة 917هـ.

(1) تحف: تحيط وتطوق.

(2) بنت: بُعِدَتْ.

(3) نذاك: عطائك.

قال ابن نباتة يمدح ابن فضل الله:

جَسْمٌ سَقِيمٌ لَا يُرَامُ شِفَاؤُهُ
عَجَباً لَهُ جَفَنًا كَمَا قَسَمَ الْهَوَى
يَا مُغْرِضاً يَهْوَى فَنَّا رُوحِي وَلِي
إِنْ يَنَّا عَنِّي مِنْكَ شَخْصٌ بَاخِلٌ
فَلَرُبَّ لَيْلٍ شَقَّ طَيْفُكَ جَنَحَهُ
سَمَحاً يُسَابِقُنِي إِلَى الْقَبْلِ الَّتِي
وَمَضِيْقٌ ضَمُّ لَوْ دَارَهُ مُعَذِّبِي
جِسْمَانِ مَرْتِيَانِ جِسْماً وَاحِداً
أَفْدِي الَّذِي هُوَ فِي سَنَاهُ وَسَطُوهُ
قَامَتْ حَلَاهُ بِوَضْفِهِ حَتَّى غَدَا
حَتَّامَ بَيْنَ مُذْكَرٍ وَمَوْئِثٍ
وَعَلَى الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالِ لِأَدْمُعِي
سَقِيّاً لِمُضَرِّ حِمَى بِسَيْطٍ بَحْرُهُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَلَدًا يُعَالِي بِلَدَهُ
أَمَّا عَلَيَّ الْمُسْتِمَاحُ فَكُلُّنَا
الْمَشْتَرِي سَلَعَ الثَّنَاءِ بِجُودِهِ

سَلَبْتُ سُويِدَا مُهْجَتِي سَوْدَاؤُهُ⁽¹⁾
فِيهِ الضَّنَى وَبِمَهْجَتِي أَذْوَاؤُهُ⁽²⁾
رُوحٌ تَمَنَّى أَنْ يَطْوَلَ بِقَاؤُهُ
رُوحِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي فِدَاؤُهُ
وَالصُّبْحُ لَمْ يَنْشَقَّ عَنْهُ رِدَاؤُهُ
قَدْ كَانَ يُقْنَعُنِي بِهَا إِيمَاؤُهُ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ⁽³⁾
كَالنَّظْمِ شَدَّدَ حَرْفُهُ عِلْمَاؤُهُ
بَدْرٌ وَقَتْلَى حُسْنِهِ شُهَدَاؤُهُ⁽⁴⁾
مَتَغَزَّلاً فِي خَدِّهِ وَأَوَاؤُهُ
قَلْبِي الشَّجِي طَوِيلَةُ بَرَحَاؤُهُ⁽⁵⁾
سَيْلٌ وَأَقْوَالُ الْوَشَاةِ غُثَاؤُهُ⁽⁶⁾
لِلْوَاصِفِينَ مَدِيدَةُ أَفْيَاؤُهُ
بَيْنَ النُّجُومِ لَمَّا ارْتَضَاهُ عِلَاؤُهُ
مُتَشَيِّعٌ يَسْرِي إِلَيْهِ وَلَاؤُهُ
وَبَهَاؤُهُ لِعُطَارِدٍ وَذَكَاءُهُ

(1) لا يرام: لا يُطلب ولا يُرتجى المهجة: دَمُ القلب.

(2) الضَّنَى: التعب والمرض - أدواء: جمع دواء.

(3) دراه: عَلِمَهُ

(4) السنا: النور.

(5) البرحاء: الشَّدَّة.

(6) الغثاء: ما يحمله معه السيل من رغوة وأشياء.

دَلَّتْ مَنَاقِبُهُ عَلَى أَنْسَابِهِ
 ذُو الْفَضْلِ مِنْ نَسَبٍ وَمِنْ شَيْمٍ فَيَا
 وَالْعُودُ صَحَّ نَجَارُهُ فَلِذَا سَرَى
 وَالْبَيْتُ حَيْثُ سَنَا الصَّبَاحُ عَمُودُهُ
 وَاللَّفْظُ نَثْرٌ مِنْ صِفَاتِ الْحُسْنِ لَا
 وَالْجُودُ مَا لِحْيَا الشَّامِ عُمُومُهُ
 وَالرَّأْيُ نَافِذَةٌ قَضَايَا رَسْمِهِ
 وَسَعَادَةُ الدَّارَيْنِ جَلٌّ أَسَاسُهَا
 مِنْ أَسْرَةٍ عُمَرِيَّةٍ عَدَوِيَّةٍ
 مِنْ كُلِّ ذِي نَسَبٍ سَمَتْ أَعْرَاقُهُ
 قَوْمٌ هُمُومُ غُرَرِ الزَّمَانِ إِذَا أَضَا
 مَلُؤُوا الثَّرَى جُوداً يَزِينُ رَبِيعَهُ
 فَالْجَوُّ تَصَدَّحَ بِالْمَحَامِدِ عُجْمُهُ
 مِنْ حَوْلٍ مَنْزِلِهِ الرَّجَاءُ مُحَلَّقُ

وَحَمَاهُ عَنْ تَسَالٍ مَنْ لَأَلَاؤُهُ
 لِّلَّهِ مَنَبَتْ عَوْدِهِ وَنَمَاؤُهُ
 أَرْجُ الثَّنَا فَالْعُودُ فَاحَ كِبَاؤُهُ
 وَبَحِيثُ أَخْبِيَةِ السَّعُودِ خِبَاؤُهُ
 بِيضَاءُ رَوْضِ حَمَى وَلَا صَفَرَاؤُهُ
 فِينَا وَلَا فِي نَيْلٍ مِضَرَ فَنَاؤُهُ⁽¹⁾
 مِنْ قَبْلِ مَا نَوَتْ الْإِرَادَةُ رَاؤُهُ
 بِمَعَاقِدِ التَّقْوَى فَجَلَّ بَقَاؤُهُ
 شَهِدَتْ بِفَضْلِ مَكَانِهَا أَعْدَاؤُهُ
 يَوْمَ الْعَلَا وَاسْتَبْطَحَتْ بِطَحَاؤُهُ⁽²⁾
 أُمَرَاؤُهُ وَزُرَاؤُهُ شَعَرَآؤُهُ⁽³⁾
 وَالْجَوُّ ذِكْرًا تَنْجَلِي أَضْوَاؤُهُ
 وَالثَّرْبُ تَنْطِقُ بِالثَّنَا خَرَسَاؤُهُ⁽⁴⁾
 وَمُقْصَرٌّ حَمْدُ الْفَتَى وَثَنَاؤُهُ

5

قال صفي الدين الحلبي^(*) في مطلع مدحيه له:

- (1) الحيا: المطر.
 (2) البطحاء: المكان المتسع يمر منه السيل، واستبطحت: اتسعت.
 (3) الغرر: الأسياد والأشراف، وبيض الوجوه.
 (4) عجمه: جمع أعجم، هو كل من لا يجيد الكلام.
 (*) صفي الدين الحلبي 677. 750هـ: هو صفي الدين أبو الفضل أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن سرايا الحلبي الطائي. وُلد في الحكة قرب الكوفة ونشأ فيها. اتصل بالملك المنصور نجم الدين غازي الأرتقي صاحب ماردين، وحظي عنده وعند ابنه وخليفته نجم الدين الصالح. كان شاعر عصره وأشهر شعراء زمانه برغم تقليده للشعراء =

أَنْجُومُ أَرْضٍ أَمْ نَجُومُ سَمَاءٍ، كَشَفَتْ أَشْعَثُهَا دُجَى الظُّلَمَاءِ⁽¹⁾
 أَشْرَقْنَ فِي حُلَلِ الظَّلَامِ فَحَدَّقَتْ حَسِداً لِهِنَّ كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ
 مِنْ كُلِّ هَيْفَاءِ الْمَعَاطِفِ قُومَتْ قَدْأً كَقَدِّ الصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ⁽²⁾
 جِسْمٌ كَصَخْرٍ فِي صَلَابَةِ جَرَمِهِ، وَجَفُونُهَا فِي الدَّمْعِ كَالْخَنَسَاءِ⁽³⁾
 تَجْرِي مَدَامُعُهَا، وَيَضْحَكُ وَجْهُهَا، فَتَظَلُّ بَيْنَ تَبَسُّمٍ وَبُكَاءٍ
 تَبْكِي لِعُزْبَتِهَا وَتَبَسِّمُ إِذْ غَدَتْ فِي خَضْرَى السُّلْطَانِ كُلِّ مَسَاءٍ
 الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي أَكْنَفُهُ كَهْفُ الْوُفُودِ وَكَعْبَةُ الْفُقَرَاءِ
 مَلِكٌ بِسِيرَةٍ عَدْلِهِ وَسَمَاحِهِ خَفِيَتْ مَائِرُ دَوْلَةِ الْخُلَفَاءِ
 لَا زَالَ فِي أَفْقِ السَّعَادَةِ رَاقِياً فَوْقَ الْمَجْرَةِ فِي سَنَاءٍ وَسَنَاءٍ⁽⁴⁾

6

قالت عائشة الباعونية(*) تمدح رسول الله ﷺ:

وُلِدَ الْحَبِيبُ فَمَرْحَباً بِوَفَائِهِ وَبِحَسَنِ طَلْعَتِهِ وَنُورِ بَهَائِهِ

= العباسيين في المعاني والأغراض والأسلوب، وقد برع في القصائد الطوال وفي المقطعات. وقد نظم في معظم أنواع الشعر من القصيد والشطرن والمخمّس والموشح، وكان يتكلف في الصناعة تكلفاً كبيراً.

(1) الدجى: الظلام.

(2) الصَّعْدَةُ: القصبة، أو القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف.

(3) الجرم: الجسم.

(4) السنا: الضوء - السناء: العلو والارتفاع.

(*) عائشة الباعونية 922هـ/ 1516م: هي الشيخة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونية الصالحية الدمشقية، منسوبة في الأكثر إلى قرية باعون من منطقة عجلون في الأردن. كان مولدها في الصالحية في الجانب الشمالي الغربي من مدينة دمشق في أسرة وجيهة معروفة بالعلم والأدب.

حفظت عائشة القرآن الكريم وهي في الثامنة من عمرها ثم تلقت أشياء من علوم اللغة والأدب والعروض والحديث والفقه. وكان من شيوخها في العلم والنسك إسماعيل الحوراني ومحيي الدين الأرموي.

وَتَشَعَّشَعَ النُّورُ الَّذِي سَجَدْتُ لَهُ
وَبَدَأَ جَمَالًا بِالْجَلَالِ مُنْطَقًا
وَأَتَى خَتَامُ الْمُرْسَلِينَ وَخَيْرُ مَنْ
مُتَكَمِّلًا فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا ذُكِرَ الْجَمَى
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا ارْتَاحُوا إِلَى
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا بَلَغَ الْمَنَى
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا بَانَ الْهُدَى
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَا جَلَالُهُ قَدْرُهُ
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَا مَرَا حِمُّ عَظْفِهِ
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا زَالَ الْعَنَا
وُلِدَ الَّذِي نَعِمَ الْفَوَاذُ بِحَبِّهِ
وُلِدَ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُهُ
وُلِدَ الَّذِي رَفَعَ الْمَهِيْمُنُ ذِكْرَهُ

فِي وَجْهِ آدَمَ أَهْلُ أَفْقِ سَمَائِهِ⁽¹⁾
وَمَتَوَّجٌ بِكَمَالِهِ وَعِلَائِهِ⁽²⁾
وَطَىءَ الثَّرَى وَمَلَأَ الْوُجُودَ بِآيِهِ⁽³⁾
مُتَحَقِّقًا فِي جَمْعِهِ بِوَلَائِهِ
كَأَنَّ لَا زَارُوا حِمَى بُولَائِهِ
مُخَضَّرٌ عَيْشٍ فِي رُبَا صَفَرَائِهِ
قَلْبٌ وَفَازَ بِكَشْفِ غَيْمِ غِطَائِهِ
وَهَذِي الْمَحَبِّ لِمَحْوِهِ وَفَنَائِهِ
لَمْ تَحْشَرِ الْأَعْيَانُ تَحْتَ لَوَائِهِ
مَا ذَاقَ قَلْبِي الرِّيَّ بَعْدَ ظَمَائِهِ
عَنْهُ بِرُوحِ هَبٍّ مِنْ تِلْقَائِهِ⁽⁴⁾
وَعَدَا بِهِ مُسْتَشْفِيًا مِنْ دَائِهِ
وَأَثَابَ مِنْ صَلَّى بِجُودِ عَطَائِهِ
وَأَمَدَّهُ سَبْعِينَ مِنْ أَسْمَائِهِ

= وفي سنة 915هـ / 1209م رحلت عائشة إلى القاهرة لأمر يتعلق بابنها . فاتصلت بأبي الشناء محمود بن آجا ومدحته - وكانت تعرفه من قبل - بقصيدة مطلعها :
حنيني لسفح الصالحية والجسر أهاج الهوى بين الجوانح والصدر
وعرض ابنُ آجا هذه القصيدة على الشاعر عبد الرحيم العباسي فأعجب بها فنشأت بينها وبين عبد الرحيم العباسي مراسلة بالشعر .
وتتلمذت عائشة في رحلتها هذه إلى القاهرة على أبي العباس القسطلاني ، فأجازها بالتدريس والفتيا . فلما عادت إلى دمشق جلست للتدريس واشتغلت بالتأليف .
وفي مطلع سنة 922هـ / 1516م قامت بزيارة لحلب ولقيت فيها السلطان قانصوه الغوري ، وقد جاء إلى حلب لصد الجيوش العثمانية ، ثم إنها رجعت إلى دمشق . وكانت وفاتها فيها أواخر تلك السنة .

- (1) تشعشع النور: انتشر .
- (2) ممنطق : يضع النطاق ، وهو حزام يُلف حول الخصر .
- (3) ملا : ملا .
- (4) العنا : العناء وهو التعب والمشقة .

فِي طَيِّ غَيْبٍ فِي خَفِيِّ خَفَائِهِ
بِكِرَائِمِ التَّخْصِيصِ فِي إِسْرَائِهِ⁽¹⁾
وَأَقَامَ جِبْرَائِيلَ مِنْ وَزَرَائِهِ
آيَ التَّجَلِّي فِي سَمَا أَذْنَائِهِ
بِرُورِودِهِ وَوَفَى الْوَفَا بِوَفَائِهِ
أُنْسٌ مَلَا الْأَكْوَانَ مِنْ سِرَّائِهِ
وَالْبَدْرُ إِلَّا مِنْ شُعَاعِ سَنَائِهِ
وَالْمَسْكُ إِلَّا مِنْ عَبِيقِ ثَنَائِهِ⁽²⁾
يُمْلِي وَيَسْنُدُ عَنْ سَنَا لِأَلَائِهِ
مِنْ وَجْهِهِ وَتَنْعَمَتْ بِلِقَائِهِ
وَتَضَلَّعَتْ مِنْ فَيْضِهِ وَصَفَائِهِ
مِنْهُ اسْتَمَدَّ فَكَانَ مِنْ خُلَفَائِهِ
قَلْبٌ يَقْلَبُ فِي لَظَى بُرَحَائِهِ⁽³⁾
أَمْلِي فَجُذْ كَرَمًا لَهُ بُرَجَائِهِ
أَبْدَأْ وَدَارِكْ دَاءَهُ بِدَوَائِهِ
مِنْ جُودِهِ الْوَافِي وَجَمَّ عَطَائِهِ⁽⁴⁾
وَبِنْظَمِ نَفْسِي فِي خَوَاصِ إِمَائِهِ
وَأَجَلَ مَحْبُوبٍ إِلَى فَقَرَائِهِ
فِيهَا بَقَاءُ الصَّبِّ بَعْدَ فَنَائِهِ
لَفْتَى بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نِعْمَائِهِ

وَسَمَا وَنُبَّىءٍ وَالْوُجُودُ مَكْتَمٌ
وَبَرَا الْوُجُودَ لِأَجَلِهِ وَاخْتَصَّهُ
وَجَلَا عِلَاهُ حِينَ أَمَّ الْأَنْبِيَا
وَأَقَامَهُ فِي قَابِهِ مُسْتَجَلِيَا
أَهْلًا بِمَوْلِيدِهِ الَّذِي شَمَلَ الْهَنَا
وَتَتَابَعَتْ مِنْ وَحَلٍ بِيُمْنِهِ
مَا الشَّمْسُ إِلَّا لَمْعَةٌ مِنْ نُورِهِ
وَالسُّورْدُ إِلَّا دُونَ رَوْنَقِ خَدِّهِ
وَالْبَرْقُ إِلَّا عَنْ فَوَادٍ ثَغْرِهِ
بُشْرَى لِعَيْنٍ بِالْجَمَالِ تَمْتَعَتْ
وَلَأَنْفُسٍ سَلَكَتْ سَوَاءَ سَبِيلِهِ
مَا بَعْدَ ذَلِكَ مَطْلَبٌ لِمَحَقِّقِ
يَا أَكْرَمَ الشَّفْعَاءِ جَارِيَةٍ لَهَا
وَلَهُ رَجَاءٌ فِي جَمِيلِكَ يَا هُدَى
وَأَدِمْ لَهُ الْإِمْدَادَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
وَاشْفَعْ إِلَى الْمَوْلَى بِتَبْلِيغِ الْمَنَى
وَبِنْظَمِ نَجْلِي فِي خَوَاصِ عَبِيدِهِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عِلْمَ الْهُدَى
مَا حَنَّ مَشْتَاقٌ لَوْصَلَتِكَ الَّتِي
أَبْدَأْ وَمَا جَادَ الْإِلَهُ بِرَحْمَةٍ

(1) برا: خَلَقَ.

(2) الرونق: رونق السيف لمعانه ورهافته وحُسنه.

(3) البرحاء: الشدة.

(4) الجم: الكثير.

قال ابن عربي (*) يتحدث عن الطهارة وأشراط الصلاة:

وَمِنْ بَعْدِهِ سِرُّ الطَّهَارَةِ وَاضِحٌ يَسِيرُ عَلَى أَهْلِ التَّيَقُّظِ وَالذِّكَا
فَكَمْ طَاهِرٍ لَمْ يَتَّصِفْ بِطَهَارَةٍ إِذَا جَاوَرَ الْبَحْرَ اللَّذْنِيَّ وَاحْتَمَى
وَلَوْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ الْأَجَا حَيَاتُهُ وَلَمْ يَفْنِ عَنِ بَحْرِ الْحَقِيقَةِ مَا زَكَ (1)
إِذَا اسْتَجَمَرَ الْإِنْسَانُ وَتَرَأَ فَقَدْ مَشَى عَلَى السُّنَّةِ الْبَيضاءِ خُلُقًا لِمَنْ مَضَى (2)
فَإِنْ شَفَعَ اسْتَجْمَارَهُ عَادَ خَاسِرًا وَفَارَقَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ بَاطِنِ الرَّدَى
وَإِنْ غَسَلَ الْكُفَّيْنِ وَتَرَأَ وَلَمْ يَزَلْ بَخِيلًا بِمَا يَهْوَى عَلَى فِطْرَةِ الْأُولَى
فَلَا غُسْلَتْ كَفٌّ خَضِيبٌ وَمَغْصَمٌ إِذَا لَمْ يُلْخِ سَيْفُ التَّوَكُّلِ مُنْتَضَى (3)

(*) ابن عربي: هو الشيخ محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الحاتمي المعروف بـ (ابن عربي).

ولد في مدينة مرسية في الأندلس في 17 رمضان عام 560هـ.

تلقى العلم عن علماء عصره في إشبيلية ثم ارتحل إلى المشرق العربي فزار دمشق والحجاز ومصر وأقام فيها مدة طويلة متعلماً ومعلماً.

مذهبه الفقهي هو المذهب الظاهري.

انتهى به المطاف في رحلاته العلمية إلى دمشق فأقام فيها ودفن فيها.

ممن أخذ عنهم أبو الفرج بن الجوزي وابن عساكر والحافظ السلفي.

له العديد من الكتب في التصوف والشعر والنوادر والمواعظ. وأهمها:

1 - الفتوحات المكية وهو أشهر كتب الصوفية على الإطلاق.

2 - الديوان.

3 - مجموعة رسائل.

4 - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.

يعتبر ابن عربي إمام الصوفية في عصره بل حتى عصرنا الحاضر.

وقد اختلف فيه العلماء من عصره إلى الآن، بين قادح ومادح، ورماء بعضهم بالكفر والزندقة بسبب

ألفاظه الملوغزة الباطنية. توفي في دمشق سنة 638هـ ودفن فيها.

(1) زكا: نما، تطهر.

(2) استجمر: استنجد بالجمار.

(3) منتضى: انتضى السيف: أخرجه من غمده.

فَذاكَ دَلِيلُ الْبُخْلِ وَالْجَمْعِ يَا فَتَى
بِتَرْكِ الذِّي حَصَلْتُ فِي مَنْزِلِ الدُّنَا
وَصَحَّ لَهُ رَفْعُ السُّتُورِ مَتَى يَشَا
وَلَا وَقَعْتَ كَفَّاهُ فِي سَاحَةِ الْقَفَا⁽¹⁾
تَسَحَّرُهَا الْأَغْيَارُ فِي مَنْزِلِ السُّوَى
تَنَاقَضَ مَعْنَى الطُّهْرِ لِلْحَيْنِ وَانْتَفَى
بَرِيًّا مِنَ الدَّعْوَى وَفَتِيًّا بِمَا ادَّعَى
وَمُسْتَنْشِرٍ أَوْدَى بِكَثْرَةِ الرَّدَى⁽²⁾
أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَاکْتَفِ وَاقْتَفَى⁽³⁾

إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودُ قَابِضٌ كَفُّهُ
وَيَبْسُطُهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ مُخْبِرًا
إِذَا صَحَّ غَسْلُ الْوَجْهِ صَحَّ حَيَاؤُهُ
وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ الْمَاءُ لِمَّةَ رَأْسِهِ
فَمَا انْفَكَ مِنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي
وَإِنْ لَمْ يَرَ الْكُرْسِيَّ فِي غَسْلِ رِجْلِهِ
إِذَا مَضَمَضَ الْإِنْسَانُ فَاهُ وَلَمْ يَكُنْ
وَمُسْتَنْشِقٍ مَا شَمَّ رِيحَ اتِّصَالِهِ
صِمَاخَاهُ مَا يَنْفَكُ يَطْهَرُ إِنْ صَغَى إِلَى

8

وقال ابن عربي في أحكام الجبائر والمسح على الخفين:

عَلَى طُهْرِهِ يَمْسَحُ وَفِي سِرِّهِ خَفَا⁽⁴⁾
بِمَنْزِلِهِ فَالْمَسْحُ يَوْمًا بِلا قِضَا
يَقُولُ بِهِ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَى
وَلَوْ قُطِّعَتْ مِنْكَ الْمَفَاصِلُ وَالْكُلَى
لِكُلِّ مُرِيدٍ لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَ الدُّنَا⁽⁵⁾

وَإِنْ لَيْسَ الْجُرْمُوقُ وَهُوَ مُسَافِرٌ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا
وَفِي ذَا خِلَافٍ بَيْنَ مُتَحَقِّقٍ
وَفِي الْمَسْحِ سِرٌّ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ
وَيَتَلَوُّهُ سِرٌّ فِي الْجَبَائِرِ بَيْنَ

(1) اللِّمَّةُ: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(2) استنثر: أدخل الماء في أنفه ثم دفعه ليخرج ما فيه.

(3) صماخاه: مثنى صماخ: قناة الأذن التي تقضي إلى غشاء الطبل.

(4) الجرْمُوق: الخف الصغير يلبس فوق الخف.

(5) الجبائر: جمع جبيرة: ما يوضع على موضع الكسر من عيدان وخرق من أجل أن تجبر العظام.

9

وقال ابن عربي معدداً أركان الإسلام:

وأركانها خُمسٌ عِناقٌ نجائبُ تسيرُ على حُكْمِ الحقيقةِ بالصُّوى⁽¹⁾
 فأولُّها الإيمانُ باللهِ بَعْدَهُ رسولٌ عَزِيزٌ جاءَ بالصُّدُقِ والهُدى
 فيَعْرِضُ لِلْمَحْبُوبِ شَفْعَ شَهادَةٍ فأوترها الرَّحْمَنُ في سُورةِ النِّساءِ
 وعَرَفَهُ مِقْدارَ نَفْسٍ ضَعِيفَةٍ وأَيَّدَهُ بِالْحالِ في سابِقِ القَضا
 وثُمَّ صَلاةٌ والزَّكاةُ وَصُومُنا وَحَجٌّ وهذي خَمْسَةٌ ما بِها خَفا

10

وقال ابن عربي مميّزاً بين أركان الصلاة وبين سنها:

فصل منها:

فإن نَسِيَ الإنسانَ رُكناً فإنَّه يُعِيدُ وَيَقْضِي ما تَضَمَّنَ واحتوى
 وإن لَمْ يَكُنْ رُكنٌ وَعَظَلَ سُنَّةً فَلَمْ يَأْتِ الرُّكْنَ وَلَمْ يَبْلُغِ المُنَى⁽²⁾
 وذلك في كُلِّ العِباداتِ سائرُ وَلَيْسَ جَهُولٌ بالأُمُورِ كَمَنْ دَرى
 إذا كانَ هذا ظاهِرُ الأَمْرِ فالذي تَوَارى عَنِ الأبصارِ أعظمُ مُنْتَشَا
 وهذا ظَهورُ العارفينَ فإن تَكُنْ مِنْ أَحْزابِهِم تحظى بتقريبِ مُصْطَفى

11

وقال ابن عربي ذاكراً بعض النصائح لتكون الصلاة مقبولة عند الله سبحانه وتعالى:

(1) الصوى: ج: صُوة ما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق - العناق والنجائب: الإبل القوية التي تشارك في السبق.

(2) إشارة إلى أن مَنْ عَظَلَ رُكناً: فإن العبادة تكون غير صحيحة.

وَكَمْ مِنْ مَصْلٍ مَا لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ
وَأَخْرَ يَحْظِي بِالمُنَاجَاةِ دَائِماً
وَكَيْفَ وَسِرُّ الخَلْقِ كَانَ إِمَاماً
فَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرَ إِنْ كُنْتَ كَابِراً
وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمَ إِنْ كُنْتَ دَارِياً
سِوَى رُؤْيَةِ المِخْرَابِ وَالْكَدِّ والعَنَا
وَإِنْ كَانَ قَدْ صَلَّى الفَرِيضَةَ وَابْتَدَأَ
وَإِنْ كَانَ مَأْمُوماً فَقَدْ بَلَغَ المَدَى
وَالْأَفْحَلُ المَرءُ أَوْ حِرْمُهُ سِوَا⁽¹⁾
لِرَجْعَتِهِ العَلْيَاءِ فِي لَيْلَةِ السُّرَى⁽²⁾

12

قال الشاب الظريف يمدح حسام الدين الرازي:

حَبَّذا الشَّامُ إِنْ سَمَتْ بِحُسَامِ الـ
مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ سَمَوْا وَقَدْ كَرُمُوا
يَا ضَاحِكاً وَالحَيَاةُ عَابِسَةٌ
الدَّهْرُ رُوحٌ وَأَنْتَ فِيهِ قَاضِيـ
خُذْ مَدْحاً لَمْ أَرِدْ بِهَا مَنَحاً
لَدَيْنِ، مِنْهَا البِطَاحُ وَالْكَثْبُ⁽³⁾
فِعْلاً، وَطَابُوا أَضْلاً إِذَا انْتَسَبُوا
وَثَابَتاً وَالجِبَالُ تَضْطَرِبُ
بُ البَانِ غُصْناً وَغَيْرُكَ الحَطْبُ
حَسْبِي أَنِّي إِلَيْكَ أَنْتَسِبُ

13

قال ابن عربي متحدثاً عن بعض أسرار الصوفية وعن علاقته مع الذات الإلهية:

إِذَا كُنْتَ تَطْلُبُ مَا تَرَكَبُ
وَقَمْتَ بِهِ حِينَ قَامَتْ بِكُمْ
فَمِنْهُ إِلَيْهِ يَكُونُ الَّذِي
أَتَاكُمْ بِجَبْرِيلَهِ مُنْزِلاً
وَكَانَ لَكُمْ كَوْنُهُ المَذْهَبُ⁽⁴⁾
صِفَاتُ تُعَارُ وَلَا تُكْسَبُ
تُسَمُّونَهُ المَلْجَأَ المَهْرَبُ
بِوَحْيٍ عَلَى قَلْبِكُمْ يَكْتُبُ

(1) كابر القوم: سيدهم.

(2) السُّرَى: المسير ليلاً.

(3) البطاح: جمع بطحاء: المكان المتسع يمر منه السيل .. الكثب: جمع كثيب: وهو التل من الرمل.

(4) المذهب: الطريق.

وَمَا هُوَ جَبْرِيلُ أَرْسَالِهِ
فَلَسْتُ نَبِيًّا وَلَا مُرْسَلًا
وإنْ جَمَعْتَ بَيْنَنَا حَضْرَةً
لَأَنْتَ خَدِيمٌ لَهُ تَابِعٌ
يَقُولُ لِي اللَّهُ مِنْ عَرْشِهِ:
ظَهَرْتُ بِصُورَةِ أَرْسَالِنَا
فَأَنْتَ الْوَلِيُّ لَنَا الْمُجْتَبَى
نَصَبْتَ مِنْ أَسْمَائِنَا سُلْمًا
وَلَا تَرْغَبُوا عَنْ وُجُودِي إِذَا
وَكَمْ قُلْتُ فِيكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا
إِذَا مَا سَعَيْتَ لِأَمْرِ أَنَا
تَعَالَيْتُ عَنْ ذَا وَعَنْ ذَا فَمَا
هَنِيئًا مَرِيئًا وَلَكِنْ بِنَا
فإنِّي الْقَوِيُّ وَعَيْنُ الْقَوِيِّ
فَجُولُوا بِمَيدَانِ أَسْمَائِنَا
أَفْسَرُ قَوْلِي بِمَا أَشْتَهِي
فَسُبْحَانَ مَنْ كُنَّا عَيْنُهُ

وَلَكِنَّهُ مَثَلٌ يُضْرَبُ
وإنِّي لَهُ وَارِثٌ أَخْجَبُ
فإنِّي أَنَا الْحَاجِبُ الْأَقْرَبُ⁽¹⁾
أوامرُهُ سَيِّدُ مُنْجِبُ
وَلِيَّ أَنَا ذَلِكَ الْمَطْلَبُ
إِلَيْكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَطْلَبُ
لَكَ الْوَهْبُ وَالْأَخْذُ وَالْمَنْصَبُ
لَكُمْ فَاغْرُجُوا فِيهِ لَا تَرْهَبُوا
وَصَلُّتُمْ وَفِيهِ أَلَا فَارْغَبُوا⁽²⁾
قِوَاكُم أَنَا فَافْرَحُوا وَاطْرَبُوا
لَكَ الرَّجُلُ فِي سَعْيِهَا فَاغْجَبُوا
أَنَا مِنْكُمْ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا
فَنَحْنُ لَكَ الْمَأْكُلُ الْمَشْرَبُ
وإنِّي الْمُقَوِّي الَّذِي يُظْلَبُ
فَمَيدَانُ أَسْمَائِنَا مَلْعَبُ
لِتَضْمِينِهِ كُلِّ مَا يَرْغَبُ
وَلَسْنَا وَلَيْسَ وَمَا نَكْذِبُ

14

قال عبد الرحيم البرعي^(*) في مدح سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة

(1) الحضرة: خلاف الغيبة.

(2) ترغبوا: رغب فيه: أَرَادَهُ.

(*) هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي الهاجري اليميني الصوفي. لم تُعلم سنة ولادته، وسنة وفاته في 803هـ، وهو إمام مشهور من أئمة الصوفية وله ديوان شعر كبير في المدائح النبوية =

والسلام:

وقال على لسان المقرئ محمد صاحب الخير:

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ وَالطَّبْعِ أَغْلَبُ وَتَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ أَعْجَبُ
 وَتَطْلُبُ مِنِّي سَلْوَةً عَنْ رَبَائِبِ وَرَاهُنَّ أَرْوَاحُ الْمُحِبِّينَ تَطْلُبُ
 فَمَا قَرَّ لِي دَمْعٌ وَلَا كَفَّ مَذْمَعٌ وَلَا طَابَ لِي عَيْشٌ وَلَا لَذٌّ مَشْرَبُ
 زَمَانِي أَشْكُو مِنْكَ عَثَبَكَ دَائِمًا فَلَا أَنَا مَشْكِيٌّ وَلَا أَنْتَ مُعْتَبُ
 تَرُومُ ذُهُولِي عَنْ فَرِيقٍ مُفَارِقٍ وَرَكَّبْتُ بِأَكْتافِ الْأَبَاطِحِ طُنُبُوا
 وَتَسْأَلُنِي عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ مَالِكٍ وَلَا سَأَلْتُ عَنِّي وَلَا عَنْكَ زَيْنَبُ
 مُرَوِّعَتِي بِالْبَيْنِ هَلْ مِنْ زِيَارَةٍ تَعِيشُ بِهَا الْأَرْوَاحُ مِنْ قَبْلِ تَذَهَبُ
 فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ فَضْلَةٍ مُهْجَةٍ وَقَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَى يَتَقَلَّبُ⁽¹⁾
 أَوْرِي بِذِكْرِ الرُّكْبِ وَهُوَ مُشْرِقٌ وَأَبْكِي فَيُبْكِينِي الْفَرِيقُ الْمُعْرَبُ
 إِلَى الْجَبْرِ الْغَادِينَ شَوْقِي وَإِنِّي عَلَى وَلَهِي أَبْكِي الرُّسُومَ وَأَنْدُبُ
 إِذَا وَصَلُوا طَابَ الزَّمَانُ بِوَضْلِهِمْ وَإِنْ هَجَرُوا فَالْهَجْرُ عِنْدِي أَطْيَبُ
 تَحِنُّ لِي تَرْدَادِ الْحَنِينِ حَشَاشَتِي وَيَسْتَعْذِبُ التَّغْذِيبَ قَلْبِي الْمُعَذَّبُ
 وَطَيْفَ خِيَالٍ زَارَنِي بَعْدَ هَجْعَةٍ لَدَى وَطَنِ يَنْأَوْنَ عَنْهُ وَيَقْرُبُ
 يُعَلِّلُنِي ذِكْرِي لِيَالٍ تَقَدَّمَتْ وَلَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ يَصْدُقُ يَكْذِبُ
 وَسَاجِعَةٍ تَبْكِي فَأَبْكِي وَإِنَّهَا لَتَعْجِمُ شَكْوَاهَا وَأَشْكُو فَأَغْرِبُ⁽²⁾
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ رُبَا الْأَثَلِ هَلْ غَدَا وَرَاحَ عَلَى الْعِلَالِ فِيهِنَّ صَيَّبُ⁽³⁾
 وَذَرَّ فَرَادِيسَ الْعَقِيقَيْنِ هَيْدَبُ عَلَى كُلِّ شَعْبٍ مِنْهُ يَرْفُضُ هَيْدَبُ
 وَهَلْ رَوَّعَ الْبَرْقُ الرِّيَاضَ بِضَاحِكٍ يُفَضِّضُ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ وَيَذْهَبُ
 يَظَلُّ يُنَاغِي الشَّمْسَ لَوْلَوْ ظِلُّهُ وَيُضْبِحُ دُرُّ النُّورِ بِالنُّورِ يَلْهَبُ

= والحقيقة المحمدية، وله من النثر (مولد النبي).

(1) الغضى: نوع من الشجر.

(2) الساجعة: الحمامة، وسجع الحمام هذيله.

(3) صيب: المطر الكثير.

وَهَلْ عَذَّبَتْ الْبَانِ رَنَحَهَا الصَّبَا
أَحْبَابَ قَلْبِي فَرَّقَ الدَّهْرَ بَيْنَنَا
سِوَى الْكَرَمِ الْفَيَاضِ وَالصَّفْحِ وَالرُّضَا
مِنَ الْهَاشِمِيِّ الطَّلِبِ الظَّاهِرِ الَّذِي
أَعَزُّ الْوَرَى أَضْلًا وَفِعْلًا وَمَنْشَأُ
وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ خَلْقًا وَخِلَقَةً
وَأَكْرَمُ بَيْتًا مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
تَسْلَسَلَ مِنْ أَعْلَى ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
سَرَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ يَقْصِدُ حَضْرَةَ
وَحَفَّتْ بِهِ الْأَمْلاكُ مِنْهُمْ مُبَشِّرٌ
وَأَذْنَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ عَلَى الْعُلَا
وَأَتَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةُ وَاللَّوَا
فَيَأْتِيهِ بِالْمُعْجَزَاتِ نَوَاطِقُ
صِفْوُهُ بِمَا شِئْتُمْ قَوْلَاللهِ مَا انْظَوَى
أَيْنَبِي الصِّفَا الْمَكِّيُّ عَنْ جِرَّةِ الْحِمَى
وَعَنْ عَرَفَاتٍ وَالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى
وَمَنْ لِي بِأَهْلِ الدَّارِ مِنْ أَهْلِ طَيْبَةِ
إِلَى رَوْضَةٍ مِنْ بَيْنِ قَبْرِ وَمَنْبَرٍ
شَذَاهَا مِنَ الْفَرْدَوْسِ مِنْكَ وَعَنْبَرٌ
أَلَا أَبْلِغُوا عَنِّي الْمُحِبِّينَ أَنَّهُمْ
أَحَنُّ إِلَيْهِمْ مِنْ دِيَارٍ بَعِيدَةٍ
عَرَامِي بِهِمْ فَوْقَ الْغَرَامِ وَمُهِجَتِي

فَعَانَقَهَا ثُمَّ انْشَى وَهِيَ تَلْعَبُ
فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ بَعْدَكُمْ فِيهِ أَرْعَبُ
أَرْجِيهِ بِالظَّنِّ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ
إِلَيْهِ الْعُلَا وَالْفَضْلُ وَالْفَخْرُ يُنْسَبُ
وَأَعْلَى وَأَسْمَا فِي الْفَخَارِ وَأَحْسَبُ
وَأَطْوَلُهُمْ فِي الْجُودِ بَاعًا وَأَرْحَبُ
وَمِنْ غَيْرِهِمْ وَابْنُ الْأَطَايِبِ أَطْيَبُ
أَشْمُ رَجِيبُ الْبَاعِ أَرْوَعُ أَغْلَبُ⁽¹⁾
بِهَا الْكَأْسُ مِنْ رَاحِ الْمُحِبِّينَ تَشْرَبُ
بِمَا نَالَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْهُمْ مُرَحَّبُ
فَكَانَ كَقَابِ الْقَوْسِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ⁽²⁾
عَلَى الرُّسْلِ وَالْحَوْضِ الَّذِي لَيْسَ يَنْضَبُ
وَرَايَاتُهُ بِالْفَتْحِ وَالنَّضْرِ تُنْصَبُ
عَلَى مِثْلِهِ فِي الْكَوْنِ أَمْ وَلَا أَبُ
وَمَنْ ضَمَّهُ الْبَيْتَ الْعَتِيقُ الْمُحَجَّبُ
فَأُمْنِيَّتِي خَيْفَا مِنِّي وَالْمُحَصَّبُ
فَوَجْدِي مَوْجُودٌ وَقَلْبِي مُقَلَّبُ
عَلَيْهَا رِيَاخُ الْخُلْدِ تَضْبُو وَتَجَنَّبُ
عَلَى غَايَةِ الْوَضْفَيْنِ أَذْفَرُ أَشْهَبُ
وَإِنْ سَكُنُوا قَلْبِي عَنِ الْعَيْنِ غَيْبُ
وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ يَجِيءُ وَيَذْهَبُ
تَذُوبٌ وَدَمْعِي فِي الْمَحَاجِرِ يُسْكَبُ⁽³⁾

(1) الأشم: المرتفع - الأروع: ذكي الفؤاد.

(2) القاب: المقدار ما بين المقبض وطرف القوس.

(3) المهجة: دم القلب.

وَمَنْ كَانَ مَشْغُوفاً بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
 سَلَامٌ عَلَى الصَّدِيقِ إِذْ هُوَ لَمْ يَزَلْ
 وَثَانِيهِ فِي الْغَارِ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ
 أَجَابَ وَقَدْ صَمُّوا وَأَبْصَرَ إِذْ عَمُوا
 وَصَاحِبُهُ الْفَارُوقُ ذَاكَ الْمُبَارَكُ الـ
 صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ مُظْهِرُ دِينِهِ
 بِهِ اتَّسَعَ الْإِسْلَامُ وَاتَّضَعَ الْهُدَى
 وَعُثْمَانُ ذُو الثَّوَرَيْنِ مَنْ سَبَّحَ الْحَصَى
 كَثِيرُ الْبُكَاءِ وَالذِّكْرِ مُنْفِقُ مَالِهِ
 لَدَى الْحَشْرِ يَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُظْهِرٌ
 وَمَنْ كَعَلِيَّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ
 أَخُو الْحِلْمِ بَحْرُ الْعِلْمِ حَيْدَرَةُ الرِّضَا
 هَزْبَرٌ وَلَكِنْ صَيْدُهُ الصَّيْدُ فِي الْوَعَى
 وَعَمِّي رَسُولُ اللَّهِ وَالْحَسَنَيْنِ مَنْ
 وَمِنْ قَوْمِهِمْ قَوْمٌ إِلَى اللَّهِ هَاجَرُوا
 وَرَاضُوا عَلَى حُبِّ الْحَبِيبِ نَفُوسَهُمْ
 وَأَوَاهُ قَوْمٌ آخَرُونَ وَنَاصَرُوا
 نَوَافِلُهُ الْأَنْصَارِ مِنْ غَيْرِ ذُو حَدٍّ
 أَوْلِيكُمْ الْأَنْصَارُ وَالسَّادَةُ الْأُولَى
 سَلَامٌ عَلَى ذَاكَ النَّبِيِّ وَآلِهِ
 عَدَاةُ اللَّقَا مِنْهُمْ أَسْوَدُ ضَرَاغِمٌ
 يَخُوضُونَ بَحْراً دُونَهُ الْبَحْرُ مِنْ دَمٍ

وَحُبُّ أَبِي بَكْرٍ فَكَيْفَ يُعَذَّبُ
 لِخَيْرِ الْبَرَايَا فِي الْحَيَاتَيْنِ يُضْحَبُ⁽¹⁾
 لِأَمَّتِهِ نِعَمَ الْحَبِيبِ الْمُقَرَّبُ
 وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَكَذَّبُوا
 لَأَغْرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهِدُّ
 غَضَنْفَرُهُ فِي اللَّهِ يَرْضَى وَيَغْضَبُ
 وَلَمْ يَنْقُ غَيْرُ الْحَقِّ لِلنَّاسِ مَذْهَبُ
 بِكَفِّهِ وَارِي الزُّنْدِ وَالْبَرْقُ خُلْبُ
 وَجَهَزَ جَيْشَ الْعُسْرِ وَالْعَامُ مُجْدِبُ
 بَرِيءٍ شَهِيدٌ بِالْذَّمِّ مُخَضَّبُ
 كَرِيمٌ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي الْجُودِ تُضْرَبُ
 إِمَامٌ بِهِ صَدْعُ الْهِدَايَةِ يُشْعَبُ
 وَمِخْلَبُهُ الرُّمْحُ الْأَصَمُّ الْمُكَعَّبُ⁽²⁾
 بِهِمْ شَرَفَاتِ الْمَجْدِ تَزْهُو وَتُعْجَبُ
 وَخَلُّوا مَعَانِي دُورِهِمْ وَتَغَرَّبُوا
 فَكَانَ لَوَجْهِ اللَّهِ ذَاكَ التَّقَرُّبُ
 وَذَبُّوا الْعِدَى وَاسْتَمْنَعُوا وَتَغَلَّبُوا
 تَسَامَى بِهَا فَرْعٌ طَوِيلٌ وَمَنْصَبُ
 نَشَا مِنْهُمْ فَرْعٌ طَوِيلٌ وَمَنْصَبُ
 وَأَزْوَاجِهِ وَالصَّخْبُ مَا جَنَّ عَنْهَبُ
 بِسِرِّ سَرَابِيلِ الْحَدِيدِ تَجَلَّبَبُوا
 وَأَمْوَاجُهُ بَيْضٌ وَسُمْرٌ وَشُدْبُ⁽³⁾

(1) البرايا: المخلوقات.

(2) الهزبر: الأسد الكاسر.

(3) بيض وسمر: سيف ورمح.

أَعْرُ طَوِيلُ الْعُمَرِ لَاقِيهِ يُغَطِّبُ
وَيُرْدِي بِهِ فِي عَمْرَةِ الْمَوْتِ مُقَرَّبُ
وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُشْطَبُ⁽¹⁾
وَدَانُ لَهُمْ بِالسَّيْفِ شَرْقٌ وَمَغْرِبُ
وَهَيْبَتُهُ الْعُظْمَى نِزَارٌ وَيَغْرِبُ
كَرِيمُ جَوَادٍ صَادِقُ الْوَعْدِ مُنْجَبُ
هُمُومٌ لَهَا فِي ابْنِ الْعَوَاتِكِ مَطْلَبُ⁽²⁾
إِلَى مَقْصِدٍ مِنْ دُونِهِ الْهَوْلُ يُرْكَبُ
مَقَامٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ
لَدَى سَيِّدٍ مِنْهُ الْمَكَارِمُ تُوَهَّبُ
يَكَادُ بِزَوَارِ النَّبِيِّ يُرْحَبُ
إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِي أَحْنُ وَأَطْرَبُ
إِلَيْنَا وَإِلَّا دَعْوَةٌ لَيْسَ تُحْجَبُ
بِهِ يُنْكَرُ الْمَعْرُوفُ وَالَّذِينَ يُسْلَبُ
عَلَى كَغَبَةِ الْعِضْيَانِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
فَوَاللَّهِ إِنِّي مُذْنِبٌ وَهُوَ مُذْنِبُ
وَقُلْ ذَا كَهَذَا لَا خِلَافَ مُرْقَبُ
وَلَمْ نَأْتِ شَيْئًا لِلْكَرَامَةِ يُوجِبُ
وَلَكِنْ إِلَيْكُمْ يَلْجَأُ الْمُتَسَبِّبُ
لَنَا فِيهِ إِلَّا فُلُكُ صَفْحِكَ مَرْكَبُ
بِعَادُكَ عَنَّا لَا الْجَفَا وَالتَّجَنُّبُ
فَمَا مِنْكَ بُدٌّ لَا وَلَا مِنْكَ مَهْرَبُ

فَكُلُّ طَوِيلِ الْبَاعِ مُفْتَحِمُ الْوَعَى
يَجُودُ عَلَى شَوْقِ الرِّمَاحِ بِنَفْسِهِ
وَسِرْبَالُهُ فِي الرُّوْعِ دِرْعُ دَرِيَّةُ
عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ إِذْ مَهَّدُوا الْهُدَى
عَلَى حُبِّ مَنْ هَابَتْ لِسَطْوَةِ بَأْسِهِ
نَبِيٌّ حِجَازِيٌّ رَضِيَّ مُكْرَمُ
إِلَى صَاحِبِ الْجَاهِ الْعَرِيضِ رَمَتْ بِنَا
مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّيَابَتَيْنِ تَرَاوَعَتْ
فَقَامَتْ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَحَطَّتْ بِبَخْبُوحِ الْمَكَارِمِ وَالرُّضَا
عَلَى السَّاحَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمَشْهَدِ الَّذِي
سَلَامٌ عَلَى ذَاكَ الْحَبِيبِ فَإِنِّي
عَسَى يَا رَسُولَ اللَّهِ نَظَرُهُ رَحْمَةٌ
فَأَنْتَ حِمَانَا مِنْ زَمَانٍ مُعَانِدِ
سَمِيئِكَ يَا مَوْلَايَ طَالَ عُكُوفُهُ
فَخُذْ بِيَدِ الْمُقْصِرِ وَاشْفَعْ لَهُ وَلِي
وَقُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِي وَبِصَاحِبِي
فَقَدْ عَظُمَتْ أَوْزَارُنَا وَذُنُوبُنَا
وَقَطَّعَتِ الْأَيَّامُ أَسْبَابَ بَيْنِنَا
أَحَاطَ بِنَا طُوفَانُ زَلَّاتِنَا وَمَا
إِذَا مَا هَمَمْنَا بِالزِّيَارَةِ عَاقْنَا
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ اضْفَعْ وَجُدْ وَعُدْ

(1) سرباله: لباسه.

(2) العواتك: جمع عاتك، وهو الكريم.

وَعِنْدِي فَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تَضَعُبُ وَقُلْ أَنْتُمَا مِنِّي وَلِي وَمَعِي وَبِي
إِذَا أُوْخِذَ الْجَالُ بِمَا كَانَ يَكْسَبُ نَلُودُ وَنَذَعُو الْمُسْلِمِينَ لِظُلُكُمُ
عَلَيْنَا وَإِلَّا رَحْمَةً تَتَشَعَّبُ فَمَا مِنْكَ إِلَّا نَفْحَةٌ هَاشِمِيَّةٌ
وَمَا لَاحَ فِي السَّبْعِ الطَّرَائِقِ كَوَكْبُ⁽¹⁾ وَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا دَرَّ عَارِضُ
بِلا غَايَةٍ مَا دَامَتِ الصُّحُفُ تُكْتَبُ صَلَاةٌ تَعْمُ الْآلَ وَالصَّخْبَ دَائِمًا

15

قال بهاء الدين زهير^(*) يصف أشواقه وعذاباتة في حبه:

أَحَدُّهُ إِذَا غَفَلَ الرَّقِيبُ وَأَسْأَلُهُ الْجَوَابَ فَلَا يُجِيبُ
وَأَطْمَعُ حِينَ أَعْطَفَهُ عَسَاهُ يَلِينُ لِأَنَّهُ غَضُنُ رَطِيبُ
أَذُوبُ إِذَا سَمِعْتُ لَهُ حَدِيثًا تَكَادُ حَلَاوَةٌ فِيهِ تَذُوبُ
وَيَخْفِقُ حِينَ يُبْصِرُهُ فَوَادِي وَلَا عَجَبُ إِذَا رَقَصَ الطَّرُوبُ
لَقَدْ أَضْحَى مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي وَمَا لِي مِنْهُ فِي الدُّنْيَا نَصِيبُ
فَيَا مَوْلَايَ قُلْ لِي أَيْ ذَنْبٍ جَنَيْتُ لَعَلَّنِي مِنْهُ أَثُوبُ
أَرَاكَ عَلَيَّ أَقْسَى النَّاسِ قَلْبًا وَلِي حَالٌ تَرَقُّ لَهُ الْقُلُوبُ
حَبِيبُ أَنْتَ قُلْ لِي أَمْ عَدُوٌّ ففَعْلُكَ لَيْسَ يَفْعَلُهُ حَبِيبُ
حَبِيبِي فَيْكَ أَعْدَائِي ضُرُوبُ حَسُودٌ عَاذِلٌ وَاشِ رَقِيبُ⁽²⁾

(1) العارض: السحاب المطل.

(*) البهاء زهير: هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبى الأزدي المصري، صاحب السهل الممتنع، والغزل الرقيق والعتاب الرفيق. ولد بوادي نخلة قرب مكة سنة 581هـ، ونشأ بمصر ببلدة قوص، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام والجزيرة، فلما نكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضوائهم إلى ابن عمه الملك الناصر، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله، حفظ البهاء عهد صاحبه، ولم يخدم غيره، وأقام بنابلس حتى استرد الصالح ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته، واتخذته وزيراً - حتى مات في شوال سنة 656هـ.

(2) ضروب: أنواع.

وَمَا أَنَا ذَا وَحَقِّكَ فِي جِهَادٍ عَسَى مِنْ وَضْلِكَ الْفَتْحُ الْقَرِيبُ
سَأُظْهِرُ فِي هَوَاكَ إِلَيْنِكَ سِرِّي وَمَا أَدْرِي أَلْأَخْطَىءُ أَمْ أَصِيبُ
أَرَى هَذَا الْجَمَالَ دَلِيلَ خَيْرٍ يُبَشِّرُنِي بِأَنِّي لَا أَخِيبُ

16

قالت عائشة الباعونية تصف حالة عشقها الإلهي :

حَبِيبِي أَنْتَ مِنْ قَلْبِي قَرِيبُ وَمِنْ سَرِّي جَمَالُكَ لَا يَغِيبُ
خَلَعْتَ الْحَسْنَ فِي خِلْعِ التَّجَلِّي فَشَاهَدْتُ الْجَمَالَ وَلَا رَقِيبُ
وَأَبْدَيْتَ الْوِصَالَ فَلَا صُدُودُ وَلَا وَهْمٌ وَلَا شَيْءٌ يُرِيبُ
وَطُفْتَ عَلَيَّ فِي حَانِ التَّصَابِي بِكَأْسٍ عَيْشُ شَارِبِهِ يَطِيبُ
بِرَاحٍ نَلْتُ أَقْصَى الرَّيِّ مِنْهُ وَفِي زَيِّ تَرَاءَتْ لِي الْغُيُوبُ
وَزَالَتْ بِاسْتَوَا شَمْسِي ظِلَالِي تَجَلُّ لَيْسَ يَعْقِبُهُ غُرُوبُ⁽¹⁾
وَصِرْتَ إِلَى مَقَامٍ لَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ حَبِيبُ قَلْبِي لَهُ نَصِيبُ
تُنَادِمُنِي وَتَسْقِينِي مُدَامِي وَيَحْضُرُنِي لَدَيْكَ فَلَا يَغِيبُ
وَتَذَكِّرُنِي وَتَشْهَدُنِي جَمَالاً تَقْدَسُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضَرِيبُ⁽²⁾
فَلَا خَوْفٌ وَأَنْتَ أَمَانُ قَلْبِي وَلَا سُقْمٌ وَأَنْتَ لِي الطَّبِيبُ
وَلَا حُزْنٌ وَأَنْتَ سُرُورُ سَرِّي وَلَا سُؤْلٌ وَأَنْتَ لِي الْحَبِيبُ

17

قال ابن مليك الحموي يصف فقره وسوء حاله :

مَوْلَايَ عَزَّ الطَّلَبُ وَبَنِي أَضَرَّ السَّعْبُ⁽³⁾
وَلَمْ يَكُنْ لِشَقَوَتِي عَنِّي يُغْنِي الْأَدَبُ

(1) باستوا: أي باستواء.

(2) ضريب: مثيل أو نظير.

(3) السَّعْب: الجوع.

وَالشَّعْرُ مِنْهُ انْقَطَعَ الْـ
وَالْجَدُّ لَا يَحْوِي وَلَا
وَالْخَطْبُ قَدْ عَمَّ وَلَا
وَقُلَّ فِي الدَّهْرِ الْعَطَا
وَالْفَقْرُ قَدْ لَازَمَنِي
حَبْلٌ وَقَلَّ السَّبَبُ
عَنِّي يُغْنِي اللَّعِبُ
تَفِيدُ فِيهِ الْخَطْبُ
وَزَادَ فِيهِ الْعَطَبُ
وَأَيْنَ مِنْهُ الْهَرَبُ

18

قال عبد الرحيم البرعي يمدح إبراهيم بن محمد الحكمي رحمته الله:

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْفَتَى ابْنِ مُحَمَّدٍ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ
فَوَاقَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا
فَتَى سِرُّ تَوْحِيدِ الْإِلَهِ وَسَيْفُهُ
هُوَ الْكَوْثَرُ الْفَيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ
عَمَامٌ يَعُمُّ الْخَلْقُ ظِلًّا وَنَائِلًا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا
أَوْمَلُ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ
فَقُمْ بِي وَعَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَصُنْ مَاءً وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ
رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخُطُوبُ⁽¹⁾
لَدَى خَيْرِ مَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ أَدِيبُ
وَأَخْصَبَ رُبْعًا وَالزَّمَانُ جَدِيبُ⁽²⁾
بِهِ الْعَيْشُ يَخْلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
أَغْرُ يُنَادِي لِلنَّدَى فَيُجِيبُ⁽³⁾
لِكُلِّ مَنْ الرَّاحِينَ فِيهِ نَصِيبُ
وَشَانِي وَقِيَتِ الشَّانِئِينَ عَجِيبُ⁽⁴⁾
وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمَّ وَهُوَ قَرِيبُ⁽⁵⁾
فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَصِلْ حَبْلَ أَنْسِي وَالْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَمَا اهْتَرَّ غُضُنُّ فِي الْأَرَاكِ رَطِيبُ

(1) الصارم: السيف.

(2) جدیب: مقفر لاخير فيه.

(3) الكوثر: نهر في الجنة.

(4) الشانئين: المبغضين، مفرده شاني*.

(5) الجم: الكثير.

ولا زِلْتُ مأمولي وِعَوْثِي ونُضْرَتِي على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

19

قال ابن عربي يصف علاقة المخلوق مع الخالق ﷻ:

جَلَّ الإِلَهُ فَمَا تُحْصِي مَعَارِفُهُ وَلَنْ يُصَاحِبَهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدٌ
وَمَنْ يَكُونُ بِهَذَا الْوَضْفِ فَارِضَ بِهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْبُورٌ عَلَى خَطَرٍ
فَمَنْ يُوَافِقُكُمْ فَأَنْتَ شَاكِرُهُ لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ مَا عِنْدَهُ خَبَرٌ
لَوْ لَا الْوُجُودُ وَلَوْ لَا سِرُّ حِكْمَتِهِ إِنِّي خَصِيصٌ لِمَا أَوْلِيَهُ مِنْ كَرَمٍ
الْعَفْوُ أَوْلَى بِنَا إِنْ كُنْتَ ذَا كَرَمٍ الْخَلْقُ مِنْ خَلْقٍ أَشْفَتْ مَكَانَتُهُ
لِعِلَّةٍ وَلِجَهْلِ قَامٍ بِي فَأَنَا فَاللَّهُ يَغْفِرُ لِي مَا قَدْ جَنَّتُهُ يَدِي
فَالْجَهْلُ غَالِبَتُهُ وَالْجَهْلُ مِنْ شِيَمِي إِنِّي عَجِبْتُ لِمَنْ قَدْ قَالَ مِنْ عَجَبٍ

(1) مواهبه: عطاياه.

(2) مجبور: مقهور، وفي الاصطلاح: إسناد فعل العبد إلى الله.

(3) أراقبه: الترقب والانتظار.

20

قال الشاب الظريف في مطلع إحدى مدائحه:

لي من هواك بعيدُه وقريبُه
إن لم تَكُنْ عيني فإنك نورُها
هل حُرمةٌ أو رحمةٌ لمتيم؟
ألفَ القصائد في هواك تغزلاً
هب لي فؤاداً بالغرام تشبه
والنجم أقرب من لقاء مناله
لم يبق لي سرٌّ أقول، تُذيعُه
ولك الجمال بديعُه وغريبُه
أو لم تَكُنْ قلبي فأنت حبيبُه
قد قلَّ فيك نصيره ونصيبُه
حتى كأن بك النسيب نسيبُه
واستبق فؤداً بالصُدودِ تُشيبُه
عندي وأبعد من رضاك مغيبُه
عني، ولا قلبٌ أقول تذيبُه

21

قال ابن نباتة يمدح المؤيد:

عَوَضَ بكأسِك ما أتلَفَت من نَشَبِ
واخطبَ إلى الشُّربِ أمَّ الدَّهرِ إن نُسبت
غراء حالية الأعطافِ تخطرُ في
عذراء تُنجزُ ميعادَ السرورِ فما
مَصُونَةٌ تجعلُ الأستارَ ظاهرةً
لو لم يَكُنْ مِنْ لِقاها غيرُ راحتنا
فهاهنا واشربْ إلى أن لا يبينَ لنا
خَفَّتْ فلو لم تُدرْها كَفُّ حاملِها

فالكأسُ من فضةٍ والراحُ من ذهبٍ⁽¹⁾
أختُ المسرةِ واللَّهو، ابنةُ العنبِ
ثوبٌ من النُّورِ أو عقيدٌ من الحبِّ⁽²⁾
تُومى إليك بكفٍّ غيرِ مختضبٍ
وجنةٌ تتلقي العينَ باللَّهبِ
من حرفةِ المتعبين العقلِ والأدبِ
أنحنُ في صعدِ نستنٍّ أم صببٍ⁽³⁾
دارتْ بلا حاملٍ في مجلسِ الطربِ

(1) النَّسَبُ: المال.

(2) الحبب: الفقايع على وجه الماء.

(3) نستنُّ: نسلُك ونسير.

تقضي بسعدٍ سَراها أنجمُ الحبِّ
 عن خدِّه المشتَهَى عن ثغره الشَّنبِ⁽¹⁾
 من خاطري وهو منِّي غيرُ مقتربِ
 تَبَّتْ غصونُ الرُّبا حمالةُ الحطبِ
 السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ
 إلى الوُشاةِ لسانُ المدمعِ السربِ
 جودُ المؤيدِ للعافينَ بالذهبِ
 قواعدُ البيتِ ذِي العلياءِ والرُتبِ
 على شمائلِ آباءٍ لَهُ نُجَبِ
 وجودُ كَفَّيه بادٍ غيرُ محتجبِ
 فالسيفُ في راحةٍ منه وفي تعبِ
 لا تستطيلُ إليه سَورةُ الغضبِ⁽²⁾
 عفواً ويُعطي العطا جَمّاً بلا سببِ
 ألفاظُهُ فيه حفظُ الأفقِ بالشُّهبِ
 مالا، لمفتقرٍ جَاهاً، لمقتربِ
 واسجُدْ بذاك الثرى المثلثِ واقتربِ⁽³⁾
 للمدحِ مجتلبٍ للذمِّ مجتنِبِ
 مدائحُ فيه عندَ اللّهِ كالقربِ
 في الصالحاتِ من الأعمالِ في الكتبِ
 لجاءنا جُودُهُ الفياضُ في الطُّلبِ
 في لفظها غيرُ هذا العشرِ من رجبِ

يا حبذا الراخُ للأرواحِ ساريةً
 من كفٍّ أغيدَ تروي عن شمائلِهِ
 علقتهُ مِنْ بني الأتراكِ مقترباً
 حمالةُ الحلّي والدِيباجِ قامتهُ
 يا تالي العَدَلِ كتباً في لوحِهِ
 كم رمتُ كتمَ الجوى فيه فنمَّ بهِ
 جادثُ جفوني بمحمرِّ الدُموعِ لَهُ
 شادَثُ عزائمِ إسماعيلٍ فاتصلتُ
 ملكُ تُدُلُّكَ في الجدوى شمائلُهُ
 محجَّبُ العزِّ عن خلقٍ تحاولُهُ
 قد أتعبَ السيفُ من طولِ القراعِ بهِ
 هذا وللحلمِ مَعْنَى في خلايقِهِ
 يُغضِي عن السبِّ المردِي بصاحِبِهِ
 ويحفظُ الدِّينَ بالعلمِ الذي اتضحَتْ
 يَمَّمُ حماهُ تجذُّ عفواً لمقتربِ
 ولا تطع في السرى والسيرِ ذا عدلِ
 وعدُّ من الخوفِ والبؤسى بذِي هَمِّ
 ذاكَ الكريمُ الذي لو لم يجدْ لكفَّتْ
 نوعُ من الصدقِ مرفوعُ المنارِ غداً
 وواهبٌ لو غفلنا عن تطلُّبِهِ
 أسدى الرغائبَ حتى ما يشارِكُهُ

(1) الأغيد: المشي في نعومة.

(2) سورة الغضب: شدته وهياجه.

(3) العدل: اللوم.

وإن سرى لألوف الجيش لم يهب
بالضرب والطعن أو بالرعب والرهب
كأنما هو والأسراع في صبيب
منها ويطوي الحشا ليلاً على سغب
لم القعود على غير الغنى فثب
كأنما احتملت شيئاً من الكتب
يا وصلة الرزق هذي فرقة التعب
يسلو عن الأهل فيه كل مغترب
يا أشعر العرب امدح أكرم العرب
بخرّد مثل أسراب المها عُرِب⁽¹⁾
نواله وشي أثواب الغنى القُشْب⁽²⁾
وراح يفخر في أهل السيادة بي⁽³⁾
وجودهم لم يطغ دهر ولم يطب
والطاعنين الأعادي بالقنا السلب
تغيب زهر الدّراري وهو لم يغيب
وبالمجرة مدّوه على طنّب⁽⁴⁾
يوم النّوال ولا تلوي على نشب
وهل تنظّم أشعار بلا سبب
يداه من بعد إشرافي على العطب
ناديت جود بني الدنيا فلم يجب
فإن مدحك تكفير من الكذب

واعتاد أن يهب الآلاف عاجلة
كم غارة عن حمى الإسلام كفكفها
وغاية جاز في آفاقها صعداً
ومرمل ينظر الدنيا على ظم
نادثه أوصافه اللاتي قد اشتهرت
فقام يعمل بين الكتب ناجية
حتى أناخت بمغنائه فقال لها
لا عيب في ذلك المغنى سوى كرم
كم ليلة قال لي فيها ندى يديه
فصبّحته قوافي التي بُهرت
ألبسته وشيها الحالي وألبسني
فرحت أفخر في أهل القريض به
يا ابن الملوك الأولى لولا مهابتهم
الجائدين بما نالت عزائمهم
والشائدين على كيوان بيت على
بيت من الفخر شادوه على عميد
لله أنت فما تُصغي إلى عدل
أنشأت للشعر أسباباً بها
أنت الذي أنقذتني من يدي زمني
أجابني قبل أن ناديت جودك إذ
فإن يكن بعض إمداح الورى كذباً

(1) خرّد: جمع خريدة وهي الفتاة العذراء التي لم تُمس.

(2) القشب: جمع قشيب وهو الجديد من كل شيء.

(3) القريض: الشعر.

(4) الطنب: حبل يشد به الخباء.

22

قال الشاب الظريف يذمُّ الزمان وأهله، ويفخرُ بنفسه:

ليت الليالي التي أولت بشاشتها إن لم تُدم هبة اللذات لم تُهبِ
 ما بالها غلبت حُزني على فرجي وألقت الجدَّ بين النُجج والطلبِ
 ما اختصَّ بي حادثٌ منها فأغبنها كذاك شيمتُها في كلِّ ذي أدبِ
 مالي وللشعراء المنكري شرفي وفوق دُرهم ما تحت مخشلي⁽¹⁾
 إن غبت عنهم تباهوا في قصائدهم بغيبة الشمس تبدو زينة الشُّهبِ

23

قال صفي الدين الحلِّي:

ترأث لنا، بين الأكلَّة والحُجبِ، فتاه بها طُرُفي، وهامَ بها قلبي
 وأعجبُ شيءٍ أنها مُذ تَبَرَّجتْ رأث حُسْنها عيني، ولم يرها صَحبي⁽²⁾
 تَلَقَّيْتُها بالرحبِ مني كرامةً، ومنها تَعَلَّمتنا التَّلَقِّي بالرحبِ
 عَجِبْتُ لَمَسْراها، وأعجبتُ باللقاء، فيا عَجبي ممَّا رأيتُ، ويا عَجبي
 غَزالةٌ سِرِبْ كُنْتُ أخشى نِفارها، فأصَبَحْتُ مع فوزي بها آمِنَ السَّرِبِ
 خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ رَفْعاً لِقَدْرِها، فأوجبَ ذاك الخفضُ رَفْعِي عن النِّصْبِ
 وَنَاجَيْتُها فيما أَحَبُّ سَماعه، مُشافهةً، لا بالرسائلِ والكُتُبِ
 لَقَدْ أَصَبَحْنَا من مُدامِ خطابِها، وما قُلْتُ إلحاحاً عليها: ألا هُبِّي⁽³⁾

(1) المخشلب والمخشلب: هما لفظتان للنبط فيما يشبه الدرر من حجارة البحر وليس بدر، أو هو على شكل خرز أبيض يشابه اللؤلؤ يخرج من البحر وهو أقل قيمة منه. وردت هذه اللفظة في شعر المتنبي وقد أهملها الجوهري.

(2) تبرَّجت: تزينت وأظهرت زينتها.

(3) يشير إلى قول عمرو بن كلثوم: ألا هُبِّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا.

إلى عَيْنِ تَسْنِيمٍ أَدَمْتُ بِهَا شُرْبِي⁽¹⁾
وَكُنْتُ بِهَا أَنْبَا فَصِرْتُ بِهَا أَنْبِي⁽²⁾
حِسَاناً وَلَمْ تَقْصِدْ بِذَاكَ سِوَى سَلْبِي
فَإِنْ غِبْتُ كَانَ الْبُعْدُ فِي غَايَةِ الْقُرْبِ
فَعَيْنِي لَهَا فِي ذَاكَ عَيْنٌ عَلَى قَلْبِي
وَتَشْرِقُ شَمْسُ الْعَارِفِينَ مِنَ الْغَرْبِ
تَيَقَّنْ قَلْبِي بِالْوَصُولِ إِلَى رَبِّي
عَلَيَّ، فَلِي مِنْ ذَاكَ شُغْلٌ عَنِ النَّدْبِ
وَأَيُّ رَحَى أَضَحَّتْ تَدْوِرُ بِلَا قُطْبِ⁽³⁾

حَمَلْتُ الظَّمَا شَوْقاً إِلَيْهَا، فَسَاقَنِي
عَلِمْتُ بِهَا مَا كُنْتُ أَجْهَلُ عِلْمَهُ،
كَسْتَنِي مِنَ الْعِزِّ الْمُقِيمِ مَلَابِساً
وَأَصْبَحَ مَوْتِي كَالْحَيَاةِ بَوَصْلِهَا،
وَكَمْ جَعَلْتُ مِنِّي عَلَيَّ طَلِيْعَةً،
فَكُلُّ يَرَى شَمْساً مِنَ الشَّرْقِ أَشْرَقَتْ،
فِيَا حَضْرَةَ الْقُدْسِ الَّتِي مُذْ شَهِدْتُهَا
حَنَائِيكَ قَدْ أَشْهَدْتَنِي كُلَّ وَاجِبٍ
فَأَنْتِ لَنَا قُطْبٌ عَلَيْهِ مَدَارُنَا،

24

قال ابن نباتة في قصيدة يمدح فيها المؤيد ويستدثر عطاءه:

وَمَعَ الْأَذَى أَفْدِيكَ مِنْ مَحْبُوبٍ
لِيَنَّ الصَّبَا مِنْ جِسْمِهِ الْمَشْرُوبِ
لَوْ أَنَّ ذَاكَ الْوَرْدَ كَانَ نَصِيبِي
إِزَتْ السَّمَاحَةُ فِي بَنِي أَيُوبِ
وَأَتَتْ بِحَارُهُمْو بِكُلِّ عَجِيبٍ
وَحَمَى سُرَادِقَ بَيْتِهِ الْمَنْصُوبِ⁽⁴⁾
وَالِى الْعَلَاءِ قَدْ انْتَهَتْ لِنَجِيبِ

بَالُغَتْ فِي شَجْنِي وَفِي تَغْذِيبِي
يَا قَاسِياً هَلَّا تَعَلَّمَ قَلْبُهُ
أَهْلاً لَوْرِدٍ فَوْقَ خَدِّكَ أَحْمَرٍ
وَلَوْ احْظَ تَرِكُ الْمَلَاَحَةَ فِي الطُّبَا
فَتَحَتْ بَنُو أَيُوبَ أَبْوَابَ الرَّجَا
وَبِمَلِكِهِمْ رَفَعَ الْهَدَى أَعْلَامَهُ
وَالِى عِمَادِهِمْ انْتَهَتْ عَلَيَاؤُهُمْ

(1) تسنيم: عين ماء في الجنة.

(2) أنبي: أي أخير.

(3) الرحى: أداة يطحن بها، وهي حجران مستديران يوضع أحدهما فوق الآخر ويُدارُ الأعلى على قطب.

(4) السرادق: كلُّ ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب.

ملكٌ بأدنى سطوهِ ونوَالِه
الجودُ ملءُ مطامِعِ والعلمُ مل
ألفَتْ بأنبوبِ اليراعةِ والقنا
فإذا نظرتَ وجدتَ أرزاقَ الوري
كم مدحةٍ لي صُغتِها وأثابها
وتعوّدتُ في كلِّ مصرٍ عنده
يا ربَّ بشرٍ مِنْهُ طائي الندي
أنسى ندى هَرَمٍ وبأسَ شبيبِ
ء مسامعٍ والعزُّ ملءُ قلوبِ
يمناه يومَ ندى ويومَ حروبِ
ودمَ العداةِ يفيضُ من أنبوبِ
فزَهتُ على التفضيضِ والتذهيبِ
مرعى يقابلُ جذبَها بخصيبِ
يلقى مدائحنا لقاءَ حبيبِ

25

يقول الشاب الظريف ذاكرًا العرب ومشيرًا إلى انتمائه ومحبته لهم:

قف بالركائبِ أو سُفِّها بترتيبِ
واسأل نسيمًا ثَفْتُ أعطافنا أصلا
يا ربةَ الهودجِ المحميَّ جانبُه
إلامَ حُبُّكَ يُغريني ويُغري بي⁽¹⁾
عسى تسيرُ إلى الحيِّ الأعاريبِ
من أينَ جاءت؟ ففيها خمرَةُ الطَّيبِ⁽²⁾

26

قال شهاب الدين محمود^(*) يمدح الملك الأشرف صلاح الدين خليل
بمناسبة فتحه مدينة عكا:

(1) ثفى الشيء ثفياً: جاء على أثره - أعطافنا: جمع عطف: وعطف كلُّ شيءٍ جانبه - أصلاً: جمع أصيل.

(2) الهودج: أداة ذات قبة توضع فوق الجمل لتركب فيها النساء.

(*) الشهاب محمود 644 - 725هـ: هو شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد بن محمود، ولد بدمشق سنة 644هـ وتلقى ثقافته فيها، واتصل بمشاهير علماء عصره، ولازم ابن الظهير وسلك طريقته في النظم والكتابة وبرع فيهما، كما برع في الأدب والفقه.

تولى الكتابة في ديوان الإنشاء بدمشق وهو في الثلاثين من عمره تقريباً، واستمر في هذا المنصب حتى سنة 692هـ، ثم انتقل إلى مصر وكتب هناك في ديوان الإنشاء، ثم عاد إلى دمشق وولي كتابة السر فيها حتى وافته المنية سنة 725هـ ودفن في سفح جبل قاسيون. كان الشهاب محمود حسن =

الحمدُ لِلّهِ زَالَتْ دَوْلَةُ الصُّلْبِ
 هَذَا الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ لَوْ طَلَبْتُ
 مَا بَعْدَ عَكَا وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا
 عَقِيلَةٌ ذَهَبَتْ أَيْدِي الْخَطُوبِ بِهَا
 لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِهَا لِلْكَفْرِ إِذْ خَرِبَتْ
 كَمْ رَامَهَا وَرَمَاهَا قَبْلَهُ مَلِكٌ
 لَمْ تُرْضِ هِمَّتُهُ إِلَّا الَّذِي قَعَدَتْ
 لَيْتَ أَبِي أَنْ يَرُدَّ الْوَجْهَ عَنْ فِرْقٍ
 لَمْ يُلْهِهِ مُلْكُهُ بَلْ فِي أَوَائِلِهِ
 فَأَصْبَحَتْ وَهْيَ فِي بَحْرَيْنِ مَائِلَةٌ
 جَيْشٌ مِنَ التُّرُكِ تَرَكُ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ
 تَسَنَّمُوهَا فَلَمْ يَثْرُكْ تَسَنَّمُوهَا
 يَا يَوْمَ عَكَا لَقَدْ أَنْسَيْتَ مَا سَبَقَتْ
 لَمْ يَبْلُغِ الثُّنْطُقُ حَقَّ الشُّكْرِ فَيْكَ فَمَا
 كَانَتْ تُمْنَى بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ أُمَمٍ
 أَغْضَبَتْ عُبَادَ عَيْسَى إِذْ أَبَدَتْهُمْ
 وَأُطْلِعَ اللَّهُ جَيْشَ النَّصْرِ فَاِبْتَدَرَتْ
 وَأَشْرَفَ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْبَشِيرُ عَلَى

وَعَزَّ بِالتُّرُكِ دِينَ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِي
 رُؤْيَاهُ فِي النَّوْمِ لَا اسْتَحْيَتْ مِنْ الطَّلَبِ
 فِي الْبَحْرِ لِلشُّرُكِ عِنْدَ الْبَرِّ مِنْ أَرَبٍ⁽¹⁾
 دَهْرًا وَشَدَّتْ عَلَيْهَا كَفُّ مُغْتَصَبِ
 فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا يُنْجِي سِوَى الْهَرَبِ
 جَمُّ الْجِيُوشِ فَلَمْ يَظْفَرْ وَلَمْ يُصَبِ
 لِلْعَجْزِ عَنْهُ مَلُوكُ الْعُجَمِ وَالْعَرَبِ
 يَدْعُونَ رَبَّ الْوَرَى سَبْحَانَهُ بِأَبِ
 نَالَ الَّذِي لَمْ يَنْلُهُ النَّاسُ فِي الْحَقَبِ⁽²⁾
 مَا بَيْنَ مُضْطَرِمِّ نَارًا وَمُضْطَرِبِ
 عَارٍ وَرَاحَتُهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْوَصَبِ⁽³⁾
 فِي ذَلِكَ الْأَفْقِ بُرْجًا غَيْرَ مُنْقَلَبِ
 بِهِ الْفَتْوحُ وَمَا قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ
 عَسَى يَقُومُ بِهِ ذُو الشُّعْرِ وَالْخُطْبِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَاهِدُنَاكَ عَنْ كَثَبِ
 لِلَّهِ أَيُّ رِضَاً فِي ذَلِكَ الْغَضَبِ
 طَلَائِعُ النَّصْرِ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ⁽⁴⁾
 مَا أَسْلَفَ الْأَشْرَفُ السُّلْطَانُ مِنْ قَرَبِ

= الخلق، وكان عالماً متواضعاً، وقد برع في الشعر وفاق أقرانه، وقد مدح السلاطين ورجال الدولة في عصره. له كتاب (حسن التوسل إلى صناعة الترسيل) و(مقامة العشاق) و(منازل الأحباب ومنازه الألباب).

(1) الأرب: الغاية والأمنية.

(2) الحقبة: جمع حقبة: وهي المدة الطويلة أو السنة.

(3) الوصب: الوجع والمرض والتعب.

(4) السمر: الرماح - القضب: جمع قضيب، وهو السيف القاطع.

بفتحهِ الكعبةُ الغراءُ في الحُجُبِ
 فالبرُّ في طَرَبِ والبحرُ في حَرَبِ
 أبدتُ من البيضِ إلا ساقَ مختضبٍ⁽¹⁾
 كأنَّها شُطْنٌ تهوي إلى قُلُبِ⁽²⁾
 فزادها الريُّ في الإشراقِ واللَّهَبِ
 فراحَ كالراحٍ إذ غرقاه كالحبِّ
 فقَيَّدَتْهُمْ بِهَا رُغْباً يَدُ الرَّهَبِ
 حواسُهُ فغداً كالمنزِلِ الخربِ
 برجٌ هَوَى ووراهُ كوكبُ الذَّنْبِ
 بكِ الممالكُ واستعلتْ على الرُّتَبِ
 لذيكَ شيءٌ تلاقِيهِ على لَغَبِ⁽³⁾
 مَدَّتْ إِلَيْكَ نواصِيهاً بلا نَصَبِ
 صَيَدَ الملوِكِ فلم تُسْمَعْ ولم تُجَبِ⁽⁴⁾
 بأنَّ ظنَّ صلاحِ الدينِ لم يَخِبِ
 منه لَسرٌ طَواه اللُّهُ في اللَّقَبِ
 أمثالها بينَ آجامٍ من القُضْبِ⁽⁵⁾
 إزاء جُذرانِها في جَحْفَلٍ لَجِبِ⁽⁶⁾
 للكسْرِ والحَطَمِ منها كلُّ منتَصِبِ
 منها، وأبدتُ مُحَيَّاها بلا نُقْبِ

فَقَرَّ عَيْنًا بهذا الفتحِ وابتهجث
 وسارَ في الأرضِ سَيْرَ الرِّيحِ سُمْعَتُهُ
 وخاضَتِ البيضُ في بحرِ الدماءِ وما
 وخاضَ زُرْقُ القَنَا في زُرْقِ أعينِهِم
 توقَّدتْ وَهي تُروى في نحورِهِم
 أجزَتْ إلى البحرِ بحرًا من دمايِهِم
 وذابَ من حرِّها عنهُم حديدُهُم
 كم أبرزتْ بطلاً كالطَّوْدِ قَدْ بطلتْ
 كأنَّهُ وَسنانُ الرمحِ يطلُّبُهُ
 بُشراكِ يا مَلِكَ الدُّنيا لقد شَرُفَتْ
 ما بَعْدَ عَكا وقد لانتْ عريكتُها
 فانهضْ إلى الأرضِ فالدُّنيا بِأجمِعِها
 كم قَدْ دَعَتْ وَهي في أسْرِ العِدا زَمناً
 أتيَتْها يا صلاحِ الدينِ معتقداً
 أدركتْ نَارَ صلاحِ الدينِ إذ غضبتْ
 وجِئَتْها بِجِوشِ كالسَّيُولِ على
 وحُطَّتْها بالمجانيقِ التي وقفتْ
 مرفوعةً نَصَبُوا أضعافَها فغداً
 ورُضَّتْها بنقوبٍ ذَلَّتْ شَمماً

(1) البيض: جمع أبيض وهو السيف.

(2) الشطن: الحبل الطويل يستقى به من البئر.

(3) اللغب: التعب والإعياء.

(4) الصيد: جمع أصيد: كل ذي حولٍ وطولٍ من ذوي السلطان.

(5) الآجام: جمع أجمة: الشجر الكثيف الملتف.

(6) المجانيق: جمع منجنيق.

وَعَنَّتِ الْبَيْضُ فِي الْأَعْنَاقِ فَارْتَقَصَتْ
وَحَلَّفَتْ بِالْدَمِ الْأَسْوَارَ فَابْتَهَجَتْ
ظَنُّوا بَرُوجَ الْبُيُوتِ الشُّمَّ مَغْقِلَهُمْ
فَأَحْرَزَتْهُمْ وَلَكِنْ لِلسَّيْفِ لِكْيٍ
وَجَالَتْ النَّارُ فِي أَرْجَائِهَا وَعَلَتْ
وَأَقْلَتْ الْبَحْرُ مِنْهُمْ مَنْ يُخْبِرُ مَنْ
عَلَا بِكَ الْمُلْكُ حَتَّى إِنَّ خِيَمَتَهُ
فَلَا بَرِخَتْ عَزِيزَ النَّصْرِ مَبْتَهَجاً
أَبْرَاجُهَا لَعِباً مِنْهُمْ بِاللَّعِبِ
طَيْباً وَلَوْ لَا دِمَاءُ الْمَوْتِ لَمْ تَطْبِ
فَاسْتَعْقَلَتْهُمْ وَلَمْ تُظْلِقْ وَلَمْ تَهَبِ
لَا يَلْتَجِي أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى الْهَرَبِ
فَأَطْفَأَتْ مَا بِصَدْرِ الدِّينِ مِنْ كُرْبِ
يَلْقَاهُ مِنْ قَوْمِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
عَلَى الثَّرِيَّا عَدَتْ مَمْدُودَةُ الطَّنْبِ⁽¹⁾
بِكُلِّ فَتْحٍ مَبِينِ الْمُنْحِ مُرْتَقِبِ

27

قال شرف الدين الأنصاري^(*) يمدح الملك الناصر بن العزيز الأيوبي
صاحب حلب:

بِكَ افْتَخَرَ الْأَمْلَاكُ مِنْ آلِ أَيُّوبَ
كَفَيْتَهُمُ الْأَحْدَاثَ طِفْلاً وَيَافِعاً
فَكَمْ مُلْكٌ جَبَّارٍ سَلَبْتَ بِجَحْفَلٍ
وَعِنْدَكَ نَالُوا فِي الْعُلَا كُلَّ مَطْلُوبِ
تُبْنِيْدُ عَدُوّاً أَوْ تَجُودُ بِمُوهَبِ
يُوسَّعُ بِالْإِقْدَامِ ضَنْكَ الْأَسَالِبِ⁽²⁾

(1) الثريا: مجموعة من النجوم في السماء - الطنب: جبل يشدُّ به الخباء.

(*) شرف الدين الأنصاري 586-662هـ: هو عبد العزيز بن محمد بن خلف الدمشقي، شاعر من شعراء حماة؛ لقب بالصاحب، وشيخ الشيوخ، وانتسب إلى الأوس من الأنصار. ولد بدمشق سنة 586هـ وسكن حماة واستكمل علومه فيها، وسمع الحديث وتفقه، واتجه إلى الأدب فأتقنه. وكانت بيئة حماة العلمية مزدهرة في عهد الملوك الأيوبيين ولا سيما في عهد الملك المنصور الأول. صحب والده فزار بغداد وغيرها وسمع فيها عن مشاهير علمائها وعاد إلى بلاد الشام وتنقل في أرجائها، وأثر عنه أنه حدّث بدمشق وحماة والقاهرة. وزار بعلبك وأقام بها وقتاً قصيراً، وعقد فيها بعض الصداقات، ثم رجع إلى حماة واستقر فيها نهائياً، ولقي فيها الرعاية والتشجيع من ملوكها حتى نبه شأنه وعلت منزلته فأصبح يدعى بشيخ شيوخ حماة إلى جانب والده الذي كان قاضي قضاتها.

(2) الجحفل: الجيش الكبير - الأساليب: الطُّرُق، مفردا أسلوب.

وَدَهْيَاءَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ أَذْرَتْهَا
وَمَا عَرِفْتُ تُرْكُ الْأَعَاجِمِ ذِلَّةً
بَرَزْتُ لَنَا يَا يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ
جَلَالَةُ مُلْكٍ فِي جَمَالِ نُبُوَّةٍ
جِهَادٌ إِلَى أَهْلِ الْمَحَارِبِ مُحْسِنٌ
لَكَ اللَّهُ مِنْ مُلْكٍ كَرِيمٍ مُؤَيَّدٌ
تَجُولُ الْأُمَانِي وَالْمَنَايَا فَتَنْتَهِي
نَظْمْتُ الدَّرَارِي فِيكَ لَا الدَّرَّ مِدْحَةً
وَأَرْسَلْتُ مَكْتُوبِي إِلَيْكَ مَسْلَمًا
عَلَى رَأْسِ مُلْكٍ فِيهِ بِالتَّاجِ مَعْصُوبٌ⁽¹⁾
لِغَيْرِكَ مُذْ حَلَلْتُ بِلَادَ الْأَعَارِبِ
فَخَلْنَا ابْنَ أَيُّوبَ بَدَا وَابْنَ يَعْقُوبَ
لَأَزْهَرَ مَرْجُوَّ الْعَوَاطِفِ مَرْهُوبٍ
وَحُسْنٌ بِهِ تُسَبَّى الدُّمَى فِي الْمَحَارِبِ
مِنْ اللَّهِ مَحْبُوبُ الْمَهَابَةِ مَحْبُوبٍ
إِلَى أَمْرِهِ فِي كُلِّ بَشَرٍ وَتَقْطِيبِ
لَأَنَّكَ بَحْرٌ زَاخِرٌ بِالْأَعَاجِبِ
وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ بَعَثْتُ بِمَكْتُوبِي

28

قال الشاب الظريف يفتخر بالعرب ويعتز بانتمائه إليهم:

قَوْمٌ هُمُ الْعَرَبُ الْمُحَمِّيُّ جَارُهُمْ
أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي
لَهُمْ عَلَيَّ حَقُوقٌ مُذْ عَرَفْتُهُمْ
إِنْ كَانَ أَحْسَنُ مَا فِي الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ
يَا سَاكِنِي طَيْبَةَ الْفِيحَاءِ هَلْ زَمَنْ
أَرْضٌ مَعَ اللَّهِ عَيْنُ الشَّمْسِ تَحْرِسُهَا
فَلَا رَعَى اللَّهُ إِلَّا أَوْجَهَ الْعَرَبِ
وَمِنْ فَوَادِي وَمِنْ أَهْلِي وَمِنْ نَسَبِي
كَأَنَّنِي بَيْنَ أُمِّ مِنْهُمْ وَأَبِ
فَحُسْنُ شَعْرِي فِيهِمْ غَيْرُ ذِي كَذِبِ
يُذْنِي الْمَحَبَّ لَنَيْلِ الْحَبِّ وَالْأَرْبِ
فَإِنْ تَغَبَّ حَرَسَتْهَا أَغْيُنُ الشُّهُبِ

29

قال ابن نباتة في قصيدة يمدح فيها المؤيد:

مَا ضَرَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي الْحَبِّ تَعْذِيبِي لَوْ كَانَ يَحْمِلُ عَنِّي هَمَّ تَأْنِيبِي

(1) الدهياء: المصيبة، الخطب الجلل.

أشكو إلى الله عذلاً أكابدهم
 وخاطر خنث الأشواق تعجبه
 كأنني لوجوه الغيد معتكف
 كأنني الشمع لما بات مشتعل الـ
 لا يقرب الصبر قلبي أو يفارقه
 لولا ابن أيوب ما سرنا لمغترب
 دعا المؤيد بالترغيب قاصده
 ملك إذا مرّ يوم لا عفاة به
 للجوّد والعلم أقلام براحتيه
 مجموعة فيه أوصاف الأولى سلفوا
 إذا تسابق للعلياء ذو خطر
 وإن أمال إلى الهيجاء سمر قنا
 قد أقسم الجود لا ينفك عن يده
 أما حماة فقد أضحى بدولته
 غريبة الباب تُقري من ألم بها
 وانعم بوعد الأماني عند رؤيته
 واعجب لأيدي جواد قط ما ستمت
 كل العفاة عبيد في صنايعه
 يا مانحي منناً من بعدها منن
 من كان يلزم ممدوحاً على غرر

وما يزيدون قلبي غير تشبيب⁽¹⁾
 سواف الترك في عطف الأعاريب
 ما بين أصداغ شعر كالمحاريب⁽²⁾
 فؤاد قال لأحشائي الأسى ذوبي
 كأنه المال في كف ابن أيوب
 في المكرمات ولا فزنا بمرغوب
 فلو تأخر لاستدعى بترهيب
 فليس ذلك من عمر بمحسوب
 تجري المقاصد منها تحت مكتوب
 كما تترجم أخبار بتبويب
 سعى فأدرك تبعيداً بتقريب
 أجرى دماء الأعادي بالأنابيب⁽³⁾
 إمّا لعافيه أو للنسر والذيب
 ملاذ كل قصي الدار محروب
 فخل بغداد واترك بابها النوبي
 فإن ذلك وعد غير مكذوب
 إن البحار لآباء الأعاجيب
 ودار كل عدو دار ملحوب⁽⁴⁾
 كالماء يتبع مسكوباً بمسكوب
 فما لزمك إلا بعد تجريب

(1) تشبيب: نقول شبيب بفلانة: تغزلت بها ووصفت حسننها.

(2) الغيد: جمع غيداء وهي المتمايلة والمثنية في لين ونعومة - أصداغ: جمع صُدغ: وهو جانب الوجه من العين إلى الأذن.

(3) القنا: الرماح.

(4) العفاة: جمع العافي: وهو الضيف وكل طالب حاجة.

أنت الذي نبّهت فكري مدائحهُ ودّرّبتني والأشيا بتدريبِ
حتى أقمتُ قريرَ العينِ في دعةٍ وذكرُ مدحك في الآفاقِ يسري بي
مدحٌ يغارُ لمسودّ المدادِ بهِ حمُرُ الحلَى والمطايا والجلابيبِ

30

قال الشاب الظريف يمدح القاضي محي الدين بن النحاس :

دعني وشغري ومن في جفنيه مرضي فلم يزل مرضُ الأجفانِ تطبيبي
وخذ شواهد ما أملتُ من فكرٍ تُثني عليك بملفوظٍ ومكتوبِ
فالدُرُّ يَحْسُنُ مثقوباً لناظِمِهِ وحسنُ لفظي دُرٌّ غيرُ مثقوبِ
وكلّما قيل: شعرٌ أو يُقالُ فما أراه إلا رذاذاً من شأبيبي⁽¹⁾

31

قال ابن مطروح متضرّعاً إلى الله أن يقبل توبته :

يا أيُّها الشّامخُ في قُربهِ يا أيُّها الظّاهرُ في حُجبهِ
بالبابِ كُلبٌ وجيلٌ خائفٌ من طولِ ما أسلفَ من ذنْبِهِ⁽²⁾
جاءكَ يَسْتَغْفِرُ ما قد جَنَى مُلقى من الذّلِّ على جَنِبِهِ
وهو مع الخوفِ شديدُ الرّجا فأنت يا مولاي أُولَى بِهِ
منكّسٌ من حَجَلِ رأسِهِ باسِطٌ خديهِ على تُربِهِ
فهلْ له غيرُكَ من راحِمٍ هلْ يَرْحَمُ الكَلْبَ سِوى رَبِّهِ
وهلْ له مِنْكَ طَمَأْنِينَةٌ تَدْخُلُ بالأمنِ على قَلْبِهِ؟

(1) الرذاذ: المطر الخفيف - والشأبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

(2) وجيلٌ: خائف.

قال البوصيري (*) في إحدى مدائحه للرسول الأعظم ﷺ:

أَزْمَعُوا الْبَيْنَ وَشَدُّوا الرُّكَابَا فَاطْلُبِ الصَّبْرَ وَخَلِّ الْعِنَابَا⁽¹⁾
وَدَنَا التَّوَدُّيعُ مِمَّنْ وَدَدْنَا أَنَّهُمْ دَامُوا لَدَيْنَا غَضَابَا
فَاقْرِ ضَيْفَ الْبَيْنِ دُمْعاً مُذَالاً يَا أَخَا الْوَجْدِ وَقَلْباً مُذَابَا⁽²⁾
فَمِنْ اللَّائِمِ صَبّاً مَشُوقاً أَنْ بَكَّى أَخْبَابَهُ وَالشَّبَابَا؟
إِنَّمَا أَغْرَى بِنَا الْوَجْدَ أَنَّا مَا حَسَبْنَا لِفِرَاقِ حِسَابَا
وَعَرِيبٌ جَعَلُوا بِالْمُصَلَّى كُلَّ قَلْبٍ يَوْمَ سَارُوا نِهَابَا⁽³⁾
عَجَباً! كَيْفَ رَضُوا أَنْ يَحْلُوا مِنْ قُلُوبٍ أَخْرَقَوْهَا قِبَابَا؟
أَضَحَّتِ الْأَرْضُ الَّتِي جَاوَرَوْهَا يَخْسُدُ الْعَنْبَرُ مِنْهَا التَّرَابَا
لَا تُكْذِبُ خَبِراً أَنْ سَلَمَى سَحَبَتْ بِالْتُّرْبِ ذَيْلاً قَطَابَا
وَكَسَنَتْهُ حُلَلُ الرُّؤُوسِ حَتَّى تَوَجَّتْ مِنْهَا الرُّبَا وَالْهَضَابَا
ابْتَسَمَتْ عَنْ مِثْلِ كَأْسِ الْحُمَيَّا نَظَّمَ الْمَاءُ عَلَيْهَا حُبَابَا⁽⁴⁾
سُمْتُهَا لَثَمَ الثَّنَايَا، فَقَالَتْ: إِنَّ مِنْ دُونِكَ سُبْلاً صِعَابَا⁽⁵⁾
حَرَسَتْ عَقْرَبُ صُدْعَيَّ خَدِّي وَحَمَتْ حَيَّةُ شَعْرِي الرُّضَابَا⁽⁶⁾

(*) البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبي سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن صنهاج البوصيري الدَّلَامِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَرَفُ الدِّينِ. ولد في إحدى قرى بهنسا في صعيد مصر سنة 608هـ وتوفي سنة 697هـ. عانى في حياته من الفقر والمرض، فارتحل إلى عدة مدن طالباً المال، فمدح الأمراء وأصحاب النفوذ، وقد اشتهر بشعره الديني، ولا سيما منه الذي يمدح فيه النبي ﷺ.

- (1) أزمعوا: عزموا - الركاب: موضع رجل الراكب من السرج.
- (2) أقر: أطعم وأكرم. مذالاً: مرسلأ طويلاً.
- (3) عريب: تصغير للعرب.
- (4) الحميا: الخمر.
- (5) سمتها: فاوضتها وطلبت منها.
- (6) الصدغ: طرف الوجه من العين إلى الأذن - الرضاب: الرقيق العذب.

وَرَدَّ، أَوْ مِنْ شَفَتَيَّ الشَّرَابَا
 شُغْلًا أَنْ يَسْتَلِذَّ الْعَذَابَا
 أَنْ يَرَى الْفَقْرَ عَطَاءَ حِسَابَا
 رَغِبَ الْمُخْتَارُ فِيهَا رِغَابَا
 قُلْتُ: إِنِّي قَدْ مَلَكَتُ النَّصَابَا
 حَسْبُنَا أَنْ إِلَيْكَ الْإِيَابَا
 إِذْ أَضَلُّوا فِي الْمَسِيحِ الصَّوَابَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَا
 أَفَحَمَ الْعُرْبُ فَعَيْتَ جَوَابَا
 وَسَنَا طَبَّهْ عَلَى الْعَقْلِ يَابِي⁽¹⁾
 وَهُوَ حَاوٍ مِنَ اللَّبَابِ لُبَابَا⁽²⁾
 كَلِمٌ لَمْ يُرَفِّهِ اجْتِلَابَا
 سَ رَأْسًا وَالذُّنَابَى ذُنَابَا
 وَيَحَهُمُ ظَنُّوا السَّرَابَ الشَّرَابَا!
 وَجَدَ الشَّهْدُ مِنَ الْجَهْلِ صَابَا⁽³⁾
 كُلَّمَا أَبْصَرَ حَقًّا تَغَابَى؟
 لَمْ تَزِدْهُمْ بِكَ إِلَّا اِزْتِيَابَا
 رُ عَلَى الْعُمَى أَشَدُّ اخْتِجَابَا
 بِكَ مَا نَحْذَرُ مِنْهُ الْعِقَابَا
 وَدَعَا الْفَضْلَ لَهُ، فَاسْتَجَابَا
 رَفَ قَوْسَيْنِ بِذِكْرِ وَقَابَا⁽⁴⁾

وَنَحَ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ وَجَنَتَيَّ الـ
 حَقُّ مَنْ كَانَ لَهُ حُبٌّ سَلَمَى
 وَلِمَنْ يَمْدَحُ خَيْرَ الْبَرَايَا
 وَكَفَانِي بِاتِّبَاعِي طَرِيقَا
 كُلَّمَا أُوتِيتُ مِنْهَا نَصِيبَا
 يَا حَبِيبَا وَشَفِيعَا مُطَاعَا
 لَمْ نَقُلْ فِيكَ مَقَالَ النَّصَارَى
 إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ مُبِينٌ
 لِّلْسَانِ عَرَبِيٍّ بَلِيجِ
 يُظْمِعُ الْأَسْمَاعَ فِيهِ بَيَانَا
 حَوَتْ الْكُتُبُ لُبَابًا وَقَشْرَا
 يَجْلِبُ الدُّرُّ إِلَى سَامِعِيهِ
 أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَرَأَيْنَا الرُّأَى
 وَرَأَى الْكُفَّارُ ظِلًّا فَضَلُّوا
 وَإِذَا لَمْ يَصِحَّ بِالْعِلْمِ ذَوْقُ
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ مِنْهُمْ عَنِيدَا
 وَإِذَا جِئْتَ بِآيَاتٍ صِدْقِ
 أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالسَّرِ
 عَاقِبُ مَا حَا اللَّهَ عَنَّا
 خَصَّهُ اللَّهُ بِخُلُقٍ كَرِيمِ
 وَلَهُ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مَا شَرِ

(1) يابى: أي يابى.

(2) اللباب: الجواهر والقلوب.

(3) الصَّاب: من الأشجار، له طعم مر.

(4) القاب: ما بين مقبض القوس وطرفها.

بَانَ عَنْهُ كُلُّ وَاشٍ وَغَابَا
وَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ شَمْسٍ ضَبَابَا⁽¹⁾
لَهُ مَا لَيْسَ يُنَالُ اكْتِسَابَا
لَا تَسْلُ عَنْ زَائِرٍ كَيْفَ آبَا⁽²⁾
نَسَبَا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ قَرَابَا
وَلِفَرْعٍ حَازَ مِنْهُ انْتِسَابَا
وَحَذِ الْمَاءِ، وَخَلَّ السَّرَابَا
وَالثَّقَى وَالْبَاسَ وَالْبِرَّ دَابَا
وَفَدَى الْأَسْرَى، وَفَكَ الرُّقَابَا
مُلِئْتُ مِنْ أَخْمَصِيهِ ثُرَابَا
لَوْ تَلَقَّى لَفْظُهُ الْمُسْتَطَابَا
رُ اهْتَزَّازَا وَالسُّيُوفُ انْتِدَابَا⁽³⁾
لُ إِلَى الْحَرْبِ، وَتَغْدُو طَرَابَا
لَمْ يَخَافُوا لِلْمُنُونِ ارْتِكَابَا⁽⁴⁾
فُ لَمَّا اسْتَصْحَبَ سَيْفُ قَرَابَا⁽⁵⁾
لَمْ يَخَفْ لَوْمًا، وَلَمْ يَخْشَ عَابَا⁽⁶⁾
فِي الْوَعَى أَوْ حِينَ يَغْدُو مُصَابَا
أَضْبَحَ الْإِسْلَامُ أَحْمَى جَنَابَا
أَرْكَبَتْ كُلَّ عُقَابٍ عُقَابَا

مِنْ دُنُوٍّ وَشُهُودٍ وَسِرٍّ
وَعِلُومٍ كَشَفَتْ كُلَّ لَبْسٍ
لَمْ يَنْلَهَا بِاِكْتِسَابٍ وَفَضْلُ الدِّ
وَإِذَا زَارَ حَبِيبٌ مُحِبًّا
كُلُّ مَنْ تَابَعَهُ نَالَ مِنْهُ
شَرَّفَ الْأَنْسَابَ، طُوبَى لِأَضْلٍ
دِينُهُ الْحَقُّ، فَدَغَ مَا سِوَاهُ
جَعَلَ الزُّهْدَ لَهُ وَالْعَطَايَا
أَنْقَذَ الْهَلَكَى، وَرَبَّى الْيَتَامَى
بَصَّرَ الْعُمَى، فَيَا لَيْتَ عَيْنِي
أَسْمَعَ الصُّمَّ، فَمَنْ لِي بِسَمْعِي
وَدَعَا الْهَيْجَاءَ، فَارْتَاخَتْ السُّمُ
تَظَرَّبُ الْخَيْلُ بِوَقْعٍ فَتَخْتَا
مِنْ عِتَاقٍ رَكَبَتْهَا كُمَاةُ
كُلِّ نَدَبٍ لَوْ حَكَى غَرْبُهُ السَّيْدُ
قَاطَعَ الْأَهْلِينَ فِي اللَّهِ جَهْرًا
لَمْ يُبَالِ حِينَ يَغْدُو مُصِيبًا
مِنْ حُمَاةٍ نَصَرُوا الدِّينَ حَتَّى
رَفَعُوا الْإِسْلَامَ مِنْ فَوْقِ خَيْلٍ

(1) اللبس: الشبهة وعدم الوضوح.

(2) آبا: أب، أي: عاد ورجع.

(3) الهيجاء: الحرب. السمر: الرماح. الانتداب: الإسراع في الإجابة.

(4) العتاق: من الخيل. النجائب، وهي الخيل الأصيلة - الكماة: الفرسان.

(5) قرابا: غمد السيف.

(6) العاب: الأمر المعيب.

خَضَبُوا الْبَيْضَ مِنَ الْهَامِ حُمْرًا
لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَّوْهَا
أَرْغَمَ الْهَادِي أَنْوْفَ الْأَعَادِي
فَأَطَاعَتْهُ الْمَلُوكُ اضْطِرَارًا
وصناديدُ قُرَيْشٍ سَقَاها
حَلَبُوا شَطْرِيهِ فِي الْجُودِ وَالْبَأْ
وَجَدُوا أَخْلَافَ أَخْلَاقِهِ فِي الْخِصْدِ
دَرَّهَا أَطْيَبُ دَرٍّ، فَإِنْ أُمِرَ
جَيْشَ الْجَيْشِ وَسَرَى السَّرَايَا
وَهُوَ الْمَنْصُورُ بِالرُّغْبِ لَوْ شَاءَ
لَوْ تَرَى الْأَحْزَابَ طَارُوا فِرَارًا
أَوْ لَمْ تَعَجَّبْ لَهُ وَهُوَ بَحْرٌ
كَانَتْ الْأَرْضُ مَوَاتَا، فَأَخْيَا
نَزَعَتْ عَنْهَا مِنَ الْمَحَلِّ ثُوبًا
سَيِّدٌ، كَيْفَ تَأْمَلْتَ مَعْنَا
مَنْ يَزُرُهُ مُثْقَلًا بِالْخَطَايَا
ذَكَرَهُ فِي النَّاسِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ
وَسِعَ الْعَالَمَ عِلْمًا وَجُودًا
فَتَحَلَّتْ مِنْهُ قَوْمٌ عُقُودًا

ما تَزَالُ الْبَيْضُ تَهْوَى الْخِضَابَا⁽¹⁾
لِلْحُرُوبِ الْعُونِ إِلَّا الضَّرَابَا⁽²⁾
بِرِضَاهُمْ، وَأَذَلَّ الرُّقَابَا
وَأَجَابَتْهُ الْخُصُونُ اضْطِرَابَا
حَنْفَهَا، سَفَى اللَّقَاحِ السَّقَابَا⁽³⁾
سِ، فَأَخْلَى وَأَمَرَ الْجَلَابَا
بِ، وَالْجَذْبُ تَعَاثُ الْخِصَابَا⁽⁴⁾
كَنَكَ الْحَلْبُ قَرَاعِ الْعِطَابَا
وَدَعَا الْخَيْلَ عِتَاقًا عَرَابَا
ءَ لِأَغْنَى الرُّغْبِ عَنْهَا وَنَابَا
خِلَتُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ دُبَابَا
كَيْفَ يَسْتَسْقِي نَدَاهُ السَّحَابَا؟
بِالْحَيَا مِنْهَا الْمَوَاتِ انْسِكَابَا
وَكَسَتْهَا مِنْ رِياضِ ثِيَابَا⁽⁵⁾
هُ رَأَتْ عَيْنَاكَ أَمْرًا عُجَابَا
عَادَ مَغْفُورَ الْخَطَايَا مُثَابَا
قَالَ لِلْكَوْنَيْنِ: طَيِّبَا فِطَابَا
فَدَعَا كُلاً، وَأَرْضَى خِطَابَا
وَتَحَلَّتْ مِنْهُ قَوْمٌ سِخَابَا⁽⁶⁾

(1) البيض الأولى: السيوف - والبيض الثانية: النساء - الهام: الرؤوس - الخضاب: ما يُخَضَّبُ به من جُثَاء ونحوه.

(2) الذكور: السيوف القوية - العون: جمع عون، وهي الحرب الشديدة.

(3) اللقاح: النوق. السقاب: أولاد النوق -

(4) الأخلاف: جمع الخلف، وهو حكمة ضرب الناقة - الخصاب: الثمر الرديء.

(5) المحل: القحط وانقطاع المطر.

(6) السخاب: قلادة تتخذ من قرنفل وسُكِّ ومحلَّب ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ.

لِيَتَنِي كُنْتُ فِيمَنْ رَأَى
يَوْمَ نَالَتُهُ بِإِفْكِ يَهُودٍ
فَاذْعُنِي حَسَّانَ مَدْحٍ وَزِدْنِي
يَا رَسُولَ اللَّهِ عُذْرًا إِذَا هُبْتُ
إِنِّي قُمْتُ خَطِيْبًا بِمَدْحِي
وَتَرَامَيْتُ بِهِ فِي بِحَارِ
بِقَوَافِ شُرْعَتِ لِلْأَعَادِي
هِيَ أَمْضَى مِنْ طَبَيِّ الْبَيْضِ حَدًّا
فَارْضُهُ جَهْدَ مُحِبِّ مُقِلٍّ
شَابَ فِي الْإِسْلَامِ، لَكِنْ لَهُ فِي
يَتَهَنَّى بِالْأَمَانِي
كَلِمَا أَوْسَعَهُ الشَّيْبُ وَغُظًّا
ضَيَّعَ الْحَزَمَ، وَفِيهِ شَبَابٌ
وَعَدَا مِنْ سُوءٍ مَا قَدْ جَنَاهُ
أَفْلًا أَرْجُو لَذْنِي شَفِيعًا
أَحْمَدُ الْهَادِي الَّذِي كُلَّمَا جُئْتُ
فَاعْدِرُوا فِي حُبِّ خَيْرِ الْبَرَايَا
إِنْ بَدَأَ شَمْسًا وَصَارُوا نَجُومًا
أَقْلَعْتُ سُخْبُ سَفْنِهِمْ سَجَالًا

أَتَقِي عَنْهُ الْأَذَى وَالسَّبَابَا
مِثْلَمَا اسْتَنْبَحَ بَذْرُ كِلَابَا⁽¹⁾
إِنِّي أَحْسَنْتُ مِنْهُ الْمَنَابَا
تُ مَقَامًا، حَقُّهُ أَنْ يُهَابَا
كَ، وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُ الْخَطَابَا؟
مُكْثَرًا أُمَوَاجَهَا وَالْعُجَابَا⁽²⁾
وَجَدُوهَا فِي نُفُوسِ حِرَابَا
فِي أَعَادِيكَ، وَأَنْكَى دُبَابَا⁽³⁾
صَانَهُ حُبُّكَ مِنْ أَنْ يُعَابَا
كَ فَوَازٌ حُبُّهُ لَنْ يُشَابَا
إِنَّهُ قَبْلَ مَمَاتٍ أَنْابَا⁽⁴⁾
ضَيَّقَ الْخَوْفُ عَلَيْهِ الرَّحَابَا
وَأَتَى مُعْتَذِرًا حِينَ شَابَا
نَادِمًا يَقْرَعُ سِنًّا وَنَابَا
مَا رَجَاهُ قَطُّ رَاجٍ فَخَابَا؟
تُ إِلَيْهِ مُسْتَثْبِيًا أَنْابَا
إِنْ عَبَّظْنَا أَوْ حَسَدْنَا الصُّحَابَا
وَطَمَى بِحَرًّا وَفَرُّوا ثَغَابَا⁽⁵⁾
مِنْ عُلُومٍ وَوَرَدْنَا انْصِبَابَا⁽⁶⁾

(1) الإفك: الكذب.

(2) العُباب: ارتفاع الموج واصطخابه.

(3) الطُّبَى: مفردا الطيبة وهي حد السيف أو السنان - أمضى: أكثر مضاء.

(4) البيت مكسور في نهاية الشطر الأول.

(5) طمى: ماء البحر إذا ارتفع وامتد. الثغابا: جمع الثَّغْب، الغدير في ظل الجبل.

(6) سجالاً: متتابعاً، مرةً - بعد مرةً. وردنا: أتينا نحر الماء.

وَعَدُونَا بَيْنَ وَجْدٍ وَفَقْدٍ
وَتَبَارَأْنَا مِنَ النَّضْبِ وَالرَّفِّ
إِنَّ قَوْمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
إِنِّي فِي حُبِّهِمْ لَا أَحَابِي
صَلَوَاتُ اللَّهِ تَثْرَى عَلَيْهِ
يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَا مِنْ
مَا انْتَضَى الشَّرْقُ مِنَ الصُّبْحِ سَيْفًا
يَغْظُمُ الْبُشْرَى بِهِ وَالْمُصَابَا
ضٍ وَأَوْجَبْنَا لِكُلِّ جَنَابًا⁽¹⁾
مَا لَنَا نُلْقَى عَلَيْهِمْ غَضَابًا؟
أَحَدًا قَطُّ وَمَنْ ذَا يُحَابِي؟⁽²⁾
وَعَلَيْهِمْ طَيِّبَاتُ عَذَابًا⁽³⁾
جُودِهِ وَالْفُضْلُ بَابًا فَبَابًا
وَقَرَى مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ إِهَابًا⁽⁴⁾

33

قال الشاب الظريف يمدح الأمير ناصر الدين الحراني:

أَعِيدُ قَلْبًا ثَوَى حُبِّ الْأَمِيرِ بِهِ
لَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ مِنْهُ السِّيفَ مَنْصَلَتًا
لَوْ أَقْسَمَ الْمُدْلِجُ السَّارِي عَلَى قَمَرٍ
وَلَوْ وَضَعْتَ اسْمَهُ يَوْمًا عَلَى ذَكْرٍ
وَلَوْ تَلَوْتَ عَلَى مَيْتٍ مَنَاقِبَهُ
وَلَوْ مَزَجْتَ بِمَاءِ الْمُزْنِ مَا اكْتَسَبَتْ
مَنْ أَنْ يُرَى بِسَوَى حَبِيهِ مُلْتَهَبًا⁽⁵⁾
إِنْ فَارَقَ الْغَمْدَ حَلَّ الْهَامَ فَاحْتَجَبَا⁽⁶⁾
بِاسْمِ الْأَمِيرِ دَعَاهُ قَطُّ مَا غَرَبَا⁽⁷⁾
طَاحَتْ رُؤُوسُ الْأَعَادِي وَهَوَ مَا ضَرَبَا
رَدَّ الْإِلَهُ لَهُ الرُّوحَ الَّتِي سَلَبَا
مَنْ لُطْفٍ شِمِيمَةٍ مَا غَصَّ مَنْ شَرَبَا⁽⁸⁾

(1) تبارأنا: طلبنا البراءة - النضب: البلاء.

(2) أحابي: أميل إلى شخص دون آخر وأختصه.

(3) تترى: تتوالى.

(4) انتضى: استل - فرى: قطع وشق - الإهاب: الجلد.

(5) ثوى: أقام.

(6) المنصلت: المجرد من غمده - الغمد: بيت السيف - الهام: الرؤوس جمع هامة.

(7) المدلج: الذي يسير في بداية الليل - الساري: الذي يسير في أي وقت من الليل.

(8) المزن: السحاب المطر.

لَمَّا انتَسَبْتُ إِلَى أَبْوَابِهِ كَبُرَتْ بِي هِمَّةٌ صَعَّرَتْ فِي عَيْنِي الرُّتَبَا
لَوْ رُمْتُ أَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى فَلَكَ لَمَدَّ لِي سَبَبٌ مِنْ جَوْدِهِ سَبَبَا

34

قال بهاء الدين زهير يصف حاله بعد أن حلَّ به المشيب:

سَلَامٌ عَلَى عَهْدِ الشَّيْبَةِ وَالصُّبَا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ وَمَرْحَبَا
وَيَا رَاحِلًا عَنِّي رَحَلْتَ مُكْرَمًا وَيَا نَازِلًا عِنْدِي نَزَلْتَ مُقَرَّبَا
أَخْبَابُنَا إِنَّ الْمَشِيبَ لَشَارِعٌ لَيَنْسَخَ أَحْكَامَ الصَّبَابَةِ وَالصُّبَا⁽¹⁾
وَفِيَّ مَعَ الشَّيْبِ الْمُلَمِّ بَقِيَّةٌ تَجِدُّ عِنْدِي هِزَّةً وَتَطْرُبَا
أَحْزَنُ إِلَيْكُمْ كُلَّمَا لَاحَ بَارِقٌ وَأَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصُّبَا⁽²⁾
وَمَا زَالَ وَجْهِي أَبْيَضًا فِي هَوَاكُمُ إِلَى أَنْ سَرَى ذَاكَ الْبَيَاضُ فَشَيْبَا
وَلَيْسَ مَشِيبًا مَا تَرَوْنَ بَعَارِضِي فَلَا تَمْنَعُونِي أَنْ أَهِيَمَ وَأَطْرَبَا
فَمَا هُوَ إِلَّا نَوْرٌ ثَغِرَ لَثْمُهُ تَعَلَّقَ فِي أَطْرَافِ شَعْرِي فَأَلْهَبَا
وَأَعْجَبَنِي التَّجْنِيسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا تَبَدَّى أَشْنَبًا رُحْتُ أَشَيْبَا⁽³⁾
وَهَيْفَاءَ بِيضَاءِ التَّرَائِبِ أَبْصَرْتُ مَشِيبِي فَأَبْدْتُ رَوْعَةً وَتَعَجُّبَا⁽⁴⁾
جَنَّتْ لِي هَذَا الشَّيْبَ ثُمَّ تَجَنَّبْتُ فَوَاحِرَبَا مِمَّنْ جَنَى وَتَجَنَّبَا
تَنَاسَبَ خَدَّيْ فِي الْبَيَاضِ وَخَذُّهَا وَلَوْ دَامَ مُسَوْدًا لَقَدْ كَانَ أَنْسَبَا
وَإِنِّي وَإِنْ هَزَّ الْغَرَامُ مَعَاطِفِي لِأَبَى الدُّنْيَا نَخْوَةً وَتَعَرُّبَا⁽⁵⁾
أَتِيَهُ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ نَزَاهَةٌ وَأَشْمَخُ إِلَّا لِلصَّدِيقِ تَأْدُبَا⁽⁶⁾

(1) الصبابة: شدة الوجد والشوق - الصبا: الشباب والحدأة، الشوق.

(2) الصبا: ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.

(3) الأشنب: من أسنانه بيضاء.

(4) الترائب: عظام الصدر حيث تكون القلادة، مفردها: تريبة.

(5) آبي: أرفض - تعرباً: تشبهاً بأخلاق العرب.

(6) أتيه: أفخر.

وإن قلتم أهوى الرباب وزينبا
ولكن فتى قد نال فضل بلاغة
صدقتم سلوا عني الرباب وزينبا
تلعب فيها بالكلام تلعبا

35

قال البرعي يمدحه رحمته الله:

أنسمة طيب أم صبا طيبة هبا
وظلعة نور التّم أم نور أحمد
فذا نك زاداني سرورا وأفرجا
وهيهات ما كل النسيم حجازيا
لسكان تلك الأرض عهد مؤكّد
وما زلت أستسري النسيم لأرضهم
تذكرني الأشواق من لست ناسيا
فيا لي من الذكرى ويا لي من الهوى
خليلي من حبي كأن يرغكما
فأصبح لا عهد قريب بهم ولا
دعته حمامات الحمى للبكا فلم
وأثمله مر النسيم فما درى
وما ذاك إلا روح روضة جنة
نبي هدى من ضل منا بهديه

سُخِيرَا دَعَى قَلْبِي فَأَسْرَعَ مَا لَبَى⁽¹⁾
تَشَعَّشَعَ حَتَّى شَقَّ سَاطِعُهُ التُّرْبَا⁽²⁾
هُمُومِي وَحَلًّا عَنْ عُرَا كَيْدِي كَرْبَا
وَلَا كُلُّ نُورٍ يُبْهِجُ الشَّرْقَ وَالْعَرْبَا
لَدَيَّ وَخَيْرُ الْعَهْدِ مَا أَنْصَبَ الْحَبَا
عَلَى بُعْدِ دَارِنَا وَأَسْتَمِطِرُ الشُّحْبَا
فَتَجْرِي دُمُوعِي فِي مَحَاجِرِهَا صَبَا⁽³⁾
وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبُ مَا أَضْبَى
رَجِيلُ فَرِيقٍ فَارَقُوا الْهَائِمَ الصَّبَا⁽⁴⁾
طَلِيعَةُ عِلْمٍ عَنْهُمْ تَشْرَحُ الْقَلْبَا
تَدْعُ إِذْ تَدَاعَتْ فِي الْأَرَاكِ لَهُ لُبَا
أَنْسَمَةُ طَيْبٍ أَمْ صَبَا طَيْبَةً هَبَا
ثَوَى فِي ثَرَاهَا سَيِّدَ الْعَرَبِ الْعُرْبَا⁽⁵⁾
وَأَذْرَكَ بِالتَّوْحِيدِ مَنْ يَغْبُدُ النُّضْبَا

(1) سحيرا: وقت السحر.

(2) تشعشع: أضاء وأشرق.

(3) المحاجر: جمع محجر، وهو موقع العين من الرأس.

(4) الصبا: الصب وهو الرقيق المشتاق.

(5) الروح: رائحة الشيء.

رَجَوْنَا بِهِ مِنْ ظُلْمَةِ الظُّلَمِ رَحْمَةً
وَمَا زَالَ يَدْعُونَا إِلَى اللَّهِ وَخَدُّهُ
وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ الْوُجُودُ بِمُوجِدٍ
فَمَا اشْتَمَلَتْ أَرْضٌ عَلَى مِثْلِ أَحْمَدٍ
تَظَاهَرَتْ الْأَخْبَارُ مِنْ قَبْلِ بَعِيهِ
وَبَشَّرْنَا مُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ أُمُّهُ حَمْلَهُ رَأَتْ
وَأَهْبِطَتِ الْأَمْلاكُ لَيْلَةً وَضَعَهُ
وَنُكِسَتِ الْأَضْنَامُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَأُخِمِدَتِ النَّيرانُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ
وَلَاخَ شُعَاعُ النُّورِ فِي شِعْبِ مَكَّةَ
فَلَمَّا رَأَوْهُ أَكْبَرُوهُ وَفَاخَرَتْ
وَرَأَوْا مِنْهُ مِلءَ الْعَيْنِ طِفْلاً مُبَارَكاً
وَلَمْ يُنْكِرُوا مِنْ آلٍ وَهَبِ بْنِ زَهْرَةٍ
فَلَاقَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُ أَيَّمَنَ طَائِرٍ
وَجَلَّلَ أَهْلَ الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ أَنْعَمًا
وَعَلَّمَ أَهْلَ الرُّشْدِ ذِكْرًا مُبَارَكًا
وَبَالَغَ فِي الْإِنْذَارِ حَتَّى إِذَا عَتَتْ
وَمَا زَالَ حَتَّى فَلَّ شَوْكَةً بِأَسْهَمٍ
وَحَلَّ بِلُطْفِ اللَّهِ عُقْدَةَ عَزِّهِمْ
وَلَمْ يُبْقِ لِلْكَفَّارِ حِصْنًا مُنْعَاً

فَمَدَّ عَلَيْنَا ظِلَّ جَلَّتِهِ الْعُلْبَا
إِلَى أَنْ رَضِينَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَبًّا
وَلَا أَرْسَلَ الرَّحْمَنُ رُسُلًا وَلَا نَبًّا
وَلَا اسْتَوْدَعَ الرَّحْمَنُ رُحْمًا وَلَا صُلْبًا
بَأَنْ يُظْهِرَ الرَّحْمَنُ أَعْلَى الْوَرَى كَغِبَا⁽¹⁾
بِهِ وَمِنَ الْأَخْبَارِ مَنْ قَرَأَ الْكُتُبَا
بِهِ بَرَكَاتٍ مِنْ عَدِيدِ الْحَصَى أَرْبَى⁽²⁾
وَنَادَاهُ مَنْ فِي الْكَوْنِ رَحْبًا بِهِ رَحْبَا
وَعُلَّتْ يَدُ الشَّيْطَانِ تَبًّا لَهُ تَبًّا
وَكُلُّ يَهُودِ الشَّامِ قَدْ عَدِمُوا خَبًّا
فَقَامَتْ رِجَالُ الْحَقِّ تَسْتَبِقُ الشُّعْبَا
بِظُلْعَتِهِ الْبَطْحَاءُ أَفُقَ السَّمَاءِ عُجْبَا⁽³⁾
يُنَاسِبُ غُرًّا مِنْ بَنِي غَالِبٍ غُلْبَا
خُوُّوْلَتَهُمْ إِذْ كَانَ أَكْرَمُهُمْ وَهْبَا
وَأَسْعَدَ فَالٍ وَانْعَنَى جَذْبُهَا خَضْبَا
يَقِلُّ مِدَادُ الْبَحْرِ عَنْ حَضْرِهَا كَثْبَا
حَوَى الرَّجَرَ وَالْأَحْكَامَ وَالْفَرَضَ وَالنَّدْبَا
عَلَيْهِ رِجَالُ الشُّرْكِ خَاطَبَهُمْ حَرْبَا
وَأَبْدَلَهُمْ بِالسَّيْفِ مِنْ أَمْرِهِمْ رُغْبَا
وَذَلِكَ حِينَ اسْتَعْمَلَ الطَّغْنُ وَالضَّرْبَا
وَلَا مَسْلَكًا وَغَرًّا وَلَا مُرْتَقَى صَعْبَا

(1) الكعب: الشرف والظفر.

(2) أربى: أكثر.

(3) البطحاء: الأرض المتسعة يمر فيها السيل.

وَمُنْتَجَعَ الرَّاجِينَ فِي السَّنَةِ الشَّهْبَا⁽¹⁾
 إِذَا مَا شَمَالِ الشَّامِ نَاوَحَتِ النَّكْبَا
 فَهَذَا نَبِيٌّ أُوتِيَ الْقُرْبَ وَالْحُبَا
 فَأَحْمَدُ جَارَ السَّبْعِ وَاخْتَرَقَ الْحُجْبَا
 فَأَحْمَدُ أَرَوَى مِنْ أَنَامِلِهِ الرُّكْبَا
 فَأَحْمَدُ فِي يُمْنَاهُ سَبَّحَتِ الْحَضْبَا⁽²⁾
 عَلَيْهِمْ وَسَادَ الْجَنِّ وَالْعُجْمَ وَالْعُرْبَا
 عَلَيْهِ يَحِيلُونَ الشَّفَاعَةَ فِي الْعُقْبَى⁽³⁾
 سِوَاهُ وَأَيُّ يَنْتَهِي مِثْلُهُ قُرْبَا
 حَبِيباً وَحَوْضاً طَيْباً بَارِداً عَذْبَا
 لِمَنْ لَا يَرَى غَيْرَ الذُّنُوبِ لَهُ كَسْبَا
 بِحَضْرَةِ قُدْسٍ عِنْدَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنْبَا
 أَعِدُّكَ لِي مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ حَسْبَا
 لِأَضْبَحُ يَا شَمْسَ الْهُدَى جَارَكَ الْجَنْبَا
 إِلَيْكَ جَفَاءً لَا وَمَنْ فَلَقَ الْحَبَا⁽⁴⁾
 وَأَنْتَ إِذَا اسْتَعْتَبْتَ أَجْدَرَ بِالْعُثْبَى
 لِأَذْرِكَ حَسَاناً بِفَضْلِكَ أَوْ كَغَبَا⁽⁵⁾
 وَسَلِيفَ آبَائِي وَصَحْبِي وَذَا الْقُرْبَى
 وَمَا ابْتَهَجْتُ فِي اللَّيْلِ أَفْقُ السَّمَا شُهْبَا
 مُبَارَكَةً تَنْمُو فَتَسْتَعْرِقُ الْحَضْبَا

فَكَانَ فَنَّا الطَّاعِينَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 يُبَارِي هُبُوبَ الرِّيحِ جُودَ يَمِينِهِ
 لَيْثُنَ كَانَ إِبْرَاهِيمَ خُصَّ بِخُلَّةِ
 وَإِنْ كَانَ فَوْقَ الطُّورِ مُوسَى مُكَلِّمًا
 وَإِنْ فَجَّرَ الْيَنْبُوعَ مُوسَى مِنَ الصَّفَا
 وَإِنْ كَلَّمَ الْأَمْوَاتَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 لَقَدْ فَضَّلَ الْأَمْلَاكَ وَالرُّسُلَ رِفْعَةً
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ جَمِيعَهُمْ
 فَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقُولُ أَنَا لَهَا
 عَدَاةٌ تَرَى مَنْ تَحْتَ ظِلِّ لَوَائِهِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ عُدَّ بِكَرَامَةِ
 وَقُلْ أَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ عَدَا مَعِي
 وَكُنْ مِنْ أَذَى الدَّارَيْنِ حِضْنِي فَإِنِّي
 وَمَهْمَا تَنَاءَتْ عَنْكَ دَارِي فَإِنِّي
 فَمَا كَانَ عَوْدِي إِذْ حَجَجْتُ وَلَمْ أَعُدْ
 وَلَكِنْ تَصَارِيفُ الزَّمَانِ عَجِيبَةٌ
 فَصِلْ حَبْلَ مَذْجِي فِيكَ وَاقْبَلْ وَسِيلَتِي
 وَأَكْرِمْ مَعِي نَسْلِي وَأَهْلِي وَجِيرَتِي
 وَصَلِّ عَلَىكَ اللَّهُ مَا دَرَّ شَارِقُ
 صَلَاةٍ وَتَسْلِيمًا عَلَيْكَ وَرَحْمَةً

(1) الشهباء: المجدبة، ليس فيها مطر.

(2) الحصباء: الحجارة الصغيرة.

(3) العقبى: الخاتمة، ويوم الحساب.

(4) فَلَقَ الْحَبَّ: كناية عن الله ﷻ

(5) حسان: هو حسان بن ثابت، وكعب هو كعب بن زهير شاعرا الرسول الكريم .

تَخْصُصُكَ يَا مَوْلَايَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَتَشْمَلُ فِي تَغْمِيمِهَا الْآلَ وَالصَّحْبَا

36

قال الشاب الظريف يصف مجلس لهو ومجون:

يا حَبَّذَا نَهْرُ الْقَصِيرِ، وَمَعْرَبَا ونَسِيمُ هَاتِيكَ الْمَعَالِمِ وَالرُّبَا⁽¹⁾
وَسَقَى زَمَانًا، مَرَّ بَنِي فِي ظِلِّهَا مَا كَانَ أَغْدَبَهُ لَدَيَّ وَأَطْيَبَا
أَيَّامَ أَوْلَعُ بِالْخُدُودِ نَقِيَّةً وَالْقَدُّ أَهِيْفَ، وَالْمَقْبَلُ أَشْنَبَا⁽²⁾
وَأَزُورُ حَانَاتِ الْمُدَامِ وَلَا أَرَى غَيْرَ الَّذِي قَضَتِ الْخِلَاعَةُ مَذْهَبَا
مَالِي، وَمَا فَاتَتْ سَنَيَّ أَصَابِعِي لَمْ أَقْضِ بِاللَّذَاتِ أَوْطَارَ الصَّبَا⁽³⁾
فَلَأَهْجُرَنَّ أَخَا الْوَقَارِ وَشَأْنُهُ وَلَا زَكَبَنَّ مِنَ الْعَوَايَةِ مَرْكَبَا
وَلَأَطْلَعَنَّ شَمُوسَ كُلِّ مَسْرَّةٍ وَأَكُونُ مَشْرِقَ أَفْقِهَا وَالْمَغْرِبَا
يَا صَاحِبِي خُذَا مَقَالَةَ مُغْرَمٍ قَوْلَ امْرِئٍ عَرَفَ الْأُمُورَ وَجَرَّبَا
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ شَيْئًا غَابِثًا فَالْخَمْرُ مَا خُلِقَتْ لِأَنْ تُتَجَنَّبَا
وَتَغْنِيَا لَا بِالْحَطِيمِ وَزَمْزَمٍ بَلْ بِالْحِمَى وَبَسَاكِينِيهِ وَزَيْنَبَا

37

قال بهاء الدين زهير مواسياً أحد أصدقائه بغرق سيفيته وذهاب كل ما فيها:

لَا تَعْتَبِ الدَّهْرَ فِي خَطْبِ رَمَاكَ بِهِ إِنْ اسْتَرَدَّ فَقِدْمًا طَالَ مَا وَهَبَا⁽⁴⁾
حَاسِبِ زَمَانِكَ فِي حَالِي تَصَرُّفِهِ تَجِدُهُ أَعْطَاكَ أضعافَ الَّذِي سَلَبَا

(1) القصير ومعربا: منطقتان قرب دمشق.

(2) أهيف: ضامر - والأشنب: بارد الأسنان أبيضها.

(3) أوطار: جمع وطر وهو الحاجة والرغبة.

(4) الخطب: المصيبة.

وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْأَيَّامَ دَائِرَةً
وَرَأْسُ مَالِكَ وَهِيَ الرُّوحُ قَدْ سَلِمَتْ
مَا كُنْتَ أَوَّلَ مَمْنُوٍّ بِحَادِثَةٍ
وَرُبَّ مَالٍ نَمَا مِنْ بَعْدِ مَرَزْنَةٍ
فَلَا تَرَى رَاحَةً تَبْقَى وَلَا تَعْبَا
لَا تَأْسَفَنَّ لَشَيْءٍ بَعْدَهَا ذَهَبَا
كَذَا مَضَى الدَّهْرُ لَا بِذَعَا وَلَا عَجَبَا⁽¹⁾
أَمَّا تَرَى الشَّمْعَ بَعْدَ الْقَطِّ مَلْتَهَبَا⁽²⁾

38

وقال ابن نباتة يمدح الشريف ابن أبي الركب:

شَبَّ الْحَشَا قَوْلَ الْكَوَاعِبِ شَابَا
وَمَضَى الصُّبَا وَمِنَ التَّصَابِي بَعْدَهُ
هَيْهَاتَ أَقْصَرُ لِهَوَاهُ وَتَوَزَّعَتْ
وَعَضَضْتُ جَفْنِي عَنْ مُغَازَلَةِ الطُّبَا
وَلَقَدْ أَرَوُدُ الْحَيَّ خَلْتُ رِمَاحَهُ
فَأَدِيرُ إِمَّا بِالْمَدَامِ مَعَ الدُّمَى
أَسْدُ تَأْلَفْنِي الطُّبَاءُ وَتَخْتَشِي
أَيَّامَ فِي ظِلِّي صَبَاً وَصَبَابَةً
مِنْ كُلِّ نَاشِرَةِ الْوَفَاطَائِيَّةِ
غِيدَاءُ تُسْفَرُ عَنْ مُحَاسِنِ دُمِيَّةِ
سَلَبَتْ بِمَقْلَتِهَا فُؤَاداً وَاجِبَاً
إِنْ شِئْتُ مِنْ كَاسَاتِهَا أَوْ ثَغْرِهَا
وَأَهَا لَهْنٌ كَوَاعِبَاً وَشَبَابَا⁽³⁾
صَيَّرْتُ لِلدَّمَعِ الدَّمَاءَ خُضَابَا
أَوَقَاتُ مِنْ فَقْدِ الصُّبَا وَتَصَابَا
وَلَقَدْ أَجَرْتُ لِبَرْدِهِ أَهْدَابَا
دَوَحاً وَمَوْقِعَ نَبْلِهِ أَعْشَابَا
أَوْ بِالدَّمَاءِ مَعَ الْكُمَاةِ شَرَابَا⁽⁴⁾
مِنْ صَارَمِي الصَّقَرُ الْغَيُورُ ذُبَابَا
أُخْبِي بِالطَّافِ الْمَهَا وَأَحَابِي
قَدْ نَاسَبَتْ بَنَوَالَهَا الْأَنْسَابَا
حَلَّتْ بِصَدْعِي شَعْرَهَا مُحَرَّابَا⁽⁵⁾
حَتَّى عَرَفْتُ السَّلْبَ وَالْإِيجَابَا
أَرَشَفْتُ خَمِراً أَوْ لَثَمْتُ حُبَابَا⁽⁶⁾

(1) مَمْنُوٌّ: مُصَابٍ.

(2) الْقَطُّ: الْقَطْعُ، يَرِيدُ قَطْعَ الْفَتِيلَةِ - مَرَزْنَةٌ: مُصِيبَةٌ.

(3) شَبَّ: أَشْعَلَ.

(4) الْكُمَاةُ: جَمْعُ كَمِي وَهُوَ الْفَارَسُ الْكَامِلُ السَّلَاحِ.

(5) الْغِيدَاءُ: الْفَتَاةُ الْمُتَشَنِّعَةُ بَلِينٍ وَلَطَافَةٍ.

(6) الْحَبَابُ: فَقَاقِيعُ تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ أَوْ الْخَمْرِ.

فذكرت موصول اللقا وربابا
 صدقاً بمدح ابن النبي منابا
 فلقد أطلا مظهرأ وأطابا
 فرعاً وأكرمهم جنى وجنابا
 سُورُ الكتابِ بمدحه أنسابا
 والمرضعين من الكرام سحابا
 رَقَمَ السَّمَاكُ من الدُّجَى جلبابا⁽¹⁾
 والشخصُ منفرداً يضيءُ شهابا
 بدتِ الكواكبُ سنَّةً وكتابا
 ماسَ اليراعُ بطرسه إعجابا⁽²⁾
 قسِمتْ لديه وُسْمِيتْ آدابا
 قد بدتِ الإيجازَ والإسهابا
 فيجانبُ الإعطاء والأعطابا
 شهداً يصبُ بها وطوراً صابا
 صوبُ الكلامِ أوانساً أثرابا
 سُبُلَ الهدى وتحيرُ الألبابا
 يومَ الوغى لمسَ الحديدَ لذابا⁽³⁾
 نبَتَتْ لِسَكْرِ عُقولنا أعنابا
 أضحى جميعُ نباتها عنابا
 أمطرتْ صوبَ ندائه وصوابا
 لنُهاك يا عبدَ الرحيم لغابا

أو شئتُ إن غابت يغيَّبُ رقيبُها
 ولهجتُ بالأغزالِ أتبعُ زورَها
 وإذا الحسينُ سَمَّاهُ حُسْنُ الثَّنا
 أركى الورى أصلاً وأعلاهم يداً
 وأجلَّ أحساباً فكيف إذا جَلَّتْ
 نجمُ الفواطمِ مِنْ كرائمِ هاشمِ
 والخمسةُ الأشباحُ نوراً قبلَ ما
 ذو الفضلِ لا تُحصى مواقعُ سحبه
 ومناقبُ البيتِ الذي من أفقه
 وعجائبُ العلمِ التي من بحرِها
 ومحاسنُ الأقوالِ والشيمِ التي
 علويةٌ أوصافُها علويةٌ
 في كفه قلمٌ يُخافُ ويُرتجى
 عصمتُ منافعه العواصمِ تارةً
 بسداده تُجلى الخطوبُ ويُجتلى
 عجباً له مما تضيءُ سَطُورُهُ
 جمدتُ به سُحبُ الحيا ولو أنه
 إن جادَ أرضاً لفظهُ فكأنما
 حتَّى إذا جاءتْ صواعقُ رُعبِهِ
 لله دُرُكُ يا حمى حلبٍ لقد
 من كلِّ فاتنةِ الترسلِ لو بدتْ

(1) رقم الشيء: نقشه وطرزه وخططه.

(2) الطرس: الصحيفة أو الكتاب.

(3) الحيا: المطر الخفيف.

ونظيمة دَرَبَ البداوة أن في
هَشَمْتُ فَخَارَ الْعُرْبِ هَاشِمٌ واحتوت
قلعت بها أوتاد كل مُعَانِدٍ
ولمثلها الضِّلِيلُ ضلَّ فكيف لو
يا ابن الوصي وصية بمقصرٍ
في نظمه عنكم وخط يراعه
بابُ البديع فتوحكم وأنا امرؤ

حَضِرَ الممَالِكُ عندها أغراباً
حتَّى القريضَ لنسْلِهَا أَسْلَاباً⁽¹⁾
وتمسكت هي للسمأ أسباباً
يُدْعَى تَكَلَّفَ بدأةً وجواباً
من بعد ما جَهِدَتْ قُوَاهُ ولا بآ
صغر فلا أَلِفْ أَجَادَ ولا بآ
لا طاقة في البديع ولا بآ

39

قال البوصيري مهتاً فخر الدين عثمان بقدومه، ويعرض لبعض النصارى:

أريحُ الصَّبَا هَبَّتْ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا
أم الرِّاحِ أَهْدَتْ لِلرِّيحِ خُمَارَهَا
أَلَمْ تَرْنِي هَزَّ التَّصَابِي مَعَاطِفِي
فمن مُخْبِرِي ماذا السُّرُورُ الذي سَرَى
فقالوا: أعادَ اللَّهُ للناسِ فُخْرَهُمْ
فقلتُ: أَفخَرُ الدِّينِ عثمانُ؟ قال لي:
وقال الوري: لَلَّهِ دَرْكٌ قَادِمًا
ونادى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ بِقُدُومِهِ
فأوسَعَهُمْ فَضْلاً فَأَمَّنَ خَائِفًا

فأصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ قُظْرٍ مُطَيَّبًا؟⁽²⁾
فأسْكِرَ مَسْرَاهَا الْوُجُودَ وَطَيَّبًا؟⁽³⁾
وراجعني ما راقَ مِنْ رَوْنِقِ الصَّبَا؟
فلا بُدَّ حَتْمًا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَبَأٌ⁽⁴⁾
وَلِيًّا إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ مُحَبَّبًا
بَلَى؟! قُلْ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
سُقِينَا بِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ صَيِّبًا⁽⁵⁾
فَرَهَّبَ مِنْهُمْ سَامِعِينَ وَرَغَبًا⁽⁶⁾
وَأَنْصَفَ مَظْلُومًا وَأَخْصَبَ مُجْدِبًا

(1) القريض: الشعر.

(2) الصَّبَا: ريحٌ تهبُّ من المشرق عند تساوي الليل والنهار.

(3) الرِّاح: الخمر.

(4) نَبَأ: نبأ، وهو الخبر. سَرَى: مشى ليلاً.

(5) الصَّيْب: المطر.

(6) رَهَّبَ: خَوَّفَ.

فَقَضَّضَ مِنْهَا الزَّهَرَ حَلِيًّا وَذَهَبًا
 بِيَوْمٍ لَهُ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانَ أَعْرَبًا
 تَبَاهَى بِهَا فِي الْحُسْنِ وَالْبَاسِ مَوْكِبًا
 فَكَانَ بِهِمْ أَوْلَى وَأَدْرَى وَأَذْرَبًا⁽¹⁾
 لِيُظْفِيءَ وَجَدًا فِي الْقُلُوبِ تَلَهَّبًا
 فَقَدْ كَانَ عَنْهَا بِالْإِعَادِ مُحَجَّبًا
 مَلَكَتْ نِصَابًا أَوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبًا⁽²⁾
 فَكَمْ نَلْتُ مِنْهُ بِالتَّوَسُّلِ مَطْلَبًا!
 لِقُصَادِهِ رَاضٍ الزَّمَانُ وَهَذَّبًا
 فَنِلْتُ غِنَى مَا نَالَهُ مَنْ تَغَرَّبًا
 غَنِيًّا وَفِي نَعْمَائِهِ مُتَقَلِّبًا
 وَكُنْتُ لِمَا لَمْ يَرْضَهُ مُتَجَنِّبًا
 لَدَيْهِ، وَلَا بَرَقِي مِنَ الْوُدِّ خُلْبًا⁽³⁾
 وَأَغْنَى نَدَاكَ الْمَادَحِينَ وَأَتَعَبًا
 وَمَا كَانَ بَيْنَ الْحُرِّ لِلْحُرِّ مَذْهَبًا
 إِذَا كَدَّرْتُ لِي السَّمْهَرِيَّةَ مَشْرَبًا⁽⁴⁾
 أَصِيدُ بِهَا نُونًا وَضَبًّا وَجُنْدَبًا⁽⁵⁾
 تَذَابَّ مِنْهَا خَيْفَةٌ وَتَشْغَلِبَا
 أُرَاقِبُ كَلْبًا أَوْ أُرَاقِبُ عَقْرَبًا
 أَبْصُرُ أَعْمَى أَوْ أَقُومُ أَخْدَبًا

وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ الْبَسِيطَةُ زِينَةً
 فِيهَا فَرَحَةُ الدُّنْيَا وَفَرَحَةُ أَهْلِهَا
 وَشَاهَدَ مِنْهُ صُورَةُ يُوسُفِيَّةَ
 مُفَوَّصُ أَمْرِ الْعَالَمِينَ لِرَأْيِهِ
 أَعْبَدُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا طِيبَ ذِكْرِهِ
 وَلَا تَحْجُبُوا الْأَبْصَارَ عَنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
 وَلِيَّ إِذَا ضَاقَتْ يَدَيَّ وَذَكَرْتُهُ
 تَوَسَّلْ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ طَالِبُ
 وَعِشْ آمِنًا فِي جَاهِهِ، إِنَّ جَاهَهُ
 تَغَرَّبْتُ يَوْمًا عَنْ بِلَادِي وَزُرْتُهُ
 عَلَى أَتْنِي مَا زِلْتُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
 وَكُنْتُ لِمَا يَرْضَاهُ بِالْغَيْبِ فَاعِلًا
 وَلَا كَانَ دِينَارِي مِنَ النَّصْحِ بَهْرَجًا
 أَمْوَلَايَ أَنْسَيْتَ الْوَرَى ذَكَرَ مَنْ مَضَى
 وَلِي أَدَبٌ حُرٌّ أَحْرَمٌ بَيْنَهُ
 وَقَدْ أَهْجُرُ الْعَذْبَ الزَّلَالَ عَلَى الصَّدَى
 وَأَنْصِبُ أَحْيَانًا شِبَاكَ قَنَاعَةٍ
 وَمَهْمَا رَأَيْتُ شَاعِرٌ مُتَأَسَّدُ
 أُرَاقِبُ مَنْ عَاشَرْتُ مِنْهُمْ كَأَنِّي
 كَأَنِّي إِذَا أَهْدَيْتُهُمْ عَنْ ضَلَالِهِمْ

(1) دَرِبَ اللِّسَانُ: فَضَحَ، وَدَرِبَ السِّيفُ: صَارَ حَادًّا وَمَاضِيًّا.

(2) النَّصَابُ: الْكَمِيَّةُ وَالْمَقْدَارُ - الْمَنْصَبُ: مَا يَتَوَلَّاهُ الْمَرْءُ مِنَ الْعَمَلِ.

(3) الْبَهْرَجُ: الْبَاطِلُ وَالزَّيْفُ - الْحُلْبُ: الزَّائِفُ وَالْمَخَادَعُ.

(4) السَّمْهَرِيَّةُ: الرِّمَاحُ الصَّلْبَةُ.

(5) النُّونُ: السَّمَكَةُ.

فلا بُورِكَ المُسْتَخْدَمُونَ عِصَابَةً
 إِذَا مَا بَرَى أَقْلَامَهُ خِلْتُ أَنَّهُ
 يَغَالِطُنِي بَعْضُ النَّصَارَى جَهَالَةً
 وَمَا كَانَ مِنْ عَدِّ الثَّلَاثَةِ وَاحِداً
 وَمَا الْحَقُّ فِي أَفْوَاهِ قَوْمٍ كَأَنَّهَا
 مُفْلَجَةٌ أَسْنَانُهَا فَكَأَنَّهَا
 كَأَنَّ ثَنَائِيَاهُمْ مِنَ الْحَبِثِ الَّذِي
 عَجِبْتُ لِأَمْرِ آلِ الشَّيْخِ مُخْلِصاً
 بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثِيَابَهُ
 وَحَلَفْتُ بِاللَّهِ مَا كَانَ ذَنْبُهُ؟
 وَلَكِنْ حَبِيبٌ رَاحَ فِي مُصَدِّقاً
 فَقُلْتُ: وَمَنْ كَانَ الْأَمِيرَ حَبِيبَهُ
 فَصَبْرًا جَمِيلاً فَالْمَقْدَرُ كَائِنُ
 فَإِبْلِيسُ لَمَّا كَانَ ضِداداً لِآدَمَ
 وَقَدْ كَانَتْ الْعُقْبَى لِآدَمَ دُونَهُ
 وَمِنْ قَبْلِ ذَا قَدْ كُنْتُ ذَاكِراً
 دَعَاكَ إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ فَجِئْتَهُ
 فَلَا تَنْسَ فِينَا لِلْأَمِيرِ قَضِيَّةً
 وَإِيَّاكَ أَنْ تُبْطِي عَلَيَّ بِرَاتِبِي

فَكَمْ ظَالِمٍ مِنْهُمْ عَلَيَّ تَعْصَباً!
 يَسُنُّ لَهُ ظُفُراً وَنَاباً وَمِخْلَباً
 إِذَا أُوجِبَ الْمُلَغَى وَالْغَى الْمُوجِباً
 بِأَعْلَمَ مِنِّي بِالْحِسَابِ وَأُكْتَباً
 أَوَانِ حَوْثِ مَاءِ حَبِيثاً مُطْحَلَباً⁽¹⁾
 أَصَابَ بِهَا الزُّنْجَارُ أَحْجَارَ كَهْرَباً⁽²⁾
 تَحْضَرَمَ فِي نِيَّاتِهِمْ وَتَزَيَّباً⁽³⁾
 إِلَى أَنْ يُعْرَى كَاللُّصُوصِ وَيُضْرَباً
 وَأَبْصَرْتُ جِسْماً بِالدِّمَاءِ مُخْضَباً
 فَأَقْسَمَ لِي بِاللَّهِ مَا كَانَ مُذْنَباً
 كَلَامَ عَدُوٍّ مَا يَزَالُ مَكْذَباً
 فَلَا بَدْءَ أَنْ يَرْضَى عَلَيْهِ وَيَغْضَباً
 فَقَدْ كَانَ أَمراً لَمْ تَجِدْ مِنْهُ مَهْرَباً
 تَخْتَلُ فِي عِضْيَانِهِ وَتَسَبِّباً⁽⁴⁾
 فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ وَاجْتَبَى⁽⁵⁾
 نَهَيْتُكَ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ مُقْطَباً
 كَأَنَّكَ فِي عُرْسٍ أَتَيْتَ مُشَبِّباً⁽⁶⁾
 فَتَفْتَحَ بَاباً لِلْعِتَابِ مُجَرَّباً
 فَيَبْقَى عَلَيْكَ اللَّوْمُ مِنْهُ مُرْتَباً

(1) مطحلباً: أي ملوثاً بالطحالب.

(2) الزنجار: الصدا - كهربا: أحجار كريمة - الفلج في الأسنان: التباعد فيما بينها.

(3) تحصرم: تحول إلى حصرم - تزيباً: تحول إلى زيب.

(4) تختل: استعمل الختل وهو الخداع والمكر.

(5) العقبي: النهاية والخاتمة.

(6) متشيباً: متغزلاً فرحاً غلب عليك طيش الشباب.

وَحَفْ صَارِمًا هَزَّ الْمَدِيحُ فِرْنَدَهُ حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَنْ يُهَزَّ وَيُنْدَبَا⁽¹⁾
فَلَا فَارَقْتُ مِنْهُ السَّعَادَةُ قَائِمًا وَلَا فَلَنْتُ مِنْهُ الْحَوَادِثُ مَضْرِبَا
وَلَا زَالَ دِينَ اللَّهِ يَرْضَى الَّذِي قَضَى بِهِ فِي بَنِي الْغَالِي وَيَأْبَى الَّذِي أَبَى

40

قال الشاب الظريف يصف تجربة حبٍّ مرَّ بها:

صَدَقْتُمْ، قَدُّهُ يَحْكِي الْقَضِيْبَا أَلَمْ تَرَهُ حَوَى زَهْرًا وَطِينَبَا؟⁽²⁾
مَلَأْتُ يَدَيْهِ مِنْ يَاقُوتِ دَمْعِي وَكُنْتُ مَحَقْتُ لَوْلُوهُ نَحِيْبَا⁽³⁾
ذَهَلْتُ عَنِ النَّسِيْبِ بِهِ فَبَاتَتْ مُحَاسِنُهُ تُعَلِّمُنِي النَّسِيْبَا
أَيَا قَمْرًا، أَعِذْ عِنْدِي طُلُوعًا وَإِلَّا فَاتَّخِذْ عِنْدِي مَغِيْبَا
وَيَالِيْلَ الذَّوَائِبِ طُلْتُ فَاقْصُرْ وَكُنْ مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِهِ قَرِيْبَا⁽⁴⁾

41

قال بهاء الدين زهير:

رَسُولَ الرِّضَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا حَدِيثُكَ مَا أَحْلَاهُ عِنْدِي وَأَطْيَبَا
وَيَا مُهْدِيًا مِمَّنْ أَحَبَّ سَلَامُهُ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا⁽⁵⁾
وَيَا مُحْسِنًا قَدْ جَاءَ مِنْ عِنْدِ مُحْسِنٍ وَيَا طَيِّبًا أَهْدَى مِنَ الْقَوْلِ طَيِّبَا
لَقَدْ سَرَّنِي مَا قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الرِّضَا وَقَدْ هَزَّنِي ذَاكَ الْحَدِيثُ وَأَظْرَبَا

(1) الصارم: السيف - الفرند: لمعانه وصفاء معدنه.

(2) القضيب: الغصن.

(3) لؤلؤه: يقصد دمعته.

(4) الذوائب: شعر مقدم الرأس، الناصية. الأخمص: باطن القدم الذي لا يمس الأرض.

(5) الصبا: ريح تهب من المشرق.

وَبَشَّرْتُ بِالْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ نَلْتَقِي
فَعَرَضْتُ إِذَا مَا جُزْتُ بِالْبَانِ وَالْحِمَى
سَتَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ الْمَسْمَى إِشَارَةٌ
أَشْرُ لِي بِوَصْفٍ وَاحِدٍ مِنْ صِفَاتِهِ
وَزِدْنِي مِنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ لَعَلَّنِي
سَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ جَرَى فِي عِتَابِنَا
عَجِبْتُ لَطِيفِ زَارٍ بِاللَّيْلِ مُضْجَعِي
فَأَوْهَمَنِي أَمْرًا وَقُلْتُ لَعَلَّهُ
وَمَا صَدَّ عَنْ أَمْرِ مُرِيبٍ وَإِنَّمَا

أَلَا إِنَّهُ يَوْمٌ يَكُونُ لَهُ نَبَا
وَيَاكَ أَنْ تَنْسَى فَتَذَكَّرَ زَيْنَبَا
وَدَعُهُ مَضُونًا بِالْجَمَالِ مُحَجَّبَا
تَكُنْ مِثْلَ مَنْ سَمَى وَكُنَى وَلَقَّبَا
أَصْدُقْ أَمْرًا كُنْتُ فِيهِ مُكَذَّبَا
كِتَابًا بِدَمْعِي لِلْمُحَبِّينَ مُذْهَبَا
وَعَادَ وَلَمْ يَشْفِ الْفُؤَادَ الْمُعَذَّبَا
رَأَى حَالَهُ لَمْ يَرْضَهَا فَتَجَنَّبَا
رَأَنِي قَتِيلًا فِي الدُّجَى فَتَهَيَّبَا⁽¹⁾

42

قال ابن نباتة يمدح كمال الدين بن الزملاكاني :

قَضَى وَمَا قُضِيََتْ مِنْكُمْ لِبَانَاتُ
مَا فَاضَ مِنْ جَفْنِهِ يَوْمَ الرِّحِيلِ دَمٌ
غَبِثْتُمْ فِغَابَتْ مَسْرَاتُ الْقُلُوبِ فَلَا
أَحْبَابَنَا كُلُّ عَضْوٍ فِي مُحَبَّتِكُمْ
يَا حَبَّذَا فِي الصَّبَا عَنْ حَيِّكُمْ خَبْرٌ
وَحَبَّذَا زَمَنُ اللّٰهُوَ الَّذِي انْقَرَضَتْ
حَيْثُ الْمَنَازِلُ رَوْضَاءُ مَدْبَجَةٌ
أَيَّامَ مَا شَعَرَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِنَا

مَتِيْمٌ عَبَثْتُ فِيهِ الصَّبَابَاتُ
إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ مِنْكُمْ جِرَاحَاتُ
أَنْتُمْ بَزَعَمِي وَلَا تِلْكَ الْمَسْرَاتُ
كَلِيْمٌ وَجِدْ فَهَلْ لِلْوَصْلِ مِيقَاتُ⁽²⁾
وَفِي بَرُوقِ الْغَضَا مِنْكُمْ إِيَارَاتُ⁽³⁾
أَوْقَاتُهُ الْغُرُّ وَالْأَعْمَالُ نِيَّاتُ
وَحَيْثُ جَارَاتُهَا غَيْثُ سَحَابَاتُ⁽⁴⁾
وَلَا خَلْتُ مِنْ مَغَانِي الْأَنْسِ أَبْيَاتُ

(1) الدُّجَى: الظلام.

(2) كَلِيْمٌ: جريح.

(3) الْغَضَا: شجر.

(4) مَدْبَجَةٌ: مُسَقَّيَّةٌ وَمُخَضَّرَةٌ وَمَزْدَهْرَةٌ.

حيثُ الشَّبَابُ قضاياهُ منفذَةٌ
 وحيثُ أسعى لأوطانِ الصُّبَى مَرَحاً
 ورُبَّ حانةٍ خمارٍ طرقتُ ولا
 سبقتُ قاصِدَ مغناها وكنْتُ فتى
 أعشو إلى دِيرِها الأقصى وقد لمعتُ
 وأكشفتُ الحُجَبَ عنها وهي صافيةٌ
 راحَ زحفتُ على جيشِ الهمومِ بها
 وبثُّ أجلو على النَّدمانِ رَوْنَقها
 مصونةُ السَّرِّ ماتتْ دونَ غايتها
 تجولُ حولَ أوانِيها أشعثُها
 وتصبحُ الشَّرْبُ صرعى دونَ مَجْلِسِها
 تذكرتُ عند قومٍ دُوسَ أرجلِهِمْ
 واستضحكتُ فلها في كلِّ ناحيةٍ
 كأنها في أكفِّ الطائِفِينَ بها
 من كلِّ أغيدَ في دينارٍ وجنتِهِ
 مبلبلُ الصَّدغِ طوعَ الوصلِ منعطفُ
 ترنَّحتُ وهي في كَفِّهِ من طَرِبِ
 وقمتُ أشربُ من فيه وخمرتهِ
 وينزلُ اللَّثْمُ خَدَّيهِ فينشدها

وحيثُ لي في الذي أهوى ولاياتُ
 ولي على حُكْمِ أيامي ولاياتُ
 حانتُ ولا طرقتُ للقصفِ حاناتُ⁽¹⁾
 إلى المُدَامِ له بالسَّبقِ عاداتُ
 تحت الدُّجى فكأنَّ الدَّيْرَ مِسْكَاةُ⁽²⁾
 لم يبقَ في دُنْها إلَّا صُباباتُ
 حتى كأنَّ سَنَا الأكوَابِ راياتُ⁽³⁾
 حتى لقد أَضْبَحُوا من قبلِ ما باتوا⁽⁴⁾
 حاجاتُ قومٍ وللحاجاتِ أوقاتُ
 كأنما هي لِلْكَاساتِ كاساتُ
 وهي الحياةُ كأنَّ الشَّرْبَ أمواتُ
 فاسترجعتُ من رؤوسِ القومِ ثاراتُ
 هَبَّاتُ حَسَنِ وفي الأنافِ هَبَّاتُ
 نارُ تطوفُ بها في الأرضِ جَنَّاتُ
 توزَّعتُ من قلوبِ الناسِ حَبَّاتُ⁽⁵⁾
 كأنَّ أصداعَهُ للعطفِ واواتُ⁽⁶⁾
 حتى لقد رَقَصَتْ تلكَ الزجاجاتُ
 شُرْباً تُشَنُّ به في العقلِ غاراتُ
 هي المنازلُ لي فيها علاماتُ

(1) طرقتُ: زُرْتُ ليلًا - القصف: اللهو واللعب والافتتان في الطعام والشراب.

(2) أعشو: أسير وقت العشاء - مِسْكَاة: كؤُة في الحائط يوضع فيها المصباح.

(3) سنا: ضوء.

(4) النَّدمان: جمع نديم وهو المنادم على الشراب.

(5) الأغيد: المثني بِلين ولطافة.

(6) الصَّدغ: جانب الوجه بين العين والأذن.

فإنما العمرُ هاتيكَ اللَّيْلَاتِ⁽¹⁾
تقاصرتُ عن كمالِ الدينِ ساداتُ
وأكثرُ الجودِ في الدُّنيا حكاياتُ
للعزِّ محوٌ وللامداحِ إثباتُ⁽²⁾
لا غرو أن تسقي الأرضَ السمواتُ
بدهره وزهتَ لليمنِ وجناتُ
من بعد ما كثرتُ فيها الشكاياتُ
كأنَّ أنعمه للخلقِ أقواتُ
كأنَّها لبدورِ الفضلِ هالاتُ
من حولِ أبوابه للذهرِ زلَّاتُ⁽³⁾
أيانَ لا ملجأُ أو لا مغاراتُ
فللعقارِ على لينِ شراراتُ⁽⁴⁾
هذا حِماهُ المرجى والهداياتُ
هذي الهدايا وهاتيكَ الهداياتُ
ففي طِلابكَ للأيامِ إغنائُ⁽⁵⁾
ألوي العنانَ بما تُملي الرواياتُ
تلقُ الإفاداتِ تتلوها الإفاداتُ
تكادُ تنطقُ بالوصفِ الجماداتُ
من قبل ما رُقت في الخدَّ خطَّاتُ
تأخر الشكُّ عنها والغواياتُ

سقياً لتلك اللَّيْلَاتِ التي سَلَفَتْ
تقاصرتُ عن معاليها الدهورُ كما
جبرُ رأينا يقينَ الجودِ من يَدِهِ
محجَّبُ العزِّ في أيامِ سُودِدِهِ
سما على الخلقِ فاستسقوا مواهبَهُ
واستشرفَ العلمَ مصقولاً سوالفَهُ
واستأنفَ الناسُ للأيامِ طيبَ ثنائُ
لا يختشي موتَ نُعمى كَفِّه بشرُ
ولا تزحزحُ عن فضلِ شمائلِهِ
يا شاكيَ الدهرِ يَمِّمُهُ وقد غُفرتُ
ويا أخا الذنبِ قابلِ عفوه أَمَّماً
ولا يغرنَّكَ غفرانُ فتغمره
ويا فتى العلمِ إنَّ أغيتكَ مُشكلةُ
ويا أخا السعي في علمٍ وفي كرمٍ
لا تطلبنَّ من الأيامِ مشبهَهُ
ولا تُصيخَ لأحاديثِ الذينَ مَضُوا
طالعُ فتاويه واستنزلَ فتوتَهُ
وحبَّرِ الوصفَ في فضلِ بآيسره
فتى تناولَ صحفَ المجدِ أجمعها
حامي الدِّيارِ بأقلامٍ مسدَّدةٍ

(1) اللَّيْلَات: تصغير ليلات.

(2) السُّودد: السيادة.

(3) يَمِّمُهُ: اقصده وتوجَّه إليه.

(4) العقار: الخمر.

(5) إغنائُ: يقال أعتته: أي: أوقعه في مشقة وشدة.

حامي الذمارِ بأقلام لها مددٌ
قويمة تمنع الإسلام من خطرٍ
تعلمت بأس أسادٍ وصوبَ حياً
وعودت قتلَ ذي زبيغٍ وذو خطلٍ
وجاورت يد ذاك البحرِ فابتسمت
لفظ تشف عن المعنى لطافته
عوذ بياسين أطراساً براحتيه
واستجل منطقة الأعلى وطاعته
أغر يهوى مُعادَ الذكرِ عنه إذا
تعجُّ طلابه من حولِ ساحته
وفدٌ وخيلٌ وآبالٌ محبرة
إذا تعمق في نعماء ضاعفها
وإن خطا للمعالي خطوة بهرث
لا عيب فيه سوى علياء معجزة
يجري دم التبرِ للنزالِ بعدهم
ويجتلي من سجاياه التي اشتهرت
فلا وقاية تحمي وفدَ راحته
ولا مثال لما شادت عزائمه
في كل يومِ دروسٍ من فوائده
صلى وراء أياديه الحيا فعلى

من الهدى واسمه في الطرسِ مداتٌ⁽¹⁾
فأعجب لها ألفاتٌ وهي لاماتٌ
منذ اغتدت وهي للأسادِ غاباتٌ⁽²⁾
كأنها من كسيرِ الحظِّ فضلاتٌ⁽³⁾
هنالك الكلماتِ الجوهرياتُ
كما تشف عن الرّاحِ الرّجاجاتُ
فيها من الزخرفِ المشهودِ آياتُ
تجلى الشكوكُ ولا تُشكى الدّجناتُ⁽⁴⁾
قيلَ المُعاداتُ أخباراً مُعاداتُ
فما تفهّم من نادية أصواتُ
مدحاً قد اختلفت فيه العباراتُ
كأن كلَّ نهاياتٍ بداياتُ
كأن أولَ ما يخطوه غاياتُ
فيها لأهلِ العلى قدماً نكياتُ
هذا هو الجودُ لا نابٌ ولا شاةٌ⁽⁵⁾
للضدِّ هلكٌ وللمعتزِّ منجاةُ
بلى على عرضه الأنقى وقاياتُ
إلا إذا نيلت الشُّهبُ المنيراتُ
ومن بواديءِ نعماءِ إعاداتُ
تلك الأيادي من السُّحبِ التحياتُ

(1) الطرس: الكتاب أو الصحيفة.

(2) الصّوب: المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي.

(3) الخطل: الحمق والكلام الفاسد المضطرب.

(4) الدّجنات: الظلمات.

(5) التبر: الذهب والفضة قبل أن يُصاغاً.

فما تفيدُ ولا تجدي الملاماتُ
تقولُ إنها فللتأخيرِ آفاتُ
للمكرُماتِ وطيبِ الذِّكرِ ما ماتوا
برُّ وتحت سجونِ الليلِ إخبأتُ⁽¹⁾
ولا تدمُهُمُ في المحلِّ جاراتُ
ساقتهُ تلكَ النفوسُ الأريحيَّاتُ⁽²⁾
تمَّتْ بقافيةِ المنظومِ أبياتُ
من السَّحابِ عُقودُ لؤلؤياتُ
كانَ قطرَ الغوادي فيه جرياتُ
والقطرُ روضٌ ولالأطيَّارِ رنَّاتُ
أيامَ تنكرِ أخلاقِ سرِّياتُ
أيامَ تعيي السجِّيَّاتِ السخياتُ
أيامَ تدجو الظنونُ اللودعيَّاتُ⁽³⁾
أيامَ تقتصرُ الأيدي العليَّاتُ
جمالهُ فكانَ الشمسَ مرآةً
فحيثما كنتَ أنهارُ وروضاتُ
فتلكَ فيهمُ عوارِ مستردَّاتُ
وإنما لبني الأعمالِ نيَّاتُ
تجمَّعتُ للمعالي فيكَ أشتاتُ
حتَّى صفا وانقضَّتْ تلكَ العداواتُ
من بعدِ أهلي عَمَّاتُ وخالاتُ
فللكواكبِ كالآذانِ إنصَّاتُ

وصدَّ عما يرومُ اللومُ نائلُهُ
يرامُ تأخيرُ جدواه وهَمُّهُ
من معشرِ نُجِبِ ماتوا وتحسبُهُمُ
ممدِّحين لهمُ في كلِّ شارِقَةٍ
لا تشتكي الجورِ إلَّا من تعاندهمُ
ولا تسوقُ رياحُ المزنِ أيسرَ ما
بيتُ أتمَّتهُ أوصافُ الكمالِ كما
ما روضةٌ قلَّدتْ إحياءَ سوسَنِها
وخطَّتِ الرِّيحُ خطأً في مناهلِها
وللجدالِ تصفيقٌ بساحتِها
يوماً بأبهجِ من أخلاقهِ نظراً
ولا الغيوثُ بأسخى من عوائِدِهِ
ولا الشمسُ بأجلَى من فضائِلِهِ
ولا النجومُ بأنأى من مراتبِهِ
قدَّرَ علا فراى في كلِّ شمسٍ ضحى
وهمةً ذكَّرها سارٍ وأنعمها
يا ابنَ المدائحِ إن أمدحُ سواكَ بها
لي نيَّةٌ فيكَ إذ لي فيهمُ كَلَمُ
اللَّهِ جاركَ من ربِّ الزمانِ لقد
جاورتُ بابكَ فاستضلَّحتُ لي زمني
ولا طفتني الليالي فهي حينئذٍ
ونظَّقتني الأيادي بالعيونِ ثنَّى

(1) سجوف: نقول أسجفَ الليلُ إذا أظلم - الأخبات: الاطمئنان.

(2) المزن: الغيوم الماطرة.

(3) اللودعي: الذكي الظريف الفطن واللِّين الفصيح.

في بابٍ غيرِكَ أحوالٌ وحالاتٌ
تكلمتُ من جميعِ القومِ هَامَاتٌ
كأنَّها بينَ أهلِ الشعرِ حشواتٌ
قصائدُ هي في التَّحقيقِ بابَاتٌ
كالْبُلْهِ في هذه الدنيا إصاباتٌ
عجزاً فتظهِرُهَا تلكَ الخُرَافَاتُ⁽¹⁾
وقد أحاطتُ بما قالَ البروداتُ
لكن على كَتِفَيْهِ مِنْهُ كَارَاتُ⁽²⁾
جَنَى كَأَنَّ معانيهمُ جَنَايَاتُ
مدحاً بأنَّ يتأتَّى منك إنصَاتُ
وبينَ نظمي فما للفضلِ لذَاتُ
قصائدِ الشعرِ سَوَاتُ وَجَبَهَاتُ
لواحظُ وكؤوسُ بَابِلِيَّاتُ
وللشَّهَاءِ في بحارِ الأفقِ عِبَّاتُ⁽³⁾
كأنَّما أَلْفَاتُ الخَطِّ دَالَاتُ
حتَّى تسيرَ لَهُ في العقلِ سَوَرَاتُ
كَأَنَّ منتصبَ الأَقلامِ نَايَاتُ
من بعدِ إثباتِ قولِي فيكَ إثباتُ
مِنِّي الشَّنَاءِ وَمِنْ نَعْمَاكَ آلَاتُ
بقياكَ لِلدِّينِ والدُّنْيَا عَنَايَاتُ
مِنْ صُورَةِ الحَمْدِ لَا جِسْمٌ وَلَا ذَاتُ

وَبِتُّ لَا أَشْتَكِي حالاً إِذَا شُكِيَتْ
إِلَّا ذَوِي كَلِمٍ لَوْ أَنَّ مُحْتَسِباً
يَزَاحِمُونَ بِأَشْعَارٍ مَلْفَقَةً
وَيَطْرَحُونَ عَلَى الأبوابِ مِنْ حَمَقٍ
مَنْ كُلُّ أبلَهٍ لَكِنْ مَا لِفَطْنَتِهِ
يَحُمُّ حِينَ يَعَانِي نَظْمَ قَافِيَةٍ
وَيَغْتَنِدِي فِكْرَهُ المَكْدُودُ فِي حُرْقٍ
وَقَدْ يَجِيءُ بِمَعْنَى بَعْدَ ذَا حَسَنِ
أَعِيدُ مَجْدَكَ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ فَلَهَا
لَا يَغْرَهُمْ بِنْدَى يَأْتِيهِمْ فَكْفَى
إِنْ لَمْ تَفَرِّقْ بِفَضْلِ بَيْنَ نَظْمِهِمْ
حَشَاكَ أَنْ تَتَسَاوَى فِي جَنَابِكَ مِنْ
خَذُّهَا عَرُوساً لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
أُورِدْتُ سَوْدَدَكَ الأَعْلَى مَوَارِدَهَا
شَمَاءُ يَرْكُعُ نَظْمُ النَّاظِمِينَ لَهَا
نَعَمْ الْفَتَى أَنْتَ يُسْتَصْنَى الْكَلَامُ لَهُ
وَيَطْرَبُ المَدْحُ فِيهِ حِينَ أَكْثُبُهُ
مَا بَعْدَ غَيْثِكَ غَيْثٌ يَسْتَفَادُ وَلَا
خَصَصْتَ بِالمَدْحِ اللَاتِي قَدْ ارْتَفَعَتْ
فَسُدُّ وَشُدُّ وَابَقُ مَا دَامَ الزَّمَانُ فِيهِ
حَزَتْ المَحَامِدُ حَتَّى مَا لِذِي شَرَفٍ

(1) يحمُّ: يُصاب بالحمى.

(2) كارات: جمع كارة: وهي ما يُجمع ويشدُّ ويحملُ على الظهر من ثياب وطعام.

(3) السها: نجم.

قال البرعي رحمه الله فيه عليه السلام:

لَالِ هِنْدٍ عَفْتُهُنَّ الْعَمَامَاتُ⁽¹⁾
كَأَتُّهُنَّ فِيهِ مَا ظَلُّوا وَلَا بَانُوا
وَأَقْفَرْتُ بَعْدَ بَيْنِ الرَّكْبِ رَامَاتُ
فَالَهُنَّ مَجْتَمِعُ وَالرَّكْبُ أَشْتَاتُ
فَهُنَّ أَحْنَابُ قَلْبِي يَا غِيَابَاتُ
ظِلُّ الْأَرَاكِ شَجَانِي يَا حَمَامَاتُ⁽²⁾
إِلَّا لَعِبْتُ بِقَلْبِي يَا أَثِيلَاتُ
هَبْتُ بِنَشْرِ الصَّبَا النَّجْدِي هَبَاتُ
لَهُ إِلَى الشَّامِ حَنَاتُ وَأَنَاتُ
إِلَى نَيْبِي عَطَايَاهُ جَزِيلَاتُ
مِنْ نُورِهِ الْأَرْضُ وَالسَّبْعُ السَّمَوَاتُ
أَنْ قَبَّلْتُ نَعْلَهُ الْحُجْبُ الرَّفِيعَاتُ
بِالْغَيْبِ مِنْ بَعْدِ مَا قَالَ التَّحِيَّاتُ⁽³⁾
فِي الْخَلْقِ لَا عُذِمَتْ مِنْهُ الشَّفَاعَاتُ
وَالْفَضْلُ وَالْفَخْرُ فِيهِ وَالْكَرَامَاتُ⁽⁴⁾
لَوْلَا مَرَاتِبُهُ الشُّمُّ الْمَنِيعَاتُ
يَوْمَانِ فِي اللَّهِ إِنْعَامٌ وَغَارَاتُ
لِلَّهِ رَبًّا فَمَا الْعُزَى وَمَا اللَّاتُ⁽⁵⁾

بِالْأَبْرَقِ الْفَرْدِ أَظْلَالٌ قَدِيمَاتُ
وَمَلْعَبٍ لَعِبَتْ هَوُجُ الرِّيَّاحِ بِهِ
تَنَكَّرَ الْعَلَمُ الْعَرَبِيُّ مِنْ أَضْمٍ
تَشْتَبِهُهُمْ جَمْعُ الْأَخْزَانِ فِي كَبْدِي
فَإِنْ أَنَسْتُ غِيَابَاتُ الْفُؤَادِ بِهِمْ
فِيَا حَمَامَاتِ وَاذِي الْبَانِ شَجْوُكَ فِي
وِيَا أَثِيلَاتِ نَجِدِ مَا لَعِبْتَ ضَحَى
تَهِيحُ لَوْعَةُ قَلْبِي الْمُسْتَهَامِ إِذَا
فَكَيْفَ حَالُ بَعِيدِ الدَّارِ مُغْتَرِبِ
يَهْدِي التَّحِيَّةَ مِنْ نَيَّابَتِي بُرْعِ
مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْخَلْقِ الَّذِي امْتَلَأَتْ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ إِلَى
أَذْنَاهُ مِنْ قَابِ قَوْسٍ حِينَ كَلَّمَهُ
وَزَادَهُ مِنْهُ تَشْرِيفاً وَشَفَّعَهُ
فَالْبَذْرُ وَالْبَحْرُ وَالْقَطَرُ الْمُلْتُ حَيًّا
تَاللَّهِ مَا ارْتَفَعَتْ لِلدِّينِ مَرْتَبَةٌ
أَحْيَا الزَّمَانَ فَأَيَّامُ الزَّمَانِ بِهِ
وَقَلَّ شَوْكَةُ أَهْلِ الشُّرْكِ مُرْتَضِيًّا

(1) عَفْتُهُنَّ: أزالتهنَّ ومحتهنَّ.

(2) البان والأراك: نوعان من الشجر.

(3) القاب: هو ما بين قبضة القوس وطرفه.

(4) الملث: الهادىء والخفيف.

(5) اللات والعزى: صنمان كانا يُعبدان في الجاهلية.

وَالْبَيْضُ وَالْبَيْضُ مَسْرَاهَا الْعَجَاجَاتُ⁽¹⁾
 إِلَّا سَقَتْهَا الْقَنَا وَالْمَشْرِفِيَّاتُ⁽²⁾
 فِيهِ الْعُلَى وَانْتَهَتْ فِيهِ النِّهَايَاتُ
 زَهْرُ الرِّيَاضِ وَتَخْضَرُ الْبَشَامَاتُ
 تَشَرَّفَتْ فِيهِ آبَاءُ وَأُمَّاتُ⁽³⁾
 مَتَى تُبَاشِرُنِي مِنْهُ الْبِشَارَاتُ
 فَهُوَ الَّذِي خُتِمَتْ فِيهِ الرِّسَالَاتُ
 وَبِرَّهُ الْخَلْقُ أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتُ
 وَالْجَذْعُ حَنَّ وَسَبَّخَنَ الْحَصِيَّاتُ
 نِعَمَ النَّبِيِّ وَنِعَمَ الْجَيْشِ وَالشَّاهُ
 ظِلٌّ بِذَلِكَ جَاءَتْنَا الرُّوَايَاتُ
 وَمُعْجِزَاتُ كَثِيرَاتُ وَأَيَّاتُ
 عَنِّي فَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الْخَطِيبَاتُ
 فَكَمْ جَرَتْ لِي بِخَيْرٍ مِنْكَ عَادَاتُ
 يَا مَنْ مَوَاهِبُهُ خَيْرٌ وَخَيْرَاتُ
 إِذَا دَهَنَنِي الْمُلِمَّاتُ الْمُهِمَّاتُ
 وَالْعَفْوُ مُتَّسِعٌ وَالْعُذْرُ أَبْيَاتُ
 زُخْرِفَتْ لِلدَّاخِلِينَ الْخُلْدَ جَنَّاتُ
 فَمَذْحُكُ الْوَحْيِ وَالسَّبْعُ الْقِرَآتُ
 يَلِيهِ أَهْلٌ وَصَحْبٌ أَوْ قَرَابَاتُ
 لَاحَتْ بِنُورِكَ مِنْ بَذْرِ عِلَامَاتُ

فَالْحَيْلُ تَضْهَلُ وَالْأَزْمَاحُ شَاجِرَةٌ
 مَا اسْتَمَطَرَتْهُ تُغُورُ الْمُشْرِكِينَ حَيًّا
 مِنِّي السَّلَامُ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي اغْتَكَفَتْ
 وَجَادَ طَيِّبَةُ مَرْفُضٌ تَلُوحُ بِهِ
 أَرْضُ سَمَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ أَشْرَفَ مَنْ
 مَتَى أَرَى النُّورَ مِنْ أَرْجَاءِ قُبَّتِهِ
 فَلِنْ وَلِهْتُ إِلَى قَبْرِ ابْنِ آمِنَةٍ
 ذَاكَ الْحَبِيبُ الَّذِي تَرْجُو عَوَاطِفُهُ
 الْبَذْرُ شُقٌّ لَهُ وَالْغَيْمُ ظَلَلُهُ
 وَشَاهُ جَابِرِ يَوْمِ الْجَيْشِ مُعْجِزَةٌ
 وَكَانَ فِي الشَّمْسِ نُورًا لَيْسَ تَشْخَصُهُ
 لَهُ فَخَارٌ وَتَغْظِيمٌ وَمَرْتَبَةٌ
 مَوْلَايَ مَوْلَايَ فَرَّجْ كُلَّ مَعْظَمَةٍ
 وَعُذْ عَلَيَّ بِمَا عَوَّذْتَنِي كَرَمًا
 وَامْنَعْ جِمَائِي وَهَبْ لِي مِنْكَ مَكْرَمَةً
 وَاعْطِفْ عَلَيَّ وَخُذْ يَا سَيِّدِي بِيَدِي
 فَقَدْ وَقَفْتُ بِبَابِ الْجُودِ مُعْتَذِرًا
 وَقُلْ غَدَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ إِذَا
 وَإِنْ مَدَخْتُكَ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا
 قُلْ لَا يَخَفُ بَعْدَهَا عَبْدُ الرَّحِيمِ وَمَنْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي يَا مُحَمَّدُ مَا

(1) شاجرة: كثيرة متنازعة ومختلفة - البيض الأولى: السيف - والبيض الثانية: قلنسوة من حديد يغطي بها الرأس.

(2) القنا والمشرفيات: الرماح والسيوف.

(3) أمات: جمع أم.

والآل والصَّحْبُ والأزواجُ كُلُّهُمْ فَهُمْ لِسَادَاتِ أَهْلِ الْفَضْلِ سَادَاتُ

44

قالت عائشة الباعونية في ليلة المولد النبوي الشريف:

اللَّهُ أَكْبَرُكُمْ وَافَتْ بِشَارَاتُ وَكَمْ تَجَلَّتْ بِرَاهِينُ وَمَعْجَزَةٌ
وَكَمْ تَوَالَتْ كَرَامَاتُ وَأَيَّاتُ⁽¹⁾ بِلِيلَةِ الْمَوْلِدِ الْغُرَاءِ حِينَ دَنَا
لِوَضْعِ أَحْمَدَ خَيْرِ الْخَلْقِ مِيقَاتُ⁽²⁾ أَعْظَمَ بِهَا لَيْلَةً جَلَّتْ بِدَائِعُهَا
وَأَفْصَحَتْ بِالْهَنَا فِيهَا الْجَمَادَاتُ⁽³⁾ وَضَمَّخَتْ سَائِرَ الْأَرْجَاءِ وَامْتَلَأَتْ
عِطْرًا وَفَاحَتْ مِنَ الْأَنْحَاءِ نَفَحَاتُ وَذُقَّ طِبْلُ الْهَنَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
وَقَابَلَتْهُ مِنَ الْآفَاقِ كُوسَاتُ⁽⁴⁾ وَزَيَّنَتْ حَضْرَاتُ الْغَيْبِ وَانْتَصَبَتْ
مِنْ أَجْلِ يَاسِينَ أَعْلَامُ وَرَايَاتُ وَجَلَّلَ الْعَرْشُ بِالْأَنْوَارِ وَاتَّسَحَّحَ الـ
كُرْسِيُّ وَزُخْرِفَ فِرْدَوْسُ وَجَنَّاتُ وَفُرِّقَتْ خَلْعُ التَّكْرِيمِ فِي الْمَلَأِ الْأَ
عَلَى وَضَجَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ أَصَوَاتُ وَأَشْرَقَ الْكَوْنُ بِالْأَنْوَارِ وَاتَّصَلَتْ
مِنَ الْهَوَاتِفِ بِالْهَادِي بِشَارَاتُ وَنَكَّسَتْ سَائِرُ الْأَصْنَامِ وَانْقَلَبَتْ
كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا هَبَّاتُ⁽⁵⁾ وَرُجَّ إِيوَانُ كَسْرَى رَجَّةً سَقَطَتْ
لِبَاسِهَا شُرْفٌ مِنْهُ عَدِيدَاتُ⁽⁶⁾ وَسَاءَ سَاوَةٌ غِيضُ الْمَا وَفَارَسُ مِنْ
خُمُودِ نِيرَانِهِمْ بِالْغِيظِ قَدْ مَاتُوا

(1) تجلَّتْ: ظهرت.

(2) الغُرَاء: المضيئة الشريفة - الميقات: الموعد.

(3) جَلَّتْ: عظمت.

(4) الكوسات: الطبول.

(5) الهباء: الغبار.

(6) الإيوان: المجلس والقصر.

شهباً أديمت بها منهم حِرَاسَاتُ
وللعوالم إخبَاتٌ وإنصَاتُ⁽¹⁾
شمساً يُدَرُّ بها في الكونِ خيراتُ
تحققاً ولها بالحقِّ إثباتُ
في مجديهِ الفردِ إنجيلُ وتوراةُ
عن شرحِ أيسرِ معناه العباراتُ
وأمّ جمعاً بهم يَسْمُوُ السمواتُ
وحينَ أشهدُهُم والقومُ ذراتُ
في سائرِ الأمرِ أعيانُ وساداتُ
تحققاً فكانَ القلبَ مرآةُ
أرى نعيمي ولي مِنْهُ عنايَاتُ⁽²⁾
إلاً وجاءتْ بمأمولي العنايةتُ
إلاً وأوسعَ لي مِنْهُ العطياتُ⁽³⁾
إلاً أمنتُ وَوافتني الحماياتُ
يخفى مُرادِي ولي بالجبرِ عاداتُ
يدُ فتملاها مِنْهُ المَبْرَاتُ
أزكى صلاةً بها للقلبِ وصلاتُ
ومَنْ لَهُمْ من قبيلِ الحقِّ جذباتُ
لِلَّهِ من قطراتِ الودقِ سَجَدَاتُ⁽⁴⁾
وأوضحَ الجمعُ في المعنى بيانَاتُ

والجنُّ صَدَّتْ وآفاقُ السَّما مُلَّتْ
وَأَنشَدَ الحَالُ والآياتُ ظاهِرَةٌ
قد آنَ أَنْ يُطْلِعَ المولى بِرحمتهِ
ذاتُ زَكَّتْ فهي محوٌ في مُهيمِنَها
للمصطفى المجتبى ياسينَ مَنْ نزلتْ
ونالَ في ليلةِ الإسراءِ ما عجزتْ
وُخِصَّ فيها بما لم يَنْدِرْهُ أَحَدُ
وهو المَخْصَصُ في التَّقْدِيمِ من قَدَمِ
وهو الذي جَاهُهُ الأعلى تلوذُ بِهِ
وهو الذي لم أزلْ أَجلوه في خَلْدي
وَحُبُّهُ في صَمِيمِي ساكنٌ وبِهِ
ما رُمْتُ شيئاً ونادى السُّرِّيا سِنْدِي
ولا عِرَانِي ضيقٌ واستغثتُ بِهِ
ولا استجرتُ بِهِ مِمَّا يروُّعْنِي
يَا أَكْرَمَ الرُّسلِ آمالي لَدَيْكَ ولا
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَخْلُوقِ تَمُدُّ لَهُ
عَلَيْكَ من صلواتِ اللَّهِ أَفْضَلُها
والرُّسلُ والآلُ والأَصْحَابُ قاطِبَةٌ
ما زَمَجَرَ الرِّعدُ بالتسبيحِ واتصلتْ
وما تَقَشَّعَ غَيْمُ الحجبِ عن بَصَرِ

(1) إخبَات: اطمئنان وخشوع وتواضع.

(2) صميم الشيء: حقيقته وجوهره.

(3) عراني: أصابني.

(4) الودق: المطر.

قال ابن الفارض (*) يصف لوعته وحرقة قلبه بسبب بعده عن حبه الأوحـد
في بلاد الحجاز:

نَعَمْ، بالصَّبَا، قلبي صَبَا لأَجَبْتِي؛ فَيَا حَبَّذا ذَاكَ الشَّدَا حِينَ هَبَّتِ⁽¹⁾
سَرَتْ، فَأَسَرَّتْ لِلْفَوَادِ، عُذِيَّةً، أَحَادِيثَ جِيرَانِ الْعُذِيبِ، فَسُرَّتِ⁽²⁾
مُهَيِّنِمَةً بِالرَّوْضِ، لَدُنْ رَدَاوِهَا، بِهَا مَرَضٌ، مِنْ شَأْنِهِ بُرْءٌ عِلَّتِي⁽³⁾
وَلَهَا بِأَعْشَابِ الْحِجَازِ تَحَرَّشُ بِهِ، لَا بِخَمْرِ، دُونَ صَخْبِي، سَكْرَتِي
تُذَكِّرُنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ، لِأَنَّهَا حَدِيثُهُ عَهْدٍ مِنْ أَهْيَلِ مَوَدَّتِي⁽⁴⁾
أَيَا زَاجِرًا حُمْرَ الْأَوَارِكِ، تَارِكِ الْـ مَوَارِكِ، مِنْ أَكْوَارِهَا، كَالْأَرِيكِ⁽⁵⁾
لَكَ الْخَيْرُ إِنْ أَوْضَحْتَ تَوْضِيحَ مُضْحِيَا، وَجُبْتَ فَيَافِي خَبْتِ آرَامٍ وَجَرَةٍ⁽⁶⁾
وَنَكَبْتَ عَنْ كُثْبِ الْعَرِيضِ مُعَارِضًا حُزُونًا، لِحُزْوِي، سَائِقًا لِسُوقَةٍ⁽⁷⁾

(*) ابن الفارض 576-632هـ: هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل، المصري المولد والدار. عرف بابن الفارض، لأن أباه كان يكتب فروض النساء على الرجال. اشتهر بشعره الصوفي، ذي المعاني العذبة الرقيقة. وهو في شعره كثير التكلف في الصناعة الشعرية، فتجد المحسنات البديعة في معظم شعره. توفي في القاهرة ودفن في سفح جبل المقطم في مكان يسمى (القرافة).

- (1) الصَّبَا: ريح تهب من المشرق - صَبَا: اشتاق وحنَّ - الشَّدَى: الرائحة الطيبة.
- (2) سرت: سارت ليلاً - العُذِيب: اسم منطقة فيها عين ماء.
- (3) المهينمة: التي تصدر صوتاً منخفضاً غير مفهوم - لدن: طري لين - بها مرض: ضعيفة رقيقة.
- (4) البرء: الشفاء. العلة: المرض.
- (5) أهيل: تصغير أهل.
- (6) الزاجر: الذي يقود جماعة الإبل أو الخيل إلخ - الأوارك: الإبل - الموارك: الوسائد واحدها موركة - الأكوار: كل ما يوضع على الراحلة من متاع وأثاث.
- (7) أوضحت: أشرفت وأطلت. توضح: اسم مكان - مضحياً: وقت الضحى - جبت: تجاوزت - الفيافي: الصحارى واحدها فيفاة - الخبت: الأرض المنخفضة - آرام: جمع رثم وهو الغزال - وجرة: اسم موضع تكثر فيه الغزلان.
- (7) نكبت: غيّرت طريقك - الكثب: التلال من الرمل الواحد كثيب - العريض: اسم مكان - معارضاً: مبتعداً. الحزون: عكس السهول الواحد حزن. حزوى وسوقة: موضعان.

- وبَايَنْتَ بَانَاتٍ، كَذَا، عَنْ طَوِيلِ،
وَعَرَّجَ بِذِيكَ الْفَرِيقِ، مُبَلِّغًا،
فَلِي، بَيْنَ هَاتِيكَ الْخِيَامِ، ضَنْيْنَةٌ
مُحَجَّجَةٌ بَيْنَ الْأَسْنَةِ وَالطُّبَى،
مُمَنِّعَةٌ، خَلَعُ الْعِذَارِ نِقَابُهَا،
تُبِيحُ الْمَنَايَا إِذْ تُبِيحُ لِي الْمُنَى،
وَمَا غَدَرْتُ فِي الْحُبِّ أَنْ هَدَرْتُ دَمِي
مَتَى أُوْعِدْتُ أَوْلَتْ، وَإِنْ وَعَدْتُ لَوْثُ،
وَإِنْ عَرَضْتُ أُطْرِقُ حَيَاءً وَهَيْبَةً؛
وَلَوْ لَمْ يَزُرْنِي طَيْفُهَا، نَحْوَ مَضْجَعِي،
تَحْئِيلَ زُورٍ كَانَ زُورُ خَيَالِهَا،
بِفَرْطٍ غَرَامِي ذُكِرَ قَيْسٍ بَوَاجِدِهِ
فَلَمْ أَرْ مِثْلِي عَاشِقًا، ذَا صَبَابَةٍ،
هِيَ الْبَدْرُ أَوْصَافًا، وَذَاتِي سَمَاوَهَا،
مَنَازِلُهَا مَنَى الذَّرَاعِ، تَوَسَّدَا،
- (1) بِسَلَعٍ، فَسَلَّ عَنْ حِلَّةٍ فِيهِ حَلَّتْ (1)
(2) سَلِمْتُ، عُرِيْبًا، ثُمَّ عَنِّي تَحِيَّتِي (2)
(3) عَلَيَّ بِجَمْعِي، سَمَحَةٌ بِتَشْتَتِي (3)
(4) إِلَيْهَا انْتَنَتْ الْبَابُنَا، إِذْ تَنَتِ (4)
(5) مُسْرَبَلَةٌ بُرْدَيْنِ: قَلْبِي وَمُهْجَتِي (5)
(6) وَذَاكَ رَخِيصٌ مُنْيَتِي بِمَنْيَتِي (6)
(7) بِشَرِّعِ الْهُوَى، لَكِنْ وَقْتُ إِذْ تَوَقَّتْ (7)
(8) وَإِنْ أَقْسَمْتُ: لَا تُبْرِئِ السَّقَمَ بَرَّتْ (8)
(9) وَإِنْ أَعْرَضْتَ أَشْفَقْتُ، فَلَمْ أَتْلَفْتَ (9)
(10) قَضَيْتُ، وَلَمْ أَطْغِ أَرَاهَا بِمُقْلَتِي (10)
(11) لِمُشْبِهِهِ، عَنْ غَيْرِ رُؤْيَا وَرُؤْيَةٍ (11)
(12) وَبَهْجَتُهَا لُبْنَى، أَمْتُ، وَأَمْتُ (12)
(13) وَلَا مِثْلَهَا مَعشُوقَةٌ، ذَاتَ بَهْجَةٍ (13)
(14) سَمْتُ بِي إِلَيْهَا هَمَّتِي، حِينَ هَمَّتْ (14)
(15) وَقَلْبِي وَطَرْفِي أَوْطَنْتُ، أَوْ تَجَلَّتْ (15)

(1) طويل: اسم مكان فيه عين ماء - سلع: جبل.

(2) الفريق: الحي.

(3) الضنيّة: البخيلة - بجمعي: باجماعي معها.

(4) الأسنة: رؤوس الرماح - الطُّبَى: نصال السيوف، الواحد ظبة - البابنا: عقولنا، الواحد لب.

(5) مسربة: لابس - بردين: ثوبين.

(6) المنايا: جمع منية، وهو الموت.

(7) أوعدت: هددت - السقم: المرض.

(8) عرضت: أقبلت - أعرضت: أدبرت.

(9) قضيت: هلكت - مقلتي: عيني.

(10) الزور: الزبارة - الرؤيا: المشاهدة في المنام.

(11) أمّت: صارت في مقام الإمام.

(12) سمت: ارتفعت.

(13) تجلّت: ظهرت.

وما البرق، إلا من تلَهَّب زَفَرَتِي⁽¹⁾
 لِقَلْبِي، فما إن كان، إلا لِمِخْنَتِي⁽²⁾
 دَعَتْهَا لِتَشْقَى بِالْغَرَامِ، فَلَبَّتِ
 مِنَ الْعَيْشِ، إلا أن أعيشَ بِشَقَوَتِي
 بَكُمُ أن أَلَا قِي، لَوْ دَرَيْتُمْ، أَحَبَّتِي
 يَضُرُّكُمْ أن تُتْبِعُوهُ بِجُمْلَتِي؟⁽³⁾
 لَوْ احْتَمَلْتُ من عِبْئِهِ الْبَغْضَ، كَلَّتِ⁽⁴⁾
 بِجَفْنِي لِنَوْمِي، أَوْ بِضُغْفِي لِقُوتِي
 غَرَامُ التِّيَاعِي بِالْفُؤَادِ، وَحَرَقْتِي
 وَذَاكَ حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكُمْ بَرَجَعْتِي⁽⁵⁾
 تَحْمُلُهُ يَبْلَى، وَتَبْقَى بِلَيْتِي⁽⁶⁾
 لِيُضُرَّ، لِعُؤَادِي حُضُورِي كَغَيْبَتِي⁽⁷⁾
 خَفِيتُ، فَلَمْ تُهْدِ الْعُيُونُ لِرُؤْيَتِي⁽⁸⁾
 وَخَدَيَّ مَنْدُوبٌ لِحَايِزِ عِبْرَتِي⁽⁹⁾
 أُمُورٍ جَرَتْ، فِي كَثْرَةِ الشُّوقِ، قَلَّتِ⁽¹⁰⁾
 قَرَى، فَجَرَى دَمْعِي دَمًا فَوْقَ وَجَّتِي⁽¹¹⁾

فَمَا الْوَدُقُ، إِلَّا من تَحَلَّبٍ مَذْمَعِي؛
 وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّعَشَّقَ مِنْحَةً
 مُنْعَمَةً أَحْشَايَ كَانَتْ قُبَيْلَ مَا
 فَلَا عَادَ لِي ذَاكَ النَّعِيمُ، وَلَا أَرَى،
 أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُبِّ حَالِي وَمَا عَسَى
 أَخَذْتُمْ فُؤَادِي، وَهُوَ بَغْضِي، فَمَا الَّذِي
 وَجَدْتُ بِكُمْ وَجْدًا، قُوَى كُلَّ عَاشِقٍ،
 بَرَى أَعْظَمِي، من أَعْظَمِ الشُّوقِ، ضِعْفُ مَا
 وَأَنْحَلَنِي سُقْمٌ، لَهُ بِجُفُونِكُمْ
 فَضُغْفِي وَسُقْمِي: ذَا كَرَأْيَ عَوَاذِلِي،
 وَهِيَ جَسَدِي مِمَّا وَهَى جِلْدِي، لِيَذَا
 وَغَدْتُ بِمَا لَمْ يُبْقِ مِنِّي مَوْضِعًا
 كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ، لَوْلَا تَأْوَهِي،
 فَجِسْمِي وَقَلْبِي: مُسْتَحِيلٌ وَوَاجِبٌ؛
 وَقَالُوا: جَرَتْ حُمْرًا دَمُوعَكَ، قَلْتُ: عَنْ
 نَحَرْتُ لَضَيْفِ الطِّيفِ، فِي جَفْنِي الْكَرَى

- (1) الودق: المطر.
- (2) المنحة: الهدية والجائزة.
- (3) جملي: كُلي.
- (4) الوجد: شدة الحب - كَلَّتْ: عجزت.
- (5) العواذل: اللاتمين.
- (6) وهى: هزل وضعف.
- (7) العواد: الزائرون عند المرضى.
- (8) هلال الشك: الذي لم تثبت رؤيته.
- (9) مستحيل: متغير - واجب: خافق، مندوب: مدعو - جاتر: سائر. وفي البيت نشر وطى وتورية.
- (10) جرت الثانية: وقعت وحدثت.
- (11) نحرى: ذبحت.

- فلا تُنْكِرُوا، إِنْ مَسَّنِي ضَرْبٌ بَيْنَكُمْ،
فَصَبْرِي أَرَاهُ، تَحْتَ قُدْرِي، عَلَيْكُمْ،
وَلَمَّا تَوَافَيْنَا، عِشَاءً، وَضَمْنَا
وَمَنْتَ، وَمَا ضَنْتَ عَلَيَّ بِوَقْفَةٍ،
عَتَبْتُ، فَلَمْ تُعْتَبْ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ لِقَاءً،
أَيَا كَعْبَةَ الْحُسَيْنِ، الَّتِي، لِجَمَالِهَا،
بَرِيقُ الثَّنَايَا مِنْكَ أَهْدَى لَنَا سَنَا
وَأَوْحَى لِعَيْسَى أَنْ قَلْبِي مُجَاوِرٌ
وَلَوْلَاكَ مَا اسْتَهْدَيْتُ بُرْقًا، وَلَا شَجَتْ
فَذَاكَ هُدًى أَهْدَى إِلَيَّ: وَهَذِهِ،
أَرُومٌ، وَقَدْ طَالَ الْمَدَى، مِنْكَ نَظْرَةً،
وَقَدْ كُنْتُ أَدْعَى، قَبْلَ حَبِيْبِكَ، بِاسْلَاءً،
أَقَادُ أَسِيرًا، وَاضْطَبَّارِي مُهَاجِرِي،
أَمَا لَكَ عَنْ صَدِّ أَمَالِكِ عَنْ صَدِّ
فَبَلُّ غَلِيلٍ مِنْ عَلِيلٍ عَلَى شَفَا،
- عَلَيَّ سُؤَالِي كَشَفَ ذَاكَ وَرَحِمَتِي⁽¹⁾
مُطَاقًا، وَعَنْكُمْ، فَاعْذَرُوا، فَوْقَ قُدْرَتِي
سَوَاءٌ سَبِيلِي ذِي طَوًى، وَالثَّنِيَّةُ⁽²⁾
تُعَادِلُ عِنْدِي، بِالْمُعَرَّفِ، وَقَفْتِي⁽³⁾
وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ أَشْرْتُ وَأَوْمَتِ
قُلُوبُ أُولِي الْأَبَابِ، لَبَّتْ وَحَبَّتِ
بُرَيْقُ الثَّنَايَا، فَهُوَ خَيْرُ هَدِيَّةٍ⁽⁴⁾
جَمَاكِ، فَتَاقَتْ لِلْجَمَالِ وَحَنَّتِ⁽⁵⁾
فَوَادِي، فَأَبَكْتُ، إِذْ شَدْتُ، وَزُقْتُ أَيْكَةً⁽⁶⁾
عَلَى الْعُودِ، إِذْ غَنَنْتُ، عَنِ الْعُودِ أَغْنَيْتِ
وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ، دُونَ مَرْمَائِي، طُلَّتِ⁽⁷⁾
فَعُدْتُ بِهِ مُسْتَنْبِلاً، بَعْدَ مَنْعَتِي⁽⁸⁾
وَأَنْجَدُ أَنْصَارِي أَسَى، بَعْدَ لَهْفَتِي⁽⁹⁾
لِظُلْمِكَ، ظُلْمًا مِنْكَ، مِيلٌ لِعَطْفَةٍ؟⁽¹⁰⁾
يُبَلِّ شِفَاءً مِنْهُ، أَعْظَمُ مِنْهُ⁽¹¹⁾

(1) فلا تنكروا: لا تستغربوا.

(2) سواء السبيل: الطريق المستقيم - ذي الطوى والثنية: موضعان.

(3) ضنت: بخلت.

(4) الثنايا: الأسنان - الثنايا الثانية: اسم مكان.

(5) تآقت: اشتاقت.

(6) استهدى: طلب الهداية - الورق: جماعة الحمام واحدها ورقاء. الأيكة: الشجرة العظيمة.

(7) أروم: أطلب وأبني - مرماي: المرمى: المطلب والغاية.

(8) حبيك: حبي لك.

(9) اضطباري مهاجري: أي صبري نفذ وذهب عني.

(10) أمالك الثانية: وجهك بعيداً وصرفك. الصدي: العطشان.

(11) بل: يقال بل ريقه إلى شرب بعد عطش.

بَغَيْرِكَ، بل فيك الصَّبَابَةُ أبلت⁽¹⁾
 عن اللَّثَمِ، فيه عُدْتُ حَيًّا كَمِيتِ⁽²⁾
 وَحَبَّبَنِي، ما عشتُ، قطعَ عَشِيرَتِي
 شَبَابِي، وَعَقْلِي، وارتياحي، وَصِحَّتِي⁽³⁾
 وبالْوَحْشِ أَنَسِي إذ من الإنس وَخَشْتِي
 تَبَلَّجُ صُبْحِ الشَّيْبِ، في جِنَحِ لَمْتِي⁽⁴⁾
 فَرِحَنَ بِحَزْنِ الْجَزَعِ بِي، لَشَبِيبَتِي⁽⁵⁾
 وَخَابُوا، وإني منه مُكْتَهِلٌ، فَتِي⁽⁶⁾
 نَ فِيكَ لِجِدَالٍ، كان وَجْهُكَ حُجَّتِي⁽⁷⁾
 به، عاذراً، بل صارَ من أهل نَجْدَتِي⁽⁸⁾
 ضَلَالٌ مَلَامِي، مثلَ حَجِّي وَعُمَرَتِي⁽⁹⁾
 مُحَرَّمٌ عن لُومٍ، وَغَشَّ النَّصِيحَةُ
 سِوَاكَ، وَأَنْتَى عَنْكَ تَبْدِيلُ نَيْتِي؟⁽¹⁰⁾
 أَرَانِي إِلَّا لِلتَّلَافِ تَلَفْتِي⁽¹¹⁾
 يَحَاوِلُ مِنِّي شَيْمَةً غَيْرَ شَيْمَتِي
 يَرَى مِنْهُ مَنِّي، وَسَلَوَاهُ سَلَوَتِي

فلا تَخْسِبي أَتِي فَنَيْتُ، من الضَّنَى،
 جَمَالُ مُحْيَاكَ، المَصْطُونُ لِشَامُهُ
 وَجَنَّبَنِي حُبِّكَ وَضَلَّ مُعَاشِرِي،
 وَأَبْعَدَنِي، عن أَرْبُعِي، بَعْدُ أَرْبَعِ:
 فلي، بَعْدُ أَوْطَانِي، سُكُونٌ إِلَى الْفَلَا،
 وَزَهْدٌ فِي وَصْلِي الْغَوَانِي، إِذْ بَدَا
 فَرُحْنٌ بِحُزْنٍ جَارِعَاتٍ، بُعِيدَ مَا
 جِهْلَنَ، كُلَّوَامِي، الهوى، لا عَلِمْنَهُ،
 وَفِي قَطْعِي اللَّاحِي عَلَيْكَ، وَلَاتِ حِي
 فَأُضْبَحَ لِي، من بَعْدِ مَا كَانَ عَاذِلًا
 وَحَجِّي، عَمْرِي، هَادِيًا ظَلَّ مُهْدِيًا
 رَأَى رَحْبًا سَمْعِي الْأَبْيَّ وَلَوْمِي الـ
 وَكَمْ رَامَ سِلْوَانِي هَوَاكَ، مُيَمَّمًا
 وَقَالَ: تَلَّافٌ مَا بَقِيَ مِنْكَ؛ قُلْتُ: مَا
 إِبَائِي أَبَى إِلَّا خِلَافِي، نَاصِحًا،
 يَلْذُّ لَهُ عَذْلِي عَلَيْكَ، كَأَنَّمَا

(1) الصَّبَابَةُ: شدة الشوق.

(2) المحيَّا: الوجه.

(3) أَرْبُعِي: جمع ربيع وهو الدار وما حولها.

(4) اللَّمَّةُ: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(5) جازعات: خائفات - الجزع: منعطف الوادي.

(6) لَوَامِي: جمع لائم - مكتهل: أصبح كهلاً.

(7) اللاحي عليك: أي الذي يخاصمني وينازعني بسببك - الحجة: البرهان والدليل.

(8) العاذر: نقول عذره إذا وضع له أعذاراً.

(9) حجي: وضعي للحجج - عمري: للقسم. مثل: لعمرى - حجي وعمرتي: معروفان.

(10) ميمماً: متجهاً نحو.

(11) التلاف الثانية: الموت والفناء.

ومُعْرِضَةً عَنْ سَامِرِ الْجَفْنِ، رَاهِبٍ الـ
 تَنَاءَتْ، فَكَانَتْ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَانْقَضَتْ
 وَبَانَتْ، فَأَمَّا حُسْنُ صَبْرِي فَخَانَنِي؛
 فَلَمْ يَرَ طَرْفِي، بَعْدَهَا، مَا يَسْرَنِي،
 وَقَدْ سَخِنَتْ عَيْنِي عَلَيْهَا، كَأَنَّهَا
 فَإِنْسَانُهَا مَيِّتٌ، وَدَمْعِي غُسْلُهُ،
 فَلِلْعَيْنِ وَالْأَحْشَاءِ، أَوَّلَ هَلْ أَتَى،
 كَأَنَّا حَلَفْنَا، لِلرَّقِيبِ، عَلَى الْجَفَا،
 وَكَانَتْ مَوَائِقُ الْإِخَاءِ أَخِيَّةً،
 وَتَالَلَّهِ، لَمْ أُخْتَرْ مَدْمَةً عَذْرَهَا،
 سَرَقَى، بِالصِّفَا، الرَّبْعِي، رَبْعًا بِهِ الصِّفَا،
 مُحَيِّمٌ لَذَاتِي، وَسَوْقٌ مَارَبِي،
 مَنَازِلُ أَنْسٍ، كُنَّ، لَمْ أَنْسَ ذِكْرَهَا
 وَمِنْ أَجْلِهَا حَالِي بِهَا، وَأَجْلَهَا
 غَرَامِي، بِشَعْبٍ عَامِرٍ شَعْبَ عَامِرٍ،
 وَمِنْ بَعْدِهَا، مَا سُرَّ سِرِّي لِبُعْدِهَا،

فَوَادِ الْمُعْنَى، مُسْلِمِ النَّفْسِ، صَدَّتْ⁽¹⁾
 بِعُمْرِي، فَأَيْدِي الْبَيْنِ مُدَّتْ لِمُدَّتِي
 وَأَمَّا جُفُونِي بِالْبُكَاءِ فَوَقَّتْ⁽²⁾
 فَنَوْمِي كَصُبْحِي حَيْثُ كَانَتْ مَسْرَتِي⁽³⁾
 بِهَا لَمْ تَكُنْ، يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، قَرَّتْ⁽⁴⁾
 وَأَكْفَانُهُ مَا أَبْيَضَ، حُزْنًا، لِفُرْقَتِي⁽⁵⁾
 تَلَا عَائِدِي الْأَسَى، وَثَالِثَ تَبَّتِ
 وَأَنْ لَا وَفَا، لَكِنْ حَنْثْتُ وَبَرَّتْ⁽⁶⁾
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا عَقَدْتُ وَحَلَّتِ
 وَفَاءً، وَإِنْ فَاءَتْ إِلَى خَيْرٍ ذِمَّتِي⁽⁷⁾
 وَجَادَ، بِأَجْيَادٍ، ثَرَى مِنْهُ ثُرَوَتِي⁽⁸⁾
 وَقَبْلَةَ آمَالِي، وَمَوْطِنَ صَبُوتِي⁽⁹⁾
 بِمَنْ بَعْدَهَا وَالْقُرْبُ: نَارِي وَجَنَّتِي
 عَنِ الْمَنْ، مَا لَمْ تَخَفَ، وَالسَّقْمُ حُلَّتِي⁽¹⁰⁾
 غَرِيمِي، وَإِنْ جَارُوا، فَهَمْ خَيْرٌ جِيرَتِي
 وَقَدْ قَطَعَتْ مِنْهَا رَجَائِي بِخَيْبَتِي

(1) سامر الجفن: الذي يقضي ليله ساهراً - المعنى: المنهك والمتعب.

(2) بانَتْ: بعدت.

(3) طرفي: عيني.

(4) قرَّت: بردت.

(5) إنسان العين: ناظرها.

(6) حنث: لم يفِ بوعده - برّ: عكس حنث.

(7) فاءت: عادت ورجعت - ختر: عذر وخان.

(8) الصفا الأولى: اسم مكان - الربيعي: المطر ينزل في الربيع - الثرى: التراب.

(9) المآرب: الغايات والمطالب - الصبوة: جهلة الفتوة.

(10) حلتي: لباسي.

بدا وَلَعاً فيها، وَلُوعِي بِلَوْعَتِي⁽¹⁾
 وَوُدُّ عَلَى وادي مُحَسَّرٍ حَسَرَتِي⁽²⁾
 لَنَا بِطَوَى وَلَّى بِأَرْغَدٍ عَيْشَةٍ⁽³⁾
 تُصَافِحُ صَدْرِي رَاحَتِي، طَوَلَ لَيْلَتِي⁽⁴⁾
 سَمِيرِي، لَوْ عَادَتِ أَوْيَقَاتِي الَّتِي⁽⁵⁾
 سَرَقْتُ بِهَا، فِي غَفْلَةِ الْبَيْنِ، لَذَتِي
 لَدِيهَا، بِوَضِلِ الْقُرْبِ، فِي دَارِ هِجْرَتِي⁽⁶⁾
 فَعَادَ تَمَنِّي الْهَجْرِ، فِي الْقُرْبِ، قُرْبَتِي
 وَمِنْ رَاحَتِي، لَمَّا تَوَلَّتْ، تَوَلَّتِ⁽⁷⁾
 بَعِيداً، لَأَيِّ مَا لَهُ مِلْتُ مِلْتُ
 عَدُوِي احْتَكَمَ دَهْرِي انْتَقَمَ حَاسِدِي اشْمَتِ⁽⁸⁾
 وَيَا كَيْدِي عَزَّ اللَّقَا، فَتَفَتَّتِي⁽⁹⁾
 تَزَاحَا، وَضَنَّ الدَّهْرُ مِنْهَا بِأُوبَةٍ⁽¹⁰⁾
 تَطْيِبُ، وَالْأَعَزَّةُ بَعْدَ عَزَّةٍ
 عَلَى حِفْظِ عَهْدِ الْعَامِرِيَّةِ، مَا فَتِي⁽¹¹⁾
 بِهَجْرَانِهَا وَالْوَصْلِ، جَادَتْ وَضَنْتِ⁽¹²⁾

وَمَا جَزَعِي، بِالْجَزَعِ، عَنْ عَبَثٍ، وَلَا
 عَلَى فَائِتٍ مِنْ جَمْعٍ جَمْعٍ تَأْسُفِي،
 وَبَسْطٍ، طَوَى قَبْضُ التَّنَائِي بِسَاطِهِ
 أَبَيْتُ بِجَفْنٍ، لِلشَّهَادِ، مُعَانِقٍ،
 وَذَكَّرْتُ أَوْيَقَاتِي، الَّتِي سَلَفَتْ بِهَا،
 رَعَى اللَّهُ أَيَّاماً، بِظُلِّ جَنَابِهَا،
 وَمَا دَارَ هَجْرُ الْبُعْدِ عَنْهَا بِخَاطِرِي،
 وَقَدْ كَانَ عِنْدِي وَضْلُهَا دُونَ مُطْلَبِي،
 وَكَمْ رَاحَةً لِي أَقْبَلْتُ، حِينَ أَقْبَلْتُ،
 كَأَنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهَا قَرِيباً، وَلَمْ أَزَلْ،
 غَرَامِي أَقِمْ صَبْرِي انْصَرِّمْ دَمْعِي انْسَجِمْ
 وَيَا جِلْدِي، بَعْدَ النَّقَا، لَسْتُ مُسْعِدِي،
 وَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا جَمَاحاً، وَدَارُهَا انْدَ
 تَيَقَّنْتُ أَنْ لَا دَارَ، مِنْ بَعْدِ طَيِّبَةٍ،
 سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ مِنْ فَتَى،
 أَعِذْ عِنْدَ سَمْعِي، شَادِي الْقَوْمِ، ذَكَرَ مَنْ

(1) الجزع: منعطف الوادي.

(2) جمع الثانية: اسم مكان - وادي محسّر: اسم مكان.

(3) البسط: السرور وعكسه القبض - طوى الثانية: اسم مكان في الشام.

(4) السهاد: السهر وعدم القدرة على النوم.

(5) أويقاتي: تصغير أوقات - السمير: المؤانس والمحدث ليلاً.

(6) دار هجرتي: يقصد المدينة المنورة.

(7) تولت: ذهبت وبعدت.

(8) انسجم الدمع: انسكب وسال.

(9) الجلد: الصبر والاحتمال - النقا: اسم مكان.

(10) جمَاحاً: نفوراً وامتناعاً - الأوبة: العودة.

(11) ما فتى: ما زال.

(12) الشادي: المغني.

تُضَمَّنُهُ مَا قُلْتُ، وَالسَّكْرُ مُعْلَنٌ لسري، وما أخفت، بصحوي، سريرتي

46

قال الشاب الظريف داعياً بالسقيا لمنزله في قاسيون:

يا قَطْرُ عُمِّ دِمَشْقَ، واخصص منزلاً في قاسيون، وحلّه بنبات⁽¹⁾
وترنمي يا ورُقْ فيه ويا صبا مُرِّي عليه بأطيب النفحات⁽²⁾
فيه الرضا فيه الهوى فيه الهدى فيه أصول سعادتي وحياتي
فيه الذي كشف العمى عن ناظري وجلا شמוש الحق في مرآتي
كفّ تُمَدِّ بجوده نحوي وأخـ رى للسماء بسائر الدعوات

47

قال بهاء الدين زهير يمدح الأمير النصير اللمطي ويهتته بالقدوم:

صَفْحاً لَصَرْفِ الدَمْرِ عَنْ هَفَوَاتِهِ إِذْ كَانَ هَذَا الْيَوْمُ مِنْ حَسَنَاتِهِ⁽³⁾
يَوْمٌ يُسْطَرُّ فِي الْكِتَابِ مَكَانُهُ كَمَكَانِ بِسْمِ اللَّهِ فِي خَتَمَاتِهِ
مَظَلَّ الزَّمَانُ بِهِ زَمَاناً أَنْفَساً أَنْفَقْتُ وَعَادَ لَهَا إِلَى عَادَاتِهِ
وَالْغَيْثُ لَا يَسِمُ الْبِلَادَ بِنَفْعِهِ إِلَّا إِذَا اشْتَاقَتْ لَوْسِمِيَّاتِهِ⁽⁴⁾
يَا مُعْجِزَ الْأَيَّامِ قَرُوعَ صِفَاتِهِ وَمُجْمِلَ الدُّنْيَا بِحُسْنِ صِفَاتِهِ
بَلْ أَحْنَفَا فِي حِلْمِهِ وَتَبَاتِهِ بَلْ حَارِثَ الْهَيْجَاءِ فِي وَثْبَاتِهِ
بَلْ كَعْبَةَ الْمَعْرُوفِ بَلْ كِعَبَ النَّدَى وَالْمَاءُ يَقْسِمُ شُرْبَهُ بِحَصَاتِهِ

(1) القطر: المطر.

(2) الورق: جمع ورقاء وهي الحمام - الصُّبَا: ريح تهب من المشرق.

(3) الهفوات: جمع هفوة وهي الرِّلَّة.

(4) الوسميات: أول أمطار الربيع - يسم: يصب.

عن خاطري إذ أنت من خطراته
ودعاؤنا يأتيك في طيَّاته
جَمَعَتْ إلينا الجُودَ بعدَ شتاتِهِ⁽¹⁾
كالسيفِ يُصَقِّلُ بعدَ حَدِّ طُباتِهِ⁽²⁾
كلُّ يريدُك أن تكونَ لذاتِهِ
راحَ السَّكونِ يَنوبُ عن حرَّكاتِهِ
متاً لِقاسَمَهُ لَذيذَ حَيَاتِهِ
يُفضي إلى رُتبِ العُلى لم تأتِهِ⁽³⁾
كثَلاتِةَ الجُوزاءِ في جَنباتِهِ⁽⁴⁾
يَسْمُو إلى أسلافِهِ بِسِمَاتِهِ
وَأَعَادَهُ بِهَرامٍ مِن سَطَواتِهِ⁽⁵⁾
هو فيهِمُ كالسَّنِّ فُوقَ لِثاتِهِ
حَسَباً وَهم في الذَّهرِ خَيْرُ سَراتِهِ⁽⁶⁾
مَتَيَّقُظْ وَهَبَ العُلا عَفَواتِهِ
كَرماً وَلَم يَفِرْضْ وَجوبَ صِلَاتِهِ
غَابَاتِهِ وَالغَيْثِ فِي غَبَّاتِهِ⁽⁷⁾
سَكَبَتْ شِبا الهِنديِّ من شَفَراتِهِ
زَمَناً وَقَد لَبَّأكَ مِن مِيقَاتِهِ⁽⁸⁾

إن كنتَ غِبتَ عن البلادِ فلم تَغِبْ
لو كنتَ فَتَشَتَّ النَّسيمَ وَجَدْتَهُ
أَحِبَّ بِسَفَرَتِكَ التي بِقدومِها
وأفادَكَ المَلَكُانِ زائِدَ رِفَعَةٍ
وكفَى اهتماماً مِنهما بكَ أن غدا
والجَدُّ إن أمضى عَزيمةَ ما جِدِ
وَأَتَى البَشِيرُ فلو يَسوِّغُ لواحِدِ
فارِياً بعَزمِكَ لَم تَدْعُ من مَنَصِبِ
وَتَفَرَّعَتْ لِلْمَجِدِ مِنْكَ ثَلَاثَةٌ
مِن كُلِّ مَهْدِيٍّ غدا في مَهْدِهِ
أَفْضَى إِلَيْهِ المُشْتَرِي بِسُعودِهِ
شَرُفَتْ بِنَضْرِ في البَريَّةِ مَعَشَرُ
قَوْمٍ هُمُ في البَيدِ خَيْرُ سُرَاتِها
شَرُفَ الزَّمانُ بِكُلِّ نَذْبٍ مِنْهُمُ
أَلِفَ النَّدَى وَرَأَى وَجوبَ صِلَاتِهِ
يُؤْتِي المَنايا وَالْمُنَى كَاللَّيْثِ في
ذو عَزمَةٍ إن راحَ في سَفَراتِهِ
يا مَنَسَكَ المَعْرُوفِ أَحَرَمَ مَنطَقي

(1) الشتات: البعد والتفرق.

(2) الظبي: حد السيف.

(3) أرباً به: احتفظ به.

(4) الجوزاء: مجموعة نجوم في السماء.

(5) بهرام: المريخ.

(6) البيد: جمع بيداء وهي الصحراء القاحلة.

(7) الغبَّات: هطولات المطر مرة بعد مرة.

(8) المنسك: الطقس من طقوس العبادة ومنه مناسك الحج.

- هذا زهيرُك لا زهيرُ مُزَيِّنَةٍ وإفأك لا هَرِمًا على عِلَّاتِهِ⁽¹⁾
 دَغُهُ وَحَوْلِيَّاتِهِ ثُمَّ اسْتَمِعْ لزَهِيرٍ عَصْرِكَ حُسْنَ لَيْلِيَّاتِهِ⁽²⁾
 لو أنْشَدْتَ في آلِ جَفْنَةٍ أَضْرَبُوا عن ذِكْرِ حَسَانٍ وَعَنْ جَفَنَاتِهِ⁽³⁾

48

قال ابن نباتة من قصيدة يمدح بها الملك المؤيد:

- لولا معاني السُّحْرِ من لَحَظَاتِهَا ما طال تَرَدَّادي على أبياتِها
 لَمَّا وَقَفْتُ على الديار مُنَادِيًا قلبي المَثَيِّم من وَرَا حُجْرَاتِهَا
 دارٌ عَرَفْتُ الوجدَ مِنْذُ أَتَيْتُهَا زَمَنَ الوصالِ، فليتنني لم آتِها!⁽⁴⁾
 حيثَ الطُّبَا وكواعِبُ وُحْدائِقُ أنَّى التَفَتُّ رتعتَ في جَنَّاتِها⁽⁵⁾
 والراحُ هادِيَةٌ السُرورِ إلى الحِشَا مِثْلَ الكواكبِ في أَكْفُ سُقَاتِها
 فلئن بكيتُ فإنَّ هذا الدمعَ مِنْ ذاكِ الحَبَابِ يَفِيضُ من جَنَبَاتِها⁽⁶⁾
 مالي وما لِلَّهِو بعدَ مَفَارِقِ قد نُفِّرَتِ غربائُها بِبُزَاتِها؟⁽⁷⁾
 والشَّيْبُ في قَوْدِي يَخْطُ أَهْلَةً مَعْنَى المَنُونِ يَلُوحُ في نُونَاتِها⁽⁸⁾
 سَفِيًّا لِرَوْضَاتِ الشَّبابِ وإنْ جَنَّتْ هذي الشَّجُونُ على قلوبِ جُنَّاتِها⁽⁹⁾
 ولدولة المَلِكِ المؤيِّدِ إنَّها جَمَعَتْ فنونَ المدحِ بعدَ شتاتِها

- (1) زهير: يقصد زهير بن أبي سلمى الشاعر المعروف - وهرم: هو ممدوح زهير.
 (2) الحوليات: قصائد لزهير كان يكتبها وينقحها حولاً كاملاً قبل أن ينشدها.
 (3) حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، وقوله: جفنته: يشير إلى قول حسان.
 (4) لنا الجفنتات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
 (5) الوجد: شدة الحب.
 (6) كواعب: مفردها كاعب وهي الفتاة أول بلوغها.
 (7) الحباب: فقايع تظهر على سطح الماء أو الخمر.
 (8) بزاتها: صقورها مفردها باز.
 (9) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذنين - أهلة: جمع هلال.
 (9) جنى: ارتكب ذنباً - الجنة: مفردها جان، وجاني الثمرة هو قاطفها ومجنتها.

قال ابن ملك الحموي في وصف الطبيعة والخمرة:

أَحْيَا الرِّبْعُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَمَاتِهَا وَحَلَا يَسْكُبُ الْقَطَرُ عَوْدُ نَبَاتِهَا⁽¹⁾
 وَسَرَى النِّسِيمُ عَلَى الرِّيَاضِ وَقَدْ أَتَى يُهْدِي إِلَيْكَ الطِّيبَ مِنْ نَفْحَاتِهَا⁽²⁾
 وَالْعَوْدُ هَزَّتْهُ الصُّبَا، وَالطَّيْرُ قَدْ غَنَّتْ عَلَيْهِ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا⁽³⁾
 وَالزَّهْرُ قَدْ أَلْقَى النُّشَارَ كَأَنَّمَا أَذَتْ كُنُوزُ الرُّوضِ بَعْضَ زَكَاتِهَا⁽⁴⁾
 وَالْأَرْضُ كُلُّهَا النَّدَى بِجَوَاهِرِ نَظَّمَتْ عُقُودَ الدَّرِّ مِنْ حَبَّاتِهَا
 وَالرُّوضُ بِالرَّيْحَانِ خَرَجَ أَشْطَرًا أَضَحَتْ غُصُونُ الْبَانِ مِنَ الْفَاتِهَا
 تَحْكِي عَنَادِلُهَا عَلَى أَغْوَادِهَا خُطَبَاءَ تَتَلَوُا الْوَعْظَ مِنْ سَجَعَاتِهَا⁽⁵⁾
 وَحَكَّتْ جَدَاوِلُهَا خَلَاخِيلًا وَقَدْ أَضْحَى خَرِيرُ الْمَاءِ مِنْ رَنَاتِهَا

واستطرد الشاعر بعد ذلك وتخلّص من وصف الطبيعة إلى نعتِ الخمرة فقال:

وَالصُّبْحُ مِنْ وَجْهِ الْحَبِيبِ بَدَا وَقَدْ بَرَعَتْ شُمُوسُ الرَّاحِ مِنْ مِشْكَاتِهَا⁽⁶⁾
 قَمَ نَبْهَ الْإِقْدَاحِ إِنَّ الشَّمْسَ قَدْ شَنَّتْ عَلَى جَيْشِ الدُّجَا غَارَاتِهَا⁽⁷⁾
 وَاسْتَجَلِ عُرْسَ الرُّوضِ فِي بَسْطِ الْهَنَاءِ فَالرَّاحُ قَدْ خَضَبَتْ أَكُفَّ سُقَاتِهَا
 رَاحُ إِذَا مَا عَزَّ دَاوُكُ بُرُؤُهُ يَسْرِي إِلَيْكَ الْبُرءُ مِنْ نَفْحَاتِهَا⁽⁸⁾

(1) القطر: المطر.

(2) الطيب: العطر.

(3) الصُّبَا: ريح تهب من المشرق.

(4) النُّشَار: ما نثر في حفلات السرور من النقود والحلوى.

(5) عَنَادِل: جمع عندليب، طائر أسمر اللون.

(6) المِشْكَاة: كؤة في الجدار يوضع فيها المصباح.

(7) الدُّجَا: الظلام.

(8) الْبُرء: الشفاء.

طَافَتْ بِهَا تَسْقِي السُّقَاةَ فَقُمَ إِلَى مِيزَابِهَا وَاحْجُجْ إِلَى مِيقَاتِهَا⁽¹⁾

50

قال ابن عربي ناصحاً للسالكين في طريق الله ﷺ:

أَعْرِضْ عَنِ الْخَيْرِ مَا اسْتَطَعْتَ
لِبَّاءِكَ رَبُّ الْعِبَادِ لَمَّا
وَقَالَ يَا عَبْدُ كُنْ حَفِيزًا
وَاصْذَعْ بِأَمْرِ الْإِلَهِ تُبْصِرْ
وَانْزِعْ لَهُ رُتْبَةَ الْمَعَالِي
وَاخْشَعْ إِذَا مَا وَرَدَتْ حَوَاضًا
لَا تَظْمَعَنَّ إِنْ رَأَيْتَ رِنَحًا
إِنْ قُلْتَ فِي حِكْمَةٍ بِأَمْرِ
فَلَا تَكُنْ ذَا هَوًى وَرَأْيٍ
وَلَا تُقَلِّدْ وَلَا تُعَلِّلْ
إِنْ كُنْتَ عِيسَى وَكُنْتَ تَشْفَى
أَوْ كُنْتَ عِيسَى وَكُنْتَ تُخَيِّي
أَوْ كُنْتَ عَيْنًا لِكُلِّ كَوْنٍ
قَدْ كُنْتَ لِلطَّبْعِ فِي سَفَالٍ

فَالْخَيْرُ يَا تَيْكَ إِنْ أَطَعْتَ
دَعَوْتَ بِالصُّدْقِ لَوْ سَمِعْتَ
لِكُلِّ مَا أَنْتَ قَدْ جَمَعْتَ
نَتِيجَةَ الصُّدْقِ إِنْ صَدَعْتَ⁽²⁾
يَحْمَدُ مَسْعَاكَ إِنْ نَزَعْتَ
فَالرَّيُّ مَضْمُونٌ إِنْ كَرَعْتَ⁽³⁾
فَالْخُسْرُ يَا تَيْكَ إِنْ طَمَعْتَ
مُسْتَحْسَنٍ أَنْتَ قَدْ شَرَعْتَ
وَلَا تَقْسُ جُهْدَ مَا اسْتَطَعْتَ⁽⁴⁾
إِنْ أَنْتَ مَنْ أَرْسَلَ اتَّبَعْتَ
إِلَيْهِ مِنْ قَوَرِكُمْ رَفَعْتَ
مَيِّتَ أَجْدَائِهِ وَضَفَعْتَ⁽⁵⁾
وَقَثُّهُ رَحْمَةً بَرَعْتَ
تَخْصِدُ فِيهِ الَّذِي زَرَعْتَ⁽⁶⁾

(1) الميزاب: أنبوبة يُصرف بها الماء من سطح البناء - الميقات: الموضع الذي جعل للشئ يُفعل عنده.

(2) اصْذَعْ بِالْأَمْرِ: يَبَيِّنُهُ وَاجْهَر بِهِ.

(3) الْكَرْعُ: شُرْبُ الْمَاءِ بِالْفَمِ مِنْ مَوْضِعِهِ دُونَ اسْتِخْدَامِ الْإِنَاءِ أَوْ الْكَفَيْنِ.

(4) الْقِيَاسُ: التَّقْدِيرُ وَالرِّبْطُ بَيْنَ الْمَسَائِلِ وَالْقَضَايَا.

(5) الْأَجْدَاتُ: الْقُبُورُ.

(6) السُّفَالُ: ضِدُّ الْعُلُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ.

رَفَعَكَ اللَّهُ فَارْتَفَعْنَا
تَنْظُرُ فِيهِ الَّذِي صَنَعْنَا
عَلِمْتَ فِيهِ لَمَّا جَمَعْنَا
فَإِنْ تَكُنْ حَبْلُهُ قَطَعْنَا⁽¹⁾
يَكُونُ مَثْوَاكَ إِنْ وَقَعْنَا⁽²⁾
إِنْ أَنْتَ فِي حَقِّهِ انْتَجَعْنَا⁽³⁾
أَضْبَحْتَ فِيهِ وَقَدْ فُجِعْنَا
بِالصَّوْمِ أَوْ كُنْتَ فِيهِ جُعْنَا
وَتَهْتَ تِيهَاءَ بِهِ وَضَعْنَا⁽⁴⁾
يَخْلَعُ عَنْكَ الَّذِي خَلَعْنَا
قَدْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ مَنَعْنَا
بَيْعَ فُضُولٍ فَمَا انْتَزَعْنَا
حَتَّى اشْتَرَاهُ وَمَا ارْتَجَعْنَا
وَأَنْتَ رَبُّ الْعُلَى وَسِعْنَا
لَوْلَمْ يَرِ ذَاكَ مَا اتَّسَعْنَا
إِذْ لَكَ يَا رَبَّنَا اضْطَنَعْنَا
رَفَعْتَ مَنْ شِئْتَ إِذْ وَضَعْنَا
فِي عِلْمِهِ مِنْهُ هَلْ شَبِعْنَا؟
مَا يَنْقُضِي لِلَّذِي شَرَعْنَا
أَوْ كُنْتَهُ عَنْكَ مَا رَجَعْنَا
مِنْ عِنْدِكُمْ رَحْمَةً قَنِعْنَا

حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَيْتَ فِيهِ
تُحْشَرُ فِي عَيْنِ كُلِّ كَوْنٍ
مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلِّ شَرٍّ
لِلَّهِ حَبْلٌ فَصِلْهُ تَضَعْدُ
شَقِيتَ فَاَنْظُرْ بِأَيِّ أَرْضٍ
إِنَّ لَكَ الْخَيْرَ مِنْهُ حَثْمًا
أَوْ كُنْتَ ذَا فِثْنَةٍ بِوَلَدٍ
أَوْ ظَمِئْتَ نَفْسُكُمْ نَارًا
أَصْبَحْتَ خَيْرًا بِكُلِّ وَجْهِ
مَا كُلُّ وَقْتٍ يَكُونُ فَرْدًا
أَوْ يَمْنَعُ اللَّهُ عَنْكَ أَمْرًا
مَا الشَّانُ أَنْ تَشْتَرِيَ نَفُوسَ
مِنْ مُلْكِهِ مَا شَرِيتَ مِنْهُ
ضَاقَتْ سَمَاءُ الْإِلَهِ عَنْهُ
مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ وَلَا احْتِيَالٍ
وَسِعْتَنَا رَحْمَةً وَعِلْمًا
كَمَثَلِ مُوسَى وَغَيْرِ مُوسَى
يَسْتَفْهِمُ اللَّهُ كُلَّ عَبْدٍ
فَقُلْ لَهُ: رَبِّ إِنَّ جُوعِي
مَنْ كُنْتُ فِيهِ أَوْ كُنْتُ مِنْهُ
فَلَا تَقُلْ لِلَّذِي أَتَانِي

(1) صلة: من الوصل وهو ضد القطع.

(2) المثنوى: المقام.

(3) انتجعتُ فلاناً: إذا قصدته وطلبته منه العطاء.

(4) التيه: التكبر.

إِنَّ غِبْتَ فِي الْعَرْبِ عَنْهُ شَمْساً
 إِنَّ أَنْتَ جَاهَدْتَ لَا تُبَالِي
 قَدْ كُنْتَ عَبْدًا فَصِرْتَ مَلِكاً
 إِنَّ كَانَ هُوَ أَنْتَ لَا تَكُنْهُ
 فَإِنْ دَعَاكَ الرَّسُولُ يَوْماً
 وَحَازِرِ الْأَمْرِ مِنْ قَرِيبٍ
 يَغْلُو بِكَ النَّهْرُ فِي أَنْجِدَارٍ
 وَإِنْ دَعَا لِلْوَصَالِ يَوْماً
 الْمَكْرُ مِنْ شِيَمَةِ الْمَوَالِي
 تَقْبِضْ عِنْدَ الرَّحِيلِ حَثْماً
 مِنْ أَغْجَبِ الْأَمْرِ أَنْ قَوْلًا
 لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَلَامٌ
 انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى
 مُلِثْتَ رُغْبًا فَازْدَدْتَ بُغْدًا
 يَا أَشْجَعَ النَّاسِ فِي نِزَالٍ
 قَدْ جَعَلَ اللَّهُ يَا حَبِيبِي

عَلَيْهِ مِنْ شَرْقِهِ طَلَعْتَ
 بِأَيِّ جَنْبٍ فِيهِ صَرَعْتَ⁽¹⁾
 لِذَاكَ وَاللَّهُ مَا انْتَفَعْتَ
 وَاحْذَرِ مِنَ الْقَرْعِ إِنْ قَرَعْتَ
 فَاغْرُغْ إِلَيْهِ إِذَا قَرَعْتَ⁽²⁾
 تَسْعَدُ فِيهِ إِذَا جَرَعْنَا⁽³⁾
 لَوْ جُرْعَةً مِنْهُ قَدْ حَرَعْنَا⁽⁴⁾
 فَأَنْتَ وَاللَّهُ مَا انْقَطَعْتَ
 لَا تَنْخَدِعْ فِيهِ إِنْ خُدَعْتَ
 عَلَى الَّذِي فِيهِ قَدْ طُيِعْتَ⁽⁵⁾
 تُجَابُ فِيهِ وَمَا سَمِعْتَ
 عَنْكَ وَلَا عَنْهُمْ انْقَطَعْتَ
 فِي أَهْلِ كَهْفٍ لَوْ أَطْلَعْتَ
 وَمَعَ هَذَا فَمَا انْدَفَعْتَ
 أَنْتَ بِتَثْبِيثِهِ شَجَعْنَا⁽⁶⁾
 بِيَدِكَ الْخَيْرَ إِنْ قَنِعْتَ

51

قال بهاء الدين زهير متعجباً من عتب الحبيب:

عَتَبَ الْحَبِيبُ وَلَمْ أَجِدْ سَبَباً لَذَاكَ الْعَتَبِ حَادِثٌ⁽⁷⁾

(1) الصرع: القتل.

(2) فزع: لجأ واستغاث.

(3) الجزع: عدم الصبر على ما ينزل من القضاء.

(4) جرع الماء: شربه.

(6) النزال: القتال وجهاً لوجه في المعركة.

(7) العتب: العتاب.

(5) الطبع: الفطرة والسجية.

وَالْيَوْمَ لِي يَوْمَانِ لَمْ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَغَيَّرْتُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ
وَبَلَدُ لِي الْعَتَبُ الَّذِي
عَثَبُ الْحَبِيبِ أَلَدُ مِنْ
مَوْلَايَ مِنْ سُكْرِ الدَّلَا
وَنَكَّثْتَ عَهْدًا فِي الْهَوَى
لَكَ لَا أَشْكُ قَضِيَّةً

أَرُهُ وَهَذَا الْيَوْمُ ثَالِثُ
مِنْهُ خَلَائِقُهُ الدَّمَائِثُ⁽¹⁾
مِمَّنْ تُغَيِّرُهُ الْحَوَادِثُ
صِدْقُ الْوَدَادِ عَلَيْهِ بَاعِثُ
نَعَمِ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِثُ⁽²⁾
لِ عَيْثُكَ وَالسَّكَرَانُ عَابِثُ
مَا خَلْتُ أَتَكَ فِيهِ نَاكِثُ⁽³⁾
أَنَا سَائِلٌ عَنْهَا وَبَاحِثُ

52

قال ابن عربي مبيناً العلاقة بين العبد وخالقه ﷺ:

إِذَا يَضِيقُ بِنَا أَمْرٌ لِيُزْعَجَنَا
بِذَاكَ خَالِقُنَا الرَّحْمَنُ عَوَّدَنَا
أَلَا تَرَى الْأَرْضَ عَنْ أَزْهَارِهَا انْفَرَجَتْ
وَالْكُونُ عَلُوٌّ وَسُفْلٌ لَيْسَ غَيْرُهُمَا
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَكْوَانِ نَعْلَمُهُ
حَتَّى الْوُجُودُ الَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُنَا
فَلَيْسَ يُوجَدُ فَرْدٌ لَيْسَ يَشْفَعُهُ
ذَاكَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا شَيْءٌ يُشَبِّهُهُ

نَصْبِرُ فَإِنَّ انْتِهَاءَ الضِّيقِ يَنْفَرِجُ⁽⁴⁾
فِي كُلِّ ضِيقٍ لَهُ قَدْ شَاءَ فَرْجٌ
كَمَا السَّمَاءُ لَهَا فِي ذَاتِهَا فَرْجٌ
وَالْأَمْرُ بَيْنَهُمَا بِالنَّصِّ مُنْدَرِجٌ
مُوَحِّدًا هُوَ فِي الْقُرْآنِ مُزْدَوِجٌ
بِمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَوْنِ يَزْدَوِجُ
شَيْءٌ سِوَى مَنْ لَهُ التَّقْسِيمُ وَالْدَّرَجُ
مِنْ خَلْقِهِ فِيهِ الْإِضْبَاحُ تَبْلِجُ⁽⁵⁾

(1) الدمائث: مفردة دمث وهو اللين اللطيف.

(2) المثاني والمثالث: من أوتار العود.

(3) نكث العهد: لم يف به.

(4) انفرج الغم: انكشف وابتعد.

(5) انبلج الصبح: أشرق وأنار.

وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَا مِثْلَ يُعَادِلُهُ
فَكَيْفَ مَنْ هُوَ مُخْتَاJ وَمُفْتَقِرٌ
فَلَا يَصِيحُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَنَّ لَنَا
الْحُبَّ شَاهِدُ عَدْلٍ فِي قَضِيَّتِنَا
هُمُ الْمَصَابِيحُ فِي الظُّلُمَاءِ إِنْ وَلَجُوا
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ
أَمَا تَرَاهَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَاكِصَةً
فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَجْهُولُ حَقِيقَتِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا فِي حُسْنِ صُورَتِهِ
قَالُوا بِعَيْنَيْهِ فِي إِبْصَارِهِ وَطَفٌ
فَمَا أَقَامُوا عَلَى حَالٍ وَمَا جَمَعُوا
هَذَا مَعَ الْخَلْقِ كَيْفَ الْحَقِّ فَاعْتَبَرُوا
وَأِنَّمَا بِمَتَابِ الْعَبْدِ يَنْتَهِجُ⁽¹⁾
إِلَى أُمُورٍ بِنَا إِنْ لَمْ يَكُنْ حَرَجٌ
حُكْمَ الْغِنَى وَلِهَذَا فِيهِ يَنْدَرُجُ
إِذَا الْخَلَائِقُ فِيمَا قُلْتُهُ مَرَجُوا⁽²⁾
كَمَا هُمُ الْعَمَى إِنْ زَالُوا وَإِنْ خَرَجُوا⁽³⁾
عِلْمًا عَقُولٌ لَمَّا فِي ذَاتِهِ دَلَجُوا⁽⁴⁾
لَمَّا رَأَتْ فَنِيَتْ فِي ذَلِكَ الْمُهَجُ⁽⁵⁾
وَفِيهِ خُلِفَ لِأَقْرَمَ لَهُمْ حُجَجُ
قَالُوا بِهِ قَرْنٌ قَالُوا بِهِ فَلَجُ
قَالُوا بِهِ كُحْلٌ قَالُوا بِهِ دَعَجُ⁽⁶⁾
عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِمْ فِيهِ وَمَا دَرَجُوا
مَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنْ نُورِهِ سُرُجُ⁽⁷⁾

53

يقول ابن الفارض واصفاً حاله مع عشقه الأبدى:

مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَخْدَاقِ وَالْمُهَجِ، أَنَا الْقَتِيلُ بِلَا إِثْمٍ، وَلَا حَرَجِ⁽⁸⁾

(1) المتاب: التوبة.

(2) عدل: ثقة لا يكذب أبداً - المَرَج: الفوضى والاضطراب والفتنة.

(3) ولجوا: دخلوا.

(4) دلجوا: ساروا من أول الليل.

(5) نكص على أعقاب: عاد مهزوماً خائباً.

(6) وطف الرجل: كثر شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء وطول - دعجت العين: اشتد سوادها وبياضها واتسعت.

(7) السرج: المصابيح، مفردا سراج.

(8) المعترك: موضع الاعتراك - الأخداق: مفردا حدقة وهي العين - المهج: مفردا مهجة وهي الروح.

عيناى من حُسنِ ذاك المنظرِ البَهجِ
 شوقاً إليك، وقلْبُ، بالغرامِ، شَجِ⁽¹⁾
 مِنَ الْجَوَى، كيدي الحرّى، من العَوَجِ⁽²⁾
 نارِ الهوى، لم أكذ أنجو من اللُّججِ⁽³⁾
 عني، تقومُ بها، عند الهوى، حُجْجي
 ولم أَقلْ جَزَعاً: يا أزمَةُ انفِرْجي⁽⁴⁾
 شُغلٌ، وكُلُّ لِسَانٍ، بالهوى لَهْجِ⁽⁵⁾
 وكلُّ جَفْنٍ، إلى الإغفاء، لم يَعْجِ⁽⁶⁾
 ولا غَرامٌ، بهِ الأشواقُ لم تَهْجِ⁽⁷⁾
 أوفى محبٌ، بما يُرضيك، مُبْتَهْجِ
 لا خيرَ في الحبِّ، إن أبقي على المُهْجِ⁽⁸⁾
 حُلُو الشَّمائِلِ، بالأرواحِ مُمْتَزِجِ⁽⁹⁾
 ما بينَ أهلِ الهوى، في أرفعِ الدَّرَجِ
 أغنَّته غُرَّتُهُ الغَراءَ عَنِ السُّرْجِ⁽¹⁰⁾
 أهدى، لعيني الهدى، صُبْحٌ من البَلَجِ
 لعارفي طيبهِ: مِن نَشْرِهِ أَرَجِي⁽¹¹⁾

وَدَعْتُ، قبل الهوى، رُوحِي، لما نَظَرْتُ
 لِلَّهِ أَجْفَانُ عَيْنٍ، فيكَ، سَاهِرَةً،
 وأضْلَعُ نَحِلْتُ كادَتْ تُقَوِّمُهَا،
 وأدْمَعُ هَمَلْتُ، لولا التَّنَفُّسُ مِن
 وَحَبَذَا فيكَ أَسْقَامُ خَفِيْتُ بها
 أَصْبَحْتُ فيكَ، كما أَمْسَيْتُ مُكْتَتِباً،
 أَهْفُو إلى كُلِّ قَلْبٍ، بالغرامِ، لَهُ
 وَكُلُّ سَمْعٍ، عن اللاحي، بِهِ صَمَمٌ؛
 لا كَانَ وَجْدٌ، بِهِ الآماقُ جَامِدَةً،
 عَذَّبَ بما شئتَ، غَيْرَ البُعْدِ عَنْكَ، تجذ
 وَخُذْ بَقِيَّةَ ما أَبْقَيْتَ مِن رَمَقٍ؛
 مَنْ لي بِإِتْلَافِ رُوحِي في هَوَى رَشَلٍ،
 مَنْ ماتَ فِيهِ غَراماً عاشَ مُرْتَقِياً،
 مُحَجَّبٌ، لو سَرَى في مِثْلِ طُرَّتِهِ،
 وَإِنْ ضَلَلْتُ بَلِيلٍ، مِنْ ذَوَائِبِهِ،
 وَإِنْ تَنَفَّسَ قالَ المِسْكُ، مُعْتَرِفاً،

(1) الشجي: الحزين.

(2) الجوى: اشتداد الوجد من عشق أو حزن - الحرى: الملتهبة.

(3) اللجج: مفردا لجة وهي معظم الماء - هملت: انسكبت.

(4) الجزع: عدم الصبر على ما نزل من القضاء.

(5) لهج: كثير الذكر.

(6) اللاحي: اللائم.

(7) الآماق: العيون أمثُل العين: طرفها الذي يلي الأنف.

(8) الرمق: ما بقي من الروح.

(9) الرشا: الغزال الصغير.

(10) الطرة: شعر مقدّم الرأس - الغراء: المضئة البيضاء - السرج: المصابيح الواحد منه سراج.

(11) الأرج: الرائحة الطيبة.

أعوام إقباله، كالיום، في قصر،
 فإن نأى سائراً، يا مُهَجَّتِي ارتحلي؛
 قل للذي لامني فيه، وعتقني:
 فاللؤم لؤم، ولم يمدح به أحد؛
 يا ساكن القلب لا تنظر إلى سكني،
 يا صاحبي، وأنا البرّ الرؤوف، وقد
 فيه خلعت عذارى، واطرحت به
 وبيض وجه غرامي في محبته؛
 تبارك الله! ما أخلى شمائله،
 يهوى لذكر اسمه، من لَج في عذلي،
 وأرحم البرق في مسراه، مُنتَسِباً
 تراه، إن غاب عني، كلُّ جارحة
 في نعمة العود والنأي الرخيم، إذا
 وفي مسارج غزلان الخماثل، في
 وفي مساقط أنداء الغمام، على
 وفي مساجب أذيال التسيم، إذا
 وفي التثامي ثغر الكاس، مُرتشفاً

ويؤم إعراضه، في الطول، كالحجج⁽¹⁾
 وإن دنا زائراً، يا مُقلتي ابتهجي!⁽²⁾
 دعني وشأني، وعُد عن نُضحك السمج⁽³⁾
 وهل رأيت مُحبّاً بالغرام هُجي؟
 وازبح فؤادك، واحذر فتنة الدعج⁽⁴⁾
 بذلت نُضحى، بذاك الحي لا تُعج
 قبول نُسكي، والمقبول من حججي⁽⁵⁾
 واسود وجه ملامي فيه بالحجج
 فكم أماتت وأخيت فيه من مُهج
 سمعي، وإن كان عذلي فيه لم يلج⁽⁶⁾
 لشغره، وهو مُستخى من الفلج
 في كل معنى لطيف، رائق، بهج
 تألفا بين الحان من الهزج⁽⁷⁾
 بزد الأصائل، والإصباح في البلج⁽⁸⁾
 بساط نور، من الأزهار مُنتسج
 أهدى إليّ، سُحيراً، أطيّب الأرج⁽⁹⁾
 ريق المُدامة، في مُستنزه فرج⁽¹⁰⁾

(1) الحجج: مفردا حجة وهي السنة.

(2) المقلة: العين.

(3) السمج: الغليظ القبيح.

(4) الدعج: شدة السواد واليباض في العين مع اتساعها.

(5) خلع العذار: انهمك في الغي والضلال ولم يستح.

(6) لَج: أكثر وألح - يلج: يدخل.

(7) الهزج: كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب.

(8) الخماثل: واحدتها خميلة: كل موضع كثر فيه الشجر الملفت الذي لا يرى فيه شيء إذا وقع في وسطه.

(9) سحيراً: وقت السحر.

(10) التثامي: تقيلي - فرج: مُتسِع يشرح النفس.

وخاطري، أين كنا، غير مُنزعج
 بدا، فمُنعرَجُ الجرعاء مُنعرَجِي⁽¹⁾
 بسيرهم في صباح، منك، مُنبَلج
 هم أهل بدر، فلا يخشون من حرج
 بأضلعي، طاعة للوجد، من وهج⁽²⁾
 ومقلّة، من نجيع الدمع، في لجج⁽³⁾
 إلى خداع تمني الوعد بالفرج
 وامنن عليّ بشرح الصدر من حرج
 قول المُبشّر، بعد اليأس، بالفرج
 دُكرت ثم، على ما فيك من عوج

لم أدر ما غربة الأوطان، وهو معي،
 فالدار داري، وحبي حاضر، ومتى
 ليهن ركب سراً ليلاً، وأنت بهم،
 فليضن الركب ما شاؤوا بأنفسهم؛
 بحق عصياني الأحي عليك، وما
 أنظر إلى كبد ذابت عليك جوى،
 وارحم تعثر آمالي، ومُرّتجعي
 واعطف على ذل أطماعي بهلّ وعسى،
 أهلاً بما لم أكن أهلاً لموقعه،
 لك البشارة، فاخلع ما عليك، فقد

54

قال ابن نباتة مادحاً تاج الدين:

واشقتني بنعيم الملمس العاجي⁽⁴⁾
 لا شيء أهلك لي من طرفه الساجي⁽⁵⁾
 ونلاه من عارض للدمع نجاج⁽⁶⁾
 فما أظنك من سيل البكى ناجي
 سراج خد على الأكباد وهاج

واحيلتني بظلام الطرة الداجي
 ويا ضلال رشادي في هوى صنم
 يشج ماء دموعي خط عارضه
 إنها عدولي وباعد فيه عن بصري
 قد أسرج الحسنى خديّه فدونك ذا

(1) المنعرج: هو المكان الذي يلتوي فيه الوادي - الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل.

(2) الوجد: شدة الحب.

(3) النجيع: الدم.

(4) الطرة: ما تلا الجبين من الشعر - الداجي: الأسود، المظلم.

(5) الطرف: العين - الساجي: الساكن الذي فيه فتور مستحسن.

(6) يشج: يسيل وينصب - العارض: صفحة الخد والعنق.

طرفُ الهوى بعد إلجام وإسراج⁽¹⁾
 شَذَرَ القلائدِ واهِدِ الدُّرَّ للتاجِ⁽²⁾
 والفارجِ الحالِ منَّا بعدَ إزْتاجِ
 كأنَّهُ زَبْدٌ من فوقِ أمْواجِ
 بِعَذْلِهِ بَعْدَ إِزْهَابِ وإِزْهَاجِ
 كَوَاكِبُ تتجَلَّى بينَ أبراجِ
 للمالِ مجرٍ وللغماءِ فَرَّاجُ⁽³⁾
 لِكِنَّهُ هَدَفٌ للطالبِ الرَّاجي
 محرِّكٌ لسُكُونِ الخلقِ مِزْعَاجِ⁽⁴⁾
 وَلَا رُقُومَ المعاني أيَّ نَسَاجِ
 مرادٌ قصْدٌ إليه يَلتجى اللَّاجي
 منهاجٌ فضلٍ بريءِ الفضلِ من هاجي
 لحالتي بينَ طَاعُونٍ وَحَجَّاجِ⁽⁵⁾
 وَذَا وَرَفْدًا يُنادِي كلَّ محتاجِ⁽⁶⁾
 لِبِسْتُ بُرْدِي واستمَرَزْتُ أَذْرَاجِي
 وَبَدَّلْتُ حُزْنَ أَفْكَارِي بِأَبْهَاجِ⁽⁷⁾
 أَنِّي من السَّيْلِ فِي أَبْوَابهِ ناجي
 جَوَاهِرًا من حُلَاهُ بَيْنَ إدراجِ
 ذَكَرَ اسْمِهِ فَهُوَ رَبُّ الْمُلْكِ وَالتَّاجِ

وَأَلْجِمِ الْعَذْلَ وَارْكُضْ فِي مُحَبَّتِهِ
 وَقَسِّمِ الشَّعْرَ فَاجْعَلْ فِي مُحَاسِنِهِ
 الْوَاصِلِ الْجُودَ فِينَا غَيْرَ مَنْقَطِعِ
 بَحْرٌ تَرَى الْمَالَ سَارٍ مِنْ أُنَامِلِهِ
 وَأَضْبَحَتْ هَذِهِ الْأَفَاقُ أَمْنَةً
 كَأَنَّ أَرَاءَهُ بَيْنَ الدِّيَارِ بِهَا
 فِي كَفِّهِ قَلَمٌ نَاهِيكَ مِنْ قَلَمِ
 سَهْمٍ لِمَنْ رَامَ تَنْفِيذَ الْأُمُورِ بِهِ
 إِذَا انْتَحَى الْأَمْرُ فَانْظُرْ فِي الطُّرُوسِ إِلَى
 لَا يَعْدَمُ الْفَضْلُ مِنْهُ أَيُّ مَتَجِرِ
 يَا قَالَةَ الشَّعْرِ فِي الْأَقْطَارِ طَالِبَةَ
 سَعِيًّا لِأَبْوَابِ تَاجِ الدِّينِ إِنَّ لَهَا
 يَمَّمْتُهُ وَالْعَلَا وَالْفَقْرُ قَدْ جَمَعَا
 مَجَابُوا مِنْهُ فِي سَرٍّ وَفِي عَلَنٍ
 لَمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الْأُولَى فَأَسْمَعَنِي
 فَاسْتَقْبَلَتْ جَذَبَ أَخْوَالِي غَمَائِمُهُ
 وَتَابَعَ الرَّفْدَ حَتَّى مَا ظَنَنْتُ إِذَا
 ذَاكَ الَّذِي يَحْمِلُ الْمَهْدِي مَذَائِحَهُ
 مَلَكْتُ شِعْرِي عَلَى الْأَشْعَارِ حِينَ حَوَى

(1) ألجم الخيل: وضع اللجام لها، أسرج الخيل: وضع عليها السرج.

(2) الدُّرُّ: اللؤلؤ.

(3) الغماء: الغم والهم.

(4) الطروس: الصحف أو الكتب، مفردها طرس.

(5) يممته: قصده واتجهت إليه.

(6) الرفد: العطاء.

(7) الجهدب: من أجذب المرعى إذا حلَّ به القحط والجفاف.

قالت عائشة الباعونية في مديحه ﷺ :

عَبِيرُ الثَّنَا فِي الْخَافِقِينَ يَفُوحُ
بِإِجَادِ مَنْ لَوْلَاهُ مَا كَانَ كَائِنٌ
وَلَا حَنٌّ مَشْتَاقٌ وَلَا أَنَّ وَالِيَهُ
وَلَا ذَكَرُوا سَلْعًا وَلَا قَصَدُوا حِمَى
نَبِيٍّ لَهُ الْفَتْحُ الْمَبِينُ وَكَمْ أَتَى
وَجِيهَهُ بَعْرُشِ اللَّهِ فِي رَقْمِ اسْمِهِ
وَحَسْبُكَ مِنْ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ أَنَّهُ
وَأَكْرَمَ فِي ذَاكَ التَّدَانِي بِرَتَبَةٍ
مَقَامٌ يَلُودُ الْعَارِفُونَ بِظَلِّهِ
وَمَاذَا عَسَى أَحْصَيْنِي وَبَحْرُ اخْتِصَاصِهِ
وَكُلُّ كِتَابٍ مَنْزِلٍ فِيهِ ذِكْرُهُ
بِتَفْضِيلِهِ التَّوْرَةُ جَاءَتْ وَكَمْ أَتَتْ
وَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صِفَاتُ كَمَالِهِ
وَأَدَمُ مُذْ أَضْحَى بِهِ مَتَوَسَّلًا
وَنَجَّى مِنَ النَّارِ الْخَلِيلَ لِأَجَلِهِ
وَكَمْ بِشَرٍّ بِالمِصْطَفَى قَدْ تَتَابَعَتْ
وَكَمْ أَضْحَتْ الْأَحْبَارُ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ
وَكَمْ أَنْشَأَ الْكُفَّانُ سَجْعًا بَعْدَهُ

وَبَشَّرُ الْهَنَا فِي الْكَائِنَاتِ يَلُوحُ⁽¹⁾
وَلَا عَلِمَتْ نَفْسٌ وَلَا نَعِمَتْ رَوْحُ
تُضَاجِعُهُ نَارُ الْجَوَى فَيَصْنُحُ⁽²⁾
بِهِ لَخْتَامِ الْمُرْسَلِينَ ضَرِيحُ⁽³⁾
عَلَى يَدِهِ بِالْبَيِّنَاتِ فُتُوحُ
دَلِيلٌ عَلَى التَّخْصِيصِ فِيهِ وَضُوحُ
دَنَى وَتَدَلَّى وَالثَّبَاتُ رَجِيحُ
تَأَخَّرَ عَنْ عَلَيْهِ مَذْخِلُهَا الرُّوحُ
فِيرْجُحُ حَظٌّ أَوْ يَطِيبُ جَرِيحُ
مَحِيطٌ وَبَرُّ الْقَوْلِ فِيهِ فَسِيحُ
وَكُلُّ نَبِيٍّ بِالمَدِيحِ فَصِيحُ
بِإِنْجِيلِ عَيْسَى فِي الْبَيَانِ شَرُوحُ
تَوَالَتْ وَبُرْهَانُ الْكَمَالِ صَحِيحُ
أَجِيبَ دَاوُدَ وَمِنْ قَبْلِهِ نُوحُ
وَاسْعَفَ مَنَّا بِالْفِدَاءِ ذَبِيحُ
وَأَفْصَحُهُمْ نُطْقًا بِتِلْكَ مَسِيحُ⁽⁴⁾
وَتَعَرَّبُ عَنْ مَجْدِ الْعُلَا وَتَبُوحُ
وَأَبْدَعَ شَقُّ فِي الْحَلِي وَسَطِيحُ

(1) الثنا: الثناء وهو المدح - الخافقين: المشرق والمغرب - البشر: وضاعة الوجه مع سرور.

(2) الجوى: اشتداد الوجد من العشق.

(3) سلع: موضع قرب المدينة - الضريح: القبر.

(4) بشر: قصدت بشائر.

لَعَمْرِي هَذَا الْمَجْدُ مَجْدٌ بِجَاهِهِ يُلَاذُ وَفِي قَلْبِي إِلَيْهِ رُكُوحُ⁽¹⁾
لَأَحْمَدَ طَهَ النُّورِ يَاسِينُ مَنْ أَتَى بِئُونٍ مِنَ الرَّحْمَنِ فِيهِ مَدِيحُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَرْقَى إِلَى ذُرْوَةِ الْعُلَا وَيَشْمَلُ فَيْضُ لِلْحَجَابِ يَزِيحُ⁽²⁾
تَمَسَّكَ بِهِ وَافَنِي غَرَاماً بِحَبِّهِ فَإِنَّ التَّفَانِي فِي الْمَلِيحِ مَلِيحُ⁽³⁾
عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْلَى أَجَلُ صَلَاتِهِ صَلَاةٌ بِهَا نَشْرُ الْقَبُولِ يَفُوحُ⁽⁴⁾
مَدَى الدَّهْرِ مَا دَامَتْ كُؤُوسُ بَرَاخَةِ جَمَالِيَّةٌ تَنْفِي الْعَنَا وَتُرِيحُ⁽⁵⁾

56

قال التلعفري^(*) شاكياً حرقة الجوى ولوعة الفراق:

لَوْلَا بَرُوقُ بِالْعَقِيقِ تَلُوحُ تَغْدُو عَلَى عَذَبَاتِهِ وَتَرُوحُ⁽⁶⁾
مَا زَادَ قَلْبِي لَوْعَةً كَلَاءً وَلَا أَدْمَى حُدُودِي دَمْعِي الْمَسْفُوحُ⁽⁷⁾
وَيْحَ الصَّبَا، حَتَّى أَمَّ يُذَكِّرُنِي الصَّبَا؟ مِنْهَا نَسِيمٌ كَالْعَبِيرِ يَفُوحُ⁽⁸⁾

(1) الركوح: الركون والإنابة.

(2) ذروة الشيء: أعلاه.

(3) المليح: الجميل.

(4) النَّشْر: الطَّيْب.

(5) راحة الكف: باطنها - العنا: العناء.

(*) التلعفري 593-675هـ/ 1197-1277م هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري. وُلِدَ فِي الْمَوْصِلِ، وَاتَّصَلَ بِالْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى صَاحِبِ الْعِرَاقِ وَحَظِي عِنْدَهُ، وَلَكِنْ كَانَ مُوَلَّعاً بِالْقَمَارِ فَطَرَدَهُ الْأَشْرَفُ. فَذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ الْعَزِيزِ غِيَاثِ الدِّينِ أَبِي الْمَظْفَرِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ حَلَبَ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ حَلَبَ لِلْعَلَّةِ نَفْسَهَا فَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ. وَيَبْدُو أَنَّهُ زَارَ الْقَاهِرَةَ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ فَلَمْ يَحْمَدِ الْإِقَامَةَ فِيهَا فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ يَسْتَجِدِّي وَيَقَامِرُ. وَفِي آخِرِ أَيَّامِهِ ذَهَبَ إِلَى حِمَاةٍ وَنَادَمَ صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ الثَّانِي سَيْفَ الدِّينِ مُحَمَّدًا إِلَى أَنْ تَوَفَّى هُنَاكَ.

التلعفري شاعر رقيق أكثر شعره الغزل والنسيب والخمر، وله مديحٌ ووصف، وله أيضاً موشحات.

(6) العقيق: اسم وادٍ. عذبات: واحده عذبة نوع من الشجر.

(7) اللوعة: حرقة في القلب - المسفوح: المسكوب.

(8) الصَّبَا: ريح تهب من المشرق - الصَّبَا: الصغر والحدأة.

- خَطَرْتُ، وقد أهدى لنا مِنْهَا الشَّدَا
يَا أَهْلَ وَدِّيَ يَوْمَ كَاطِمَةِ أَمَا
سِرْتُمْ وَأَسْرَزْتُمْ بِقَلْبِي مُهْجَةً
أَظْمَعْتُمُونِي فِي الْوِصَالِ وَلَيْسَ لِي
هَذِي الْجَفُونُ، وَإِنَّمَا أَيْنَ الْكَرَى
عَارُ الْغُويرِ وَرَنْدُهُ وَالشَّيْخُ⁽¹⁾
عَنْ وَضَلِكُمْ صَبْرِي الْجَمِيلُ قَبِيحُ
أودى بِهَا التَّقْرِينُ والتَّبْرِينُ⁽²⁾
إِلَّا صُدُودٌ مِنْكُمْ وَنُزُوحُ⁽³⁾
مِنْهَا؟ وَهَذَا الْجِسْمُ، أَيْنَ الرُّوحُ؟⁽⁴⁾

57

قال صفي الدين الحلي مظهراً مدى تفوقه في الحب ومعرفته دروب العشق وأشكاله:

- خَلِيلِي مَا أَغْبَى الْمُغَالِينَ فِي الْهَوَى،
يَظُنُّونَ أَنَّ الْحُسْنَ بِالْعَيْنِ مُدْرَكُ،
وَلَيْسَ طُمُوحُ النَّاظِرِينَ بِمُبْصِرٍ،
فَلَيْسَ جَمِيلٌ فِي الْهَوَى وَكَثِيرٌ
بَاعَرَفَ مَنِّي لِلْمِلَاحِ تَوَسَّماً،
وَأَيُّ لَبِيبٍ مَا سَبَى الْحُسْنَ لُبَّهُ،
إِذَا مَا خَلَا الْقَلْبُ الصَّحِيحُ مِنَ الْهَوَى
وَأَغْفَلَهُمْ عَنْ حُسْنِ كُلِّ مَلِيحٍ⁽⁵⁾
وَسَرَّ الْهَوَى بِأَدِّ لِكُلِّ لُمُوحٍ
إِذَا كَانَ لِحَظِّ الْقَلْبِ غَيْرَ طُمُوحٍ⁽⁶⁾
وَلَا عُروَةُ الْعَذْرَى وَابْنُ ذَرِيحٍ⁽⁷⁾
وَلَا جَنَحُوا لِلْعَشْقِ بَعْضَ جَنُوحِي⁽⁸⁾
قَبَاتَ بِقَلْبٍ بِالْغَرَامِ قَرِيحٍ⁽⁹⁾
عَلِمْتُ بِأَنَّ الْعَقْلَ غَيْرُ صَحِيحٍ

(1) الغوير والرند والشَّيْخ: نباتات.

(2) المهجة: الروح - التبريح: الأذى والشدة.

(3) الصدود: المنع والجفاء.

(4) الكرى: النوم.

(5) المغالين: المبالغين.

(6) طموح: نقول طمح إلى الشيء إذا نظر إليه.

(7) يريد جميل بئينة وكثير عزة وعروة بن حزام وقيس بن ذريح.

(8) الجنوح: نقول جنح نحو الشيء، مال إليه بشدة وعنف.

(9) اللب: العقل - القريح: الجريح.

قال ابن نباتة يرثي الملك الأفضل :

ففي كل بيتٍ للثنا صوتٌ نائحٍ
بأهل الرِّجَا والقَضْدِ أيدي الطَّوائِحِ⁽¹⁾
عَلِمْنَا بَأَنَّ الشُّهْبَ تَحْتَ الصَّفَائِحِ⁽²⁾
بدمعٍ كَجَذَوَاهُمْ عَلَى النَّاسِ طَائِفِ⁽³⁾
قَرِيضٌ لَشَادٍ أَوْ سُرُورٌ لِفَارِحِ⁽⁴⁾
تَشَبُّ الْعَلَى نَارُ الْقَرَى وَالْقَرَائِحِ
وَعَمَّرَ بِالْعَلِيَّاءِ رَسُومَ الضَّرَائِحِ
لَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ بَيُوتُ الْمَدَائِحِ
يَذْكُرُنِي عَهْدَ الْإِيَادِي السَّوَائِحِ
وَصَارَ حِمَامُ الْأَيْكَ فِي الطَّيْرِ جَارِحِي⁽⁵⁾
فِيَا لِلْأَسَى مِنْ فَادِحٍ بَعْدَ فَادِحِ
بِكَاءٍ وَلَا إِنْسَانُ قَوْلٍ بِكَادِحِ⁽⁶⁾
سَنَا شَيْمٍ مَا فِيهِ قَوْلٌ لِقَادِحِ
لَدَى الْبَابِ يَشْدُو وَبِالْثَّنَا شَدَوْ صَادِحِ
بَنُوحٍ فَقَدْ أَقْوَتْ رُبُوعُ الْمَنَائِحِ⁽⁷⁾

بَكَى الشَّعْرُ أَيَّامَ الْمَنَى وَالْمَنَائِحِ
وَعَاضَتْ بِحُورِ الْمَكْرُمَاتِ وَطَوَّحَتْ
وَلَمَّا ادْلَهَمَّتْ صَفْحَةُ الْأَفْقِ بِالْأَسَى
حَيَا الْمَزْنَ أَسْعَدَنِي عَلَى فَقْدِ سَادَةِ
أَبْعَدَ بَنِي شَادٍ وَقَدْ سَكُنُوا الثَّرَى
أَبْعَدَ مُلُوكِ الْعِلْمِ وَالْبَاسِ وَالنَّدَى
أَمَّا وَالَّذِي أَخْلَى حِمَى الْمَلِكِ مِنْهُمْ
لَنْ أَرْحَشُوا مِنْهُمْ بَيُوتَ مَقَامِهِمْ
يُجْرُحُ قَلْبِي بَعْدَهُمْ صَوْتُ سَاجِعِ
فِيَا فَرَحَ ضَعْفِي حَيْثُ صِرْتَ فَرِيَسَةً
تَلَا فَقْدُ إِسْمَاعِيلَ فَقْدُ مُحَمَّدٍ
وَزَالَا فَمَا إِنْسَانُ عَيْنِي بِمُفْسِكِ
كَأَنَّ زِنَادَ الْفَضْلِ لَمْ يُورِ مِنْهُمَا
كَأَنَّ لَمْ يَقُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ مُطَوَّقُ
خُذِ الزَّادَ يَا ضَيْفَ الْمَكَارِمِ وَارْتَحِلْ

(1) غاضت: قلَّ ماؤها وجفَّت - طَوَّحَتْ: أهلكت.

(2) ادلهمت: أظلمت.

(3) الحيا: المطر - المزن: الغيوم.

(4) القريض: الشعر.

(5) الأيك: نوع من الشجر يُستاك به.

(6) إنسان العين: ناظرها.

(7) أقوت: خلَّت.

نَزَحْتَ دُمُوعاً أَوْ نَزَحْتَ رَكَائِباً
 بِرُوحِي دِيَارُ الْفَضْلِ صَوِّحْ رَوْضَهَا
 بِرُوحِي غَرِيبُ الدَّارِ وَالنَّعَشُ عَائِدُ
 بِرُوحِي نَظِيرُ الْعُصْنِ فِي دَوْحَةِ الْعُلَى
 رَمَى قَرَعُهُ مِنْ بَعْدِ مَا مَدَّ ظِلَّهُ
 وَجَمَّلَ دُنْيَانَا بَبْثَ جَمِيلَةٍ
 وَسَاسَ رَعَايَا أَرْضِهِ وَأَطَاعَهُ
 وَأَعْطَى عَطَاءَ الشُّحْبِ فِي حَالِ عُسْرَةٍ
 وَزَاوَجَ بَيْنَ الْجِلْمِ وَالْبَاسِ مُلْكُهُ
 وَرَثَلَ مِنْ أَسْلَافِهِ سُورَ الْعُلَى
 وَقَامَ إِلَى جَمْعِ الْمُحَامِدِ طَامِحاً
 وَوَالَّاهُ مَا نَقَضِي حُقُوقَ مُحَمَّدٍ
 وَلَوْ أَمَكْنَ الْغَيْثُ الْفَدَى بُولِيهِ
 وَرَدَّ الرَّدَى عَنْ فَائِضِ الْبِرِّ عِنْدَهُ
 هُوَ الْمَوْتُ لَوْ يَثْنِيهِ بِأَسْ وَنَائِلُ
 هُوَ الْمَوْتُ مَا يُعْيِيهِ ثَاوٍ بِمَغْفَلٍ
 وَلَا أَسَدٌ يَرْنُو بِأَحْمَرَ أَجْزَرٍ
 وَلَا أَسَدُ الْأَبْرَاجِ فِي الشُّهْبِ كَاسِراً
 كَفَى بَبْنِي أُيُوبَ لِلنَّاسِ وَاعْظاً
 فَلَلَّهُ فِي الْحَالِينِ حَسْرَةٌ نَازِحٌ⁽¹⁾
 كَأَنْ لَمْ يَجِبْ فِيهَا الْمَنَى صَوْتُ صَاحِ
 إِلَى أَرْضِهِ الشُّكْلَى غَرِيبَ النَّوَائِحِ
 رَمَاهُ فَأَوْدَاهُ الزَّمَانُ بِبَارِحِ
 عَلَى كُلِّ غَادٍ مِ الْعُفَاةِ وَرَائِحِ⁽²⁾
 وَغَطَّى عَلَى مَكْرُوهِهَا وَالْقَبَائِحِ
 عَلَى جَانِبِ الْعَاصِي هَوَى كُلِّ جَامِحِ
 تَقُومُ بِأَعْذَارِ النَّفُوسِ الشَّحَائِحِ⁽³⁾
 فَمَنْ أَعْزَلَ مِثْلَ السَّمَاءِ وَرَامِحِ⁽⁴⁾
 خَوَاتِمُهَا مُوصُولَةٌ بِالْفَوَائِحِ⁽⁵⁾
 فَوَاللَّهِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ عِزُّ طَامِحِ
 إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْهِ بِصَالِحِ
 فَدَى صَالِحاً مِنْ آلِ شَادٍ بِطَالِحِ
 أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سِرْحُ سَائِحِ
 ثَنَتْهُ سَجَايَا كَفَّهِ فِي الْجَوَانِحِ⁽⁶⁾
 وَلَا وَاصِلٍ فِي النَّبَذِ مِنْ خَطْوِ سَابِحِ⁽⁷⁾
 تَكَادُ بِهِ تُشَوَى لِحُومِ الذَّبَائِحِ
 بِتَكَرُّرِهَا سُرَّتْ نَفُوسُ الصَّحَائِحِ
 وَإِنْ صَمَتَتْ أَفْوَاهُهُمْ فِي الضَّرَائِحِ⁽⁸⁾

(1) الركائب: الإبل التي تحمل المسافرين أو أغراضهم.

(2) العفاة: ذوي الحاجات والمطالب. (3) الشحائح: البخيلة.

(4) السماء: نجم - الرامح: الذي يتسلح بالرمح.

(5) أسلافه: أجداده.

(6) النائل: العطاء - السجايا: الصفات والعادات والطباع.

(7) ثاو: مقيم.

(8) الضرائح: جمع ضريح: وهو القبر.

ومَرَقَى المَنَايَا نَحْوَ آفَاقِ عَرْشِهِمْ وَمَا كَانَ يَرْقَى نَحْوَهَا طَرْفَ طَامِحِ
سَلَامٌ عَلَى جَنَاتِ أَجْدَائِهِمْ وَلَا سَلَامٌ لِنَارِ الْحَزَنِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ⁽¹⁾

59

قال صفي الدين الحلبي يمدح الملك الصالح:

أَهْلًا بِشُھَبٍ عِنْدَ إِشْرَاقِهَا يُجَلَى الدُّجَى مِنْ نُورِهَا الْوَاضِحِ⁽²⁾
يَنْضَبُ بِحَرِّ اللَّيْلِ، إِذْ تَغْتَدِي نَاهِلَةً مِنْ لُجَّةِ الطَّافِحِ⁽³⁾
كَأَنَّمَا إِيْمَاضُهَا عَزَمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ⁽⁴⁾
مَلَكٌ يَظَلُّ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ مُقْتَبِسًا مِنْ رَأْيِهِ الْقَادِحِ
وَمَنْ غَدَا سَائِحُ إِنْْعَامِهِ يَمْلَأُ قَلْبَ الْأَمَلِ السَّانِحِ⁽⁵⁾
لَا بَرَحَتْ رُتَبُهُ سُلْطَانِهِ تَسْمُو عَلَى الْأَعْزَلِ وَالرَّامِحِ⁽⁶⁾

60

قال ابن مطروح مهذِّداً وساخراً من الملك لويس التاسع عندما سمع أنه يريد العودة لغزو مصر بعد أن فدى نفسه من الأسر وعاد إلى بلاده:

قُلْ لِلْفَرَنْسِيِّسِ إِذَا جِئْتُهُ مَقَالَ صَدَقٍ مِنْ قَوْلٍ فَصِيحٍ⁽⁷⁾
أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى مِنْ قَتْلِ عُبَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ⁽⁸⁾

(1) الأجدات: جمع جدت وهو القبر أيضاً.

(2) الدُّجَى: الظلام.

(3) ينضب: ينفد - اللَّجَّة: معظم الماء.

(4) إِيْمَاضُهَا: ضوؤها ولَمعانها.

(5) إِنْْعَامِهِ: كرمه وعطائه.

(6) الرامح: المتسلح بالرمح.

(7) الفرنسييس: يقصد الملك نفسه.

(8) أجرك: أثابك.

قد جئت مصرأ تبتغي أخذها
فسألك الحين إلى أذهم
رُخت، وأصحابك أودعتهم
خمسون ألفاً لا يرى منهم
ألهمك الله إلى مثلها
إن كان بابائكم راضياً
فاتخذوه كاهناً إنه
وقل لهم إن أضمرُوا عَوْدَةً
دار ابن لُفمان على عهدهما

تحسب أن الزمر، يا طبل، ريخ
ضاق به عن ناظرينك الفسيخ⁽¹⁾
يقبح أفعالك بطن الضريح⁽²⁾
إلا قتيل أو أسير جريح
لعل عيسى منكم يستريح
قرب غبن قد أتى من نصيح⁽³⁾
أنصح من شق لكم أو سطيخ⁽⁴⁾
لأخذ نار أو لقضد صحيح⁽⁵⁾
والقيد باقي والطواشي صبيخ⁽⁶⁾

61

قالت عائشة الباعونية في مدح النبي ﷺ معددة بعض ما مُنح من الهبات:

وماذا عسى أحصيه من اختصاصه
وأنى الثنا والله جلّ جلاله
وكل كمال دون رتبة منجده
له الغاية اللاتي يلاذ بجاهها
حواها وأضحى بالملك مملكا
به لذت في أمري وفزت بما أشا

وذلك شيء ليس يحصره العد
على عبده أثنى فهل بعد ذا حمد
وكل عطاء فهو من فيضه مد
ويطلب من تلقائها الوهب والرفد⁽⁷⁾
وخاصة رسل الله قاطبة جند
ومن فيضه قد عمي الجبر والسعد

(1) الحين: القدر المهلك

(2) الضريح: القبر.

(3) بابكم: أي البابا وكبير رجال الدين عندهم - غبن: ظلم.

(4) شق وسطيخ: من كُهان العرب في الجاهلية.

(5) أضمر الشيء: خبأه في نفسه.

(6) الطواشي: نقول: طوُش فلان فلاناً، إذا خصاه وجب ذكره.

(7) الرفد: الإمداد والعطاء.

لَدَيْهِ مَقَامِي وَاسْتَنَائِي بِهِدِيهِ
عَلَيْهِ صَلَاةٌ لَا انْتِهَاءَ لِصَلَاتِهَا
وَأَلِّ وَأَصْحَابِ كِرَامٍ أَعَزَّةٌ
مَدَى الدَّهْرِ مَا هَبَّ النِّسِيمُ بِرَوْضَةٍ
وَمَا سَجَعَتْ فَوْقَ الْأَرَاكِ حَمَامَةٌ
سَبِيلِي وَوَجْدِي فِي مَحَبَّتِهِ جَدُّ⁽¹⁾
وَأَزْكَى سَلَامٍ لَا يَحِيطُ بِهِ حَدُّ⁽²⁾
لَهُمْ ثَبَتَ التَّفْضِيلُ وَاتَّضَحَ الْمَجْدُ
تَمَائِلَ فِيهَا الْبَانُ وَابْتَسَمَ الْوَرْدُ
وَهَاجَتْ تَبَارِيحُ الْهَوَى وَنَمَا الْوَجْدُ⁽³⁾

62

قال ابن نباتة يمدح الشهاب محمود ويستدرّ عطاءه:

فِي الرِّيقِ سُكْرٌ وَفِي الْأَصْدَاغِ تَجْعِيدُ
الرَّاحِ رَيْقَةٌ مَن أَهْوَى وَلَا عَجَبُ
تَأْتِي عَلَى أَبْلَقِ الْحَاظِ مُقْلَتِهِ
مَا أَعْجَبَ الْحَبَّ يَلْقَانِي بِسَفْكِ دَمِي
كَأَنَّهُ صَنَمٌ فِي الْحَبِّ مَتَّبِعُ
ظِلُّ الذَّوَائِبِ مَمْدُودٌ بِقَامَتِهِ
كَأَنَّ تِلْكَ اللَّالِي فِي مُقْبَلِهِ
النَّافِثُ السِّحْرَ الْفَاطَاً مُحَلَّلُهُ
وَالْمَقْتَفِي أَمَدَ الْعِلْيَاءِ فِي طُرُقِ
هَٰذَا الْمَدَامُ وَهَاتِيكَ الْعَنَايِدُ⁽⁴⁾
إِنْ رَاحَ وَهَوَى عَلَى الْعَشَاقِ عَرِيدُ⁽⁵⁾
فَهُنَّ بَيَاضٌ وَفِي أَحْشَائِنَا سُودُ⁽⁶⁾
عَلَى النَّقَا وَهَوَى مَحْبُوبٌ وَمُودُودُ
هَٰذَا وَمَا فِيهِ إِلَّا الْقَلْبُ جُلْمُودُ⁽⁷⁾
لِلنَّاطِرِينَ وَطَلَعُ الشَّغْرِ مَنْضُودُ⁽⁸⁾
مِمَّا يُنْظَمُ فِي الْقِرْطَاسِ مَحْمُودُ⁽⁹⁾
وَكُلُّ لَفْظٍ بَلِيغٍ عَنْهُ مَعْقُودُ
ظَرْفُ الْبُرُوقِ بِهَا تَعْبَانُ مَكْدُودُ

(1) استنائي: استنارتي - الوجد: الحب.

(2) لا انتها: لا انتهاء.

(3) سجعت: صوتت ورددت - الأراك: شجر يُستاك به - تباريح الهوى من التبريح، وهو الشدة والإجهاذ والأذى.

(4) الأصداغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن - وقصد ما فوقه من شعر.

(5) ريقة: ريق - العريد: الذي يرتكب الحماقات وهو في حالة سكر.

(6) الأبلق: الذي فيه سواد وبياض.

(7) الجلمود: الصخرة.

(8) الطلع: غلاف يفتح عن حب منضود فيه مادة: إخصاب النخلة - منضود: منظم.

(9) المقبل: الفم.

لَهُ إِلَى السَّبْقِ تَقْرِيبٌ يَفُوتُ بِهِ
تَفَرَّدَتْ بِمَعَانِيهِ بَرَاعَتُهُ
نَاهِيكَ سَهْمًا تُسْمِيهِ الْوَرَى قَلَمًا
حُرُوفُهُ مَعَ وَرْقِ الدَّوْحِ سَاجِعَةٌ
تَصِيدُ الْمَلِكُ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ بِهِ
فِي كَفِّ يَقْظَانٍ لَا فِي الْقَوْلِ مَمْتَنِعٌ
لَهُ عَلَى الرَّأْيِ تَنْقِيبٌ وَمُطْلَعٌ
يَا سَيِّدًا لِمُؤَالِيهِ وَقَاصِدِهِ
نَاشِئُكَ اللَّهَ فِي وَدِّ عَنِيتِ بِهِ
رَاجِعٌ يَقِينُكَ فِي وَدِّي وَدَعْ عَصَبًا
وَارِدُذُ مَقَالٍ عِدَاةٍ لَا اعْتِبَارَ بِهِ
لَهُمْ بِذِكْرِي أَضْغَانٌ مُنَاقِضَةٌ
حَاشَا ثَبَاتِكَ مِنْ إِيْلَامِ قَلْبٍ فَتَى
لِي مِنْ مَبَادِيءِ عُمْرِي فَيْكَ قَرُطٌ وَلَا
فَهْلُ أَضْلُ وَجَنُحُ الشَّيْبِ مَتَّضِحٌ
إِنْ كُنْتُ أَظْهَرُ وَدًّا لَسْتُ أَضْمِرُهُ
كُنْ كَيْفَمَا شِئْتَ مِنْ صَدٍّ وَمَنْ عَظْفٍ
فَلَسْتُ أَكْرَهُ شَيْئًا أَنْتَ صَانِعُهُ

وَفِي مَدَاهُ عَلَى الْبَاغِينَ تَبْعِيدُ
فَاعْجَبْ لِعُضْنٍ لَهُ كَالْوَرَقِ تَغْرِيدُ⁽¹⁾
لَهُ إِلَى غَرَضِ الْعَلْيَاءِ تَسْدِيدُ
وَعِغْرُهَا مَعَ دُودِ الْقَرْ مُعْدُودُ⁽²⁾
إِنَّ الْمَلُوكَ عَلَى عِلَاتِهَا صِيدُ
إِذَا أَرَادَ وَلَا فِي الْفِكْرِ تَرِيدُ
وَفِي الْمَقَاصِدِ تَصَوِّبُ وَتَصْعِيدُ
فِي الْوَدِّ عَطْفٌ وَفِي الْإِحْسَانِ تَوْكِيدُ
شَطْرًا مِنَ الْعَمْرِ لَا يَأْلُوهُ مَجْهُودُ
لِرَأْيِهِمْ فِي اقْتِرَابِي مِنْكَ تَبْعِيدُ
إِنَّ الرَّدِيءَ عَلَى أَهْلِيهِ مَرْدُودُ
فِي الْقَلْبِ وَقَدْ وَفَى التَّحْرِيشِ تَبْرِيدُ
مَا فِيهِ إِلَّا مُوَالَاةٌ وَتَوْحِيدُ
فَمُ الْمَصَائِبِ عَنْ ذِكْرَاهُ مَسْدُودُ
بَعْدَ الرِّشَادِ وَلِيْلَاتُ الصَّبَى سَوْدُ
فَلَا وَفَى لِي مِنْ نُعْمَاكَ مَقْصُودُ
فَمَا وَدَاكَ فِي أَحْشَائِي مَصْدُودُ
مَهُمَا صَنَعْتَ فَمَشْكُورٌ وَمَخْمُودُ

قال بهاء الدين زهير لمحبوبته مستعطفًا ومسترضيًا:

(1) الورق: الحمام.

(2) ساجعة: مصونة ومرددة.

عَفَا اللَّهُ عَنْكُمُ آيْنَ ذَاكَ التَّوَدُّدُ
بِمَا بَيْنَنَا لَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ بَيْنَنَا
وَيَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ مَاذَا أَرَى بِكُمْ
تَعَالَوْا نُحْلِلِ الْعَتَبَ عَنَّا وَنُضْطَلِّحْ
وَلَا تَخْدِشُوا بِالْعَتَبِ وَجْهَ مَحَبَّةٍ
وَلَا نَتَحَمَّلْ مِنْهُ الرُّسْلَ بَيْنَنَا
إِذَا مَا تَعَابْنَا وَعُدْنَا إِلَى الرِّضَى
عَتَبْتُمْ عَلَيْنَا وَاعْتَذَرْنَا إِلَيْكُمْ
عَتَبْتُمْ فَلَمْ نَعْلَمْ لَطِيبَ حَدِيثِكُمْ
وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْعَتَبُ عَنْ قَرْطِ غَيْرَةٍ
وَبَيْنَنَا كَمَا نَهَوَى حَبِيبِينَ بَيْنَنَا
وَأُضْحَى نَسِيمُ الرُّوضِ يَرْوِي حَدِيثَنَا

وَأَيْنَ جَمِيلٌ مِنْكُمْ كُنْتُ أَعْهَدُ
فَيَسْمَعُ وَاشِ أَوْ يَقُولُ مُفَنِّدُ⁽¹⁾
وَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ أَهْدَى وَأَرْشَدُ
وَعُودُوا بِنَا لِلْوَضِلِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
لَهُ بِهَجَّةٍ أَنْوَارُهَا تَتَوَقَّدُ
وَلَا غُرَرَ الْكُتُبِ الَّتِي تَتَرَدَّدُ
فَذَلِكَ وَدُّ بَيْنَنَا يَتَجَدَّدُ
وَقُلْتُمْ وَقُلْنَا وَالْهَوَى يَتَأَكَّدُ
أَذَلِكَ عَتَبٌ أَمْ رِضَى وَتَوَدُّدُ
وَيَا طِيبَ عَتَبٍ بِالْمَحَبَّةِ يَشْهَدُ
عِتَابٌ كَمَا انْحَلَّ الْجُمَانُ الْمُنْضَدُ⁽²⁾
فِيَا رَبِّ لَا تُسْمِعْ وَشَاةً وَحُسَدَ⁽³⁾

64

قال ابن مليك الحموي واصفاً دمشق وربوعها:

وَجَلَّقُ بِكَ قَدْ طَابَتْ مَسَاهِدُهَا
وَسَامَرْتَنَا بِهَا السُّمَرُ الرُّشَاقُ وَمِنْ
وَوَجْنَةُ الرُّوضِ وَشَيْ الْقَطْرِ دَبَّجَهَا
وَالرَّيْحُ شَبَّبَ بِالْعَيْدَانِ مِنْ طَرَبِ

وَقَدْ زَكَاها شَاهِدٌ مِنْهَا وَمَشْهُودُ
غَزْلَانِهَا غَاظَلْتَنَا الْأَعْيُنُ السُّودُ⁽⁴⁾
لَمَّا بَدَتْ وَلَهَا فِي الْحَدِّ تَوْرِيدُ⁽⁵⁾
وَالطَّيْرُ يُطْرَبُ مَا لَا يُطْرَبُ الْعُودُ⁽⁶⁾

(1) المَفْنَدُ: الذي يعدد الأخطاء واحداً واحداً.

(2) الجُمَانُ: اللؤلؤ.

(3) الحُسَدُ: جمع حاسد.

(4) سامرتنا: سهرت معنا وحدّثتنا - السمر: الرماح.

(5) الوجنة: ما ارتفع من الخد - الوشي والتدبيج: التزيين - القطر: المطر.

(6) شَبَّبَ بفلانة: تغزل بها ووصف محاسنها.

وَالنَّهْرُ صَفَّقَ وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةً وَلِلْهَنَاءِ كُلِّ وَتٍ فِيهِ تَجْدِيدُ

65

قال الشاب الظريف:

كيف خلاصي من الذي أجد؟ قد أعوز الصبرُ عنه والجَلْدُ⁽¹⁾
ما قلت يوماً: قد انْقَضَى عَدْدُ من الأعادي إلا أتى عَدْدُ
قد عَرَفُوا من أنا؟ وعاقهم عن اعتراف بفضلي الحسدُ⁽²⁾
ما بلغوا ما حَوَيْتُ مِنْ أدب فبالغوا في أذاي واجتهدوا
وزَوَّروا قولهم، وما صدقوا في نقل شيء، ضَرِّي به قصدوا⁽³⁾
حاشا لمثل الأمير يسمع ما قالوه عني وما به شهدوا
أو أنني أحرفُ الفياضي من خلفي ولا يستقرُّ بي بَلْدُ⁽⁴⁾
مالي إلا بيتي أقيمُ به فلا يراني من بعدها أحدُ
والأرضُ إلا دمشق لي وطنُ والناسُ إلا الأمير لي سَنَدُ

66

أرسل الشاعر عبد الرحيم العباسي قصيدة لعائشة الباعونية يُظهر فيها الوَدَّ
والاحترام والتقدير قال فيها:

ليهنك مجد طارف وتليد يخصك آباء به وجُدود⁽⁵⁾

(1) أجد: أعاني - الجلد: الصبر والتحمل.

(2) عاقهم: منعهم.

(3) ضَرِّي: الضر، الأذى.

(4) أحرف الشيء عن وجهه: أي أصرفه.

(5) الطارف: الحديث والمكتسب - التليد: القديم والمتوارث.

وَقَدَّرْ لَهُ أَعْلَى السَّمَائِينَ مَنْزِلٌ
وَأَصْلٌ زَكَا وَالْفَرْعُ يَتَّبِعُ أَصْلَهُ
فِيَا رَوْضَةَ الْعِلْمِ الَّتِي بَانَ فَضْلُهَا
فَمَنْشُورٌ مَا تَبْدِيهِ قَدْ ضَاعَ نَشْرُهُ
وَوَزَقُ الْمَعَانِي فَوْقَ دَوْحِ بَيَانِهَا
إِذَا مَا تَغْنَى مُطْرَباً عِنْدَ لَيْبِهَا
فَرَدَّتِ الْبَاعُونَةُ عَلَى رِسَالَتِهِ بِقَصِيدَةٍ قَالَتْ فِيهَا:

تَسَامَيْتَ مَرْمَى فَالْلَّحَاقُ بَعِيدٌ
حَصَلَتْ عَلَى الْغَايَاتِ مَجْدًا وَسُودْدًا
وَأَصْبَحْتَ فِي رَوْضِ الْعُلُومِ مَفْكَهًا
وَكَمْ بِوَجِيزِ اللَّفْظِ أَصْدَرْتَ مِنْهَا
مَوَارِدُ آدَابٍ صَفَا سَلْسَبِيلُهَا
فِيَا عِلْمًا فِي الْعِلْمِ أَصْبَحَ مُفْرَدًا
وَفَائِي تَاهِيلِي لِمَا لَسْتُ أَهْلُهُ
تَطَاوَلَتْ إِحْسَانًا بَغْرٍ لَوْ أَنْجَلْتُ
وَلَوْ أَبْصَرَ الْمَعْمَارُ مَا قَدْ تَأَسَّسَتْ
وَلَوْ شَهِدَ الْوَرْدِيُّ بِهَجَةٍ حُسْنِهَا

وَحَسْبُكَ مَا أَبْدَعْتَ فَهُوَ شَهِيدٌ⁽⁶⁾
وَفَضْلًا مُبِينًا لَيْسَ فِيهِ جُحُودٌ⁽⁷⁾
تَجُولُ وَتَجْنِي مَا تَشَاءُ وَتُفِيدُ⁽⁸⁾
يَطِيبُ بِهِ لِلطَّالِبِينَ وَرُودٌ⁽⁹⁾
وَحَامٌ عَلَيْهَا مَهْتَدٍ وَرَشِيدٌ⁽¹⁰⁾
وَمَنْ هُوَ فِي فَنِّ الْبَدِيعِ وَحِيدٌ
وَقَدْ شَمَلْتَنِي بِالْوَفَاءِ سَعُودٌ
لِحَسَّانٍ لَمْ يَبْرُخْ لَهُنَّ بَعِيدٌ
عَلَيْهِ لِأَضْحَى لِلثَّنَاءِ يُشِيدُ
لشَاهِدَ عَنْهَا الْعَجْزُ وَهُوَ مُجِيدٌ

(1) السماكين: نجمان في الماء - والفرقدين: كذلك الأمر.

(2) زكا: طهر.

(3) ضاع العطر: فاحت رائحته.

(4) الورق: الحمام - الدوح: الأشجار - السجع: صوت الحمامة إذا رددت.

(5) العندليب: طائر أسمر اللون، جميل الصوت.

(6) تساميت: ارتفعت - شهيد: شاهد.

(7) السؤدد: السيادة - الجحود: إنكار المعروف.

(8) تفكه بالشئ: تمتع وتلذذ به.

(9) المنهل: النبع.

(10) السلسيل: الشراب السهل المرور في الحلق لعذوبته.

67

قال ابن مليك الحموي شاكباً أهل زمانه وواصفاً بخلهم وسوء أخلاقهم:

أَذُمُّ إِلَى الزَّمَانِ أَهْيَلْ سَوْءٍ يَرَعُونَ الْغِيَّ مِنْ سُبُلِ الرَّشَادِ⁽¹⁾
لِئَامٍ يَسْلِقُونَكَ حِينَ تَعْشُو لِنَارِهِمْ بِالسِّنَةِ جِدَادِ⁽²⁾
تَرَاهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حِرْصاً عَلَى الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ بِالنَّجَادِ
فَيَدْخِرُونَهُ قُوتاً وَزَاداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالتَّنَادِي
يَبِيتُ نَزِيلُهُمْ غَرْثَانِ يَطْوِي وَمَضْطَجِعاً عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ⁽³⁾
يَرُونَ الْجُودَ مَنَقْصَةً وَذُلًّا وَأَنَّ الْبُخْلَ مِنْ شِيمِ الْجِيَادِ⁽⁴⁾
فَأَكْرَمُهُمْ وَأَنْدَاهُمْ بَغَاثُ جَمَادٍ فِي جَمَادٍ فِي جَمَادٍ⁽⁵⁾
وَمِنْ عَجَبِ بَأْنِي بَيْنَ قَوْمٍ تَعِيشُ كَلَابُهُمْ وَأُمُوثُ جَوْعَا
وَلَا مَوْلَى أَرَى فِيهِمْ كَرِيماً كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ مَاتُوا جَمِيعاً
مَدَحْتُكُمْ يَا لَيْتَنِي لَوْ هَجَوْتُكُمْ وَيَا لَيْتَ لَوْ أَقْصَرْتُ تِلْكَ الْمَحَازِنَا
فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَخْشَوْا الشَّرَّ مِنْ يَدِي فَخَافُوا عَلَى أَعْرَاضِكُمْ مِنْ لِسَانِنَا

68

وقال ابن نباتة مادحاً الملك المؤيد:

عَزِيزِي مِنْ سَاجِي اللَّوَاظِظِ أَغِيدِ يَصُولُ بِأَسْيَافِ الْجُفُونِ وَلَا يَدِ⁽⁶⁾

(1) أهيل: أهل أو أصحاب - الغي: الضلال.

(2) تعشو: تأتي عشاءاً.

(3) غرثان: جائع - القتاد: نوع من الشوك.

(4) الجياد: مفردا جواد وهو الكريم.

(5) أنداهم: أكثرهم عطاءً - بغاث: طائر بطيء الطيران صغير.

(6) العذير: العاذر، ضد العاذل - ساجي اللواظظ: ساكن العيون فاترها - الأغيد: المشتري بلين ورقة.

غزالٌ يَنَاجِينِي بَلْفِظٍ مُعَرَّبٍ
وَقَدْ رَوْتُ عَنْ لَيْسِهِ وَاعْتِدَالِهِ
إِذَا قَعَدْتُ أَرْدَافَهُ قَامَ عَظْفُهُ
كَلَفْتُ بِهِ مِنْ قَبْلِ مَا طَالَ قَدُّهُ
وَعَايَنْتُ مِنْ فِيهِ الْعَقِيقِي خَاتِماً
وَحَدَّثَنِي مِنْ ثَغَرِهِ وَرَضَابِهِ
وَكُنْتُ حَذَرْتُ الْخُودَ حِينَ تَمَرَّدَتْ
يُخَيِّلُ لِي أَنِّي لَهُ لَسْتُ عَاشِقاً
وَلَوْلَا الْهُوَى مَا بَثَّ بِالْدَمْعِ غَارِقاً
وَأَلْثَمُ عَظْفِيهِ وَجَفْنِيهِ بَعْدَ مَا
وَأَبْصَرُ فِيمَا تَحْتَ صَدْغِيهِ مِنْ سَنَاءٍ
وَرَبِّ مَدَامٍ مِنْ يَدِيهِ شَرِبْتُهَا
إِذَا جِئْتُهُ تَعَشَوُ إِلَى ضَوْءِ كَاسِهِ
تُحَدِّثُكَ الْأَنْفَاسُ فِيهَا عَنِ اللَّمَّا
فَئِمْ بَارِقاً قَدْ خَوَّلَتْكَ وَلَا تَشِمْ
مِنْ اللَّاءِ خَفَّتْ فِي يَمِينِ مُدِيرِهَا
مَصْعَدَةً مِنْ حَيْثُ نَمَّ كِيَانُهَا

وَلَكِنَّهُ يَسْطُو بِلُحْظٍ مُهْنَدٍ⁽¹⁾
صِحَاحُ الْعَوَالِي مُسْنَدًا بَعْدَ مُسْنَدٍ⁽²⁾
فِيَا طَوَلَ شَجْوِي مِنْ مَقِيمٍ وَمَقْعِدٍ
فَطَوَّلَهُ فَرَطُ الْعِنَاقِ الْمَرْدَدِ⁽³⁾
فَصُغْتُ لَهُ بِاللَّثَمِ فَصَّ زُبْرُجِدٍ⁽⁴⁾
عَنِ الْجَوْهَرِيِّ الْمَنْتَقَى وَالْمَبْرَدِ⁽⁵⁾
فَأَوْقَعَنِي طَرْفِي لِأَمْرٍ أَمْرَدٍ⁽⁶⁾
لَأَنْ لَيْسَ لِي فِي حَبِّهِ مِنْ مَفْنَدٍ
عَلَيْهِ وَأَشْكُو لِللُّورَى غَلَّةَ الصَّدْيِ⁽⁷⁾
فُتِلْتُ بِرَمَحٍ مِنْهُمَا وَمُهْنَدٍ
خِيَالِي خُلُوقاً تَحْتَ مَحْرَابِ مَسْجِدٍ⁽⁸⁾
مُعْتَقَةً تَدْعُو لِعَيْشٍ مَجْدَدٍ
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ
(وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ)
(لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٍ بَبْرَقَةٍ تَهْمَدِ)⁽⁹⁾
فَلَوْ أَهْرَقْتُهَا الْكَاسُ لَمْ تَتَبَدَّدِ
تُطَافُ عَلَيْنَا فِي إِنَاءٍ مُجَسَّدِ

(1) المهند: السيف.

(2) القُدُّ: القلعة - العوالي: الرماح.

(3) فرط العناق: كثرته.

(4) العقيقى: نسبة إلى العقيق أي أحمر.

(5) الرضاب: الريق.

(6) الخود: الشابة الجميلة الحسنة الخلق.

(7) غلة الصدي: حرقه العطشان.

(8) الصدغ: جانب الوجه ما بين العين والأذن.

(9) شِمْ: تطلع وترقب.

إذا حَفَّها محتابُ ثوبٍ مورِدٍ
فقل في قضيبٍ مَاسٍ تحت مُغرِدٍ
حبالُ شعاعِ الشَّمسِ تُفتلُ باليدِ⁽¹⁾
أساورُ تبرٍ في معاصِمِ خُرَدٍ⁽²⁾
على جامها عمداً فمن يَدُنْ يَسْجُدِ
تولى هنيءَ الورْدِ غيرَ مصرِدٍ
وجمَّعَ إلّا مهجتي وتجلُدِي⁽³⁾
فيا صاحبي دمعاً لعلَّك مُنْجِدِي⁽⁴⁾
سهرتِ زماناً يا نواعسُ فارْقُدِي
وأوصافِ ملكٍ شامخِ القدرِ أصيدِ
ولا مذحَ إلّا للمليكِ المؤيدِ
فظلَّ يباري سؤددَ اليومِ بالغدِ
فلاددُ منها لاً ولأ هي من دَدِ
غمائمُ قد لينت على فرقٍ فرقدِ
بأبلجِ هَطَّالِ اليدينِ ممجَّدِ
لقالَ مقالَ الحقِّ: ملكي وفي يدي⁽⁵⁾
بمفترسٍ يوماً ولا متصيِّدِ⁽⁶⁾
ملكُ بني فوق الأساسِ الموظَّدِ
فمن حاكمٍ عن علمه ومقلَّدِ

فأحسنُ بها من كفِّ ساقٍ كَأَنَّهُ
إذا قهقهةُ الإبريقُ في فمه انثنى
كَأَنَّ سَنَا رَاوِقَهَا وصبيُّهَا
كَأَنَّ بقايا ما نَضَا من كُؤُوسِهَا
كَأَنَّ ملكِ الفرسِ صوَّرَ نفسه
سقى الغيثُ عني ذلكَ العيشَ إِنَّهُ
وفرَّقَ إلّا مقلتي وسهادها
وبذرٍ سرى في طيِّةِ البينِ مُتْهِمَا
وقالَ التسلِّي بمدنا لجفونهِ
حبیبُ قَسَمْتُ الشعرَ ما بينَ حُسْنِهِ
فلا غَزَلَ إلّا لَهُ من قصيدةِ
ملكٍ رأى أن لا مباري في الوري
أخو عزماتٍ في العلى جدَّ جدُّها
سَمَا وَعَلا حَتَّى كَأَنَّ ذَوِيلَهُ
يطوفُ رجاءَ المعتفينَ مقامَهُ
لو اختصمتُ أهلُ المكارمِ في النَّدَى
ولو قَصَدَتْهُ الوحشُ والطيرُ لم تُرْعُ
كذلكَ فليحفظ تراثَ جدودِهِ
توافقتِ الأهواءُ في ذاتِ فضلِهِ

(1) السنا: النور.

(2) الخُرْد: مفردُها خُرود وهي الفتاة الحَيَّة التي لم تُمس.

(3) التجلُد: التصبُّر والتحمل.

(4) متهماً: متجهاً نحو تهامة - منجدي: متجهاً نحو نجد، وهما منطقتان في شبه الجزيرة العربية.

(5) الندى: العطاء والكرم.

(6) تُرْع: تفزع وتخاف.

عَمَام النَّدى فِي دَسْتِهِ قَمَر النَّدى
فَذُو الْحَالِ يَسْتَجِدِي وَذُو الْعِلْمِ يَقْتَدِي
عَلَى أَنَّهَا قَدْ فَصَّحَتْ كُلَّ أَبْلَدٍ⁽¹⁾
أَلَمْ تَرَهُ فِي الذُّوقِ غَيْرَ مَعْقَدٍ
شَرَارُ لَطْفِي مِنْ ذَهْنِهِ الْمَتَوَقَّدِ⁽²⁾
وَأَنْ مَدَى عَلِيَّاهُ غَيْرُ مُحَدَّدٍ
كَمَا جَالَ عَقْدٌ فِي تَرَائِبِ أَجِيدٍ⁽³⁾
فَعَوَّضَهَا إِلَّا بِمَجْدٍ مُنْضَدٍ⁽⁴⁾
بِرُوضٍ مَتَى لَمْ تَجْنِ تَهْوٍ وَتُفْقَدِ
أَحَقُّ وَأَوْلَى بِالثَّنَاءِ الْمُؤَيَّدِ
أَمَاناً وَدَاعٍ فِي الدُّجَى مَتَهَجِّدٍ⁽⁵⁾
بِأَخْلَاقٍ مَوْعُودٍ وَلَا مَتَوَعَّدِ
وَيَتْرُكُ أَعْطَافَ الْحُسَامِ كَمَبْرَدٍ⁽⁶⁾
تَيَمَّمُ مَنْصُورِ اللِّوَاءِ مَطْوَدٍ⁽⁷⁾
خُلُوفَ الْعَدَى مِنْ كُلِّ ثَغْرِ مَمْهَدٍ⁽⁸⁾
تَمَاماً كَأَنَّ الْبَيْضَ زُؤَارُ مَشْهَدِ
وَتَسْجُدُ فِي بَطْنِ الْجَوَادِ الْمَزْرَدِ
وَجَنُّهُ فَقِيرٌ بِالرَّجَاءِ الْمَجْرَدِ

مَتَى شَتَّ يَا رَاعِي الْكَرَامِ وَجَدْتُهُ
يَوْمُ حِمَاهُ طَالِبٌ بَعْدَ طَالِبِ
مُبَاحِثُ عِلْمٍ بَلَّدَتْ كُلَّ مَفْصَحِ
وَلَفْظُ كَأَنَّ السُّحَرَ فِيهِ مُحَلَّلُ
كَأَنَّ النُّجُومَ الزُّهَرَ فِي كَبِدِ الدُّجَى
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرُ إِسْرَافٍ جَوْدِهِ
تَجُولُ ثَغُورُ اللَّثَمِ حَوْلَ بَنَانِهِ
هِيَ النَّفْسُ مَا أَفْنَتَ ثَرَاءً مَفْرَقاً
وَمَا الْمَالُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا أَزَاهِرُ
رَعَى اللَّهُ أَيَّامَ الْمُؤَيَّدِ إِنَّهَا
حَمَتْ وَهَمَتْ فَالنَّاسُ مَا بَيْنَ هَاجِدِ
وَمَا عَرَفْتُ يَوْمِي نَدَى وَشِجَاعَةِ
وَرُبَّ وَغَى مُوَهِي السَّوَابِغِ حُرَّهَا
تَيَمَّمَهَا الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ وَادِعَاً
جَلَّتْ بِمَسَاوِيكِ الرِّمَاحِ جِيوشُهُ
وَضَلَّتْ بِأَوطَانِ الشَّهَادَةِ بِيضَهُمْ
تَقُومُ بِأَيْدِيهِمْ وَتَرْكُعُ فِي الظَّلَا
دَعِ الْمُبْتَغِي نَحْوَ الْأَكَارِمِ شَافِعَاً

(1) بَلَّدَتْ: جعلته بليداً ضعيف الذكاء.

(2) الدُّجَى: الظلام.

(3) الترائب: عظام في أعلى الصدر حيث تكون القلادة - الأجد: من طال عنقه وحسن.

(4) منضد: منظم.

(5) الهاجد: النائم - المتهجد: من تهجد، أي: استيقظ ليصلي صلاة الليل.

(6) الوغى: الحرب.

(7) تيممها: توجه إليها وقصدها.

(8) الخلوف: رائحة فم الصائم.

لِدَاعِي النَّدَى مِثْلَ النَّدَاءِ الْمُؤَكَّدِ
 مَنَاقِبُهُ أَيَّامَ كُلِّ مَسْوَدٍ
 بِأَفْتِكَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ وَأَكِيدُ
 فِذْو السَّبْقِ فِي تَمْجِيلِهِ كَالْمَقِيدِ
 بِكَاءَ لَبِيدٍ يَوْمَ فُرْقَةٍ أَرْبَدٍ⁽¹⁾
 فَأَصْغَى إِلَى مَدْحِ الْوَشِيحِ الْمُقْصِدِ
 أَحَادِيثَ صَدَقٍ عَنْ طَهَارَةِ مُحْتَدٍ⁽²⁾
 لَمَّا كَانَ فِيهَا مَرْصَدٌ فَوْقَ مَرْصَدِ
 دَلِيلٍ عَلَى وَصْلِ الْهَنَا الْمُتَوَدِّ
 فَيَالِكَ مِنْ أَنْفَالٍ رَأَى مَسَدِّ
 عُلِقَتْ بِحَبْلِ مِنْ حَبَالٍ مُحَمَّدِ
 فَصَانٌ بِمَسْلُولٍ وَزَانٌ بِمَعْمَدِ
 نُشْرِفُهَا مَا بَيْنَ مِثْنَى وَمَوْحِدِ
 لَشَامٍ وَأَقْصَى شَرْقِهَا وَكَأَنَّ قَدِ
 وَلَكِنْ مِنْ تَزْجُرٍ بِيَمِينِكَ يُرْشِدِ⁽³⁾
 وَجُبَّتِ الْمَرَامِي قَدْ قَدَاً بَعْدَ قَدْ قَدِ
 سَجِيَّةُ إِسْمَاعِيلَ فِي صَدَقٍ مَوْعِدِ⁽⁴⁾
 تَدْفَقُ عَذْبُ الْمَاءِ مِنْ قَلْبِ جَلْمَدِ⁽⁵⁾
 تَعَجَّلْتَ مِنْ نَعْمَاكَ أَضْعَافَ مَقْصِدِي
 فَمَا الْبَيْتُ إِلَّا مِثْلُ قَضَرٍ مَشِيدِ

هَنَالِكَ تَلْقَى نِعْمَةً إِثْرَ نِعْمَةٍ
 وَمَبْيِضُ أَثَارِ الصَّنَائِعِ أَحْمَدُ
 إِذَا شَامَ رَأْيَا فِي الْمَلَمَاتِ كَقَهَا
 وَإِنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءُ رَاغَ جِيَادِهِمْ
 وَخَلَّفَهُمْ تَبْكِي عَلَى الْجَسَدِ الطَّلَا
 وَقَصَّرَ عَنْ هَيْجَائِهِ شَعْرُ مَا دَحِ
 وَحَدَّثْنَا يَوْمَ الْفَخَارِ جَبِينُهُ
 وَلَوْلَا تَكَالَيْفُ الْعُلَى وَشَجُونُهَا
 لِيَهْنِكَ وَدُّ النَّاصِرِ الْمَلِكِ إِنَّهُ
 أَخَذَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ رَيْبٍ بَرَاءَةً
 وَقَطَّعَتْ أَسْبَابَ الْحَوَادِثِ بَعْدَمَا
 وَهَزَكَ غَصْنًا فِي مَهْمَاتِ مَلِكِهِ
 وَمَا زَلَتْ لِلْأَلْقَابِ فِي الْفَضْلِ صَالِحًا
 كَأَنِّي بِأَوْطَانِ الْعِرَاقِ وَقَدْ عَنَنْتُ
 وَلَسْتُ إِذَا عُذَّ الْمَقَالُ بِكَاهِنِ
 إِلَيْكَ سَلَكَتِ الْخَلْقَ سَمَحًا وَبَاخِلًا
 فَوْقَيْتَنِي وَعَدَّ الْأَمَانِي وَإِنَّهَا
 وَجَادَ بِكَ الدَّهْرُ الْبَخِيلُ وَطَالَمَا
 فَيَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنَّنِي
 وَجَمَلْتُ فِيكَ الشُّعْرَ حَتَّى نَظَمْتُهُ

(1) الطلا: الصغير من الناس والبهائم والوحوش.

(2) المحتد: الأصل.

(3) الكاهن: المنجم.

(4) السجية: الصفة الراسخة والطبيعة.

(5) الجلمد: الصخر.

وأخملتُ أربابَ القريض كأنني
فلا زلتَ مخدومَ المُقامِ مخلداً
شكرتُكَ حتى لم تدعَ لي لفظةً
لأنَّكَ قد أوَهنتَ جهدي باللُّهي
أدرتُ على أسماعِهِم كأسَ مُرْقِدٍ⁽¹⁾
ومَن يكتسبُ هذا الثناءَ يُخلِّدُ
وكذتُ بأن أشكوكَ في كلِّ مشهدٍ
وأنسيتني أهلي وأكثرَ حُسدي

69

قال ابن مطروح من قصيدة يمدح بها الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ،
وهو أحد رجال الدولة الذين اتصل بهم، وقد أصيب بضربة قاتلة وهو يجاهد ضد
حملة لويس التاسع:

هي رامةٌ فخذُوا يمينَ الوادي
وحذارٍ من لحظاتٍ أغينَ عَيْنِهَا
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ واثقاً بفؤادهِ
يا صاحبي وُلِّيَ بجرعاءِ الحمى
سَلَبَتْهُ مِنِّي يَوْمَ بَانُوا مُقْلَةً
قالتُ لنا أَلْفُ العِذارِ بِخَدِّه
أصبحتُ مالي في الصبابةِ مشيةً
مَلِكُ تَمَلُّكَ بالشجاعةِ والنَّدَى
شَرَفاً بَنِي شَيْخِ الشيوخِ وَمَنْ بِهِمْ
وَدَّعُوا السِيوفَ تَقَرُّ فِي الأغمادِ
فلكمُ صُرْعَنَ بها من الأغمادِ
فهناكَ ما أنا واثقٌ بفؤادي
قَلْبٌ أَسِيرٌ مَالُهُ مِنْ فادي⁽²⁾
مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهَا بِسَوَادٍ⁽³⁾
فِي مِيمٍ مَبْسَمِهِ شَفَاءُ الصَّادي⁽⁴⁾
وكذاك فخرُ الدِّينِ فِي الأَجوادِ⁽⁵⁾
قَلْبُ الخَمِيسِ مَعاً وَصَدَرَ النَّادي⁽⁶⁾
مِضْرٌ غَدَتِ تَزْهُو عَلَى بَغْدَادِ

(1) أخملتهم: أي جعلتهم خاملين الذكر، منسيين فلا أحد يذكرهم - القريض: الشعر.

(2) الجرعاء: الأرض ذات الحُزونة تشاكل الرمل.

(3) المقلة: العين.

(4) العذار: جانب اللحية - الصادي: العطشان.

(5) الصبابة: شدة الوجد من الحب.

(6) الخميس: الجيش العظيم.

يلقى الكماة فمن نجا من سيفه
وتراه أثبت ما يرى في معرك
حيث النفوس عن الجسوم بمغزل
يممته فوجدت بحراً زاخراً
وشهدت فيه في الحقيقة يوسفاً
أبدت لي الأيام سود مكاره
غلطاً فما ينجو من الأصفاد⁽¹⁾
والخيل تعثر في القنا المناد
فكانها غضبي على الأجساد
فغنيت عن وشل ووزد ثماد⁽²⁾
حسناً وحسنى في علأ وسداد⁽³⁾
فلقيت في نعماء بيض أيادي

70

قال ابن ملك الحموي مصوراً مأساته وشاكياً فقره وفاقه:

إليك جئت قاصداً
بالبر قد أوعدتني
حاشاك إن قابلتني
فما بيّتي سبدة
وما به من دزهم
وليس فيه جنطة
كلاً ولا من فارة
فلوتراني عارياً
مجرداً مرتدياً
ياغايّتي وقضدي
فأوف لي بالوعد⁽⁴⁾
يا سيدي بالرد
ولبدة ما عندي⁽⁵⁾
ولأ الجديد الفرد
صاعاً ولا من مد⁽⁶⁾
به ولا من جرد
مضني حليف الشهد⁽⁷⁾
حصيرة من برد

(1) الكماة: الفرسان الكاملو السلاح - الأصفاد: القيود.

(2) يممته: قصده واتجهت إليه.

(3) السداد: نقول فلان رأيه شديد أي مصيب لا يخطيء أبداً.

(4) البر: الصلة والعطاء.

(5) السبد: القليل من الشعر - اللبد: الصوف - ويقال ماله سبد ولا لبّد أي ماله قليل ولا كثير.

(6) الصاع والمد: وحدتان لقياس الأوزان.

(7) المضني: المريض المهزول - السهد: السهر وعدم القدرة على النوم.

وَأَخَذَ قَصِيداً طَيِّبُهَا يَفُوقُ نَشْرَ الْوَزْدِ⁽¹⁾
 وَاسْتَجْلِيَهَا شَامِيَةً تَغْنِي بِهَا عَنْ هِنْدِ
 وَحَرَّرَ النَّقْدَ عَسَى تَوْؤُبُ لِي بِالنَّقْدِ

71

يمدح الشاب الظريف الملك المنصور الثاني محمد صاحب حماه، وهو الوحيد الذي مدحه من الملوك والسلاطين، فيقول:

أَخَافُ صَرَفَ الدَّهْرِ أَمْ حَدَثَانُهُ والدهرُ للمنصورِ بعضُ عبيده⁽²⁾
 مَلِكٌ نَدَاهُ فَكَّنِي وَانْتَاشَنِي من مِخْلَبَيْهِ ومن إِسَارِ قِيودِهِ⁽³⁾
 مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتُ عَنْ إِحْسَانِهِ حَدَّثْتُ عَنْ مُبْدِي النَّدَى وَمُعِيدِهِ
 سَادَ الْمُلُوكَ بِفَضْلِهِ وَبِنَفْسِهِ والغرِّ من آبَائِهِ وَجُدوده⁽⁴⁾
 وَإِذَا تَرَنَّمْتُ الرِّوَاءَ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ اهْتَزَّتْ مِعَاطِفُ جُودِهِ
 هَاجَرْتُ نَحْوَ مُحَمَّدٍ لَمَّا رَأَى يَتُ الْعَالَمَ الْعُلُويَّ فِي تَأْيِيدِهِ
 وَثْنِيَتْ أَعْنَاقُ الْقَوَافِي نَحْوَهُ وَنَظُمْتُ دَرَّ مَدَائِحِي فِي جُودِهِ⁽⁵⁾
 فَلَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمَنَى لَاخْتَرْتُ طَوَلَ بَقَائِهِ وَخَلُودِهِ
 يَا آلَ أَيُوبَ جُزَيْتُمْ صَالِحاً عن محسنٍ مَدَحَ الْمُلُوكَ مَجِيدِهِ
 وَنَعِمْتُمْ مَا افْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الضُّحَى صَبَحَ، وَمَا فَضَحَ الدُّجَى بِعَمُودِهِ⁽⁶⁾

(1) النشر: العبير.

(2) الحدثان: الخطوب والمصائب.

(3) نداء: عطاؤه - انتاشني: خلّصني.

(4) الغرّ: السادة والأشراف.

(5) ثنيت أعناق القوافي: يقصد أخضعتها ووجهتها إليه - الدرّ: الجواهر.

(6) افتَرَّ: تلالأ، ويقال: افتَرَّ، لمن ابتسم وبدت ثناياه.

72

قال بهاء الدين زهير يصف محبوبه وما جرّه عليه من ويلات:

- وَمُهَفِّهٍ كَالْغُضَنِ فِي حَرَكَاتِهِ
صَنِمٍ لَعَمْرُكَ مَا بَرَأَهُ اللَّهُ فِي
وَمِنْ الْعَجَائِبِ فَعَلُّهُ بِمُحِبِّهِ
وُيْبِخُ لِلتَّعْذِيبِ فِي سَهْرِ الدَّجَى
يَا عَاذِلِي مَا كُنْتُ أَوَّلَ عَاشِقٍ
قَالَ قَلْبُ يَعْزَمُ أَنَّهُ فِي غَيِّهِ
لَا تَطْلُبُنْ هِيَهَاتِ مِنْهُ صَلاَحَهُ
حُلُوِ الْقَوَامِ رَشِيقَهُ مَيَّادِهِ⁽¹⁾
ذَا الْحُسْنِ إِلَّا فِتْنَةً لِعِبَادِهِ⁽²⁾
يَصْلِيهِ نَاراً وَهُوَ مِنْ عُبَادِهِ
طَرَفَ الْمُحِبِّ وَذَاكَ مِنْ أَجْنَادِهِ
فَتَكَ الْغَرَامُ بَلْبَهُ وَقُوَادِهِ⁽³⁾
لَكِنْ تَغَطَّتْ عَنْهُ سُبُلُ رِشَادِهِ⁽⁴⁾
إِنْ كَانَ رَبُّكَ قَدْ قَضَى بِفَسَادِهِ

73

قال ابن نباتة في إحدى زهدياته:

- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ! لَا مَالِي وَلَا وَلَدِي
عَفْتُ الْإِقَامَةَ فِي الدُّنْيَا لَوْ انْشَرَحْتُ
وَقَدْ صَدِئْتُ وَلِي تَحْتَ التُّرَابِ جَلَا
لَا عَارَ فِي أَدْبِي أَنْ لَمْ يَنْلُ رُتْباً
هَذَا كَلَامِي وَذَا حَظِّي! فَيَا عَجَبَا
حَيَاةُ كُلِّ امْرَأَةٍ سَجْنٌ لِمُهْجَتِهِ
أَسَى عَلَيْهِ إِذَا ضَمَّ الثَّرَى جَسَدِي⁽⁵⁾
حَالِي فَكَيْفَ وَمَا حَظِّي سِوَى النَّكَدِ⁽⁶⁾
إِنَّ التُّرَابَ لَجَلَاءٌ لِكُلِّ صَدِي
وَإِنَّمَا الْعَارُ فِي دَهْرِي وَفِي بَلَدِي
مِنْ نِي لِسُرُورَةٍ لَفُظٍ وَافْتِقَارٍ يَدِ
فَاعْجَبْ لَطَالِبِ طَوْلِ السَّجْنِ وَالْكَمْدِ⁽⁷⁾

(1) المهفف: الضامر البطن، الدقيق الخصر - المياد: المتمايل والمشي.

(2) براه: خلقه.

(3) اللب: العقل.

(4) الغي: الضلال.

(5) أسى: من أسيت إذا حزنت - الثرى: التراب.

(6) عفت: تركت وكرهت - النكد: الهم والغم.

(7) المهجة: الروح.

أما الهموم فبحرٍ خضت زاهره
وعشت بين بني الأيام منفرداً
يا جامع المال إنَّ العمر مُنصرِمٌ
ويا عزيزاً يَخِيطُ العُجبُ ناظره
كم واثقٍ بالليالي مدَّ راحته
أما ترى فوق رأسي فائضَ الزَّيدِ⁽¹⁾
ورُبَّ منفعةٍ في عيشٍ مُنقَرِدِ
فابخلُ بمالكٍ مهما شئتَ، أو فُجِدِ⁽²⁾
اذكُرْ هوانَكَ تحت الثُّربِ واتَّئِدِ
إلى المرامِ فناداه الجِمامُ: قَدِ⁽³⁾

74

قال صفي الدين الحلِّي يصف كُرمَ مدوحه وعطاءه:

أغارَ الغيثُ كُفُّكَ حينَ جاداً، فأفرطَ في تَرائُفِهِ وزاداً⁽⁴⁾
أظنُّ السُّحبَ تحسُّدُنَا عليه، فتمنَّعُ من زيارَتِكَ العِبادَا
ثَناناً عَنكَ، فازدَدنا ثناءً، على عَليَاكَ لا نألُ اجتِهادَا⁽⁵⁾
فاغضَبَنا، وإن أرضَ البرايا، وأظمَّأنا، وإن رَوَى البِلادَا⁽⁶⁾
وكم عَنفَتُهُ في قَطحِ حَبلي، وإن وَصَلَ الأنامَ، فما أفادَا⁽⁷⁾
فيَضحُكَ حينَ أعتَبُهُ، ويَبكي، فيُوهِمُني الخَدِيعَةُ والودادَا
وأعجَبُ لابتسامِ البرقي فيه، وقد لَبِستُ سَحابُهُ جِدادَا⁽⁸⁾
فظَلَّتْ تحسُّدُ الأوراقَ عَيني، وقد أرسلتُها تشكو البُعادَا

(1) فائض الزيد: يقصد بياض شعر رأسه.

(2) منصرم: نقول انصرم: انقطع وانتهى.

(3) المرام: الغاية والمطلب - الجِمام: الموت - قَدِ: حَسِبَ.

(4) ترادفه: هطوله وانسكابه.

(5) ثناني عن الشيء: متعني - ثناء: مدحاً.

(6) البرايا: المخلوقات، ويقصد الناس.

(7) عنفته: عاتبه وزجرته.

(8) لبست حداداً: أي لبست السواد.

ولو أنني استَطَعْتُ، وقد حملنا
لصيرتُ البَيَاضَ لها سِجَلاً،
بَيَاضَ الطَّرْسِ نَحْوَكَ والسَّوَادَ⁽¹⁾
وصيرتُ السَّوَادَ لها مِداداً

قال ابن عربي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ أَحْمَدًا
تَلَقَّاهُ بِالْقُرْآنِ وَخِيَا مُنْزَلًا
وَأَغْطَاهُ مَا أَبْقَى عَلَيْهِ مَهَابَةً
وَأَعْلَى بِهِ الدِّينَ الْحَنِيفِيَّ وَالْهُدَى
وَهَيَا يَوْمَ الْفَضْلِ عِنْدَ وُروِهِ
وَعَيْنَ يَوْمِ الزُّورِ فِي كُلِّ حَضْرَةٍ
فِيَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ بَلْ خَيْرَ مُرْسَلٍ
تَحَلَّيْتُ لِلْإِرْسَالِ فِي كُلِّ شُرْعَةٍ
فَفِي قَوْلِكُمْ لَمَّا دُعِيتُ مُذَمِّمًا
لَقَدْ عَصَمَ الرَّحْمَنُ بِالرَّحْمَةِ اسْمَنَا
عُلُومًا وَأَسْرَارًا لِمَنْ كَانَ ذَا حِجِّي
فِيَا خَيْرَ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ
وَلَمَّا دَعَوْتُ اللَّهَ غَيْرَةَ مُؤْمِنٍ
أَتَاكَ عِتَابُ اللَّهِ فِيهِ وَلَمْ تَكُنْ

وَنَادَى بِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمَدَى
فَكَانَ لَهُ رُوحًا كَرِيمًا مُؤَيَّدًا
فَأَوْرَثَهُ عِلْمًا وَجِلْمًا وَسُودَدًا⁽²⁾
وَصَيَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيِّدًا
لَهُ فَوْقَ أَذْنَى فِي التَّقَرُّبِ مَقْعَدًا
لَهُ فِي كَثِيبِ الْمِسْكِ نُزُلًا وَمَشْهَدًا⁽³⁾
لَقَدْ طَبَتْ فِي الْأَعْرَاقِ نَشَأً وَمَحْتِدًا
يُظْهِرُنَ آيَاتٍ وَيَقْدَحُنَ أَزْنُدًا
وَقَدْ كَانَ سَمَّاكَ الْإِلَهَ مَحْمَدًا⁽⁴⁾
كَعِصْمَتِنَا مِنْ سَبِّ مَنْ كَانَ أَلْحَدًا⁽⁵⁾
تَدُلُّ عَلَى خُلُقٍ كَرِيمٍ مِنَ الْعِدَى
لَوْ أَنَّكَ فِي ضَيْقٍ لَكُنْتُ لَكَ الْفِدَا
عَلَى مَنْ تَعَدَّى فِي الشَّرِيعَةِ وَاعْتَدَى
أَرَذْتَ بِهِ إِلَّا التَّعَصُّبَ لِلْهُدَى

(1) الطرس: الكتاب أو الصحيفة.

(2) السؤدد: السيادة والمجد.

(3) الكثيب: التل من الرمل.

(4) مذمم: أي مذموم ضد محمود.

(5) ألحد: لم يعتقد بالغيبات.

بَأَنَّكَ قَدْ أَرْسَلْتَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
مَدَحْتُكَ لِلْأَسْمَاعِ مَذْحِ مَعْرِفٍ
وَهَا أَنَا أَتْلُو فِي مَدِيحِكَ أَلْسُنًا
وَلَمْ أَغْلُ بَلْ قُلْتُ الَّذِي قَالَ رَبُّنَا
مَدَحْتُكَ بِالْأَسْمَاءِ أَسْمَاءِ رَبَّنَا
بَأَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ كَوْنُهُ
فَعَيْنُكَ عَيْنُ السِّرِّ وَالسَّمْعُ سَمْعُهُ
وَأَنْتَ الَّذِي أَكْنِي إِذَا قُلْتُ كُنِيَّةً
لَقَدْ خَصَّكَ الرَّحْمَنُ بِالسُّورَةِ الَّتِي
وَأَنْتَ مَقَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ قِيَامِهِ
وَأَنْتَ وَجُودُ الْهَاءِ مَهْمَا تَعَبَّدَتْ
فَقُلْ إِنَّهُ هُوَ أَوْ فَقُلْ لَيْسَ هُوَ بِهِوَ
وَلَا تَأْخُذْ إِلَّا لِقَاءَ زُورٍ فَإِنَّهُ
وَلَمَّا اضْطَفَاكَ اللَّهُ عَبْدًا مُقَرَّبًا
فَمَنْ كَانَ يَدْرِيهِ يَكُونُ مُوَحَّدًا
إِذَا مَا مَدَحْتَ الْعَبْدَ فَاْمَدَحْهُ هَكَذَا
فإِنَّكَ لَمْ تَمْدَحْهُ إِلَّا بِهِ فَكُنْ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا كُنْتُ مُصْلِحًا
فَمَنْ كَانَ مَشْهُودًا بِهِ كَانَ مُؤْمِنًا
فَكُنْ مَنْ عَلَا فِي الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ نَفْسِهِ
فَهَذَا مَدِيحُ الْاِخْتِصَاصِ مُبَيَّنٌ

وَمَنْ كَانَ هَذَا أَصْلُهُ طَابَ مَوْلِدًا
وَقُمْتُ بِهِ فِي مَوْقِفِ الْعَدْلِ مُنْشِدًا
تَعِزُّ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْعِلْمِ قَدْ شَدَا
وَجِئْتُ بِهِ فَضْلًا مُبِينًا لَأَرْشِدًا⁽¹⁾
وَلَمْ أَلْتَفِتْ عَقْلًا وَرَأْيًا مُسَدَّدًا⁽²⁾
وَأَنْتَ مُضَافُ الْكَافِ شُرْعًا وَمَا عَدَا
وَأَنْتَ الْكَبِيرُ الْكُلِّ لِلْعَيْنِ إِنْ بَدَا
وَأَنْتَ الَّذِي أَعْنِي إِذَا مَا تَمَجَّدًا⁽³⁾
رَوِينَا وَلَمْ يَنْزِلْ لَنَا ذِكْرُهَا سُدى⁽⁴⁾
مِنَ الرَّكْعَةِ الزَّلْفَى لِيَهْوِي فَيَسْجُدَا
وَأَنْتَ وَجُودُ الْوَائِ مَهْمَا تَعَبَّدَا
وإِيَّاكَ أَنْ تَبْغِي لِنَفْسِكَ مَوْعِدَا
حَقِيقَتُكُمْ إِنْ رَاحَ عَنْكُمْ وَإِنْ عَدَا
أَرَاكَ الَّذِي أَعْطَى عَلَيْكَ وَأَشْهَدَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَذْرِي يَكُونُ مُوَحَّدَا
وَكُنْ فِي الَّذِي تُلْقِيهِ عَبْدًا مُوَحَّدَا
لِمَنْ جَاءَ يَسْتَفْتِيكَ رُحْنًا وَمَقْصِدَا
وَوَاللَّهِ لَوْلَا الْكَوْنُ مَا كُنْتُ مُفْسِدَا
وَمَنْ كَانَ مَغْلُومًا لَهُ كَانَ مُلْجِدَا
وَلَا تَكُ مِمَّنْ قَالَ قَوْلًا فَأَخْلَدَا
جَمَعْتُ لَكُمْ بَيْنَ الْبِنْدَا فِيهِ وَالنَّدَى⁽⁵⁾

(1) أغل: لم أتجاوز ولم أحد.

(2) مسدّد: مصيب لا يخطئ أبدًا.

(4) سدى: دون جدوى.

(5) النداء: أي النداء.

(3) أكني: أي أعني أو أشير.

وأَجْرَيْتُ فِيهِ الْخَمْرَ نَهْرَ الشَّارِبِ إِذَا مَا تَحَسَّى جُرْعَةً مِنْهُ عَرَبْدَا⁽¹⁾
 أَلَا إِنَّنِي أَرْجُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى بِمَشْهَدِهِ الْأَعْلَى عَبِيداً مُؤِيدَا
 بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَأَنْفَاسٍ جُودِهِ أَكُونُ بِهَا بَيْنَ الْأَنَامِ مُسَوِّدَا

76

قال شهاب الدين محمود يمدح المنصور قلاوون حين فتح حصن «المرقب»
 سنة ٦٧٨هـ:

اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا النِّصْرُ وَالظَّفَرُ هَذَا الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ إِنْ طَمَحَتْ
 فَاَنْهَضَ وَسِرٌّ وَامْلِكِ الدُّنْيَا فَقَدْ نَحَلَتْ كَمْ رَامَ قَبْلَكَ هَذَا الْحَصْنَ مِنْ مَلِكٍ
 وَكَيْفَ تَمْنَحُهُ الْأَيَّامُ مَمْلُوكَةً وَكَيْفَ يَسْمُو إِلَيْهَا مَنْ تَأَخَّرَ عَنْ
 غَرِّ الْعِدَا مِنْكَ جِلْمٌ تَحْتَهُ هِمَمٌ لَهَا وَإِنْ أَشْبَهْتَ لُطْفَ النَّسِيمِ سُرَى
 أَوْزَدَتْهَا الْمَرْقَبَ الْعَالِي وَلَيْسَ سَوَى كَأَنَّهُ، وَكَأَنَّ الْجَوَّ يَكْنِفُهُ،
 يَخْتَالُ كَالْغَادَةِ الْعِذْرَاءِ قَدْ نَظَّمَتْ هَذَا هُوَ الْفَتْحُ لَا مَا تَزْعُمُ السَّيْرُ
 إِلَى الْكَوَاكِبِ تَرْجُوهُ وَتَنْتَظِرُ شَوْقاً مُنَابِرُهَا وَارْتَاخَتْ السُّورُ⁽²⁾
 فَطَالَ عَنْهُ وَمَا فِي بَاعِهِ قِصَرُ⁽³⁾ كَانَتْ لِدَوْلَتِكَ الْغَرَاءُ تُدْخِرُ
 إِسْعَادِهِ مُنْجِدَاكَ: الْقَدْرُ وَالْقَدَرُ لِأَشْقَرِ الْبَرْقِ مِنْ تَحْجِيلِهَا غُرُرُ⁽⁴⁾
 مَعْنَى الْعَوَاصِفِ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ مَاءِ الْمَجْرَةِ فِي أَرْجَائِهَا نَهْرُ⁽⁵⁾
 وَهُمْ تُمَثِّلُهُ فِي طَيِّهَا الْفِكْرُ⁽⁶⁾ مِنْهُ مَكَانَ اللَّالِي الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ⁽⁷⁾

(1) تحسَّى: شرب على مهل - عربد: ساء خلقه.

(2) نحلت: هزلت وضعفت.

(3) رام: طلب وابتغى.

(4) غرر: خدع - والتحجيل: بياض في قوائم الفرس.

(5) ماء المجرة في أرجائها نهر: يقصد أنها في غاية الارتفاع.

(6) يكنفه: يحيط به ويرعاه.

(7) الغادة: المثنية والمتمايلة بلين ولطف - الزهر: المضيئة.

خُبْرًا، وتدنو وما في ضِمْنِهَا خَبَرُ
أَدْنَى رُبَاهِ وَيَأْتِي وَهُوَ مُعْتَذِرُ⁽¹⁾
مِنَ السِّیُوفِ وَمِنَ نَبْلِ الْوَعْيِ شَرُّ
فَرَائِسِ الْأَسَدِ فِي أَظْفَارِهَا الظُّفَرُ⁽²⁾
يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدٌ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ
تُثِيرُ سُقْمًا وَلَا يَبْدُو لَهُ أَثَرُ
نَارُ الْهَوَى وَهِيَ فِي الْأَحْشَاءِ تَسْتَعِرُ⁽³⁾
وَالنَّصْرُ يَتَلَوَّكُ مِنْهُ جُنْدُكَ الْأُخْرُ
وَحَرٌّ أَعْلَاهُ نَحْوُ الْأَرْضِ يَبْتَدِرُ
لَدَيْكَ مِنْ مُضْمَرَاتِ النَّصْرِ مَا سَتَرُوا
لَهُ مِنَ الْبَيْضِ نَابٌ وَالْقَنَا ظُفَرُ
يَدَاكَ فَالَلَّهُ وَالْأَمْلَاكُ قَدْ شَكَّرُوا

تعلو الرياحُ إليه كي تُحيطَ به
ويومضُ البرقُ يهفو نحوه ليرى
وأضرمتْ حوله نارٌ لها لَهَبٌ
كانها ومجانيقُ الفرنج لها
وكم شكا الحِصْنُ ما يلقي فما اِكْتَرِثُ
وللنقوب دبيبٌ في مفاصلِهِ
أضحى به مثلُ صَبٍّ لَا تَبِينُ بِهِ
ركبتُ في جُنْدِكَ الْأُولَى إِلَيْهَا ضَحَا
قد زالَ تُجَلَّى قَوَاهِ عَنْ قَوَاعِدِهِ
وَسَاخَ وَانْكَشَفَتْ أَقْبَاؤُهُ وَبَدَا
فمال يهوي إليهم كلُّ ليثٍ وُعَى
إِنْ لَمْ يُؤَفِّ الْوَرَى بِالشُّكْرِ مَا فَتَحَتْ

77

قال البرعي :

فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْجُحُودَ هُوَ الْعَارُ⁽⁴⁾
لِمَقْعَدِ صِدْقِ حَبْذَا الْجَارِ وَالذَّارُ⁽⁵⁾
فَلَمْ يَخْتَمِلْ عَقْلُ الْمُحِبِّينَ إِنْكَارُ
عِيَانًا وَلَمْ يُذِرْكُهُ سَمْعٌ وَإِنْصَارُ

تَجَلَّتْ لَوُحْدَانِيَّةِ الْحَقِّ أَنْوَارُ
وَأَغْرَثَ بِدَاعِي الْحَقِّ كُلُّ مُوَحِّدٍ
وَأُبْدَتْ مَعَانِي ذَاتِهِ بِصِفَاتِهِ
تَرَأَى لَهُمْ فِي الْعَيْنِ جَلٌّ جَلَالُهُ

(1) يومض: يلمع ويتلألأ.

(2) مجانيق: مفردا منجنيق.

(3) الصَّبُّ: المحب الذي أنهكه الشوق والوجد. تستعر: تشتعل وتضطرم.

(4) الجحود: إنكار الفضل والنعمة.

(5) داعي الحق: هو الحبيب المصطفى ﷺ.

مَعَانٍ عَقَلْنَ الْعَقْلَ وَالْعَقْلُ ذَاهِلٌ
 إِذَا هَمَّ وَهَمُ الْفِكْرِ إِذْرَاكَ ذَاتِهِ
 وَكَيْفَ يُحِيطُ الْكَيْفُ مِقْدَارَ حَدِّهِ
 وَأَيْنَ مَحَلُّ الْأَيْنِ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ
 وَلَا شَيْءٌ مَعْلُومٌ وَلَا الْكَوْنُ كَائِنٌ
 وَلَا الشَّمْسُ بِالنُّورِ الْمُنِيرِ مُضِيئَةٌ
 فَأَنْشَأَ فِي سُلْطَانِهِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
 وَزَيَّنَ بِالْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشِ مُلْكَهُ
 فَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهَ لَوَجْهِهِ
 وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ تَحْتَ قَهْرِهِ
 عَظِيمٌ يَهُونُ الْأَعْظَمُونَ لِعِزِّهِ
 لَطِيفٌ بِلُطْفِ الصَّنْعِ فَضَّلْنَا عَلَى
 يَرَى حَرَكَاتِ النَّمْلِ فِي ظِلِّ الدُّجَى
 وَيُخْصِي عَدِيدَ النَّمْلِ وَالْقَطَرِ وَالْحَصَى
 وَوَزْنَ جِبَالٍ كَمْ مَشَاقِيلَ ذَرَّةٍ
 أَضَاءَتْ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِنُورِهِ
 وَشَقَّ عَلَا أَسْمَائِهِمْ مِنْ عَلَا اسْمِهِ
 فَذَاكَ الَّذِي يُلْجَا إِلَيْهِ تَوَكُّلاً
 فَأَيْدِي الرِّجَا يَفْرَعْنَ أَبْوَابَ جُودِهِ
 وَظَامِيَةُ الْأَمَالِ تَسْعَى حَوَائِباً

وَإِقْبَالُهُ فِي بَرْزَخِ الْبَحْثِ إِذْبَارُ
 تَعَارَضَ أَوْهَامٌ عَلَيْهِ وَأَفْكَارُ
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْكَيْفِ حَدٌّ وَمِقْدَارُ⁽¹⁾
 مَعَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ عَيْنٌ وَآثَارُ⁽²⁾
 وَلَا الرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَلَا الْخَلْقُ إِفْطَارُ
 وَلَا الْقَمَرُ السَّارِي وَلَا النَّجْمُ سَيَّارُ
 لِيَخْلُقَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
 فَمِنْ نُورِهِ حُجُبٌ عَلَيْهِ وَأَسْتَارُ
 وَيَلْقَاهُ رَهْنُ الدُّلِّ مَنْ هُوَ جَبَّارُ
 تُصَرِّفُهُ فِي الطَّوْعِ وَالْقَهْرِ أَقْدَارُ
 شَدِيدُ الْقُوَى كَافٍ لِذِي الْقَهْرِ قَهَّارُ
 خَلَائِقَ لَا تُخْصِي وَذَلِكَ إِيْثَارُ⁽³⁾
 وَلَمْ يَخْفَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ⁽⁴⁾
 وَمَا اسْتَمَلَتْ نَجْدٌ عَلَيْهِ وَأَغْوَارُ
 ذُرَاهَا وَكَيْلُ الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ تَيَّارُ⁽⁵⁾
 فَبَاحَتْ بِأَحْوَالِ الْمُحِبِّينَ أَسْرَارُ
 عَلَى الْأَضْلَى فَهُوَ الْبِرُّ وَالْقَوْمُ أَبْرَارُ
 عَلَيْهِ وَيُغْصَى وَهُوَ بِالْجَلْمِ سَتَّارُ
 لِيُخْمِيَ إِسَاءَاتٍ وَتُغْفَرَ أَوْزَارُ⁽⁶⁾
 إِلَى مَوْرِدِ اسْتِغْفَارِهِ وَهُوَ غَفَّارُ⁽⁷⁾

(1) إنكار التشبيه والتجسيم لله عز وجل.

(3) الدجى: الظلام.

(4) الكيل: الوزن.

(5) الوزر: الذنب.

(6) الظما: العطش.

(2) الإيثار: ضد الأنانية وحب الذات.

وَيَسْجُدُ بِالتَّعْظِيمِ نَجْمٌ وَأَشْجَارُ
فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ الْغَيْثُ أَزْهَارُ
وَتَجْرِي وَلَا يُجْرِي سِوَى اللَّهِ أَنْهَارُ
تُجَاوِبُهُ بِالسَّجْعِ أَيْكُ وَأَظْيَارُ⁽¹⁾
بِهِ خَلَعَ الْأَكْوَانِ فَالْكُونُ مِعْطَارُ
عَجَائِبَ يَرْوِيهِنَّ بَذُو وَحْضَارُ⁽²⁾
أَقْلَتِ عِشَاراً فَابْنُ آدَمَ مِعْشَارُ⁽³⁾
لَعَلَّ بِلُطْفِ اللَّهِ تَجْمَعُنَا الدَّارُ
فَلَا تَمَّ أَوْطَانٌ وَلَا تَمَّ أَقْطَارُ⁽⁴⁾
وَرَاهَا لَصُومِ الْقَلْبِ عَيْدٌ وَإِقْطَارُ
إِلَيْكَ بِمَا يُرْضِيكَ فَالْدَّهْرُ غَرَارُ⁽⁵⁾
فَفِي صَرَمِ حَبْلِ الْأَنْسِ يَشْمَتُ غَدَارُ⁽⁶⁾
وَحَصْنُهُ مِنْ جَوْرِ الطُّغَاةِ إِذَا جَارُوا
عَلَى أَمَلٍ مِنْ مِضَرِ جُودِكَ أُمْتَارُ⁽⁷⁾
وَلَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ اغْتِدَارِي أَغْدَارُ⁽⁸⁾
وِطْبَتَ وَلَا خِزْيَ لَدَيْكَ وَلَا عَارُ
مِنَ النَّارِ أَمْنًا يَوْمَ تَسْتَعِرُ النَّارُ⁽⁹⁾

تُسَبِّحُ ذَرَاتُ الْوُجُودِ بِحَمْدِهِ
وَيَبْكِي غَمَامُ الْغَيْثِ طَوْعاً لِأَمْرِهِ
وَيَنْشَقُّ وَجْهَ الْأَرْضِ عَنْ مِغْشَبِ الثَّرَى
وَإِنْ غَرَّدَ الْقُمْرِيُّ شُكْراً لِرَبِّهِ
وَإِنْ نَفَحَتْ هَوَاجُ النَّسِيمِ تَعَطَّرَتْ
تَبَارَكَ رَبُّ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ
فِيَا نَفْسُ لِلْإِحْسَانِ عُودِي فَرُبَّمَا
وَيَا فِرْزَةَ الْأَحْبَابِ بِالرَّغْمِ لَا الرِّضَا
فَأُضْبِحَ فِي الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ عَهْدُهَا
وَأُذِرْكَ مِنْ رِيحَانَةِ الْقَلْبِ نَظَرَةً
إِلَهِي أَذِنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَاهْدِنِي
وَصِلْ حَبْلَ أَنْسِي بِاجْتِمَاعِ أَحْبَبَّتِي
صَنْ مَاءٍ وَجْهِي عَنْ مَقَامِ مَذَلَّةٍ
فَلِنِّي بِتَقْصِيرِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
خَلَعْتُ عِذَارِي وَاعْتَذَرْتُكَ سَيِّدِي
فَقُلْ فُزْتُ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَتِي
وَأَكْرَمَ لِأَجْلِي مَنْ يَلِينِي وَأَعْطَانَا

(1) القمرى: ذكر الحمام - الأيك: الشجر الكثير الملتف.

(2) الحَضَار: أهل الحضر.

(3) معثار: كثير التعثر.

(4) تَمَّ: هناك.

(5) غرار: مخادع.

(6) صرم الحبل: قطعة.

(7) الفاقة: الفقر الشديد.

(8) خلعت عذارى: انصرفت إلى اللهو واللعب دون أن أستمع.

(9) يليني: يتبعني ويأتي بعدي.

وَصَلَّ عَلَى رُوحِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ حَمِيدِ الْمَسَاعِي فَهُوَ فِي الْخَلْقِ مُخْتَارُ
وَأَزْوَاجِهِ وَالْآلِ وَالصَّخْبِ إِنَّهُمْ لَهُ وَلَدَيْنِ الْحَقُّ بِالْحَقِّ أَنْصَارُ

78

قال ابن نباتة في مَذْحَجِ لابن أيوب يُظْهِرُ فِيهَا بَرَاعَتَهُ فِي وَصْفِ الْهَلَالِ:

كَأَنَّ شَكْلَ هَلَالِ الْعِيدِ فِي يَدِهِ قَوْسٌ عَلَى مُهَجِ الْأَعْدَاءِ مَوْتُورُ⁽¹⁾
أَوْ مَخْلَبٌ مَدَّهُ نَسْرُ السَّمَاءِ لَهُمْ فَكُلُّ طَائِرٍ قَلْبٍ مِنْهُ مَذْعُورُ
أَوْ مَنْجَلٌ لِحَصَادِ الْقَوْمِ مَنْعَطِفُ أَوْ خَنْجَرٌ مَرْهَفُ الْحَدَّيْنِ مَطْرُورُ⁽²⁾
أَوْ نَعْلٌ تَبَرَّ أَجَادَتْ فِي هَدْيَتِهِ إِلَى جَوَادِ بْنِ أَيُوبَ الْمَقَادِيرُ⁽³⁾
أَوْ رَاكِعُ الظَّهِرِ شُكْرًا فِي الظَّلَامِ عَلَى مَنْ فَضَّلَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَشْكُورُ
أَوْ حَاجِبٌ أَشْمَطُ يَبْنِي بِأَنَّ لَهُ عَمْرًا لَهُ فِي ظِلَالِ الْمَلِكِ تَعْمِيرُ⁽⁴⁾
أَوْ زُورْقٌ جَاءَ فِيهِ الْعِيدُ مَنْحَدِرًا حَيْثُ الدُّجَا كَعُبابِ الْبَحْرِ مَسْجُورُ⁽⁵⁾
أَوْ لَا فَقْل: شَفَّةٌ لِلْكَأْسِ مَائِلَةٌ تَذَكُرُ الْعَيْشَ إِنَّ الْعَيْشَ مَذْكُورُ
أَوْ لَا فَنَصْفُ سَوَارٍ قَامَ يَطْرَحُهُ كَفُّ الدُّجَا حِينَ عَمَّتْهُ التَّبَاشِيرُ⁽⁶⁾
أَوْ لَا فَقِطْعَةٌ قِيدُ فُكٍّ عَنْ بَشِيرٍ أَخْنَى الصِّيَامِ عَلَيْهِ فَهُوَ مَأْسُورُ⁽⁷⁾
أَوْ لَا فَمِنْ رَمَضَانَ النُّونُ قَدْ سَقَطَتْ لَمَّا مَضَى وَهُوَ مِنْ شَوَّالٍ مَحْصُورُ
فَانْعَم بِهِ وَبِأَمْدَاحٍ مُشْعَشَعَةٍ مُدِيرُهَا فِي الصَّبَاحِ الْفِطْرِ مَبْرُورُ⁽⁸⁾

(1) المهج: مفردا مهجة: الروح.

(2) المطرور: المسنون.

(3) التبر: الذهب أو الفضة.

(4) الحاجب الأشمط: الذي صار أيضاً وعلاه الشيب.

(5) الدجا: الظلام - مسجور: محترق ومشتعل.

(6) عَمَّتْهُ: وَصَلَتْهُ

(7) أَخْنَى عَلَيْهِ: طَالَ عَلَيْهِ.

(8) مشعشة: مضببة.

نَفَاحَةُ الْمِسْكِ مِنْ مَسْوَدٍّ أَحْرَفُهَا مَا كَانَ يَبْلُغُهَا فِي مِصْرَ كَافُورٌ⁽¹⁾

79

قالت عائشة الباعونية في دمشق أيضاً:

نَزَّهَ الطَّرْفُ فِي دِمَشْقَ فَفِيهَا كُلُّمَا تَشْتَهِي وَمَا تَخْتَارُ⁽²⁾
هِيَ فِي الْأَرْضِ جَنَّةٌ فَتَأْمَلُ كَيْفَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
قَدْ سَمَا فِي رُبُوعِهَا كُلُّ قَضِرٍ أَشْرَقَتْ مِنْ وُجُوهِهَا الْأَقْمَارُ
وَتُنَاغِيكَ بَيْنَهَا صَادِحَاتٌ خَرَسَتْ عِنْدَ نُطْقِهَا الْأَوْتَارُ⁽³⁾
كُلُّهَا رَوْضَةٌ وَمَاءٌ زَلَالٌ وَقُصُورٌ مَشِيدَةٌ وَدِيَارُ

80

قال صفي الدين الحلي يصف عذاباته في جهنم:

نَظَرُوا الْهَلَالَ فَأَعْظَمُوهُ وَأَكْبَرُوا، حَتَّى سَفَرَتْ، فَقِيلَ هَذَا أَكْبَرُ⁽⁴⁾
وَدَرَوْا بِأَنَّهُمْ بِذَلِكَ أَخْطَأُوا، فَأَتَاكَ كُلُّ تَائِبٍ يَسْتَغْفِرُ
يَا جَنَّةُ يَصَلِّي الْمُحِبُّ بِهَا لَطًى، وَيَمُوتُ مِنْ ظَمَأٍ، وَفِيهَا الْكَوْثَرُ⁽⁵⁾
صَيَّرْتَنِي فِي نَارِ حَبْكَ خَالِداً، قَلْبٌ يَذُوبُ، وَأَدْمَعُ تَتَحَدَّرُ
فَكَأَنَّ قَلْبِي فِي الْحَقِيقَةِ مِرْجَلٌ، نَارُ الصَّبَابَةِ حَوْلَهُ تَتَسَعَّرُ⁽⁶⁾
فَإِذَا تَصَاعَدَ بِالتَّنْفَسِ حَرُّهَا يُهْدِي إِلَى عَيْنِي الدِّمُوعَ، فَتَقْطُرُ⁽⁷⁾

(1) النفاحه المسك: رائحته الفاتحة.

(2) الطرف: العين.

(3) تناغيك: تلاطفك بالمحادثة والمداعبة.

(4) سفرت: ظهرت وأشرق.

(5) يصلى: يحترق - لظى النار: حرارتها وتوهجها - الكوثر: نهر في الجنة.

(6) الميرجل: إناء يُغلى فيه الماء - تتسع: تشتعل وتلتهب.

(7) تقطر: ينسكب دمعها.

قال الشهاب محمود مادحاً الملك الظاهر بيبرس بعد أن قضى على التتار قضاءً مبرماً:

سِرْ حَيْثُ شِئْتَ لَكَ الْمُهَيْمُنُ جَارُ واحْكَمْ فَطَوُّعُ مَرَادِكَ الْأَقْدَارُ⁽¹⁾
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ الَّذِي أَظْهَرْتَهُ يَا رُكْنَهُ، عِنْدَ الْأَعَادِي ثَارُ
لَمَّا تَرَاقَصَتِ الرُّؤُوسُ وَخُرَّكَتْ مِنْ مُظْطَرِبَاتِ قَسِيكَ الْأَوْتَارُ⁽²⁾
حَمَلَتْكَ أَمْوَاجُ الْفِرَاتِ وَمَنْ رَأَى بَحْرًا سِوَاكَ تُقِلُّهُ الْأَنْهَارُ⁽³⁾
وَتَقَطَّعْتَ فِرْقًا وَلَمْ يَكُ طَوْدَهَا إِذْ ذَاكَ إِلَّا جَيْشُكَ الْجَرَارُ
رَشَّتْ دِمَاؤُهُمُ الصَّعِيدَ فَلَمْ يَطْرُ مِنْهُمْ عَلَى الْجَيْشِ السَّعِيدِ غُبَارُ⁽⁴⁾
شَكَرْتَ مَسَاعِيكَ الْمَعَايِلُ وَالْوَرَى وَالتُّرْبُ وَالْأَسَادُ وَالْأَطْيَارُ
هَذَا مَنَعْتَ وَهَؤُلَاءِ حَمَيْتَهُمْ وَسَقَيْتَ تِلْكَ وَعَمَّ ذَا الْإِسَارُ⁽⁵⁾
فَلَأْمَلْنَا الدَّهْرَ فَيْكَ مَدَائِحًا تَبْقَى، بَقِيَّتِ، وَتَذْهَبُ الْأَعْصَارُ⁽⁶⁾

قال ابن مليك الحموي مادحاً قاضي القضاة شهاب الدين:

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلاكَ فَمَا عَسَى يَقُولُ حَسُودٌ أَوْ عَدُوٌّ يُجَاهِرُ
وَأَضَحَّتْ دِمَشْقُ الشَّامِ بِالْحُسْنِ جَنَّةً عَلَيْهَا جَمَالٌ مِنْكَ بَاهٍ وَبَاهِرُ

(1) المهيمن: الله عز وجل.

(2) القسي: جمع قوس.

(3) تقله: تحمله.

(4) الصعيد: الأرض أو التراب.

(5) الإيسار: الخير والبركة، وذلك من جث الأعداء.

(6) الأعصار: العصور، مفردها عصر.

- وَحَاكَّتْ لَهَا أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِفًا
وروضُ الهَنَّا بِالرِّقِّ نَقَرَ طَيْرُهُ
وَجَامِعُهَا بِالْحُسْنِ أَصْبَحَ مَفْرَدًا
وَصَارَ عَلَيْهِ مِنْ شِعَارِكَ رَوْنُقٌ
وَمَنْبَرُهُ لَمَّا بِهِ قُمْتَ خَاطِبًا
وَرَزَدَتْ مَعَ الْأَيَّامِ لَيْلًا لِأَهْلِيهَا
فَهَذَا هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي عَنْ نَوَالِهِ
أَخُو الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ يُسْتَمَطَّرُ النَّدَى
وَأَقْلَامُهُ السُّمُرُ الرَّشَاقُ كَأَنَّهَا
إِذَا مَا جَرَتْ فَوْقَ الطُّرُوسِ تَمْدُّهَا
- مَوْشَعَةٌ قَدْ دَبَّجَتْهَا الْأَزَاهِرُ⁽¹⁾
وَعَنَّى عَلَى الْعِيدَانِ وَالرَّيْحُ زَامِرُ⁽²⁾
وَقَدْ أَعْرَبَتْ بِالْوَضْفِ عَنْهُ الضَّمَائِرُ
وَفِيهِ لَقَدْ أَضَحَّتْ تُقَامُ الشَّعَائِرُ⁽³⁾
تَمَنَّتْ بِأَنْ تَسْعَى إِلَيْكَ الْمَنَابِرُ
وَوَافَتْ وَحْيِي الشُّوقِ بِالْأُنْسِ عَامِرُ
مَوَارِدُهُ قَدْ أَغْرَبَتْ وَالْمَصَادِرُ⁽⁴⁾
وَمَا هُوَ إِلَّا الْغَيْثُ بِالْجُودِ مَاطِرُ
رِيَاضٍ وَالْحَاظُ الطُّبَاءِ الْمَحَابِرُ⁽⁵⁾
يَدَاهُ بِهَا عَنْهُ تَضَيِّقُ الدَّفَاتِرُ⁽⁶⁾

قال التلعفري في إحدى خمرياته:

- نَهَارِي كُلُّهُ قَلَقٌ وَفَكْرُ
وَلَيْلِي كُلُّهُ أَرْقٌ وَذَكْرُ⁽⁷⁾
تَقَسَّمَنِي الْهَوَى كَمَدًّا وَحُزْنًا
فَأَمْرُهُمَا لِحَتْفِي مُسْتَمِرُ⁽⁸⁾
فَقُمْ نَخْطُبُ عُرُوسًا بِنْتَ كَرَمٍ
لَهَا الْأُمُوالُ وَالْأَلْبَابُ مَهْرُ⁽⁹⁾

- (1) المطارف: مفرداها مُطَرَف: رادء من خز مريع ذو أعلام - موشع: موشى ومزين - دبجه: نقشه وزينه.
(2) الرق: آلة موسيقية يُنَقَّر عليها - الزامر: الذي يعزف على المزمار.
(3) الرونق: الحسن.
(4) النوال: العطاء.
(5) الألحاظ: العيون.
(6) الطروس: مفرداها طرس وهو الصحيفة أو الكتاب.
(7) الأرق: عدم القدرة على النوم.
(8) الحتف: الهلاك.
(9) العروس وبنات الكرم والمعجوز: كلها من أسماء الخمر - الألباب: العقول.

عجوزٌ قد أَسَنَّتْ وهي بِكْرُ
مفرحةٌ يفرُّ الهمُّ منها
إذا برزتُ وجنحُ الليلِ داجٍ
غنيْتُ بكأسِها وبِها، ولمْ لا؟
يطوفُ بها علينا بَدْرٌ تَمَّ
لنا بكوؤوسِهِ وبمقلتيهِ
نردُّ بها إِلَيْهِ وهي بِيضٌ
ومن عجبٍ عجوزٌ وهي بِكْرُ⁽¹⁾
فليسَ يضمُّها والهمُّ صدرُ
تبلُّجٍ من سناها فيه فجرُ⁽²⁾
ومن هَذينِ لي ورقٌ وتَبَرُّ⁽³⁾
منيرٌ عمرُهُ خَمْسٌ وعشرُ
كما حَكَمَ الهوى سَكْرٌ وسُكْرُ
ويأخذها إلينا وهي حُمْرُ

84

قال ابن نباتة يرثي ولداً له مات صغيراً:

اللَّهُ جَارُكَ إِنَّ دَمْعِي جَارِي
لما سكنتَ من الترابِ حديقةً
شَتَّانَ ما حالي وحالكُ: أنتَ في
حَفِّ النَّجَا بك يا بُنَيَّ إلى السُّرَى
ليتَ الرَّدَى إذْ لم يدْعَكَ أَهَابُ بي
ليتَ القضا الجاري تمهَّلَ وِرْدُهُ
ما كنتَ إلَّا مثلاً لمحَّةٍ بارِقِ
يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ⁽⁴⁾
فاضتُ عليك العينُ بالأنهارِ
عُرِفَ الجَنَانِ، ومهجتي في النارِ⁽⁵⁾
فسبَقْتَنِي، وثَقُلْتُ بالأوزارِ⁽⁶⁾
حتى ندومَ معاً على مِضمارِ⁽⁷⁾
حتى حَسِبْتُ عواقِبَ الإصدارِ
ولَّى، وأغرَى الجَفْنَ بالإمطارِ

(1) أَسَنَّتْ: تقدمت في السن.

(2) داج: مظلم السنا: النور.

(3) التبر: الذهب قبل صياغته - الورق: النقود.

(4) الأوطار: الغايات والمطالب، مفردها وطر.

(5) المهجة: الروح.

(6) الأوزار: الأعباء والهموم الثقيلة، وتأتي بمعنى الذنوب.

(7) الردى: الموت - أهَاب لي: دعاني.

أَبْكِيكَ مَا بَكَتِ الْحَمَامُ هَدِيلَهَا
 أَبْكِي بِمُخَمَّرِ الدُمُوعِ وَإِنَّمَا
 قَالُوا صَغِيرًا قُلْتُ: إِنَّ! وَرَبِّمَا
 وَأَحَقُّ بِالْأَحْزَانِ مَاضٍ لَمْ يَسِءْ
 نَائِي اللَّقَا وَجَمَاهُ أَقْرَبُ مَطْرَحًا
 لَهْفِي لِفَصْنٍ رَاقِنِي بِنَبَاتِهِ
 لَهْفِي لَجَوْهَرَةٍ خَفْتُ، فَكَأَنَّنِي
 لَهْفِي لِسَارٍ حَارٍ فِيهِ تَجَلُّدِي
 سَكَنَ الثَّرَى فَكَأَنَّهُ سَكَنَ الْحَشَا
 أَغْرَزَ عَلَيَّ ضَيْفَ مَسَامِعِي
 أَغْرَزَ عَلَيَّ بَأْنَ رَحَلْتُ وَلَمْ تَخْضُ
 أَغْرَزَ عَلَيَّ بَأْنَ نَثَرْتُ عَلَى الثَّرَى
 أُبْنِي إِنْ تُكْسَ التَّرَابَ فَإِنَّهُ
 مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَسُرُّ مُؤْمَلًا
 لَوْ أَنَّ أَخْبَارِي لَدَيْكَ تَوَصَّلْتُ
 أَحْزَانُ مُدَكَّرٍ، وَسَلْوَةٌ مَفْرَدٍ
 أُبْنِي إِنْ قَدْ كَنَزْتُكَ فِي الثَّرَى
 أُبْنِي قَدْ وَقَفْتُ عَلَيَّ حَوَادِثُ
 وَأَجِنُّ مَا حَنَنْتُ إِلَى الْأَوْكَارِ⁽¹⁾
 تَبْكِي الْعَيُونَ نَظِيرَهَا بِنُضَارِ⁽²⁾
 كَانَتْ بِهِ الْحَسْرَاتُ غَيْرَ صَغَارِ
 بَيْدٍ وَلَا لِسَنِ وَلَا إِضْمَارِ⁽³⁾
 يَا بُغْدَ مَجْتَمَعٍ وَقُرْبَ مَزَارِ⁽⁴⁾
 لَوْ أَمَهَلْتُهُ التَّرْبُ لِلْإِثْمَارِ
 حَجَّبْتُهَا مِنْ أَدْمَعِي بِبَحَارِ
 وَاحْثِرْتِي بِالْكَوْكَبِ السَّيَّارِ⁽⁵⁾
 مِنْ فَرَطٍ مَا شُغِلْتُ بِهِ أَفْكَارِي
 لَمْ يَحْظَ مِنْ ذَاكَ اللِّسَانِ بِقَارِي⁽⁶⁾
 أَقْدَامُ فِكْرِكَ أَبْحَرَ الْأَشْعَارِ
 وَعَلَيْكَ مِنْ دَمْعِي كَدْرٌ نِشَارِ
 غَايَاتُ أَجْمَعِنَا، وَلَيْسَ بَعَارِ
 فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْخِيَالُ السَّارِي⁽⁷⁾
 لِبَكِيَّتٍ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ أَخْبَارِي
 وَمُقَامُ مَضْيَعَةٍ، وَذُلُّ جَوَارِ
 فَاَنْفَعُ أَبَاكَ بِسَاعَةِ الْإِقْتَارِ⁽⁸⁾
 فَوْقَفَنَ مِنْ طَلَلٍ عَلَى آثَارِ

(1) الأوكار: مفردها وكر: وهو البيت أو العش.

(2) النضار: الخالص الصافي من كل شيء أي بالدموع فقط.

(3) إضمار: إخفاء.

(4) نائي: بعيد.

(5) الساري: السائر ليلاً - التجلد: الصبر والتحمل.

(6) صدر البيت: مختل ناقص.

(7) مؤملاً: متفائلاً.

(8) ساعة الإقتار: يقصد يوم الحساب.

وَمَضَى الْبَيَاضُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا
نَمْ وَادِعاً فَلَقْدَ تَقَرَّحَ نَاطِرِي
أَرْغَى الدُّجَى وَكَأَنَّ ذَيْلَ ظِلَامِهِ
خَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الْمَجَرَّةِ سَجْفَهُ
تَبَّأً لِعَادِيَةِ الزَّمَانِ عَلَى الْفَتَى
وَحَوِثُ دِينَاراً بِوَجْهِكَ فَاثْتَحَى
لَكِنَّهَا أَبَقَتْهُ فَوْقَ عِذَارِي⁽¹⁾
سَهَرًا، وَنَامَتْ أَعْيُنُ السُّمَارِ
مُتَشَبِّثٌ بِالنَّجْمِ فِي مِسْمَارِ⁽²⁾
أَمْ قُسِّمَتْ شَمْسُ النَّهَارِ دَرَارِي
فَلَقْدَ حَذَرْتُ وَمَا أَفَادَ حِذَارِي⁽³⁾
صَرَفُ الزَّمَانِ، فَرَاخَ بِالْدِينَارِ

وقال ابن عربي يخاطب بعض الأرواح:

لَا تَعْجَلَنَّ فَإِنَّ الْأَمْرَ حَاصِلُهُ
وَاسْلُكْ سَبِيلَ إِمَامٍ جَلَّ مَقْصَدُهُ
وَخُذْ بِهِ خَلْفَهُ فِي الْحَالِ مُقْتَدِيًا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَوِي الْأَفْكَارِ فِي عَمِهِ
وَالْعَقْلُ لَيْسَ لَهُ تَقْبِيحٌ مَا قُبِحَتْ
وَمَا لَهُ ذَلِكَ التَّحْكِيمُ فِي عِبَرِ
وَلَيْسَ يَغْرِفُ سِرَّ اللَّهِ فِي الْقَدْرِ
وَمَا رَأَى أَثَرَ الْأَسْمَاءِ فِي أَحَدٍ
لَا نَعَتْ أَشْرَفُ مِنْ عِلْمٍ يَفُوزُ بِهِ
يَمْشِي بِهِ آمِنًا فَالْعِلْمُ مَحْفَظَةٌ
إِلَيْكَ مَرْجِعُهُ فَانْهَضْ عَلَى قَدَرِ
مُصَدِّقٍ فِي الَّذِي قَدْ جَاءَ مِنْ حَبَرِ
وَارْكُنْ إِلَيْهِ وَلَا تَرْكُنْ إِلَى النَّظَرِ
فَكُنْ مِنَ الْفِكْرِ يَا هَذَا عَلَى حَذَرِ⁽⁴⁾
صِفَاتُهُ وَلَهُ فِي التَّحْكِيمِ فِي الْعِبَرِ
إِلَّا إِذَا كَانَ فِي التَّحْكِيمِ ذَا بَصَرِ
إِلَّا الَّذِي عَلَّمَ الْأَعْيَانَ بِالْأَثَرِ
فَقَالَ فِي مُثَبِّتِيهَا هُمْ عَلَى خَطَرِ
يَقُولُ مَنْ فَاتَهُ يَا خَيْبَةَ الْعُمُرِ
لِمَنْ يُحْصِلُهُ مِنْ وَقْعَةِ الْغَرَرِ⁽⁵⁾

(1) العذار: جانب اللحية.

(2) الدجى: الظلام.

(3) تبأ: سحقاً، هلاكاً.

(4) عمه: ضلال.

(5) الغرر: نقول: غرَّ الرجل إذا كان ذا غفلة، وقُلْتُ فطنته.

قالت عائشة الباعونية مستهلة مدحتها للنبي الأعظم ﷺ:

حَنِينِي لِسَفْحِ الصَّالِحِيَّةِ والجَسْرِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي والأَمَانِي كثيرةٌ
وَهَلْ أَرَدَنْ صَافِي يَزِيدَ وأَجْتَلِي
بَلَى إِنَّ رَبِّي قَادِرٌ وَعَظَاؤُهُ
وَلِي أَمَلٌ فِيهِ جَمِيلٌ وجودُهُ
وَحَسْبِي بَشِيرًا بالأَمَانِي وبِالْمُنَى
وَلَا بُدَّ مِنْ جودِ يَوَافِي رِفَاؤُهُ
وَيَبْدُو صَبَاحُ الوَصْلِ أبيضَ سَاطِعًا
سَلِيلُ أَجَا، كَهْفُ اللَّجَا، وافرُ الْحَجَا
إِمَامٌ حَوَى مِنْ كُلِّ عِلْمٍ لُبَابَهُ
وَأَصْبَحَ فِي بَحْرِ الحَقَائِقِ غَائِصًا
تَلَوَّذَ بِهِ الأَعْيَانُ فِيمَا يَهْمُهُمْ
كَرِيمٌ تُجَارِي السُّحْبَ رَاحَتُهُ وَلَا
يَمْنُ وَلَا مِنْ يَشُوبُ عَطَاءُهُ
عَرَائِسُ فِكْرٍ أَرَخَصَ الدَّرَّ لَفْظُهَا
مَفِيدٌ بِحُلِّ المَشْكَلَاتِ بِمَوْجِزِ

أَهَاجِ الهَوَى بَيْنَ الجَوَانِحِ والصُّدْرِ
أَلْبُلُغُ مَا أَرْجُوهُ قَبْلَ انْقِضَا عُمْرِي⁽¹⁾
مَحَاسِنَ ذَاكَ السَّفْحِ والمرجِ والقَصْرِ⁽²⁾
بَغِيرِ حِسَابِ والهِبَاتِ بِلَا حَضَرِ
كَفِيلٌ بِمَا أَرْجُوهُ مِنْ مِنَّنِ الجَبْرِ
مُعَامَلَتِي بِاللِّظْفِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ
بِتَبْلِيغِ آمَالِي وَفُكِّي مِنَ الأَسْرِ⁽³⁾
سَطْوَعُ ضِيَاءِ البَشْرِ مِنْ كَاتِبِ السَّرِّ
مُنِيلُ الرَّجَا، رُكْنُ السِّيَادَةِ والفَخْرِ⁽⁴⁾
فَحَجٌّ لِعَالِي بَابِهِ كُلُّ ذِي قَدْرِ⁽⁵⁾
وَمُسْتَخْرِجًا مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ
فِيْلَفُونُ عَطْفَ البَرِّ أَوْ فَائِضَ البَرِّ⁽⁶⁾
يَرِيدُ بِمَا يَجْزِي سَوَى الفُوزِ بالأَجْرِ
وَيَمْنَحُ مِنْ لَفِظِ سَبَى العَقْلِ بالسَّحْرِ
وَأَنْشَتْ مَعَانِيهَا لَنَا دَهْشَةَ الفِكْرِ
حَلَا وَعَلَا عَنْ وَهْدَةِ العِيِّ والحَصْرِ⁽⁷⁾

(1) انقضا: انقضاء.

(2) يزيد: اسم نهر.

(3) الرِّفَاء: الالتئام والاتفاق.

(4) اللجا: تريد اللجوء - الحجبا: الستر، أو العقل.

(5) لباب الشيء: قلبه وجوهره.

(6) يلفون: يجدون.

(7) الوهدة: الأرض المنخفضة - العي: العجز والضعف.

ملِيّ بتدبيرِ الممالِكِ مرتضى الـ ملوك ملاذُ النَّاسِ في سائرِ المِصرِ
هو الشمسُ في العليا هُوَ النّجْمُ في الهُدَى هو العَوْتُ في الجدوى هو الصُّبْحُ في البشرِ

87

قال بهاء الدين زهير مادحاً الملك الكامل ناصر الدين أبا الفتح بمناسبة
القضاء على الإفرنج وطردهم من ثغر دميّاط:

بك اهترَّ عَظْفُ الدِّينِ فِي حُلُلِ النَّصْرِ وَرُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا مِلَّةُ الْكُفْرِ⁽¹⁾
أَلَا فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ مَنْ هُوَ قَائِلٌ وَدُونَكَ هَذَا مَوْضِعُ النَّظْمِ وَالنَّشْرِ
فِيَا مَلِكاً سَامَى الْمَلَائِكِ رِفْعَةً فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى لَهُ أَطْيَبُ الذِّكْرِ
لِيَهْنِئْتُكَ مَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ إِنَّهَا مَوَاقِفُ هَنِّ الْعُرِّ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ⁽²⁾
وَمَا فَرِحْتُ بِمُضَرٍّ بِذَا الْفَتْحِ وَخَذَهَا لَقَدْ فَرِحْتُ بِغَدَادُ أَكْثَرَ مِنْ مِصْرِ
فَلَوْلَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ حَقُّ قِيَامِهِ لَمَا سَلِمَتْ دَارُ السَّلَامِ مِنَ الذُّعْرِ⁽³⁾
وَأُقْسِمُ لَوْلَا هِمَّةٌ كَامِلِيَّةٌ لَخَافَتْ رِجَالٌ بِالْمَقَامِ وَبِالْحَجْرِ⁽⁴⁾
فَمَنْ مُبْلِغُ هَذَا الْهِنَاءِ لِمَكَّةَ وَيَثْرِبُ تُنْهِيه إِلَى صَاحِبِ الْقَبْرِ
فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ إِنَّ سَمِيَّةَ حَمَى بَيْضَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ نُوبِ الدَّهْرِ⁽⁵⁾
هُوَ الْكَامِلُ الْمَوْلَى الَّذِي إِنْ ذَكَرْتُهُ فِيَا طَرَبَ الدُّنْيَا وَيَا فَرَحَ الْعَصْرِ
بِهِ ارْتَجَعْتُ دِمِيَّاطَ قَهْرًا مِنَ الْعَدَى وَطَهَّرَهَا بِالسَّيْفِ وَالْمِلَّةِ الطُّهْرِ
وَرَدَّ عَلَى الْمَحْرَابِ مِنْهَا صَلَاتَهُ وَكَمْ بَاتَ مُشْتَاقًا إِلَى الشُّفْعِ وَالْوَثْرِ
وَأُقْسِمُ إِنْ ذَاقْتُ بَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَى فَلَا حَلِمَتْ إِلَّا بِأَعْلَامِهِ الصُّفْرِ⁽⁶⁾

(1) العطف: الجانب - الملة: الجماعة.

(2) الغر: الواضحة المضينة.

(3) دار السلام: بغداد.

(4) المقام والحجر: مكة وما حولها.

(5) بيضة الإسلام: قتيته.

(6) بنو الأصفر: يقصد الفرنجة.

عَجِبْتُ لبحرٍ جاء فيه سَفِينُهُمْ
ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ أَقَمْتُ وَأَشْهُرًا
صَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ
وَلَيْلَةَ غَزْوٍ لِلْعَدُوِّ كَانَهَا
فِيَا لَيْلَةَ شَرَفَ اللَّهُ قَدْرَهَا
أَسَاطِيلُ لَيْسَتْ فِي أَسَاطِيرِ مَنْ مَضَى
وَجِيشٍ كَمَثَلِ اللَّيْلِ هَوَلًا وَهَيْبَةً
وَبَاتَتْ جُنُودُ اللَّهِ فَوْقَ ضَوَامِرٍ
فَمَا زِلْتُ حَتَّى آيَدَ اللَّهُ حِزْبَهُ
فَرَوَيْتَ مِنْهُمْ ظَامِيءَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا
وَجَاءَ مَلُوكُ الرُّومِ نَحْوَكَ خُضْعًا
أَتَوْا مَلِكًا فَوْقَ السَّمَاءِ مَحَلَّهُ
فَمَنْ عَلَيْهِم بِالْأَمَانِ تَكْرُمًا
كَفَى اللَّهُ دَمِيطَ الْمَكَارَةِ إِنَّهَا
وَمَا طَابَ مَاءُ النَّيْلِ إِلَّا لِأَنَّهُ
فَلِئَلَّهِ يَوْمُ الْفَتْحِ يَوْمٌ دَخُولُهَا
لَقَدْ فَاقَ أَيَّامَ الزَّمَانِ بِأَسْرِهَا
وَيَا سَعْدَ قَوْمٍ أَدْرَكُوا فِيهِ حَظَّهُمْ
وَإِنِّي لَمُرتاحٌ إِلَى كُلِّ قَادِمٍ

أَلَسْنَا نَرَاهُ عِنْدَنَا مَلِكَ الْغَمْرِ
تَجَاهِدُ فِيهِمْ لَا بَزِيدٍ وَلَا عَمْرٍ
لِذَلِكَ قَدْ أَحْمَذَتْ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ
بِكُفْرَةٍ مَنْ أَرْدَيْتَهُ لَيْلَةَ النَّخْرِ
وَلَا غَزْوٍ إِنْ سَمَّيْتُهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
بِكُلِّ غَرَابٍ رَاحَ أَفْتَكُ مِنْ صَقْرِ
وَإِنْ زَانَهُ مَا فِيهِ مِنْ أَنْجَمٍ زُهِرٍ⁽¹⁾
بِأَوْضَاحِهَا تُغْنِي السَّرَاةَ عَنِ الْفَجْرِ⁽²⁾
وَأَشْرَقَ وَجْهُ الْأَرْضِ جَذْلَانٍ بِالنَّصْرِ⁽³⁾
وَأَشْبَعَتْ مِنْهُمْ طَاوِيءَ الذُّبِّ وَالنَّسْرِ⁽⁴⁾
تُجَرَّرُ أَذْيَالُ الْمَهَانَةِ وَالصُّغْرِ
فَمِنْ جُودِهِ ذَاكَ السَّحَابُ الَّذِي يَسْرِي⁽⁵⁾
عَلَى الرِّغْمِ مِنْ بَيْضِ الصَّوَارِمِ وَالسُّمْرِ⁽⁶⁾
لَمِنْ قِبَلَةِ الْإِسْلَامِ فِي مَوْضِعِ النَّخْرِ
يَحُلُّ مَحَلَّ الرِّيقِ مِنْ ذَلِكَ الثُّغْرِ
وَقَدْ طَارَتْ الْأَعْلَامُ مِنْهَا عَلَى وَكْرِ
وَأَنْسَى حَدِيثًا عَنْ حُنَيْنٍ وَعَنْ بَذْرِ
لَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ الْغَنِيمَةِ وَالْأَجْرِ
إِذَا كَانَ مِنْ ذَاكَ الْفَتْوحِ عَلَى ذِكْرِ

(1) زهر: مضبئة.

(2) الضوامر: الخيول - السراة: الساترون في الليل.

(3) جذلان: فرحان، مسرور.

(4) البيض: السيوف - القنا: الرماح.

(5) السماء: نجم في السماء.

(6) الصوارم: السيوف - السمر: الرماح.

فَيُظَرِّبُنِي ذَاكَ الْحَدِيثَ وَطِيبُهُ وَيَفْعَلُ بِي مَا لَيْسَ فِي قُدْرَةِ الْخَمْرِ
وَأُضْغِي إِلَيْهِ مُسْتَعِيداً حَدِيثَهُ كَأَنِّي ذُو وَقْرِ وَلَسْتُ بِذِي وَقْرِ⁽¹⁾
يَقُومُ مَقَامَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ فِي الظَّمَا وَيُغْنِي عَنِ الْأَزْوَاجِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ⁽²⁾
لَكَ اللَّهُ مَنْ أَتْنَى عَلَيْكَ فَإِنَّمَا مِنَ الْقَتْلِ قَدْ أَنْجَيْتَهُ أَوْ مِنْ الْأَسْرِ
يُقَصِّرُ عَنْكَ الْمَدْحُ مِنْ كُلِّ مَادِحٍ وَلَوْ جَاءَ بِالشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ وَالْبَدْرِ

88

قال ابن مطروح يتغزل وفيها تبدو الصنعة:

وبيضاء كالسمراء ليناً وقامة وَلَمْ أَرْ غَيْرِي شَبَّهَ الْبَيْضَ بِالسُّمْرِ
ثَنَى حُسْنُهَا طَرْفِي عَنِ الْبَدْرِ إِذْ بَدَا وَقَبَّلْتُ فَاهَا فَاغْتَبَقْتُ مِنَ الْخَمْرِ⁽³⁾
وَلَمْ أَلْتَفِتْ لِلظُّبْيِ لَمَّا تَلَفَّتَتْ وَمِلْتُ وَقَدْ مَالَتْ عَنِ الْغُصْنِ النَّضْرِ⁽⁴⁾
عَلَى أَنَّ فِي الْأَغْصَانِ مِنْهَا مِثَابَهَا إِذَا مَا تَثَنَّتْ فِي غَلَائِلِهَا الْخُضْرِ
وَقَدْ نَسَخَتْ لِي آيَةَ السَّخَطِ بِالرُّضَا وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْيُسْرِ يَأْتِي عَلَى الْعُسْرِ⁽⁵⁾
فَبِتُّ وَيَهْنِيْنِي لَذِيذُ عِنَاقِهَا وَقَدْ قَيَّدْتَنِي فِي قِيودٍ مِنَ الشَّعْرِ
وَتَكْسِرُ مِنْ أَجْفَانِهَا عِنْدَ ضَمِّهَا فَتُجْبِرُنِي فِي ذَلِكَ الضَّمِّ بِالْكَسْرِ
فَمَا شِئْتُ مِنْ ضَمٍّ وَلَشِمٍّ وَغَيْرِ ذَا وَقَالُوا دَرَى الْوَاشِي فَقُلْتُ لَهُمْ يَذْرِي

89

قال ابن نباتة مادحاً علاء الدين بن الأثير وشاكياً سوء حاله:

أَطَلْتُ مَدِيحَهُ وَأَجَدْتُ فِيهِ وَمَا حَابِيَتُهُ وَزْنَ النَّقِيرِ⁽⁶⁾

(1) الوقر: الصمم، عدم القدرة على السمع.

(2) الأزواج: مفردة الزاد، وهو طعام يُتَّخَذُ لِلسَّفَرِ.

(3) اغتبت: شربت الخمر وقت العشاء.

(4) النضر: الطري الغض.

(5) السخط: الغضب والنقمة.

(6) جابيته: ملئت إليه - النقير: الشيء الصغير الذي لا وزن له، وهو غلاف نواة التمر.

كَمَا تَشْكُو الرَّعِيَّةُ لِلْأَمِيرِ
وَقَدْ شَمِلَ الْجَلِيلَ مَعَ الْحَقِيرِ
وَشَخْصِي قَائِمٌ وَسَطَ الْهَجِيرِ⁽¹⁾
وَمَا فِي الْأَرْضِ مِثْلِي مِنْ شَكُورٍ
لِتَمْسِكَ مِنْكَ بِالْعَدْلِ السَّفِيرِ
قَدْ مَ يَا كَغَبَّةً لِلْمُسْتَجِيرِ⁽²⁾

وَقُمْتُ لِجَاهِهِ أَشْكُو اللَّيَالِي
وَأَعْجَبُ كَيْفَ أَظْمَأُ مِنْ غَمَامٍ
وَكَيْفَ ظِلَالُهُ تَسْعُ الْبَرَائِيَا
وَمَا فِي الشُّحْبِ مِثْلَ نَدَى يَدَيْهِ
رَعَاكَ اللَّهُ ذَارِكُ شَكْوَى عَبْدٍ
أَتَيْتُكَ مُحَرِّمًا مِنْ كُلِّ صُنْعٍ

قالت عائشة الباعونية في مدح النبي المختار عليه أفضل الصلاة والسلام:

أَزَلًا وَلَا أَثَرٍ مِنَ الْآثَارِ⁽³⁾
مَعَ اسْمِهِ وَجَلَاهُ لِلْإِظْهَارِ
وَعَلَيْهِ أَثْنَى فِي الْقَدِيمِ الْبَارِي⁽⁴⁾
وَهَدَى بِسِيرَتِهِ فُؤَادَ السَّارِي⁽⁵⁾
مِنْ نُورِهِ وَحَبَاهُ بِالْأَنْوَارِ
خَضَعْتُ لَدَيْهَا سَائِرُ الْأَخْبَارِ⁽⁶⁾
مَا بَعْدَهَا وَظَرُّ مِنَ الْأَوْتَارِ⁽⁷⁾
وَعَدُّوا لَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْصَارِ⁽⁸⁾

هَذَا الْحَبِيبُ وَصَفْوَةُ الْجَبَّارِ
هَذَا الَّذِي قَرَنَ الْمَهِيْمُنُ اسْمَهُ
هَذَا الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِمَدْحِهِ
هَذَا الَّذِي ظَهَرَ الْهُدَى بِظُهُورِهِ
هَذَا الَّذِي خَلَقَ الْمَهِيْمُنُ نُورَهُ
هَذَا الَّذِي حَازَ الْكَمَالَ وَغَايَةَ
هَذَا الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ لِنَهَايَةِ
هَذَا الَّذِي خَدَمَتْهُ أَعْيَانُ السَّمَاءِ

(1) البرايا: المخلوقات، يقصد الناس - الهجير: منتصف النهار واشتداد الحرارة.

(2) المستجير: نقول استجار بفلان أي: لجأ إليه.

(3) الصفوة: أي المصطفى المختار - الجبار: الله عز وجل.

(4) الباري: الخالق جل جلاله.

(5) الساري: الذاهب ليلاً.

(6) حاز: ملك.

(7) أسري به: قصدت ليلة الإسراء - الوطر: الغاية والمطلب.

(8) أعيان السماء: سادتهم وأشرافهم.

هَذَا إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ وَذُخْرُهُمْ هَذَا مَلَاذُ أَعِزَّةٍ وَكِبَارِ⁽¹⁾
هَذَا الَّذِي لَوْلَاهُ مَا خُلِقَتْ سَمَا كَلًّا وَلَا دُحَيْثُ ذَوَاتُ قَرَارِ
هَذَا فَرِيدُ الْقَابِ هَذَا أَحْمَدُ آلِ مُخْتَارُ هَذَا جَامِعُ الْأَسْرَارِ
هَذَا خِتَامُ الْأَنْبِيَاءِ هَذَا أَجْرُ لِّ الْأَصْفِيَاءِ هَذَا مَجِيرُ الْجَارِ⁽²⁾
هَذَا مَلَاذُ الْأَوْلِيَاءِ هَذَا غِيَا تُ الْآتِقِيَا هَذَا جَمَالُ الدَّارِ
هَذَا السَّرَاجُ لِمَهْتَدِ هَذَا الْبَشِيرِ ر لِمَقْتَدِ فِي عُزْلَةٍ مُتَوَارِي⁽³⁾
هَذَا الْحَيَاءُ لِعَاشِقِ هَذَا الْكَفْرِ يَلُ لَصَادِقِ بِالْجَبْرِ وَالْأَبْرَارِ
فَتَمَسَّكُوا بِوَلَائِهِ وَاسْتَبَشِرُوا بِمَغَانِمِ الرُّضْوَانِ مِنْ غَفَّارِ
وَتَوَصَّلُوا لِصَلَاتِهِ بِصَلَاتِكُمْ أَبْدَا عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْمَخْتَارِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي دَائِمًا وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَضْهَارِ
وَأَنَا لَنِي بِوَفَاءِ غَايَاتِ الْمَنَى كَرَمًا وَهَيَّا فِي جِمَاهُ جَوَارِي
مَا فَتَحَ الْوَرْدُ الْجَنِّيَّ وَقَابَلَتْ وَجَنَاتِهِ الْأَحْدَاقَ مِنْ نَوَارِ⁽⁴⁾
وَتَمَايَلِ الْغَصْنِ الرَطِيبِ مُتَوَجَّأً بِلَالِيءِ حَسْنَتٍ مِنَ الْأَزْهَارِ

قال ابن عربي يحكي تجربته في العشق الإلهي :

تَوَهَّمْتُ مَنْ أَهْوَاهُ خَارِجَ صُورَتِي فَقَدَّرْتُهُ فِي الْقُرْبِ بِالْبَاعِ وَالشِّبْرِ⁽⁵⁾
فِيْخِي فُوَادِي بِالْوِصَالِ وَبِالِلِقَا وَيَقْتُلْنِي بِالْصَّدِّ مِنْهُ وَبِالْهَجْرِ⁽⁶⁾

(1) ملاذ: ملجأ.

(2) المجير: الحامي.

(3) متواري: مخفي ومختبئ.

(4) النُّوَار: الزهر.

(5) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا انبسط الذراعان يميناً وشمالاً.

(6) الصَّد: المنع.

وَيَبْسِمُ عَنْ دَرٍّ وَيُسْفِرُ عَنْ بَذَرٍ⁽¹⁾
وَمِنْ عَسَلٍ أَضْفَى وَمَاءٍ وَمِنْ خَمْرِ
خُلِقْتُ بِهَا فِي النِّشَاتَيْنِ بِلاَ أَمْرِ
وَلَا أَذَرٍ مَغْنَاهُ وَلَا أَذَرٍ أَذَرِي
مَسْهَلَةٍ لَكِنْ عَلَى مَرْكَبٍ وَغَرٍ⁽²⁾
يَمْلَنَ عَلَيْنَا مِنْ هَوَى لا مِنْ الشُّكْرِ⁽³⁾
بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى فَقُمْتُ بِهَا أَجْرِي
كَمَا أَخْبَرَ الرَّحْمَنُ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ

يُجَرِّدُ عَنْ غُضَنِ قَوِيمٍ وَعَنْ نَقَا
وَيُجْرِي لَنَا نَهْرًا مِنَ الضَّرْعِ طَيِّبًا
يَمُدُّ بِهِ كَوْنِي لِأَنِّي مِنْ أَرْبَعٍ
مَعَ الْأَمْرِ التَّكْوِينِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
أَتَيْتُ إِلَيْهِ مِنْ طَرِيقٍ ذَلُولَةٍ
بِنَفْرِ بِأَوْتَارٍ بِأَيْدِي كَوَاعِبٍ
فَلَمَّا تَأَمَّلْنَا وَجَدْنَا وَجُودَنَا
إِلَى عَالَمِ الْأَكْوَانِ أَخْبَرَهُمْ بِهَا

قال ابن نباتة متغزلًا:

وَأَقْبَلْتُ فِي الدُّجَى تَسْعَى عَلَى حَذَرٍ⁽⁴⁾
وَكَانَ أَبْخَلَ مِنْ تُمُورٍ بِالْمَطَرِ⁽⁵⁾
شَبْتُ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ قَلْبِي وَلَمْ تَذَرِ⁽⁶⁾
وَالْبَدْرُ سَاءَ إِلَيْهَا سَهْوٌ مُغْتَذِرِ⁽⁷⁾
فِي ظِلِّ صُبْحَيْنِ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ شَعَرٍ
إِذْ نَبَّهْتَنِي إِلَيْهَا نَسْمَةُ السَّحَرِ⁽⁸⁾

رَقْتُ لَنَا حِينَ هَمَّ السَّفَرُ بِالسَّفَرِ
رَاضَ الْهَوَى قَلْبَهَا الْقَاسِي فَجَادَ لَنَا
رَأَتْ غَدَاةَ النَّوَى نَارَ الْكَلِيمِ وَقَدْ
رَشِيقَةٌ لَوْ تَرَاهَا عِنْدَمَا سَفَرَتْ
رَأَيْتَ بَذَرَيْنِ مِنْ وَجْهِ وَمِنْ قَمَرٍ
رَشَفْتُ دَرَّ الْحُمَيَّا مِنْ مُقْبَلِهَا

(1) النقا: كتيب الرمل - الدر: اللؤلؤ أو الجواهر.

(2) ذلولة: سهلة ضد وعرة.

(3) الكواعب: مفردا كاعب الفتاة أول بلوغها.

(4) السُّفَر: جماعة المسافرين - الدجى: الظلام.

(5) راض الشيء: لئنه وهذبه.

(6) النوى: الفراق والبعد - الكليم: المجروح - لم تذر: لم تدع.

(7) أسفرت الفتاة عن وجهها: أبذته وأظهرته.

(8) مقلها: ثغرها.

رَنَّتْ نَجُومُ الدُّجَى نَحْوِي فَمَا نَظَرْتُ مَنْ يَرشِفُ الرَّاحَ قَبْلِي مِنْ فَمِ الْقَمَرِ
راق العنابُ وأبدت لي سرائرها في ليلةِ الوصلِ بل في غُرَّةِ القمرِ⁽¹⁾

93

قال ابن ملك الحموي واصفاً جمال دمشق ومادحاً قاضي قضاتها:

قالوا: هُوَ الغَيْثُ والتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا أضوا وأشهرُ من نارٍ ومن نُورٍ
الغَيْثُ إِنْ شَخَّ أَوْ إِنْ سَخَّ وَابِلُهُ نَزَرُ وهذا عطاءُ غيرُ منزورِ⁽²⁾
واحجُجْ إِلَى حَرَمِ الْبَرِ مَعْتَمِر نَفُزْ بِحُجِّ حَمِيدِ السَّعْيِ مَبْرُورِ
سَادَ الْوَرَى وَلَقَدْ شَادَ الْعُلَا رَبَقاً أَفْدِيهِ مِنْ حَرَمٍ بِالمَجْدِ مَعْمُورِ
مَنْهُ تَهَلَّلَ وَجْهُ الدَّهْرِ مِنْ فَرَحٍ وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرِ
وَالْأَرْضُ قَدْ كُسِيَتْ مِنْ سُندُسٍ حُلَلًا مَفُوقَاتِ بِأَنْوَاعِ الْأَزَاهِيرِ⁽³⁾
وَبِالسُّرُورِ رُبَاهَا قَدْ زَهَتْ وَرَبَّتْ وَالبِشْرُ أَعْلَنَ فِيهِ بِالتَّبَاشِيرِ⁽⁴⁾
وَجُلَّقَ قَدْ حَلَّتْ أَنْوَارُهَا وَصَفَتْ وَزَالَ مَا كَانَ مِنْ هَمٍّ وَتَكْدِيرِ⁽⁵⁾
يَا نَاظِرَ الْجَيْشِ يَا قَاضِي الْقُضَاةِ وَمَنْ آيَاتُهُ الْغُرُ تُتْلَى فِي الْأَسَاطِيرِ⁽⁶⁾
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيداً لَا نَظِيرَ لَهَا حَسَبَ اتِّفَاقِي وَإِرَادِي وَتَخْيِيرِي

* * *

(1) غُرَّةُ القمر: وجهه ونوره.

(2) شَخَّ: قَلَّ - سَخَّ: انسكب - الوابل: المطر الغزير - نَزَر: قليل.

(3) السندس: ما رَقَّ من الديباج - حُلَلًا: جمع حَلَّة وهي الكساء.

(4) رباهها: مفردا ربوة كل ما ارتفع من الأرض دون الجبل.

(5) جُلَّقَ: يقصد دمشق.

(6) الغر: البيضاء المضيئة.

قال عفيف الدين التلمساني (*): واصفاً مجلساً من مجالس الخمرة الإلهية:

هَذي القماري تَغْنَتْ فاجلُ يا قَمري شمساً تكادُ تأتي على بَصري (1)
يَنالُ مِنْها جَنانُ الخلدِ شاربُها ونارُ لَلائِها ترميهِ بالشَّررِ (2)
فإنْ خَشِيتَ عيوانَ الحاسِدينَ بِها ففي أَشعَّتِها إنْ شئتَ فاستَرِ
لا يَسْكُنُ الهُمُّ في سَاحاتِ سَاحَتِها وليسَ ترقى إِلَيها هِمةُ الغيرِ
زادَتْ على قَدَمِ الأيَّامِ مُدَّتُها فالذَّهرُ أَقصرُ منها في مَدى العُمُرِ
وانتَ مع حَدَثانِ الوجدِ تَطْلُبُها بِكرًا تزورُكَ في الأَصالِ والبَكرِ (3)
لو لَمْ يَكُنْ عَالَمُ الأرواحِ عَالَمَها لم يَحْيَ مِنْ بَعدِ موتِ عَالَمِ الصُّورِ
فَمَنْ يَبِيعُ رِسمَهُ في حانِ سَكرَتِها بِالعينِ مِنْها يَفْزُ بِالعينِ والأثرِ (4)
فَعاطِ قَهوَتِها أَبناء سَكرَتِها ما دَنَسُوا طيِّبَ صَفوِ العيشِ بالكَدْرِ (5)

(*) هو عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي. ولد في تلمسان وفيها نشأ وتلقى الطريق الصوفية. طاف عفيف الدين في الأرض ثم جاء إلى القاهرة، حيث ولد ابنه الشاب الظريف سنة 660هـ، ثم إنه زار بلاد الروم في آسية الصغرى، وتلقى الطريقة المولوية على صدر الدين أبي المعالي محمد بن إسحاق القونوي، ثم انتقل إلى دمشق، فَعُيِّن فيها مباشراً لاستيفاء أموال الخزينة.

كان عفيف الدين التلمساني ناثراً وشاعراً ومصنفاً. أما شعره فسهلٌ ينوء أحياناً بالضعف الذي ينوء به الشعر الصوفي عموماً. وأغراض شعره هي الأغراض الصوفية. ثم إن له عدداً من المقامات وعدداً من التصانيف منها: «شرح المواقف لمحمد بن عبد الجبار النَّفَّري»، «شرح القصيدة العينية لابن سينا»، «شرح منازل السائرين لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي»، «رسالة في شرح الأسماء الحسنی»، «رسالة في علم العروض».

(1) القماري: الحمام.

(2) لَلائِها: ضوءها.

(3) الوجد: الحب - الأصال: مفردة أصيل وهو ساعة الغروب - البكر: مفردة بُكرة: وهي أول النهار إلى طلوع الشمس.

(4) الحان: الخُمارة.

(5) القهوة: الخمر - كدرَ العيش: تعكّر ولم يصف.

مَنْ كُلُّ أبلَجٍ لو لم تدُنْ هَمَّتُهُ تَواضِعاً كَانَ إِحْدَى الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ⁽¹⁾
أَقَامَ بَيْنَ نَدَامَاهُ وَهَمَّتُهُ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَمْ تَبْرَحْ عَلَى سَفَرِ⁽²⁾

95

قال ابن مليك الحموي في إحدى قصائده مادحاً ولي الدين، ومعرباً بوفاة أبيه، ومهتماً بالوظيفة الجديدة:

بَكَ الدَّهْرُ قَدْ أَبْدَى التَّهَلُّلَ وَالْبِشْرَا وَمَا جَنَى قَدْ جَاءَ يُبْدِي لَنَا الْعُذْرَا⁽³⁾
وَإِنْ كَانَ ذَاكَ الْبَحْرُ قَدْ غَاصَ فِي الثَّرَى فِيمُنَاكَ قَدْ أَبَدْتَ لَنَا أَبْحُرَا عَشْرَا
وَمَا مَاتَ مِنْ فِي الدَّهْرِ أَنْتَ وَلِيَّهِ وَلَمْ يُظَوِّ يَوْمًا مِنْ نَشَرْتَ لَهُ ذِكْرَا⁽⁴⁾
فَصَبْرًا وَلِيَّ الدِّينِ صَبْرًا لِمَا مَضَى وَشُكْرًا لِمَا أُوتِيَتْ مِنْ بَعْدِهَا شُكْرَا
وَبُشْرَاكَ قَدْ وُلِّيتَ أَشْرَفَ مَنْصَبٍ وَبِالصَّبْرِ قَدْ نَلَيْتَ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَا⁽⁵⁾
وَزَادَتْ دِمَشْقُ الشَّامِ حُسْنًا وَأَصْبَحَتْ لَهَا الشَّرَفُ الْأَعْلَى وَفَاقَتْ بِكُمْ مِصْرَا
وَجَامِعُهَا زُفَّتْ إِلَيْكَ عُرُوسُهُ وَمَنْبَرُهُ أَبْدَى الْمَسَرَّةَ وَالْبِشْرَا
وَقَدْ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْمَسَاكِينُ جَنَّةً فَمَنْ حَلَّ فِيهَا لَا يَجُوعُ وَلَا يَعْزَى
إِمَامُ الْهَدْيِ قَاضِي الْقَضَاةِ وَمَنْ سَمَتْ بِبَهْجَتِهِ الدُّنْيَا وَأَظْهَرَتْ الْبُشْرَى

96

قال بهاء الدين زهير يصف ألم العشق وحرقته وما يلاقه العاشق من لوعة ومرارة:

غَيْرِي عَلَى السَّلْوَانِ قَادِرٌ وَسِوَايَ فِي الْعُشَاقِ غَادِرٌ⁽⁶⁾

(1) الزُّهْرُ: المضيئة المشرقة.

(2) النَّدَامَى: جمع نديم وهو الرفيق في مجلس الخمر.

(3) التَّهَلُّلُ: نقول جاء متهللاً أي مسروراً يكاد يطير من الفرح.

(4) يَطْوِيُّ الذِّكْرَ: يُمَحِّى وَيَنْسَى.

(5) الْمَثُوبَةُ: الثواب والأجر.

(6) السَّلْوَانُ: نقول سلا عن الشيء إذا انشغل عنه ونسيه.

لي في الغرام سريرة
 ومُشَبَّه بالغُضْنِ قَلْدُ
 حُلُو الحديث وإنَّها
 أشكو وأشكُرُ فعَلَهُ
 لا تُنكِروا خَفَقَانَ قَلْدُ
 ما القَلْبُ إِلَّا دَارُهُ
 يا تاركِي في حُبِّهِ
 أبداً حديثي ليسَ بالـ
 يا لَيْلُ ما لَكَ آخِرُ
 يا لَيْلُ طُلُ يا شوقُ دُمُ
 لي فيكَ أَجْرُ مُجَاهِدِ
 طَرْفِي وَطَرْفُ النِّجَمِ فِيهِ
 يَهْنِيكَ بَدْرُكَ حَاضِرُ
 حَتَّى يَبِينَ لَنَاظِرِي
 بَدْرِي أَرْقُ مَحَاسِنَا
 واللَّهُ أَغْلَمُ بالسَّرائِرِ⁽¹⁾
 بي لا يَزَالُ عَلَيْهِ طَائِرُ
 لَحْلَاوَةٌ شَقَّتْ مَرَائِرُ
 فاعجَبْ لَشَاكِ مِنْهُ شَاكِرُ
 بي والحَبِيبُ لَدَيَّ حَاضِرُ
 ضَرَبْتَ لَهُ فِيهَا الْبَشَائِرُ
 مَثَلًا مِنَ الْأَمْثَالِ سَائِرُ
 مَنْسُوخٍ إِلَّا فِي الدَّفَائِرِ
 يُرْجَى وَلَا لِلشَّوْقِ آخِرُ
 إِنِّي عَلَى الْحَالَيْنِ صَابِرُ
 إِنْ صَحَّ أَنَّ اللَّيْلَ كَافِرُ⁽²⁾
 لَكَ كِلَاهُمَا سَاهٍ وَسَاهِرُ⁽³⁾
 يَا لَيْتَ بَدْرِي كَانَ حَاضِرُ
 مَنْ مِنْهُمَا زَاوٍ وَزَاهِرُ⁽⁴⁾
 وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرُ

قال بهاء الدين زهير :

وَلَيْلَةٌ كَأَنَّهَا يَوْمٌ أَغْرَ ظَلَامُهَا أَشْرَقَ مِنْ صَوْنِ الْقَمَرِ⁽⁵⁾

(1) السريرة: موضع الأسرار.

(2) كافر: سائر.

(3) الطرف: العين.

(4) زاهر: مضيء ومشرق.

(5) أغر: مضيء وظاهر.

كأنها في مُقلّة الدهرِ حَوَزُ
 حينَ أتتْ مَرَّتْ كَلَمَحٍ بالبصرِ
 تطابَقَ العِشاءُ منها والسَّحَرُ
 قَطَعْتُهَا فلا تَسَلْ عَنِ الخَبَرِ
 تَحْضُرُ كُلَّ رَاحَةٍ إِذَا حَضَرَ
 نِعَمَ الرِّفِيقِ فِي المَقَامِ والسَّفَرِ
 حُلُو الثَّنايا وَالتَّثَنِّي إِنْ خَطَرَ
 وَفِيهِ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ أُخَرُ
 أَشْرَفَ شَيْءٍ غُنْصَرًا وَمُعْتَصَرُ
 رَقَّتْ فَمَا يُثْبِتُهَا حَسَنُ النِّظَرِ
 وَغَرِقَتْ مِنْهُ النُّجُومُ فِي نَهَرِ
 وَخَمَشَ النَّسِيمُ أَغْصَانَ الشَّجَرِ
 قُمْنَا وَهَلْ طَابَ نَعِيمٌ وَاسْتَمَرَّ
 وَمَا لَذِيذُ العَيْشِ إِلَّا مَا اسْتَتَرَ
 يُلِحِفُنِي جَنَاحَهُ عِنْدَ الحَذَرِ
 أَوْدَعَتْهُ سِرَّ الهَوَى فَمَا ظَهَرَ
 ما قَصَّرتْ لو سَلِمْتُ مِنَ القِصَرِ⁽¹⁾
 لَيْسَ لَهَا بَيْنَ النَّهَارَيْنِ أَثَرُ
 أَلْذُّ مِنْ طِيبِ الكَرَى فِيهَا السَّهَرُ⁽²⁾
 بِصَاحِبِ حُلُوِ الحَدِيثِ وَالسَّمَرِ⁽³⁾
 فِي الجِدِّ وَالْهَزْلِ جَمِيعاً قَدْ مَهَرُ
 وَشَادِنٍ فِيهِ مِنَ التِّيهِ خَفَرُ⁽⁴⁾
 مِنْ أَطْرَبِ النَّاسِ غِنَاءٌ وَوَتَرُ
 وَقَهْوَةٌ تَسُدُّ أَبْوَابَ الفِكْرِ⁽⁵⁾
 تَضَعُفُ عَنْ إِدْرَاكِهَا قَوَى البَشَرِ
 فَلَمْ تَزَلْ حَتَّى إِذَا الفَجْرُ انْفَجَرَ
 وَأَيَقُظَ النَّائِمَ أَنْفَاسُ السَّحَرِ
 وَفَتَّتْ يَدُ الصَّبَا مِسْكَ الزَّهَرِ
 قَدْ سَتَرَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا وَعَفَرَ
 لَلَّيْلِ عِنْدِي مَنَنْ إِذَا اعْتَكَرَ⁽⁶⁾
 كَمْ حَاجَةٌ قَضِيَتْ فِيهِ وَوَطَرَ⁽⁷⁾
 رَقَّ عَلَيَّ قَلْبُهُ لَمَّا كَفَرَ⁽⁸⁾
 أَشْكُرُهُ وَإِنْ مِثْلِي مَنْ شَكَرَ

(1) المقلّة: العين.

(2) الكرى: النوم.

(3) السمر: المحادثة ليلاً.

(4) الشادن: ولد الظبية - التيه: العُجْب والتكبر.

(5) القهوة: الخمر.

(6) اعتكر: اشتد سواده والتبس.

(7) وطر: غاية والطلب.

(8) كفر: بمعنى ستر.

قال ابن نباتة مادحاً:

قَدْ أَمَكَنْتَ فُرْصُ اللَّذَاتِ فانتَهزِ
رَوْضَ يُزْفٍ وَمَعشوقٍ وكأسٍ طَلاً⁽¹⁾
أَمَا ترى الرَّاحَ يُهدى صفوً مزنتها
وحاملُ الكأسِ قد جازَ الغرامَ به
خَمْرِيَّ ثَغِيرٍ فما نفسٌ بصاحبةِ
إِذَا خَطَا نَفَحَتْ أَعْطافُهُ أَرْجاً⁽²⁾
أَنْتُمْ أَنْاسٌ إِذَا أَجْرَى الْوَرَى نَسَباً
نِعَمَ الْمُفِيدُونَ لِلطُّلَابِ مَا سَالُوا
وَالجَاعِلُونَ مَعَانِي الْمَجْدِ وَاضِحَةً
لَمْ يَبْقَ بَيْنَ بَنِي الدُّنْيَا وَبَيْنَكُمْ
دَلَّ الْعِلَاءُ عَلَى إِضْحَاحِ سُودُوكُمْ⁽³⁾
دُو الْجُودِ وَالْبَاسِ مِنْ يَعْرِضُ لِسُطُوتِهِ
وَشَائِدُ الْبَيْتِ لَا حَقٌّ بِمَطْرَحِ
أَمَّا النُّدَى فَنُدَى غَرَّ نَخَادَعُهُ
جَدْوَى عَلَى إِثْرِ جَدْوَى غَيْرِ قَاصِرَةٍ

وَسَامَحْتِكَ وَعُودُ الدَّهْرِ فانتَجَزِ⁽⁴⁾
لَقَدْ ظَفِرْتَ بَعِيشٍ غَيْرِ ذِي عَوَزِ⁽⁵⁾
غَيْمُ الرُّجَاجِ إِلَى أَرْضِ الْحِشَا الْجَرِ
قَلْبِي وَلَوْلَا فَتَاوَى الْحَبِّ لَمْ يَجْزِ
تَبْرِيُّ خَدٍّ فَمَا دَمَعُ بِمَكْتَنَزِ⁽⁶⁾
نَفَحَ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي اللَّكْزِ⁽⁷⁾
لِلْجُودِ عَدٌّ إِلَى أَيْدِيكُمْ وَعُزِي
وَالْأَخْذُونَ مِنْ الْهَلَاكِ بِالْحَجَزِ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَكَانَ الْمَجْدُ كَاللِّغَزِ
إِلَّا مِثَابَةً بَيْنَ الدُّرِّ وَالْخَرَزِ⁽⁸⁾
دَلَالَةُ الْقَبَسِ الْمُوفِي عَلَى نَشْرِ⁽⁹⁾
يَهْلِكُ وَمَنْ يَرْجُ نُعْمَى كَفُّهُ يَفْزِ
لِلْقَاصِدِينَ وَلَا وَفَرٌ بِمَكْتَنَزِ
وَالْعَزْمُ عَزْمُ سَدِيدِ الرَّأْيِ مُحْتَرَزِ
كَالسَّيْلِ مُحْتَفِزٍ فِي إِثْرِ مُحْتَفِزِ⁽¹⁰⁾

(1) انتَهز الفرصة: استغلها - انتَجَز: أسرع بإنجاز ما تريد فعله.

(2) الطلا: الخمر.

(3) تبري: ذهبي.

(4) أعطافه: جوانبه - أَرْجاً: عطراً.

(5) الدُّرُّ: اللؤلؤ.

(6) السُّود: السيادة - القبس: الشعلة - النَشْر: ما ارتفع وظهر من الأرض.

(7) الجدوى: المطر العام أو العطية.

لو نازَعَتْهُ بِيوْتُ الْأَوَّلِينَ عَلَى
 غَزَا إِلَى الْجَيْشِ مَنْصُورَ اللِّوَا وَدَنَا
 يَا مَاجِدَا نَالَ مِنْ حَمْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ
 تَقَاصَرَ الشَّعْرُ عَنْ عَلَيْكَ مِنْ خَجَلٍ
 وَمَا وَفَتْكَ لِطُولِ الْمُسْهَبَاتِ ثَنًا
 لَصِيرِ الصَّدْرِ مِنْهَا مَوْضِعَ الْعُجْزِ⁽¹⁾
 جَيْشُ السُّؤَالِ إِلَى أَمْوَالِهِ فَعُزِّي
 مَا لَمْ تَنْلُ آلَ حَمْدَانٍ وَلَمْ تَحْزِ⁽²⁾
 حَتَّى الْبَسِيطُ تَمَامًا آخِرَ الرَّجَزِ
 فَكَيْفَ نَبْغِي وَفَاءَ الْوَعْدِ بِالْوَجَزِ⁽³⁾

99

قال ابن نباتة مادحاً الملك المؤيد:

أَهْلًا بِطَيْفٍ عَلَى الْجَرَءَاءِ مُخْتَلِسِ
 وَالنَّجْمِ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ مَنْحَدِرِ
 يَا حَبَّذَا زَمَنُ الْجَرَءَاءِ مِنْ زَمَنِ
 وَحَبَّذَا الْعَيْشُ مَعَ هَيْفَاءَ لَوْ بَرَزَتْ
 خُودُهَا مِثْلُ مَا فِي الظُّبِيِّ مِنْ مَلَحٍ
 مَحْرُوسَةٌ بِشِعَاعِ الْبَيْضِ مَلْتَمِعًا
 يَسْعَى وَرَا لِحَظْهَا قَلْبِي وَمَنْ عَجَبِ
 لَيْتَ الْعَذُولَ عَلَى مَرَأَى مُحَاسِنِهَا
 إِنِّي وَإِنْ عَلَّقْتُ بِالْقَلْبِ صَبُوتَهُ
 وَالْفَجْرُ فِي سَحَرٍ كَالثَّغْرِ فِي لَعَسِ⁽⁴⁾
 كَشُعْلَةٍ سَقَطَتْ مِنْ كَفِّ مُقْتَبِسِ⁽⁵⁾
 كُلُّ اللَّيَالِي فِيهِ لَيْلَةُ الْعُرْسِ
 لِلْبَدْرِ لَمْ يَزُهُ أَوْ لِلْغُصْنِ لَمْ يَمْسِ⁽⁶⁾
 وَلَيْسَ لِلظُّبِيِّ مَا فِيهَا مِنَ الْأَنْسِ⁽⁷⁾
 وَنُورُ ذَاكَ الْمَحْيَا آيَةُ الْحَرْسِ⁽⁸⁾
 سَعْيُ الطَّرِيدَةِ فِي آثَارِ مُفْتَرَسِ
 لَوْ كَانَ ثَنَى عَمَى عَيْنِيهِ بِالْخَرَسِ
 لَمَحُوجُ الْعَيْسِ طَيِّ الضَّوِّ وَالْغَلَسِ⁽⁹⁾

(1) الصدر والعجز: الشطر الأول والثاني من البيت.

(2) تحز: تملك.

(3) المسهبات: من أسهب في حديثه إذا أطاله - الوجز: الاختصار.

(4) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل - اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة.

(5) المقتبس: الذي يطلب شعلة من النار.

(6) يمس: يميل ويتنى.

(7) الخود: مفردا خُود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق.

(8) المحيا: الوجه.

(9) الصبوة: الميل إلى اللهو واللعب - العيس: الإبل البيضاء يشوبها شقرة.

سفينه ليس تجري بي لذي بخل
 تؤم باب ابن أيوب إذا اعتكرت
 المانع الرفد أفناناً مهذلة
 والرافع البخل في الدنيا وساكنها
 محا المؤيد بؤس المقترين فما
 واستأنس الناس جدوى كفه فرووا
 ملك يقاس مجاريه بسؤدده
 وينتهي لضحى بشر مؤمله
 مظفر الجد مشاء على جد
 يخفي الها ودنانير الصلات بها
 وينشر العلم لا قول بمختلف
 ويشبع الأمر آراء مسددة
 تكون كالعضب أحياناً وأونة
 لو باشر الأفق يوماً يمين طلعت
 ولو تولت حزون الأرض راحت
 من مبلغ قومي الزاكي نجارهم
 مجدداً لي في أمداحه نسباً
 ما زلت أخبر ممدوحاً وأهجره
 وطاهر الخيم لا تُثنى خلائقه

إن السفينة لا تجري على اليبس
 سود الخطوب كما يؤتم بالقبس
 فما يرد جناها كف ملتبس⁽¹⁾
 بجود كفيه رفع الماء للنجس
 تكاد تظفر جدواه بمبتس
 عن مالك خبر العليا وعن أنس
 إذا تقايس عير الدار بالفرس
 إذا انتهى من بني الدنيا إلى عبس
 من حلمه اللذن أو من حربه الشرس
 تكاد تضرب للأسماع بالجرس
 إذا رواه ولا معنى بملتبس⁽²⁾
 تمضي وتدفع صدر الحادث الشكس⁽³⁾
 تكون من وقعات العضب كالترس⁽⁴⁾
 لما سمعت بنجم ثم منتجس
 لم يبق في الأرض صليد غير منجس⁽⁵⁾
 أني اعتزيت إلى جم العلى ندس⁽⁶⁾
 أبر من نسب في الترب مندرس⁽⁷⁾
 حتى اعتلقت بحبل محصد المرس
 على الملاك ولا تطوى على الدنس

(1) الرفد: العطاء - الأفنان: العضون - الملتبس: الطالب العطاء.

(2) الملتبس: من التبس عليه الأمر اختلط وأشكل.

(3) مسددة: صائبة.

(4) العضب: السيف القاطع.

(5) الحزون: الأرض الصلبة والخشنة.

(6) الجم: الكثير.

(7) المندرس: من اندرس الشيء: إذا زال وانمحى أثره.

ما شمتُ بَارِقَ جدواه فأخلفني
تِلْكَ العلى لابنِ حمدانٍ على حَلَبِ
مَا ضَرَّنِي إِنْ تَوَلَّوْا وَهُوَ مَرْتَقِبٌ
يَا ابْنَ الملوِكِ الأولى خُذْهَا عروسَ ثَنَاءِ
اللَّهُ أَكْبَرُ صَاغَ الحقَ مَا دِحْكُم
ولا عهدتُ إلى معروفِهِ فَنَسِي⁽¹⁾
ولا بنِ عمارَ شَاؤُ فِي طَرَابِلُسِ
وخاسَ عهدُ الغوادي وهو لم يَخْسِ
مصريَّةَ المنتمى غربيَّةَ النفسِ
كَأَنَّهُ ناطِقٌ عن حَضْرَةِ المُقدَّسِ

100

قال بهاء الدين زهير واصفاً أشواقه الحرِّى لمحبوبه الذي هجره:

أُمُؤْنَسَ قلبي كيف أَوْحِشْتَ ناظري
وَيَا سَاكِناً قلبي وَمَا فِيهِ غَيْرُهُ
وَبِاللَّهِ يَا أَغْنَى الْوَرَى مِنْ مَلَاخَةٍ
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خَلْوَةٍ لَمْ يُبَخْ بِهَا
أَنْلِنِي الرِّضَا حَتَّى أَغِيْظَ بِهِ الْعِدَى
رِضَاكَ الَّذِي إِنْ نِلْتُهُ نِلْتُ رِفْعَةً
رَعَى اللَّهُ جِيرَاناً إِذَا عَنْ ذِكْرِهِمْ
وَيَا حَبَّذا الدَّارُ الَّتِي كُنْتُ مُدَّةً
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا وَجَدْنَا نَسِيمَهَا
وَنَمْشِي حُفَاةً فِي ثَرَاهَا تَأْدَباً
وَجَامَعَ شَمْلِي كَيْفَ أَخْلَيْتَ مَجْلِسِي
فَدَيْتُكَ مَا اسْتَوْحِشْتُ مِنْهُ لِمُؤْنَسِ
تَصَدَّقْ عَلَى صَبٍّ مِنَ الصَّبْرِ مُفْلِسِ⁽²⁾
وَمَا بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ لَمْ تُدْنَسِ
وَتَذْهَبَ عَنِّي خَيْفَتِي وَتَوَجُّسِي⁽³⁾
وَالْبَسَنِي فِي النَّاسِ أَشْرَفَ مَلْبَسِ
يَغَارُ الْحَيَا مِنْ مَدْمَعِي الْمُتَبَجِّسِ⁽⁴⁾
أَمِيلُ إِلَى ظَبِي بِهَا مُتَأَنِّسِ
يَفُوحُ بِهَا كَالْعَنْبَرِ الْمُتَنَفِّسِ
نَرَى أَنَّنَا نَمْشِي بِوَادٍ مُقَدَّسِ

(1) شمت: تطلعت وترقت.

(2) الملاحة: الحسن - الصب: المشتاق.

(3) التوجُّس: الفزع والخوف.

(4) الحيا: المطر - المتبجس: نقول تبجس الدمع إذا سال بغزارة.

101

قال التلعفري في إحدى خمريّاته:

عج حينَ تسمعُ أصواتَ النواقيسِ
وانزلَ بحانةِ يوحنا وصاحبه
صَفَتْ فرَقَتْ وراقتَ وهي ذاتُ سناً
مستخبِراً عن كُميتِ اللونِ صافية
مرَّ الزمانُ عليها فهي تخبرُ عـ
تري الرّهابين صرعى مِنْ مهابتِها
تُتلى الأناجيلُ تعظيماً إذا حضرت
لها أحاديثُ ترويها إذا مُزِجَتْ
لو ذاق منها غزالُ السُّرْبِ مضمضة
يسعى بها مِنْ نصارى الدّيرِ بدرُ دُجأ
فاصرفَ بها صَرفِ خطبِ الدّهرِ مُغتتماً
واخذُزْ ملاكُ قلالِ الدّيرِ مجتلياً

مِنْ جانبِ الدّيرِ تحتَ اللَّيْلِ بالعيسِ⁽¹⁾
يوشعُ وتوما وكركرُ ثم كركيسِ
تجلّ في الوصفِ عن عيبِ وتدنيسِ⁽²⁾
قد عَتَّقَتْها أناسُ في النّواويسِ⁽³⁾
ما كان مِنْ آدمِ قدماً وإبليسِ
إذا بدتْ شَمّاسُ وقسيسِ⁽⁴⁾
لها بأشرفِ تسبيحٍ وتقديسِ
في كأسِها عن سليمان وبلقيسِ
لخافه مَنْ سَطَّها ضيغُمُ الخيسِ⁽⁵⁾
يميسُ في فتيةٍ مثلِ الطّواويسِ
ما دامتِ الشَّمْسُ معَ تلكِ الشّماميسِ
كأسَ المدامةِ إلّا فارغَ الكيسِ⁽⁶⁾

102

وقال يصف مجلساً من مجالس الأُنس واللّهو:

نَادِمٌ عُيُونُ النَّرْجِسِ بِخُدُودِ وَزْدِ الْأَكْؤُسِ⁽⁷⁾

- (1) عاج: مال - النواقيس: أجراس الكنيسة - العيس: الإبل.
- (2) السنا: الضوء - التدنيس: مصدر دنس أي اتسخ وتلطخ.
- (3) الكميت: لون الخمرة - النواويس: تابوت من الحجر مفردة ناووس.
- (4) الشماس: مرتبة دون القسيس.
- (5) الضيغم: الأسد.
- (6) قلال: جرار مفرد قلة.
- (7) نادِم: رافق وشارب.

واستَجَلِ بِكُرِّ مُدَامَةٍ معشوقةٍ لِأَنْفُسِ⁽¹⁾
 خَلَعْتَ خَلِيْعاً وَاعْتَدْتَ بجدِيدِ حُسْنٍ تَكْتَسِي
 مِنْ فَوْقِ بُسْطِ بِنْفَسِجٍ مَرْقُومَةٍ بِالسُّنْدُسِ⁽²⁾
 لَا عَيْشَ إِلَّا بِالْمُدَا مَةٍ وَالنَّدِيمِ الْأَكْيَسِ
 وَخَلَاعَةٍ مَا دُنُسْتُ أَنْوَابَهَا بِتَدْنُسِ
 وَمَعَازِلَاتٍ نَوَاطِرِ نَعَسٍ وَإِنْ لَمْ تَنْعَسِ
 مِنْ كُلِّ ظَبْيٍ نَافِرٍ مُسْتَوْجِشٍ مُسْتَأْنِسِ
 يُبْدِي لِعَيْنِكَ حُسْنُهُ مَعْنَى الْجَمَالِ الْأَقْدَسِ
 يَعِدُّ الْوَصَالَ وَيَدْعِي نَسِيَانَ ذَاكَ وَمَا نَسِي

103

قال بهاء الدين زهير يمدح الأمير مجد الدين اللمطي ويهنته بولايته أعمال القوصية:

تَمَلَّيْتُهُ يَا لَا بَسَ الْعِزِّ مَلْبَسَا وَهَنَّتُهُ يَا غَارِسَ الْجُودِ مَغْرَسَا
 قَدِمْتَ قُدُومَ الْغَيْثِ لِلْأَرْضِ إِنَّهَا بِهِ أَشْرَقَتْ حُسْنًا وَطَابَتْ تَنْفَسَا⁽³⁾
 عَلَوْتَ بَنِي الْأَيَّامِ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ إِذَا دُكِرُوا أَسْمَى وَأَسْنَى وَأَرَأَسَا⁽⁴⁾
 زَعِيمُ بَنِي اللَّمَاطِيِّ فِي الْبَاسِ وَالتَّدَى مَكْرَمُهَا الْمَأْمُولُ فِي الدَّهْرِ إِنْ قَسَا⁽⁵⁾
 غَمَامٌ هَمَى بِحَرِّ طَمَى قَمَرٌ أَضَا حُسَامٌ مَضَى لَيْثٌ قَسَا جَبَلٌ رَسَا⁽⁶⁾

(1) استجَل: انظر واستكشف - البكر: أول كل شيء.

(2) مرقومة: منقوشة ومطرزة.

(3) الغيث: المطر.

(4) أسما: أكثر سموً وعلوً - أسنى: أكثر ضياءً - أراس: أعلى درجات الرئاسة.

(5) الندى: العطاء والجد.

(6) همى: هطل وانسكب - طمى: ارتفع وفاض.

وحاشاهُ إِنِّي غَالِطٌ حِينَ قِسْتُهُ
 إِذَا فَعَلَ الْأَقْوَامُ نَوْعاً مِنَ النَّدَى
 وَإِنْ بَدَأَ النُّعْمَى تَلَاهَا بِمِثْلِهَا
 تَحُلَّ بِهِ الشُّمُّ الْعَرَانِينَ فِي الْعُلَا
 بِهِ أَضْبَحَتْ تَيْمٌ إِذَا هِيَ فَاخَرَتْ
 أَجْلُ الْوَرَى قَدْراً وَأَكْرَمُ شَيْمَةً
 إِذَا بَحَسَ الْجُهَالُ قَدَرَ فَضِيلَةٍ
 هُمُ الْقَوْمُ يَلْقَوْنَ الْخُطُوبَ إِذَا عَرِثَ
 إِذَا أُوقِدَتْ لِلْحَرْبِ نَارٌ أَوْ الْقَرَى
 يَبِينُ لَهُ الْأَمْرُ الْخَفِيُّ فِرَاسَةً
 إِذَا صَالَ أَضْحَى أَفْرَسُ الْقَوْمِ أَمِيلاً
 أَمْوَالِي لَا زَالَتْ مَعَالِيكَ غَضَّةً
 سَمَا بِكَ مَجْدَ الدِّينِ مَجْدٌ وَمَخْتِذٌ
 لَقَدْ شَرُفَتْ مِنْهُ الصَّعِيدُ وَلايَةً
 بِلَادٌ بَلْقِيَاكَ اسْتَقَامَتْ نُجُومُهَا
 سَتَنْدَى وَقَدْ وَاقَى وَفَاكَ رُبُوعَهَا
 وَرُبَّ قَوَافٍ قَدْ طَوَيْتُ بُرُودَهَا

وَذَاكَ قِيَاسٌ تَرْكُهُ كَانَ أَقْيَسَا⁽¹⁾
 تَنَوَّعَ فِيهِ جُودُهُ وَتَجَنَّسَا⁽²⁾
 فَتَرَدَّدُ حُسْنًا كَالْقَرِيضِ مُجَنَّسَا⁽³⁾
 فَتَلَقَّاهُمْ مِنْ هَيْبَةٍ مِنْهُ نُكَّسَا⁽⁴⁾
 أَعَزَّ قَبِيلٍ فِي الْأَنَامِ وَأَنْفَسَا⁽⁵⁾
 وَأَكْثَرُ مَعْرُوفاً وَأَكْبَرُ أَنْفَسَا⁽⁶⁾
 فَلَيْسُوا بِهَا بِالْجَاهِلِينَ فَيُبْخَسَا⁽⁷⁾
 بِكُلِّ كَمِيٍّ فِي الْخُطُوبِ تَمَرَّسَا⁽⁸⁾
 تَوَهَّمَتْهُ مِنْ عَشِقِهَا مُتَمَجَّسَا⁽⁹⁾
 وَيَعْنُو لَهُ الظَّرْفُ الْعَصِيَّ تَفَرَّسَا⁽¹⁰⁾
 وَإِنْ قَالَ أَضْحَى أَفْصَحُ الْقَوْمِ أَخْرَسَا
 وَأَغْصَانُهَا رَيَانَةٌ مِنْكَ مَيَّسَا⁽⁹⁾
 وَعَرِضُ نَهَاةِ الدِّينِ أَنْ يَتَدَنَّسَا⁽¹⁰⁾
 فَأَصْبَحَ وَادِيهِ بِهِ قَدْ تَقَدَّسَا
 فَصِرْنَ سُغُوداً بَعْدَ مَا كُنَّ نُحَّسَا
 وَإِنْ عُهِدَتْ مُغْبِرَةُ الْجَوِّ يُبَّسَا
 فَلَمْ أَرْضَ أَنْ تَغْدُو لغيرِكَ مَلْبَسَا

(1) قسته: قارنته مع غيره.

(2) القريض: الشعر.

(3) الشم العرانيين: الأعرّة والأبابة من الأشراف.

(4) قبيل: قبيلة.

(5) بخس: أنقص.

(6) الكمي: الفارس الكامل السلاح.

(7) متمجساً: أي مثل المجوس الذين يعبدون النار فهو مثلهم يحب النار ولكن نار الحرب فقط.

(8) يعنو: يخضع ويذل.

(9) ميساً: نقول ماس الغص إذا تمايل بلطف ولين.

(10) يتدنّس: يتسخ ويتلّخخ - المحتد: الأصل.

أَقْمَنَ حَبِيسَاتٍ كَحَبِيسِكَ مَنْ جَنَى
فَهَا هِيَ كَالْوَحْشِيِّ مِنْ طَوْلِ حَبِيسِهَا
وَأِنْ قَصَّرْتُ عَنْ بَعْضٍ مَا تَسْتَحِقُّهُ
كَذَا الْمَنَهْمَلِ الْمَوْرُودُ فِي مُسْتَقَرِّهِ
سِيرُضِيكَ مِنْهَا مَا يَزِيدُ عَلَى الرِّضَا
وَهَبْنِي أُعْطِيتُ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا
عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَجْنِ يَوْمًا فَتُحْبَسَا⁽¹⁾
عَسَاهَا بِبِرٍّ مِنْكَ أَنْ تَتَأَنَسَا
فَمِثْلُكَ مَنْ أَوْلَى الْجَمِيلَ لِمَنْ أَسَا⁽²⁾
إِذَا عَدِمَ الْوُرَادَ لَنْ يَتَنَجَّسَا
وَيَسْتَعْبِدُ ابْنُ الْعَبْدِ وَالْمُتَلَمَّسَا⁽³⁾
فَمَا قَدَرُ مَدْحِي فِي عُلاكَ وَمَا عَسَى

104

قال بهاء الدين زهير واصفاً محبوبه:

طَلَعَ الْعِذَارُ عَلَيْهِ حَارِسٌ
كَالرَّمَحِ، مَهْزُورُ الْقَوَا
وَيَرُوحُ يَفْظَانِ الْجُفُو
الْبَذْرُ أَمْسَى أَكْلَفًا
وَالظَّبْيُ فَرَّ مِنَ الْحَيَا
عَجَبًا لَهُ عَدِمَ الْمُمَا
وَيُقَالُ يَا رِيَمَ الْكِنَا
يَا مُظْمِعِي فِي وَضْلِهِ
قَمَرٌ تُضِيءُ بِهِ الْحَنَادِسُ⁽⁴⁾
مِمْ وَكَالْقَضِيبِ اللَّدَنِ مَائِسُ⁽⁵⁾
نِ تَخَالُهُ كَالظَّبْيِ نَاعِسُ
مِنْ حُسْنِهِ وَالْغُضْنُ نَاكِسُ⁽⁶⁾
إِلَى الْمَهَامِهِ وَالْبَسَابِسُ⁽⁷⁾
ثَلَّ فِي الْمَلَا حَةِ وَالْمُقَايِسُ
سِ لَهْ وَيَا زَيْنَ الْكِنَائِسُ⁽⁸⁾
لَا رُحْتُ يَوْمًا مِنْكَ آيِسُ

(1) جنى: أذنب.

(2) أساء: أساء.

(3) ابن العبد: يقصد الشاعر طرفة، والمتلمس خاله.

(4) الحنادس: مفردة جنديس: الليلة الشديدة الظلمة.

(5) اللدن: اللين المرن - مائس: متمایل.

(6) الأكلف: من امتلأ وجهه بالكلف وهو نمس يعلو الوجه يشبه السمسم.

(7) المهامة والبسابس: الصحارى والقفار.

(8) الكناس: هو المكان الذي تأوي إليه الظباء والبقر في الحر.

يا مُوحِشي بِضُدودِهِ وَسِوَايَ مِنْهُ الدَّهْرَ آنَسُ⁽¹⁾
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الهَوَى حَرْبُ البُسُوسِ وَحَرْبُ داحسِ⁽²⁾
 فَلِذَاكَ خَدُّكَ رَاحَ فِي الوَرَى دِ الْمُضَاعَفِ وَهُوَ لَا يَسْ

105

قال شرف الدين الأنصاري من قصيدة يمدح فيها الملك المنصور الثاني الأيوبي صاحب حماة الذي كان مع جنده إلى جانب المظفر قطز في معركة (عين جالوت):

رُغِتَ الْعِدَى فَضْمِنَتْ ثُلَّ عَرُوشِهَا وَلَقِيَتْهَا فَأَخَذَتْ فَلَّ جِيُوشِهَا⁽³⁾
 نازَلَتْ أُمْلَاكُ التَّتَارِ فَأَنْزَلَتْ عَنْ فَخْلِهَا قَسْرًا وَعَنْ إِكْدِيشِهَا⁽⁴⁾
 فَعَدَا لِسَيْفِكَ فِي رِقَابِ كُمَاتِهَا حَضُّ الْمَنَاجِلِ فِي يَبِيسِ حَشِيشِهَا⁽⁵⁾
 رَوَّيْتَ أَكْبَادَ الْقَنَا بدمائِهِمْ لَمَّا أَطَالَ سِوَاكَ فِي تَغْطِيشِهَا⁽⁶⁾
 أَقْدَمْتَ مُفْتَحِجَمًا عَلَى نُشَابِهَا تَكْسُو الْجِيَادَ رِيَاشِهَا مِنْ رِيَشِهَا⁽⁷⁾
 دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُونِ عَلَيْهِمْ فَعَدَّتْ رُؤُوسُهُمْ حُطَامَ جَرِيشِهَا⁽⁸⁾
 وَطُوِيَتْ عَنْ مِضْرٍ فَسِيحٍ مَرَا حِلٍ مَا بَيْنَ بَرْكَتِهَا وَبَيْنَ عَرِيشِهَا
 حَتَّى حَفِظْتَ عَلَى الْعِبَادِ بِلَادَهَا مِنْ رُومِهَا الْأَقْصَى إِلَى أَحْبُوشِهَا⁽⁹⁾

(1) الصدود: المنع وهو ضد الوصال.

(2) البسوس وداحس: من حروب العرب في الجاهلية.

(3) رُغِت: أفزعت وأخفت - ثُلَّ العرش: خربه وأذهب سلطانه - فلَّ الجيش: هزمه وقضى عليه.

(4) الإكديش: الفرس غير الأصيل.

(5) الكماة: الفرسان الكاملو السلاح مفردا كمي.

(6) القنا: الرماح.

(7) النُّشَاب: مفردا نشابه وهي الرماح والسهام.

(8) الحرب الزبون: الحرب الطاحنة التي فيها صدام شديد - الجريش: هو ما لم ينعم دَقُّه أو طحنه من الحبوب.

(9) الأحبوش: بلاد الحبشة.

فَرَشْتُ حِمَاةَ لَوْظٍ نَعْلِكَ خَدَّهَا وَكَذَا الْمَعْرَّةُ إِذْ مَلَكَتْ قِيَادَهَا
وَدَهَشْتُ سُرُوراً سَارَ فِي مَذْهُوشِهَا لَا زِلْتَ تُنْعِشُ بِالنَّوَالِ فَقِيرَهَا
فَوَطَّئْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ مَفْرُوشِهَا وَتَنَالُ أَقْصَى الْأَجْرِ مِنْ مَنَعُوشِهَا

106

قال البرعي رحمه الله فيه عليه السلام:

صَدُّوا عَنِ الصَّبِّ الْكَنِيبِ وَأَعْرَضُوا كَثُرَ السَّقَامُ فَقُمْتُ أَطْلُبُ بُرَاهُ
إِنْ يَسْتَحِلُّوا بِالْفِرَاقِ دَمِي فَلِي قِفْ بِالْمَطِيِّ عَلَى مَآثِرِهِمْ وَلَوْ
هُمْ جِيرَتِي قَبْلَ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا يَا حَسْرَةَ الْعُشَاقِ مِنْ غُصَصِ النَّوَى
لَلَّهِ رَكْبٌ أَزَمَعُوا رَأَدَ الضُّحَى رَحَلُوا الْمَطِيَّ يُؤْمُهُمْ مِنْ يَثْرِبِ
وَعَمَائِمُ تَكْسُو الرِّيَاضَ مَطَارِفاً بَلَدٌ بِهِ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُّ وَالسَّخَا
بَحْرٌ يَمْوُجُ غِنَى لِمُفْتَرِفِيهِ لَا قَمَرٌ تَسْلَسِلُ مِنْ دُؤَابَةِ هَاشِمِ

(1) الصَّبُّ: المشتاق.

(2) السقام: المرض - البرء: الشفاء.

(3) المطي: كل ما يُركب من الدواب.

(4) النوى: الفراق والبعد.

(5) رَأَدَ الضحى: انبساط شمسهِ وارتفاع نهارهِ - القلائص: واحدها قلوص وهي الناقة الفتية الضخمة.

(6) المؤتل: الأصيل.

(7) الوشل: الماء القليل - يتربض الرجل: يتمدد ويلتصق بالأرض.

فِي اللَّهِ يَبْرُمُ مَا يَشَاءُ وَيُنْقِضُ
وَعَلَى الْمَكَارِمِ وَالْوَفَاءِ مُحَضِّضُ⁽¹⁾
أَعَدَّ لَهُ فِي كُلِّ ثَغْرِ مَرِيضُ
فِي اللَّهِ شَيْمَتُهُ يُحِبُّ وَيَبْغِضُ
عَالِي الْجَنَابِ وَبَسْطُهُ لَا يُفْبِضُ
هُوَ ضَيْعَمٌ تَحْتَ الْعَجَاجِ مُحَرِّضُ⁽²⁾
وَعَنِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ مُغْرِضُ
دِينَ الْخَلِيلِ وَكُلُّ دِينَ يُفْرِضُ
فِي النَّاسِ نُورٌ وَاضِحٌ لَا يُغْمِضُ⁽³⁾
أَبْدَأُ يُسَنُّ عَلَى الْعِبَادِ وَيُفْرِضُ
فَالْكُلُّ فِيهَا مُصَرِّحٌ وَمُعَرِّضُ⁽⁴⁾
كَبِدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ حَرٌّ مُمْرِضُ
وَاجْبُرْ بِفَضْلِكَ مَا الْحَوَادِثُ تَمْهَضُ⁽⁵⁾
وَالنَّارُ تُسَعِّرُ وَالْخَلَائِقُ تُغْرِضُ⁽⁶⁾
مِنْ دُونِهَا لَبَنٌ وَشَهْدٌ أَبْيَضُ
لِعَرِيضِ جُودِكَ أَمِلْ مُتَعَرِّضُ
لَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْكِبَائِرِ يَنْهَضُ
فَأَتَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ سَعْيَا تَرْكُضُ
وَالنَّفْسُ تَأْمَلُ وَالْحَوَادِثُ تُغْرِضُ⁽⁷⁾

صَفْوُ السُّرَاةِ صَفْوَةُ الْعِزِّ الَّذِي
نَاهِي الْوَرَى عَنْ فِعْلِ كُلِّ ذَنْيَةٍ
قُمْ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مُنْزِلُ
بَرٍّ يَمْنُ وَالِي عَدُوٍّ لِلْعِدَا
فَنَزِيلُهُ خَضْبُ الرَّحَابِ وَجَارُهُ
هُوَ مُكْرِمٌ لِلنَّاسِكِينَ بِهَذِيهِ
هُوَ مُقْبِلُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ عَلَى الْهُدَى
وَلَهُ الْحَنِيفَةُ مِلَّةٌ مُرْضِيَةٌ
يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ هَدِيَهُ
وَمَنِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ
نَطَقَتْ بِفَضْلِكَ مُعْجِزَاتُ جَمَّةٍ
أَدْعُوكَ مِنْ نَيَابَتِي بُرْعٍ وَفِي
فَاعْطِفْ عَلَى عَبْدٍ الرَّحِيمِ بِرَحْمَةٍ
أَنَا فِي جِوَارِكَ يَوْمَ مَا تُظْوِي السَّمَاءَ
أُورِدْنِي الْحَوْضَ الَّذِي أَوْصَافُهُ
وَانْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ لُطْفِكَ إِنَّنِي
وَأُذُنَ لِمُشْتَقٍ يَزُرُّكَ فَإِنَّهُ
فَكَمِ امْرِيءٌ أَذْنِيَّتُهُ مِنْ بُعْدِهِ
وَمَضَى الزَّمَانُ وَمَا انْقَضَى وَطَرِي بِكُمْ

(1) محضض: نقول حَضَّهُ عَلَى كَذَا، إِذَا شَجَّعَهُ وَحَرَّضَهُ.

(2) الضيغم: الأسد.

(3) الثقلين: الجن والإنس.

(4) جمّة: كثيرة.

(5) تمهض: تكسر.

(6) سعرت النار: اشتعلت والتهبت.

(7) الوطر: الغاية والهدف والمطلب.

وَعَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ يَا مَنْ عَرَضَهُ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ بِالْمَحَامِدِ يُرَحِّضُ⁽¹⁾

107

قال ابن عربي متأملاً في تجربته العرفانية:

الشُّكْرُ لِلَّهِ لَا أَبْغِي بِهِ عَوْضًا
خَلَى لِي الْأَمْرُ فِي الْأَكْوَانِ أَجْمَعِهَا
فَمَا رَأَيْتُ بَرِيقاً فِي جَوَانِبِهَا
وَأَضَ عَنِّي الَّذِي قَدْ كَانَ يَخْجُبُنِي
لَمَّا سَلَكْتُ سَبِيلَ الْوَاصِلِينَ إِلَى
فَقُلْتُ هَلْ ثَمَّ بَحْرٌ لَا يَكُونُ لَهُ
مَا بَيْنَنَا وَهُوَ مِنْ وَجْهِ يَخِيطُ بِنَا
وَنَحْنُ فِيهِ كَغَرَقَى يَسْبَحُونَ بِهِ
بَحْرُ الثُّبُوتِ الَّذِي أَبْدَى جَزَائِرَهُ
وَالنَّاسُ سَفَرٌ وَلَكِنْ مِنْ جَزَائِرِهِ
الْإِسْمُ يُوْجِدُنَا وَالذَّاتُ تَعْدِمُنَا
أَسَاتِنَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا إِسَاءَتُنَا
بِهَا بَدَأَ عَفْوُهُ عَنَّا وَرَحِمَتُهُ
إِلَى الْوُجُودِ الَّذِي مَا عِنْدَهُ عَدَمٌ
شَخْصاً سَوِيّاً وَقَدْ سَمَّاهُ لِي بِشَرِّ

بَلْ شُكْرُنَا امْتِثَالٌ لِلَّذِي فَرَضَا
وَعَادَرَ الْقَلْبَ مَشْغُوفاً بِهِ وَمَضَى
إِلَّا وَكَانَ هُوَ الْبَرْقُ الَّذِي وَمَضَا
لَمَّا رَأَى الثُّورَ فِي آفَاقِهِنَّ أَضَا
بَحْرِ الْعَمَاءِ رَأَيْتُ الزَّاحِرَاتِ أَضَا
سَيْفٌ فَقَالُوا نَعَمْ هَذَا الَّذِي اغْتَرَضَا
وَمَا لَهُ غَايَةٌ وَلَا عَلَيْهِ فُضَا
وَلَا يُقَاسُونَ هَمّاً لَا وَلَا مَضَضَا⁽²⁾
فِيهِ وَمِنْهُ بِمَا قَدْ شَاءَهُ وَقَضَى⁽³⁾
إِلَى جَزَائِرِهِ فِي شَفْوَةٍ وَرَضَى⁽⁴⁾
فَمَا تَرَى صِحَّةً إِلَّا تَرَى مَرَضَا
وَهِيَ الْغِذَاءُ لِمَنْ قَدْ صَحَّ أَوْ مَرَضَا
وَمَنْ يَقُومُ بِهِ إِحْسَانُهُ نَهَضَا
وَهُوَ الَّذِي حَصَلَ الْمَأْمُولُ وَالْغَرَضَا
مِنْ الْمُبَاشَرَةِ الزُّلْفَى الَّتِي انْتَهَضَا⁽⁵⁾

(1) يرحض: الرحض الغسل والتطهير.

(2) المضض: ألم المصيبة - والمضاض: الماء الشديد الملوحة.

(3) الجزائر: مفردها جزيرة وهي أرض يحيط بها الماء من كل الجهات.

(4) السفر: المسافرين.

(5) الزلفى: القربى والمنزلة، أو الروضة.

بِهَا فَأَبْصَرُهُ فِي عَيْنِ صُورَتِهِ مَثَلًا فَأَنْشَأَهُ حَتَّى يَرَى عِوَضًا
فَلَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ إِلَّا بِجَنَّتِهِ فَزَالَ عَنْ نَفْسِهِ الْمَثَلُ الَّذِي افْتَرَضَا

108

قال بهاء الدين زهير يشكو من حرقة الأشواق ولوعة الفراق:

أَمَّا أَنْ لِلْبَذْرِ الْمُنِيرِ طُلُوعُ فَتُشْرِقُ أَوْطَانُ لَهُ وَرُبُوعُ⁽¹⁾
فِيَا غَائِبًا مَا غَابَ إِلَّا بِوَجْهِهِ وَلِي أَبَدًا شَوْقٌ لَهُ وَوَلُوعُ⁽²⁾
سَأَشْكُرُ حُبًّا زَانَ فِيكَ عِبَادَتِي وَإِنْ كَانَ فِيهِ ذِلَّةٌ وَخُضُوعُ
أَصْلِي وَعِنْدِي لِلصَّبَابَةِ رِقَّةُ فَكَلَّ صَلَاتِي فِي هَوَاكَ خُشُوعُ⁽³⁾
أَحِبَابُنَا هَلْ ذَلِكَ الْعَيْشُ عَائِدُ كَمَا كَانَ إِذْ أَنْتُمْ وَنَحْنُ جَمِيعُ
وَقَلْتُمْ رَبِيعٌ مُوْعِدُ الْوَصْلِ بَيْنَنَا فَهَذَا رَبِيعٌ قَدْ مَضَى وَرَبِيعُ
لَقَدْ فَنَيْتُ يَا هَاجِرُونَ رَسَائِلِي وَمَلَّ رَسُولٌ بَيْنَنَا وَشَفِيعُ⁽⁴⁾
فَلَا تَقْرَعُوا بِالْعَثَبِ قَلْبِي فَإِنَّهُ وَحَقِّكُمْ مِثْلُ الرُّجَاجِ صَدِيعُ⁽⁵⁾
سَابِكِي وَإِنْ تَنْزِفَ دَمُوعِي عَلَيْكُمْ بَكَيْتُ بِشَعْرِ رَقٍّ فَهُوَ دُمُوعُ
وَمَا ضَاعَ شِعْرِي فِيكُمْ حِينَ قُلْتُهُ بَلَى وَأَبْيَكُمْ ضَاعَ فَهُوَ يَضُوعُ⁽⁶⁾
أَحَبُّ الْبَدِيعِ الْحَسَنِ مَعْنَى وَصُورَةَ وَشِعْرِي فِي ذَاكَ الْبَدِيعِ بَدِيعُ

(1) الربوع: الديار وما حولها، مفردها: رفع.

(2) الولوع: حب الشيء والتعلق به.

(3) الصبابة: شدة الشوق.

(4) هاجرون: هاجرين.

(5) صديع: مصدوع، أي: مكسور.

(6) يצוע: تنتشر رائحته.

قال ابن الفارض مُبدياً عشقه وهيامه بالذات الإلهية:

أَبْرَقُ بَدَا، مِنْ جَانِبِ الْغَوْرِ؛ لَامِعُ،
نَعَمْ أَسْفَرْتُ لَيْلًا، فَصَارَ بَوَجْهِهَا
وَلَمَّا تَجَلَّتْ لِلْقُلُوبِ، تَزَاخَمَتْ
لِطَّلَعَتِهَا تَغْنُو الْبُدُورُ، وَوَجْهَهَا
تَجَمَّعَتِ الْأَهْوَاءُ فِيهَا، وَحُسْنُهَا
سَكِرْتُ بِخَمْرِ الْحُبِّ فِي حَانِ حَيِّهَا،
تَوَاضَعْتُ ذُلًّا، وَانْخِضَاضًا لِعِزِّهَا،
فَإِنْ صِرْتُ مَخْفُوضَ الْجَنَابِ، فَحُبِّهَا
وَإِنْ قَسَمْتُ لِي أَنْ أَعِيشَ مُتَيِّمًا،
يَقُولُ نِسَاءُ الْحَيِّ: أَيْنَ دِيَارُهُ؟
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي فِي جِمَاهَنْ مَوْضِعُ،
هَوَى أُمِّ عَمْرٍو جَدَّدَ الْعُمَرَ فِي الْهَوَى،
وَلَمَّا تَرَاضَعْنَا بِمَهْدٍ وَلَائِهَا،
وَأَلْقَى عَلَيْنَا الْقُرْبُ مِنْهَا مَحَبَّةً،
وَمَا زِلْتُ، مُذْ نَيْطَطُ عَلَيَّ تَمَائِمِي،
أَمْ ارْتَفَعْتُ، عَنْ وَجْهِ لَيْلِي، الْبَرَاقِعُ⁽¹⁾
نَهَارًا، بِهِ نُورُ الْمَحَاسِنِ سَاطِعُ⁽²⁾
عَلَى حُسْنِهَا، لِلْعَاشِقِينَ، مَطَامِعُ
لَهُ تَسْجُدُ الْأَقْمَارُ، وَهِيَ طَوَالِغُ⁽³⁾
بَدِيعُ، لِأَنْوَاعِ الْمَحَاسَنِ جَامِعُ
وَفِي خَمْرِهِ، لِلْعَاشِقِينَ، مَنَافِعُ
فَشَرَفَ قَدْرِي، فِي هَوَاهَا، التَّوَاضُّعُ
لِقَدْرِ مَقَامِي، فِي الْمَحَبَّةِ، رَافِعُ⁽⁴⁾
فَشَوْقِي لَهَا، بَيْنَ الْمُحِبِّينَ، شَائِعُ
فَقُلْتُ: دِيَارُ الْعَاشِقِينَ بِلَاقِعُ⁽⁵⁾
فَلِي فِي جِمَى لَيْلِي بَلِيلِي مَوَاضِعُ
فَهَا أَنَا فِيهِ، بَعْدَ أَنْ ثَبِتُ، يَافِعُ⁽⁶⁾
سَقَتْنَا حُمَيَّا الْحُبِّ فِيهِ مَوَاضِعُ
فَهَلْ أَنْتَ، يَا عَضَرَ التَّرَاضُّعِ، رَاجِعُ
أَبَايِعُ سُلْطَانَ الْهَوَى، وَأَتَابِعُ⁽⁷⁾

(1) البراقع: مفردا برقع وهو قناع تضعه المرأة على وجهها.

(2) أسفرت: كشفت عن وجهها.

(3) تغنو: تذل وتخضع.

(4) الجناب: القدر والمقام.

(5) بلاقع: مقفرة وخالية من أهلها.

(6) اليافع: هو من ناهز سن البلوغ.

(7) نيطط: علقت - التمايم: مفردا تميمة وهي ما يصفه الإنسان لرؤ العين والسحر - المبايع: العهد على الطاعة.

ولي ولها، في النَّشَاتَيْنِ، مَطَالِعُ
بِلَوَعَةِ أَشْوَاقِ الْمَحَبَّةِ وَالْعُ⁽¹⁾
مَعَا، وَمَعَانِيهَا عَلَيْنَا لَوَامِعُ
وَمَا قَطَعْتَنِي فِيهِ، عَنْهَا، الْقَوَائِعُ
أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُبِّ مَا أَنَا صَانِعُ⁽²⁾
وَمَا أَنَا فِي شَيْءٍ، سِوَى الْبُعْدِ، جَازِعُ⁽³⁾
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا النَّفْسُ بَضَائِعُ
عَلَيْنَا، فَقَدْ نَمَتْ عَلَيْنَا الْمَدَامِعُ⁽⁴⁾
لِيَرْبَحَهُ مِنَّا مَبِيعُ وَيَائِعُ
مُطِيعُ لِأَمْرِ الْعَامِرِيَّةِ، سَامِعُ⁽⁵⁾
وَأَتِي، لِسُلْطَانِ الْمَحَبَّةِ، طَائِعُ
لِقَاكِ سَبِيلُ، لَيْسَ فِيهِ مَوَانِعُ؟
فَهَلْ لِي، إِلَى لَيْلَى الْمَلِيحَةِ، شَافِعُ؟
سِوَاهَا، إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْوَقَائِعُ؟⁽⁶⁾
بَحْيَكُمُ، يَا أَكْرَمَ الْعُرْبِ، ضَارِعُ⁽⁷⁾
بِرُؤْيَةِ لَيْلَى مُنِيَّةِ الْقَلْبِ، قَانِعُ⁽⁸⁾
وَأَنْ هِيَ نَاجَتَنِي، فَكُلِّي مَسَامِعُ
يَضُوعُ، وَفِي سَمْعِ الْخَلِيلَيْنِ ضَائِعُ⁽⁹⁾

لَقَدْ عَرَفْتَنِي بِالْوَلَا وَعَرَفْتُهَا،
وَأَتِي، مُذْ شَاهَدْتُ فِي جَمَالِهَا،
وَفِي حَضْرَةِ الْمَحْبُوبِ سِرِّي وَسِرِّهَا
وَكُلُّ مَقَامٍ، فِي هَوَاهَا، سَلَكْتُهُ،
بِوَادِي بَوَادِي الْحُبِّ أَزْعَى جَمَالِهَا؛
صَبَرْتُ عَلَى أَوْهَالِهِ صَبْرَ شَاكِرٍ،
عَزِيزَةً مُضِرَّ الْحُسْنِ! إِنَّا تَجَارُهُ،
لَأَرْضِيكَ فَوْزَنَا بِهَا، فَتَصَدَّقِي
عَسَى تَجْعَلِي التَّعْوِضَ عَنْهَا قَبُولَهَا،
خَلِيلِي! إِنِّي قَدْ عَصَيْتُ عَوَاذِلِي،
فَقُولَا لَهَا: إِنِّي مُقِيمٌ عَلَى الْهَوَى؛
وَقُولَا لَهَا: يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ! هَلْ إِلَى
وَلِي عِنْدَهَا ذَنْبٌ بِرُؤْيَةِ غَيْرِهَا،
سَلَا: هَلْ سَلَا قَلْبِي هَوَاهَا، وَهَلْ لَهُ
فِي آلِ لَيْلَى! ضَيْفُكُمْ وَنَزِيلُكُمْ
قِرَاهُ جَمَالٌ لَا جَمَالَ، وَإِنَّهُ
إِذَا مَا بَدَتْ لَيْلَى، فَكُلِّي أَعْيُنُ؛
وَمِسْكَ حَدِيثِي فِي هَوَاهَا، لِأَهْلِهِ،

(1) وال: متعلق أشد التعلق.

(2) بوادي الأولى: في وادي، بوادي الثانية: جمع بادية.

(3) جازع: فزع وخائف.

(4) فوزنا: عبرنا المفازة وهي الصحراء المهلكة - نمت علينا: أخبرتنا عنا وفضحتنا.

(5) العواذل: اللوام.

(6) سلا الأولى: أي: أسألا - سلا الثانية: نسي وانشغل عنها.

(7) ضارع: متذل وخاضع. (8) القرى: الطعام.

(9) يצוע: تنتشر رائحته وتفوح الخليين: الذين لا يعرفون الحب ولم يجربوه، مفردة خلي.

ألا أن جفّنتي، في هواها، المّضاجعُ
وهوّدجُ ليلى، نورها منه ساطعُ
لعمرك، يا جمّال، قلبي قاطعُ⁽¹⁾
وراحلتي، بين الرّواحل، ضالعُ⁽²⁾
ذليلُ لها، في تيه عشقي واقِعُ⁽³⁾
لها، في فؤاد المُستهم، مواقعُ
غليلُ عليل، في هواها، يُنازعُ
بذاتي، وفيها بدرها لي طالعُ
بحبك، مجنونٌ بوضلك، طامِعُ⁽⁴⁾
تلوح، فلا شيءٌ سواها يُطالعُ
ففيها، لأسرارِ الجمال، ودائعُ
عن النّقل، والعقل، الذي هو قاطعُ
وقوتُ قلوبِ العاشقين مّصارِعُ⁽⁵⁾
وما بين عُشاقِ الجمالِ تنازعُ
ففيه، إلى ماءِ الحياة، منافعُ
بتأويلِ علم، فيك منه بدائعُ
أشارت إليها، بالوفاء، أصابعُ
وأنت بها، في روضةِ الحُسن، يانعُ⁽⁶⁾
يحدّثني، والمؤنسُون هواجعُ⁽⁷⁾

تجافّت جنوبي، في الهوى، عن مضاجعي
وسرّت بركبِ الحُسن بين مخاميل،
وناديتُ لَمّا أن تَبَدّى جمالُها:
فسيروا على سيري، فإنني ضعيفُكم،
وملّ بي إليها، يا دليلُ، فإنني
لعلّي، من ليلى، أفوزُ بنظرةِ
والتّد فيها بالحديث، ويشتفي
فيا أيها النّفسُ، التي قد تحجّبتُ
لئن كنت ليلى، إن قلبي عامرُ
رأى نُسخةَ الحُسنِ البديعِ بذاتهِ
فيا قلبُ شاهدِ حُسنها وجمالها،
تَنَقّلْ إلى حقّ اليقين، تنزّها
فإحياءُ أهلِ الحبّ موتُ نفوسهم،
وكم، بين حُذاقِ الجدال، تنازعُ،
وصاحبُ بموسى العزمِ خضرَ ولائها،
فأنت بها قبلَ الفراقِ مُنبئٌ،
لقد بسّطت في بحرِ جسمك بسطةً،
فيا مُشتهها! أنت مقياسُ قُدسيها؛
فقرّي به يا نفسُ عيناً، فإنّه

(1) الجمّال: راعي الجمال.

(2) ضالع: معوجة.

(3) التيه: الضلال والضياع.

(4) عامر: قبيلة ليلى وقيس - وعامر: مسكون وماهول.

(5) مصارع: مهالك.

(6) اليانع: ما كمل وطاب وحن قطافه من الثمار.

(7) هواجع: من الهجوع وهو النوم.

فَمَا أَنْتِ نَفْسٌ، بِالْعُلَا، مُظْمِنَّةٌ،
لَقَدْ قُلْتَ فِي مَبْدَا أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ:
فِيَا حَبِّذَا تِلْكَ الشَّهَادَةُ، إِنَّهَا
وَأَنْجُو بِهَا يَوْمَ الْوُرُودِ، فَلِئِذَا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى بِهَا فَتَمَسَّكِي،
فِيَا رَبُّ! بِالْخَلِّ الْحَبِيبِ، نَبِينَا،
أَنْلَنَّا مَعَ الْأَحْبَابِ رُؤَيْتَكَ، الَّتِي
فَبَابُكَ مَقْصُودٌ، وَفَضْلُكَ زَائِدٌ،
وَسِرُّكَ، فِي أَهْلِ الشَّهَادَةِ، ذَائِعٌ⁽¹⁾
بَلَى قَدْ شَهِدْنَا، وَالْوَلَا مُتَتَابِعٌ
تُجَادِلُ عَنِّي سَائِلِي، وَتُدَافِعُ
لِفَائِلِهَا حِرْزٌ، مِّنَ النَّارِ مَانِعٌ⁽²⁾
وَحَسْبِي بِهَا أَنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ
رَسُولُكَ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْمُتَوَاضِعُ
إِلَيْهَا قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ تُسَارِعُ
وَجُودُكَ مَوْجُودٌ، وَعَفْوُكَ وَاسِعٌ

110

قال بهاء الدين زهير أيضاً:

لَكَ فِي فَضْلِكَ الْمَحَلُّ الرَّفِيعُ
أَيُّهَا الْمُتَحِفِي بِنَظْمٍ وَنَثِيرٍ
أَنْتَ فِي الْفَضْلِ قُدْوَةٌ وَإِمَامٌ
فَأَشِيرْ لِي أَوْ فَادِعُنِي أَوْ فَمُرْنِي
يَا كَثِيرَ الْجَمِيلِ مِثْلُكَ مَوْلَى
فَانْبُسِطِ الْعُذْرَ فِي الْجَوَابِ فَإِنِّي
لَا يُجَارِيكَ فِي الْبَدِيعِ الْبَدِيعُ⁽³⁾
كَلَالٍ قَدْ زَانَهَا التَّرْصِيعُ⁽⁴⁾
فَإِذَا قُلْتَ قَوْلُكَ الْمَسْمُوعُ
أَنَا فِي الْكُلِّ سَامِعٌ وَمُطِيعٌ
يَشْتَرِينِي جَمِيلُهُ وَيَبِيعُ
مِثْلَ مَا قَدْ تَقُولُ لَا أَسْتَطِيعُ

(1) ذائع: منتشر.

(2) الحرز: المانع - يوم الورد: يوم الحساب.

(3) البديع: هو بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات.

(4) لال: الدرر، مفردها لؤلؤة - الترصيع: التزيين بالذهب والجواهر.

قال ابن نباتة مادحاً رسول الله ﷺ:

يا دارَ جِيرَتِنَا بسفحِ الأجرِ
وَكَسْتِكَ أنواءُ الرَّبيعِ مَطَارِفاً
تتَحَلَّبُ الأنواءُ فيكَ على الرُّبَى
فلِكُلِّ قطرةٍ وابلٍ فَمُ زهرةٍ
تُزهى لوامعُ رَبْعِهَا وربيعِهَا
فعسى يعودُ الحيُّ فيكَ كما بدا
عَهدي بسفحِكَ مرتعاً لأوانيسٍ
من كلِّ دائرةِ القناعِ على سَنَا
شقِّ الأسيِّ قلبي الصَّريعِ فيا لهُ
بالنازعاتِ ومهجتي عوذُتْهَا
أهاً لعهدِ الرُّقْمَتَيْنِ وعهدِهَا
ولطيفِهَا كَمَ هاجَ لوعةً بينها
بانتُ سعادُ فليتَ يومَ رحيلِهَا
وَضَمَمْتُ بدرَ رِكابِهَا فعساهُ أنْ
إني وإنْ لم أقضِ نَحْبِي بَعْدَهَا
ولأختمنَّ بموضعِ التَّقبيلِ مَا

ذَكَرْتُكَ أفواه الغُيُوثِ الهُمَّعِ⁽¹⁾
مُوشيةً بِسَنَا البُرُوقِ اللَّمَّعِ⁽²⁾
بسحائبٍ تحنو حُنُو المُرْضِعِ
مفترةً عَنِ بِاسِمِ متَضَوِّعِ⁽³⁾
بمنوِّرٍ في الحَالَتَيْنِ مُنَوِّعِ
في خَيْرِ مُرتَادٍ وأخضِبِ مَرْبَعِ
كَمَ في محاسِنِهَا لَنَا مِنْ مَرْتَعِ
بدرٍ يُراغِمُ بدرَ كُلِّ مَقْنَعِ
بيتاً أبْتُ سَكْنَاهُ غَيْرَ مُصْرَعِ
وحجبتها بالمرسلاتِ وأدْمُعي⁽⁴⁾
لو أنْ عهدهُما قَرِيبُ المَرْجِعِ
فالويلُ إنْ أَهْجَعَ وإنْ لَمْ أَهْجَعَ⁽⁵⁾
فَسَحَّ اللِّقَا فلثمْتُ كَعْبَ مودَّعي
تُعديهِ رِقَّةُ قلبي المتوجِّعِ⁽⁶⁾
فليَقْضَيْنَّ بُكَايَ حَقِّ الأربَعِ
ضَمَّ الشَّرَى مِنْ قلبي المُستودِعِ

(1) الهُمَّعُ: الهاطلة.

(2) أنواء: مفردُها نوء، وهو المطر الغزير - مطارفاً: أردية - موشية: مزينة ومزخرفة.

(3) الوابل: المطر - مفترة: متفتحة - متضوع: متعطر.

(4) أراد بالنازعات والمرسلات أنه حصَّنها بآيات القرآن الكريم من العين والحسد.

(5) اللوعة: حرقة القلب - أهجع: أنام.

(6) الركاب: الإبل المركوبة أو الحاملة شيئاً.

وأَحْمَلُ الهَمَّ الَّذِي حُمِّلْتُهُ
 مِنْ كُلِّ حَرْفٍ وَفَقَهَا لِلْسَاكِنِي
 مَشْتَاقَةً تَسْرِي بِمَشْتَاقٍ كَمَا
 كَادَتْ مِنَ الذِّكْرِ تَطِيرُ نَسْوَعُهَا
 وَلَقَدْ يَذْكُرْنِي حَنِينُ سَوَاجِعِ
 شَتَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ حَمَامَةٍ
 غُصْنِي بَعِيدٌ عَنْ يَدَيَّ وَغُصْنُهَا
 لَا طَوْقَ لِي بِالصَّبْرِ عَنْهُ وَطَوْقُهَا
 إِنَّ لَمْ تُعْرِنِي لِلْحَنِينِ جَنَاحَهَا
 يَطْفُو بِنَا عِنْدَ النُّجُودِ مَدِيدُهَا
 حَتَّى إِذَا شِمْنَا لَطِيبَةَ مَعْلَمًا
 وَنَزَلَتْ عَنْ ظَهْرِ الْمَطْيَةِ لَائِمًا
 وَإِذَا الْمَطْيِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا
 وَلَهَا بَآثَارِ الْمُنَاسِمِ فِي السُّرَى
 يَا زَائِدَ الْأَشْوَاقِ زَائِرَ قَبْرِهِ
 وَالْجَأَ إِلَى الْحَرَمِ الَّذِي جَبْرِيلُ مِنْ
 بَيْنَ الْمَلَائِكِ وَالْمَمْلُوكِ تَزَاحَمُ
 فَوْفُودُهَا مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَايُهَا

نَجْبًا تَقْيِسُ لِي الْفَلَاحَ بِالْأَذْرَعِ⁽¹⁾
 تِلْكَ الرُّبُوعِ وَعَظْفُهَا لِلْمَوْضِعِ
 رَجَعُ الْمَدَامِ وَجَنَّةُ الْمُسْتَرْجِعِ⁽²⁾
 وَتَقُومُ مِنْ صَدْرِي حَوَانِي الْأَضْلَعِ⁽³⁾
 بِالْقَلْبِ كَمْ هَاجَتْ عَلَى غُصْنٍ مَعِي⁽⁴⁾
 صَدَحَتْ فَمِنْ مُسْتَرْجِعٍ وَمَرْجَعِ
 ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَنْامِلَ الْمُسْتَمْتِعِ
 بِالزَّهْرِ بَيْنَ مَدْبَحٍ وَمَوْشَعٍ⁽⁵⁾
 فَلَقَدْ أَعَرْتُ حِدَا الرِّكَائِبِ مَسْمَعِي
 طَلَاعَةَ وَيَسِيلُ عِنْدَ الْبَلْقِ⁽⁶⁾
 عَجَلْتُ قَبْلَ الْحَجِّ طَيْبَ تَمْتَعِي
 وَجَهَ الشَّرَى فَرِحًا بِنَشْرِ الْأَدْمَعِ
 فَلَهَا رِعَايَةُ خَيْرِ حَقٍّ قَدْ رُعِي
 شَرَفٌ عَلَى شَرَفِ الْبَدْوِ الطَّلَعِ⁽⁷⁾
 سَلَّمَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَةِ يَسْمَعِ
 زَوَارِهِ مِنْ سَاجِدِينَ وَرُكَّعِ
 مِنْ حَوْلِ مِنْهَلِهِ اللَّذِيذِ الْمَكْرَعِ
 فِي مَطْمَحٍ يَسْعَى إِلَيْهِ وَمَطْمَعِ

(1) نجباً: الإبل النجب، النجبة: وهي من خيار الإبل.

(2) الوجنة: ما ارتفع من الخد.

(3) النسوع: مفردا نسع: المفصل بين الكف والساعد، أو: سير عريض طويل تشدُّ به الحقائق أو الرحال.

(4) السواجع: الحمام.

(5) موشع: مزين.

(6) البلق: الخالي من كل شيء.

(7) المناسم: مفردا منسم: طرف خفّ البعير.

لجناب من في ليلة الإسرا دُعي
 ضَوَاعِ نشرِ الفضلِ غير مضيّع⁽¹⁾
 يا خيرَ مشفوعٍ وخيرَ مشفعٍ
 بجليّ أخبارِ دعاها مَنْ يعي
 أكرمَ بفضلني مشرعٍ ومشرّعٍ
 مع ذلك الشرفِ القديم المهيّع⁽²⁾
 لثبوتِ أعناءِ على المتطبعِ
 نبُعُ الزُّلالِ فيا له من مَنبِعِ
 والجذعُ حنَّ لبعده بتفجّعِ
 كانت تظللُ من سواءِ المطلعِ
 وعلى كمثلِ الشمسِ فاشهدُ أودّعِ
 يحصى وإن شئتَ الحديثُ فآلمعِ
 من مفردِ يسمو ابنَ عشرٍ وأربعِ
 قلبِ الخميسِ ولا بصدرِ المجمعِ⁽³⁾
 ما بينَ معشره البدورُ الطَّلُعِ
 يومَ الفخارِ دُعوا ويومَ المفزعِ⁽⁴⁾
 من رمحه في صدرِ كلِّ مسبّعِ
 ثمراتُ هامٍ كانَ منه لتبّعِ⁽⁵⁾
 قرشيّةً عن غالبٍ ومجمّعِ
 من طائعٍ وافى إليه ومهطعِ⁽⁶⁾

تدعو منازله سُراةً وفودِهِ
 حتى تقلّدَ بالرسالةِ حافظاً
 وترى يقالُ له غداً قلُّ يُستمعِ
 كانَ الوري في حيرةٍ حتّى أتى
 شرعَ الهدى ووصفتُ شارعَ فضلهِ
 من سَفحِ عدنانَ التي شرفتُ بهِ
 بطباعِهِ يزكو فكيفَ بطابعِ
 ألفَ الندى حتى بدا في كَفِّهِ
 والبدرُ شقَّ لقربه مُتهللاً
 والشَّمسُ شاهدةٌ بأنَّ غمامةً
 شهدتُ بإمكانِ له ومكانةِ
 والوصفُ ملتمعُ النجومِ يجلُّ أنْ
 واذكرُ ببدرٍ طلعةً نبويّةً
 ما البدرُ في كبدِ السّما كسناه في
 تفدي البدورُ بيومٍ بدرٍ وجهه
 المعرقينَ سماحةً وحماسةً
 مِن كلِّ مفترسِ الليوثِ بشعلبِ
 وقضيبُ سيفٍ إن يهزُّ تساقطتْ
 ورثوا الشّجاعةَ والعُلى يروونها
 وبه اهتمدوا فتابعوا في نصرهِ

(1) ضاع العطر: فاح وانتشر - النشر: الرائحة الطيبة.

(2) المهيّع: الواضح البين.

(3) الخميس: الجيش العظيم.

(4) يوم المفزع: يوم الحرب.

(5) هام: مفرداً هامة: الرأس - تبّع: لقب لأعظم ملوك اليمن.

(6) المهطع: من ينظر في تذلل وخضوع وخوف.

صَلَّتْ رُؤُوسُ عَدَى بِغَيْرِ تَطْوَعٍ
يَتَفَيَّؤُونَ سِوَى الطَّوَالِ الشَّرْعِ⁽¹⁾
حَمِيَّ الوَطِيسُ فَيَتَّقُونَ بِأَشْجَعِ⁽²⁾
وَقَعَتْ عَوَاطِفُ حَلِمِهِ فِي مَوْجِ
وَحْدِيدِ سَيْفٍ فِي فِؤَادِ مُدْرَعِ
وَالْمَجْتَلِي فِي حَلَّةٍ وَمَرْقَعِ
سُورٍ مَسُورَةٍ تَصُدُّ الْمُدَّعِي
وَتَقَاعَسُوا عَنْهَا لِأَوَّلِ مَنْزِعِ⁽³⁾
فِي سُورَةٍ مِنْهَا فَيَسْلَى مُدَّعِي
قُلْنَا وَنَثَرُهُ كَوَكَبٍ مُتَشَعِّشِ⁽⁴⁾
آيِ الْكِتَابِ فَوَاصِلٌ لَمْ تَقْطَعْ
كَأَسِ الثَّنَا بَعْدَ الْكِتَابِ الْمُنْتَرِعِ
هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ
وَرِقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمْنُئِ⁽⁵⁾
مَنْ غَفَلَتِي وَشَهَادَةً فِي مَضْرَعِي
بِالْمُؤَلَّمَاتِ وَحَالٍ هُمْ مُوَلَعِ
وَتَحِيرًا فِي الْأَمْرِ قَبْلَ تَوَقُّعِ
إِيَّاكَ أَنْ تَعِيَ بِأَمْرِ مَفْضَعِ
تَعْجَزُ وَإِنْ لَمْ تَسْتَبِنْ لَا تَجْزُعِ⁽⁶⁾

حَتَّى إِذَا صَلَّى الْحَسَامُ بِطَوْعِهِمْ
حَمَدُوا الْوَعْيَ فِي حَبِّ أَحْمَدِهِمْ فَمَا
هَذَا وَكَانُوا يَتَّقُونَ بِهِ إِذَا
بَاشَدٌ مِنْ شَهْدِ الْوَعْيِ وَأَرْقٌ مَنْ
بِكَلِيلِ جَفْنٍ عَنْ مَعَائِبِ مَخْطِئِ
بِالْمَجْتَدِي فِي يَسَرِّهِ وَخِصَاصَةِ
ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْبَاقِيَاتِ وَحَسْبُهُ
هُدَيْتُ قُرُومُ ذَوِي الْفَصَاحَةِ قَبْلُهَا
كَمْ مَدَّعٍ نَظْمًا يُحَاوِلُ حِيَهُ
قَالَ الْكَلَامِيُّونَ صَرْفَةً خَاطِرِ
يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ الَّذِي مَدَحْتَهُ مِنْ
مَاذَا عَسَى الْمَدْحُ الطَّهْوَرُ يَدِيرُ مِنْ
بَعْدَ الْحَوَامِيمِ الَّتِي بَثْنَائِهَا
مِنْ كُلِّ حَرْفٍ عَنْ سِوَاكَ بِمَدْحِهَا
أَرْجُو لِفَهْمِي بِامْتِدَاحِكَ يَقْظَةً
وإِلَيْكَ أَشْكُو صَدْرَ حَالٍ ضَيِّقِ
وَتَذَلُّلاً فِي الْخَلْقِ بَعْدَ تَعَزُّزِ
حَتَّى كَأَنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ بِعَاقِلِ
إِنْ تَسْتَبِنْ لَكَ حِيلَةٌ فِي الْأَمْرِ لَا

(1) الطوال الشَّرع: الرماح.

(2) الوطيس: الثَّور: ويقصد اشتداد الحرب.

(3) القروم: مفردا قرم: السيد المعظم.

(4) متشعشع: مضطرب.

(5) الورقاء: الحمامة.

(6) لا تجزع: لا تخف ولا تفزع.

مِن مَّؤْلَمٍ وَالصَّبْرُ بَعْضُ تَجَزُّعِي
فِي غَيْرِ دُخْرِ لِّلْمَعَادِ مَجْمَعِ⁽¹⁾
وَالْقَلْبُ مَشْتَعِلٌ بِشَيْبِ أَسْفَعِ⁽²⁾
جَهْلٌ وَضَرْسُ غَوَايَةِ لَمْ يَقْلَعِ
فِي فَعْلِي الْعَاصِي وَقَوْلِي الطَّبِيعِ
تَلْفًا وَلَسُنُّ إِنْ يُوَخَّرُ يَفْزَعِ
لَوْ لَمْ يَضُرَّ بِأَيِّهِ لَمْ يَنْفَعِ
لِلْحِيرَتَيْنِ بِمَعْضَلٍ وَبِمُضْلَعِ
بِكَ يَا شَفِيعَ الْمَذْنِبِينَ تَشْفُوعِي
لِحِمَاكَ نَاجِيَةُ الْمَحَبِّ الْمَوْضِعِ
سِيرَ النُّجُومِ مِنْ ابْتِدَاءِ الْمَطْلَعِ
لِسُورِ مَقَامِكَ فِي الْوَرَى لَمْ تَرْفَعِ
مِنْ حَرْفٍ مَطْلَعَهَا بِحَرْفِ الْمَقْطَعِ
وَتَرَى لِذِي الدَّارَيْنِ مَنْجَاً مَنْجَعِي⁽³⁾
فَسْنَاكَ أَرْشَدَهُ وَقَالَ لِي اتَّبِعِ
وَالْمَكْرَمَاتِ وَمَنْ تَطَوَّقَ يَسْجَعِ

ولقد أراعي الصَّبْرَ فيما أَشْتَكِي
شَيْبَتَ حَيَاتِي ثُمَّ شَابَتْ لُمَتِي
فَالرَّأْسُ مَشْتَعِلٌ بِشَيْبِ أَبْيَضِ
وَمَعَ الْمَشِيبِ فَفِيَّ مِنْ سِنِّ الصَّبِي
أَوَاهُ مِنْ سِنِّ وَأَسْنَانٍ مَضَّتْ
سِنٌّ عَلَا كِبَرًا وَسِنٌّ قَدْ هَوَى
وَتَشَاغَلِي فِيمَا يَضُرُّ وَحَسْبُهُ
هَمَّانٍ مِنْ دُنْيَا وَآخِرَةٍ فَيَا
وَبَلِيَّةَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا
سَارَتْ إِلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا سَرَتْ
وَتَوَسَّلْتَ بِكَ مَدْحَةً سَيَارَةً
وَنَظِيمَةً مِنْ طَيِّبِ الْكَلِمِ الَّذِي
عَوَّذْتُ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ عِيُونَهَا
وَتَخَذْتُهَا عَيْنًا تَرَوِّينِي غَدَاً
إِنْ كُنْتُ حَسَانًا بِمَدْحِكَ نَائِبًا
سَجَعْتُ لَكَ الْمَدَاحُ فِي طُرُقِ الْهَدَى

112

قال ابن عربي :

وَإِنْ سَمِعْتُ أُذُنِي فَلَسْتُ سِوَى سَمْعِي
وَجُودُكَ يَا سِرِّي كَمَا جَاءَ فِي الشَّرْعِ

إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي فَأَنْتَ الَّذِي تَرَى
وَإِنْ قَوَايَا كُلُّهَا وَمَحَلُّهَا

(1) اللّمة : شعر الرأس المجاور شحمة الأذن.

(2) الأسفع : الذي لونه أسود مشرب حمرة.

(3) المنجع : الموضع يقصد لما فيه من كلاً وماء.

وَلَا حُكْمَ مِنْ طَبَعٍ إِذَا مَا تُكُونُهُ
 إِذَا كُنْتُ عَيْنِي جَحِينٌ أَبْصَرْتُكُمْ بِكُمْ
 إِذَا فَرَّقْتُ أَسْمَاؤُهُ عَيْنَ صُورَتِي
 فَأَحْمَدُهُ حَمْدَ الْمَحَامِدِ كُلِّهَا
 وَأَزُقُّ أَحْوَالِي إِذَا كَانَ عَيْنُهَا
 لَقَدْ أَثَرْتُ لَمَّا أَغَارَتْ حَيَاةُ
 فَمَا قَرَعُ بَابَ اللَّهِ وَالْبَابُ أَنْتُمْ
 وَأَشْهَدُهُ عِنْدَ اللّٰوِي وَانْعِطَافِهِ
 وَصُورَتُهُ فِي الدَّرِّ أَكْمَلُ صُورَةٍ
 أَمَّا وَجَلَالُ النَّازِعَاتِ وَعَزَقُهَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَرْعٌ لِأَضَلِّ وَجُودِنَا
 وَصَفْعُ وَجُودِ الْحَقِّ فِي دَارِ غُرْبَتِي
 أَلَا إِنَّهُ يُخْفِي مَعَ الْوَثْرِ عَيْنِهِ
 أَلَا كُلُّ مَا قَدْ خَامَرَ الْعَقْلَ حَمْرَةٌ
 لَقَدْ رُفِعَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ هَذِهِ
 وَلَوْ لَا دِفَاعُ اللَّهِ هُدَّتْ صَوَامِعُ
 لَقَدْ سُخِّتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَعَزَبُهَا
 وَفِي عَرَفَاتٍ مَا عَرَفْتُ حَقِيقَتِي
 وَلَمَّا شَهِدْنَاهَا وَجِئْتُ إِلَى مَنْى
 حَصَبْتُ عَدُوِّي جَمْرَةً بَعْدَ جَمْرَةٍ
 وَلَمَّا أَتَيْتُ الْبَيْتَ طُفْتُ زِيَارَةً
 عِنَايَةَ رَبِّي أَدْرَكْتُ كُلَّ كَائِنٍ
 وَمِنْ أَجْلِ ذَا لَمْ يَدْخُلِ الْكِبَرُ قَلْبَهُمْ

فَإِنْ كُنْتُ كَانَ التَّحَكُّمُ لِلطَّبَعِ^(١)
 فَقَدْ أَمِنْتُ عَيْنَايَ مِنْ عِلَّةِ الصَّدْعِ
 عَلَى صُورَتِي فِيهِ أَجِنُّ إِلَى الْجَمْعِ
 وَأَشْكُرُهُ فِي حَالَةِ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ
 وَأَشْهَدُهُ فِي صُورَةِ الْوَهْبِ وَالْمَنْعِ
 بِمِيدَانِهِ شُخْبًا كَثِيرًا مِنَ النَّفْعِ
 كَمَا أَنْتَ ذَاتِي حِينَ أَشْرَعُ فِي الْقَرَعِ
 وَإِنْ كَمَالَ الْحَقُّ فِي مَشْهَدِ الْجَزَعِ
 وَصُورَةُ عَيْنِ الْكَوْنِ أَكْمَلُ فِي الْجَزَعِ
 لَقَدْ شَهِدْتُ عَيْنِي الطَّوَالِغَ فِي النَّزَعِ
 وَهَلْ تَمَرَّ تَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ الْفَرَعِ
 فَلَا صِفْعُ أَغْلَى فِي الْمَنَازِلِ مِنْ صِفْعِي
 وَيُظْهِرُهَا لِلْعَيْنِ فِي حَضْرَةِ الشَّفْعِ
 وَإِنْ كَانَ فِي مَزَرٍ وَإِنْ كَانَ فِي تَبَعٍ
 وَضَمْنِ كَيْدِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ الرَّفْعِ
 لِرُهْبَانِ دَيْرٍ فَالسَّلَامَةُ فِي الدَّفْعِ
 وَمَا خَفِيتُ نَغْلِي وَلَا انْقَطَعْتُ شِسْعِي
 وَلَا عَرَفْتُ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى جَمْعِ
 بَذَلْتُ لَهُ بِالنَّخْرِ مَا كَانَ فِي وَسْعِي
 بِبِضْعٍ مِنَ الْأَخْجَارِ بُورِكَ مِنْ بِضْعِ
 حَنِينًا بِهَا مِنْ فَوْقِ أَرْقَعَةٍ سَبْعِ
 مِنَ النَّاسِ فِي خَتَمِ الْقُلُوبِ وَفِي الطَّبَعِ
 عَلَى مُوجِدِ الصَّنْعِ الَّذِي جَلَّ مِنْ صَنْعِ

وَلَوْلَا وُجُودُ السَّمْعِ فِي النَّاسِ مَا اهْتَدَوْا وَلَيْسَ سِوَى عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْوَضْعِ
فَكَمْ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ وَالْعَقْلِ يَا فَتَى وَهَلْ تَبْلُغُ الْأَلْبَابَ مَنْزِلُهُ السَّمْعِ

113

قال ابن مطروح:

مَنْ مَبْلَغُ عَنِي الْمَلِيكَ الْأَزْوَعا
يا ابن الملوك الأكرمين وَمَنْ لَهُمْ
وَإِذَا النُّجُومُ سَعَتْ لِتَدْرِكَ مَجْدَهُمْ
أَيَجُوزُ أَنْ أَبْقَى بِبَابِكَ ظَامِئاً
وَلَوْ ادَّعَيْتَ بَأَنَّ مَا لَكَ نَاصِحُ
وَمَعَ النَّصِيحَةِ فَالْتَخَلُّقُ بِالْوفا
وَمَحَبَّةٌ لِدَمِي وَلِحَمِي مَا زَجَتْ
وَلَطَالَمَا جَرَّبْتَنِي فَوَجَدْتَنِي
وَأَسَدَّ أَرَاءَ، وَأَنْقَبَ فِكْرَةَ
وَلَكَمْ لِيَالٍ بِتُ فِي دَيْجُورِهَا
حَتَّى رَأَيْتُكَ فَوْقَ كِسْرَى رِفْعَةٍ
فَعَلَامَ بَعْدَ الْأَصْطِفَاءِ نَبَذْتَنِي
وَسَمِعْتَ فِي حَقِّي كَلَامَ مَعَاشِرٍ
حَقُّ الْعَذُولِ بَأَنَّ يَقُولَ فَيَفْتَرِي

عَنْ عَبْدِهِ يَحْيَى مَقَالاً مُقْنِعَا
هِمَّ بِهَا سَدُّوا الْفُضَاءَ الْأَوْسَعَا
رَجَعْتُ وَلَمْ تَبْلُغْ نَدَاهُمْ ظُلُمَا⁽¹⁾
وَبِنْدَاكَ قَدْ وَسَّعَ الْخَلَائِقُ أَجْمَعَا⁽²⁾
مِثْلِي شَهِدْتُ بِصَدَقِ ذَاكَ الْمَدْعَى
خُلُقُ خُلِقْتُ عَلَيْهِ لَا مَتَطَبَّعَا⁽³⁾
وَهَوَى حَنِيتُ عَلَيْهِ مِنِّي الْأَضْلَعَا
أَجْدَى مِنَ الْمَلِ الْكَثِيرِ وَأَنْفَعَا⁽⁴⁾
وَأَشَدَّ عَارِضَةً وَالْطِفَ مَوْقَعَا
لِلَّهِ أَذْعُو خَاشِعاً مُتَضَرَّعَا⁽⁵⁾
وَرَأَيْتُ دُونَكَ فِي الْجَلَالَةِ تُبَّعَا⁽⁶⁾
نَبَذَ النَّوَاةَ بِقَوْلٍ وَاشٍ قَدْ سَعَى
أَقْصَى مُنَاهُمْ أَنْ أَبَيْتَ مُضْيِعَا
لَكِنْ أَجِلُّكَ أَنْ يَقُولَ فَتَسْمَعَا

(1) الندى: العطاء والجود - الظلغ: مفرده ظالع وهو الأعرج.

(2) ظامىء: عطشان.

(3) متطبعا: متصنعا.

(4) أجدى: أنفع.

(5) الديجور: الظلام - التضرع: الابتهاال.

(6) تبعا: التبع اليمني من الملوك العظماء.

إن كنتُ خنتك ظاهراً أو باطناً فخسرتُ دنيائي وآخرتي معا
أأودُّكم في عُنفوانٍ شيبَتني وأحولُ إذ عهدُ الشبيبةِ ودَّعا؟

114

قال ابن نباتة مادحاً قاضي قضاة الشام:

ألا في سبيلِ الحُبِّ حالٌ مسهَّدٍ لشعلٍ هذا الفجرِ عنه مَراعُ⁽¹⁾
يُراعي نجومَ اللَّيْلِ تَبْراً وذأبُه أمانيٍّ من عهدِ الوصالِ تُصاغُ⁽²⁾
دعا شجوهُ فقدُ الأحبةِ والصُّبا فما للكرى في مقلتيه مَساغُ⁽³⁾
أحبايَ لي في اليومِ شغلٌ بَصْبوتِي وشيبي وفي أهلِ الملامِ فراغُ⁽⁴⁾
وكم عاقبَ اللوامُ والشيبُ في الهوى محباً وفي جلدِ المحبِّ دُباعُ
صَبغتُ مَشِيبِي راجياً عودةَ الصُّبا وهيئاتِ مِنْهُ دعوةٌ وبلاغُ
كذلكَ أفكارُ المشيبِ إذا سَرَتْ وفي بَعْضِ باذنجانِهِنَّ صِباغُ
دَعِ الغيَّ بعدَ الأربعينِ فكم دَعَا هداةَ الورى داعي الغواةِ فزاغوا⁽⁵⁾
وقد أسقطَ العاليِ بنائرِ ساقِطِ كطاهرِ ماءِ المُرْنِ حينَ بلاغُ⁽⁶⁾
تباركُ من صانِ العُلَى بعلِها على حينِ رامِ السَّائدونَ ورَاغوا
ثنى كلَّ باعٍ عن مداها ممدَّحِ كأنَّ ثناءهُ في البسيطةِ باغُ
ووافى وأوقاتُ الرِّمانِ كثيفةُ فها هي كالبيضِ الحِسانِ رفاغُ
أخو الفضلِ والألفاظِ قالتْ وعَلِمَتْ فأصغى إليها المادحونَ وصَاغوا
وقاضي قضاةِ الشامِ والذِّكرِ والنَّدَى بحيثُ ثبيرٌ فالحسَا فاباغُ

(1) المسهد: الذي لا يستطيع النوم من الأرق.

(2) التبر: الذهب.

(3) الشجو: الحزن - الصُّبا: الحداثة والشباب - الكرى: النوم.

(4) الصبوة: الميل إلى اللهو واللعب.

(5) الغي: الضلال - زاغوا: ضلُّوا وابتعدوا عن الهدى.

(6) المزن: الغيوم الماطرة.

على كلِّ وادٍ للندى مِنْهُ مَبْسَمٌ وفي كلِّ حيٍّ للصنائعِ دَاغٌ
 من المعشرِ السامينَ كادَ وَلِيْدُهُم يقولُ لِنُظَامِ المَدَائِحِ نَاغُوا⁽¹⁾
 كأنَّ العلى شخصٌ لَهُم مِنْهُ قَدْ سَعَا وفي النَّاسِ كَعْبٌ للعلى وَدِمَاغٌ
 أمولايَ خذ هَاذَاتِ نَظْمٍ مُوَشَّعٍ على أوجهِ الأندادِ ذَاكَ رَدَاغٌ⁽²⁾
 وما القولُ إِلَّا كَالوَرَى متفاوَتْ فمنهُ صهيلٌ أو فمْنهُ تَوَاغٌ

115

قال ابن نباتة أَيْضاً:

رَشَا رَشَفْتُ رِضَابَهُ أَوْ ثَعْلَبٌ مَا لِلْمَحَبِّ إِلَى رِضَاهُ بَلَوُغٌ⁽³⁾
 حَلَوُ اللَّمَى مَتَمَنُّعٌ يَعْطِيكَ مِنْ ظَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةٌ وَيَرَوُغٌ⁽⁴⁾
 لَا مِثْلَ أَقْلَامٍ بِيَمْنَى سَعِيدِهَا لَفْظاً وَقَضْلاً كُلْهِنَّ بَلِيغٌ
 لِسْطُورِهَا صَبْغٌ يَرُدُّ شَبِيبَةً مَنَا وَلِلنُّعْمَى لَدَيْهِ سَبِوُغٌ⁽⁵⁾
 نَبَغْتُ فِضَائِلَهُ وَجَدَوَى كَفِّهِ نَاهِيكَ نَابِغَةً لَهُ وَنَبِوُغٌ⁽⁶⁾
 فليهنهُ العَيْدُ السَّعِيدُ لِمِثْلِهِ مِدَحُ تِسَاغٍ لَوَارِدٍ وَتَسَوُغٌ⁽⁷⁾
 مِنْ جَوْدِهِ ذَهَبٌ وَمِنْ أَلْفَاظِهِ دُرَّرُ تَبَاحٍ لَنَا وَنَحْنُ نَصَوُغٌ⁽⁸⁾

(1) ناغى الطفل: حدّثه ولاعبه.

(2) موشح: موشح ومزّين.

(3) الرشا: الغزال - الرضاب: الرقيق.

(4) اللمى: سمرة في الشفة مستحسنة - يروغ: يحتال ثم يتفكّر.

(5) سبغت النعمة: عمّت وشملت.

(6) نبغت: ظهرت وتميزت - الجدوى: المعروف والعطاء.

(7) تساغ: تشرب بسهولة لا غصّة فيها.

(8) الدرر: واحدها دُرّة وهي اللؤلؤة.

116

قال بهاء الدين زهير متعجباً من صدور محبوبه:

حبيبي ما هذا الجفاء الذي أرى
لَكَ الْيَوْمَ أَمْرٌ لَا أَشْكُ يُرِيْبُنِي
لَقَدْ نَقَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِاطِلَالٍ
كَتَبْتَ قَدْ صَدَقْتَ فِي حَدِيثِهِمْ
وَقَدْ كَانَ قَوْلُ النَّاسِ فِي النَّاسِ قَبْلَنَا
بَعِيْشِكَ قُلْ لِي مَا الَّذِي قَدْ سَمِعْتَهُ
فَإِنْ كَانَ قَوْلًا صَحَّ أَنِّي قُلْتُهُ
وَهَبْ أَنَّهُ قَوْلٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ
وَهَا أَنَا وَالْوَاشِي وَأَنْتَ جَمِيعُنَا

وَأَيْنَ التَّغَاضِي بَيْنَنَا وَالتَّعَطُّفُ⁽¹⁾
فَمَا وَجْهُكَ الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ⁽²⁾
وَمِلْتُ لِمَا قَالُوا فزادوا وَأَسْرَفُوا
وَحَاشَاكَ مِنْ هَذَا وَخُلُقُكَ أَشْرَفُ
فَقُنْدَ يَعْقُوبَ وَسُرَّقَ يُوسُفُ⁽³⁾
فإِنَّكَ تَدْرِي مَا تَقُولُ وَتُنْصِفُ⁽⁴⁾
فَلِلْقَوْلِ تَأْوِيلٌ وَلِلْقَوْلِ مَصْرَفُ
فَقَدْ بَدَّلَ التَّوْرَةَ قَوْمٌ وَحَرَّفُوا
يَكُونُ لَنَا يَوْمَ عَظِيمٍ وَمَوْقِفُ

117

قال البرعي مادحاً المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام:

عَسَى مِنْ خَفِيِّ اللَّطْفِ سُبْحَانَهُ لُطْفُ
عَسَى مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعِ نَظَرُهُ رَحْمَةٌ
عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ عَاجِلًا
عَسَى لِغَرِيبِ الدَّارِ تَذْيِيرٌ رَافَةٌ

بِعَظْفَةٍ بِرٍّ فَالْكَرِيمُ لَهُ عَظْفُ
إِلَى مَنْ جَفَاهُ الْأَهْلُ وَالصَّحْبُ وَالْأُلُفُ
يُسَرُّ بِهِ الْمَلْهُوفُ إِنْ غَمَّهُ اللَّهْفُ⁽⁵⁾
وَبِرٍّ مِنَ الْبَارِي إِذَا الْعَيْشُ لَمْ يَضْفُ⁽⁶⁾

(1) التغاضي: نقول تغاضى عن الشيء إذا تغافل وتغافل.

(2) يرييني: يُدْخِلُ فِي نَفْسِي الشَّكَّ.

(3) قُنْدَ رَأْيِ فُلَانٍ: إِذَا أَضْعَفَهُ وَأَبْطَلَهُ.

(4) تنصف: تعدل وتقول الحق.

(5) الملهوف: المظلوم المضطرب يستغيث ويتحسر.

(6) الباري: الخالق عز وجل.

عَسَى نَفْحَةٌ فَرْدِيَّةٌ صَمَدِيَّةٌ
فَإِنِّي وَالشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ كَالَّذِي
فَمِنْ مَحَنِ الْأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ
وَمِنْ فُرْقَةِ الْأَخْبَابِ قَلْبِي مُقَسَّمٌ
وَلَكِنْ مِثْلِي يُذْخِرُ الصَّبْرَ لِلْأَسَى
وَإِنِّي لَأَرْضَى مَا قَضَى اللَّهُ لِي وَلَوْ
وَلَمْ أَتَنِ حُسْنَ الظَّنِّ فِي سَيِّدِي عَلَى
وَلَكِنْ دَعَوْتُ اللَّهَ يَكْشِفُ كُرْبَتِي
فَكَمْ بُسْطَتْ كَفٌّ بِسُوءِ تُرِيدُنِي
وَكَمْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ
وَلَمْ أَعْتَصِمَ بِاللَّهِ إِلَّا وَمَدَّ لِي
وَإِنِّي لَمُسْتَتَغْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي
وَفِي الْغَيْبِ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ لَطَائِفُ
فَكَمْ رَاحَ رَوْحُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَكَمْ
بِقُدْرَةِ مَنْ شَدَّ الْهَوَا وَبَنَى السَّمَاءَ
وَمَنْ نَصَبَ الْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشَ وَاسْتَوَى
وَمَنْ بَسَطَ الْأَرْضِينَ فَهِيَ بِلُطْفِهِ
وَأَلْقَى الْجِبَالَ الشَّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا

بِهَا تَنْقَضِي الْحَاجَاتُ وَالشَّمْلُ يُلْتَفُّ⁽¹⁾
رَمَى نَفْسَهُ فِي لُجَّةٍ مَوْجُهَا يَظْفُو⁽²⁾
أَلَمْ يَرْوِجِي قَبْلَ حَتْفِ الْفَنَاءِ حَتْفُ⁽³⁾
ثَلَاثَ وَأَرْبَاعَ وَنَضَفَ وَلَا نَضَفَ
وَإِنْ أَبَتِ الْأَحْزَانُ وَالْأَرْبُعُ الدَّرَفُ
عَبَذْتُ عَلَى حَرْفٍ لَأَزْرِي بِي الْحَرْفُ⁽⁴⁾
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَيَنْهَارُ بِي الْجَرْفُ⁽⁵⁾
فَمَا كُرْبَةٌ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا كَشَفُ
فَقَالَ لَهَا الْكَافِي أَلَا غُلَّتِ الْكَفُّ
عَلَيَّ فَجَاءَ الْمَوْتُ وَانْصَرَفَ الصَّرْفُ⁽⁶⁾
مَنْ الْبِرِّ ظِلًّا فِي رِضَاءٍ لَهُ وَكُفُّ
إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوَرٍ وَإِنْ كَانَ بِي ضَعْفُ
بِهَا جَفَّتِ الْأَفْلَامُ وَانْطَوَتْ الصُّحُفُ
عَدَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ لِلنَّاطِرِ الطَّرْفُ
طَرَائِقُ فَوْقَ الْأَرْضِ فَهِيَ لَهَا سَقْفُ
عَلَى الْعَرْشِ وَالْأَمْلَاكُ مِنْ حَوْلِهِ حَقُّوا⁽⁷⁾
لِحَيِّ بَنِي الدُّنْيَا وَمَيِّتِهِمْ ظَرْفُ
فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفُ⁽⁸⁾

(1) فردية صمدية: إلهية.

(2) اللجة: معظم الماء.

(3) الحتف: الموت والهلاك.

(4) حرف الشيء: حافته.

(5) الجرف: زاوية الجبل المنحدرة بشدة.

(6) صروف الدهر: مصائبه وحوادثه.

(7) الأملاك: الملائكة - حقوا: أحاطوا.

(8) نسف الشيء: دمه وأفناه.

- وَأَلْبَسَهَا مِنْ سُندُسِ النَّبْتِ بَهْجَةً
وَسَخَّرَ مِنْ نَشْرِ السَّحَابِ لَوَاقِحاً
وَأَنْشَأَ مِنَ الْفَافِهَا كُلَّ حَبَّةٍ
وَيَعْلَمُ مَسْعَى كُلِّ سَارٍ وَسَارِبٍ
وَيُخْصِي الْحَصَى وَالْقَطْرُ وَالنَّبْتُ فِي الثَّرَى
وَيَذَرِي دَيْبَ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ إِنْ سَعَتْ
وَوَزْنَ جِبَالٍ كَمْ مَشَاقِيلَ ذَرَّةٍ
وَكَمْ فِي غَرِيبِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ
فَسُبْحَانَ مَنْ إِنْ هَمَّ وَهَمَّ يَقِيسُهُ
وَلَمْ تُحِطِ السِّتُ الْجِهَاتِ بِذَاتِهِ
إِلَهِي أَقْلَنِي عَثْرَتِي وَتَوَلَّنِي
خَلَعْتُ عِذْرِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَائِداً
وَأَنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ
فَكَمْ صَاحِبٍ رَافَقْتُهُ لِيَكُونَ لِي
وَمَا شِئْتُ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ صَدِيقُهُمْ
طِبَاعُ ذُنَابٍ فِي ثِيَابٍ جَمِيلَةٍ
يَلُوحُ عَلَيْهِمُ لِلنِّفَاقِ دَلَائِلُ
فَحُلْ سَيِّدِي مَا عِشْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
- مِنْ النُّورِ مَا صَنَفْتُ يُشَابِهُهُ صَنْفٌ⁽¹⁾
إِذَا انْتَشَرَتْ دَرَّتْ سَحَابُهَا الْوُطْفُ⁽²⁾
بِهِ الْأَبُّ وَالرَّيْحَانُ وَالْحَبُّ وَالْعَصْفُ⁽³⁾
وَمَا أَغْلَنُوهُ مِنْ خَطَابٍ وَمَا أَخْفُوا
وَالْأَخْفَافُ عَدُّ قَلٍّ أَوْ كَثَرِ الْحَقْفُ⁽⁴⁾
وَإِنْ وَقَفْتُ مَا أَمَكَّنَ السَّغْيُ وَالرُّوْفُ
وَكَيْلُ بَحَارٍ يُغِيضُهَا نَزْفُ⁽⁵⁾
عَجَائِبُ لَا يُخْصِي لِأَيْسَرِهَا وَضْفُ
بِكُفٍّ وَتَكْثِيفُ يُلْجِمُهُ الْكَفُّ
فَأَيُّنَ يَكُونُ الْأَيُّنُ وَالْقَبْلُ وَالْخَلْفُ
بِعَفْوٍ فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا عُنْفُ⁽⁶⁾
بِعُذْرِي فَإِنْ لَمْ تَغْفُ عَنِّي فَمَنْ يَغْفُو
وَكَهْفِي إِذَا لَمْ يَبْقَ لِي بَيْنَ الْوَرَى كَهْفُ
رَفِيقاً فَأُضْحَى وَهُوَ بَادِي الْجَفَا خَلْفُ
إِذَا اسْتَنْصَرُوا ذَلُّوا وَإِنْ وَزِنُوا خَفُّوا
بَصَائِرُهُمْ عُمِّي قُلُوبُهُمْ غُلْفُ⁽⁷⁾
وَبِالْحِكِّ يَبْدُو الزَّيْفُ وَالذَّهَبُ الصَّرْفُ⁽⁸⁾
بِحَوْلِكَ حَتَّى يَخْضَعَ الْفَرْدُ وَالْأَلْفُ

(1) السندس: نوع من الديباج الرقيق.

(2) الوطف: نقول وطف المطر إذا هطل.

(3) الأب: المرعى - العصف: التبن.

(4) الحقف: المعوج من الرمل.

(5) يغيضها: نقول غاضت البئر إذا قلَّ ماؤها وجفَّت.

(6) أقلني عثرتي: أي اصفح عني وتجاوز عن زلتي.

(7) غلّف: قاسية لا رحمة فيها ومغلّفة.

(8) الصرّف: الصافي الخالص.

وَأَغْلٍ مَقَامِي وَأَنْصَبِ اسْمِي بِخَفْضِهِمْ
لَأَنَّكَ مَعْرُوفِي وَمِنْكَ عَوَارِفِي
وَأُثِبْتُ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْجِلْمِ مِنْكَ لِي
وَأَيْدُ بِحَرْفِ الْكَافِ وَالنُّونِ حُجَّتِي
وَقُلْ فُزْتُ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَةٍ
وَأَكْرَمَ لِأَجْلِي مَنْ يَلِينِي وَأَعْطَانَا
وَصَلَّ عَلَى رُوحِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ
وَأَزْوَاجِهِ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا انْتَنَتْ

لِيُضَرَفَ كُلُّ اسْمٍ يَحِقُّ لَهُ الصَّرَفُ
إِذَا اسْتُنْكَرَ الْمَعْرُوفُ وَانْقَطَعَ الْعُرْفُ
سَعَادَةٌ حَظٌّ مَا لِمَثَبَتِهَا حَذْفُ
لِيَسْبِقَ لِي مِنْ كُلِّ صَالِحَةٍ حَرْفُ
وَمَغْفِرَةٍ فِي يَوْمِ الْمَلَائِكِ تَصْطَفُ
مِنَ النَّارِ أَمْنًا يَوْمَ كُلِّ لَهُ ضِعْفُ
صَلَاةٍ عَلَاهَا النُّورُ وَانْتَشَرَ الْعُرْفُ⁽¹⁾
أَرَاكَ الْجَمَى وَاسْتَظَرَبَ الْإِبِلُ الزَّيْفُ⁽²⁾

118

قال بهاء الدين زهير واصفاً إحدى محبوباته:

تَعَشَّقْتُهَا مِثْلَ الْغَزَالِ الَّذِي رَنَا
إِذَا حَسَدُوهَا الْحُسْنَ قَالُوا لَطِيفَةٌ
وَلَمْ يَجْحَدُوهَا مَا لَهَا مِنْ مَلَاخَةٍ
بَدِيعَةٍ حُسْنِ رَقٍّ مِنْهَا شَمَائِلُ
فَلَا الْخُلُقُ مِنْهَا لَا وَلَا الْخَلْقُ جَافِيًا
وَمَا ضَرَّهَا أَنْ لَا تَكُونَ طَوِيلَةً
وَأَنِّي لَمَشْغُوفٌ بِكُلِّ مَلِيحَةٍ

لَهَا مُقْلَةٌ نَجْلًا وَأَجْفَانُهَا وَظَفُ⁽³⁾
لَقَدْ صَدَقُوا، فِيهَا اللَّطَافَةُ وَالظَّرْفُ
لِعِلْمِهِمْ مَا فِي مَلَاخَتِهَا خُلْفُ⁽⁴⁾
وَرَأَيْتُ إِلَى أَنْ كَادَ يَشْرِبُهَا الظَّرْفُ⁽⁵⁾
وَحَاشَا لِهَاتِيكَ الشَّمَائِلُ أَنْ تَجْفُو⁽⁶⁾
إِذَا كَانَ فِيهَا كُلُّ مَا يَطْلُبُ الْإِلْفُ
وَيُعْجِبُنِي الْخَصَرُ الْمُخَصَّرُ وَالرَّدْفُ⁽⁷⁾

(1) العرف: الرائحة الطيبة.

(2) الأراك: نوع من الشجر يُسْتَاكُ به.

(3) المقلة: العين - نجلا - قاتلة - وطف: كثرة شعر الحاجبين والجفون.

(4) الجحود: الإنكار عامة، وإنكار المعروف خاصة.

(5) الشمائيل: الصفات.

(6) الجفاء: القسوة.

(7) المشغوف: هو من احترقت شغاف قلبه من الحب ولوعته، والشغاف: غشاء رقيق يحيط بالقلب.

قال ابن الفارض متحدثاً عن عشقه المقدس، ومبيناً ما يلاقيه من لوعة الحرمان:

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُثْلِفِي،
 لم أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي
 مَا لِي سِوَى رُوحِي، وَبِإِذْلِ نَفْسِيهِ،
 فَلَيْتُنْ رَضِيتَ بِهَا، فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي؛
 يَا مَانِعِي طَيِّبَ الْمَنَامِ، وَمَانِحِي
 عَطْفاً عَلَى رَمَقِي، وَمَا أَبْقَيْتَ لِي
 فَالْوَجْدُ بَاقٍ، وَالْوِصَالُ مُمَاطِلِي،
 لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ، فَلَا تُضِغْ
 وَاسْأَلْ نَجُومَ اللَّيْلِ: هَلْ زَارَ الْكَرَى
 لَا غَرَوْا إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضٍ جُفُونُهَا
 وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيْعِ مِنْ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضَلَّ لَدَيْكَ، فَعِدْ بِهِ
 فَالْمَطْلُ مِنْكَ لَدَيَّ، إِنْ عَزَّ الْوَفَا،
 رُوحِي فِدَاكَ، عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ⁽¹⁾
 لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسَى، وَمِثْلِي مَنْ يَفِي⁽²⁾
 فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ، لَيْسَ بِمُسْرِفٍ⁽³⁾
 يَا خَيِّبَةَ الْمُسْعَى، إِذَا لَمْ تُشْعِفِ!
 ثَوَّبَ السَّقَامِ بِهِ وَوَجَدِي الْمُثْلِفِ⁽⁴⁾
 مِنْ جِسْمِي الْمُضْنَى، وَقَلْبِي الْمُدْنَفِ⁽⁵⁾
 وَالصَّبْرُ فَاِنْ، وَاللِّقَاءُ مُسَوِّفِي
 سَهْرِي بِتَشْنِيعِ الْخَيَالِ الْمُرْجِفِ⁽⁶⁾
 جَفْنِي، وَكَيْفَ يَزُورُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ؟
 عَيْنِي، وَسَحَّتْ بِالْدَمْعِ الذَّرْفِ⁽⁷⁾
 أَلِمِ النَّوَى، شَاهَدْتُ هَؤُلَ الْمَوْقِفِ⁽⁸⁾
 أَمَلِي، وَمَا طُلَّ، إِنْ وَعَدْتَ، وَلَا تَفِي
 يَحْلُو كَوْضَلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُسْعِفٍ⁽⁹⁾

(1) متلفي: مهلكي.

(2) أقضي الأولى: أفني - والثانية: أهلك - الأسى: الحزن.

(3) بذل نفسه: وهبها.

(4) السقام: المرض - الوجد: الحزن.

(5) المضني: المنهك - المدنف: المرض الشديد.

(6) التشنيع: اختلاق الأخبار الكاذبة - والمرجف كذلك.

(7) الشح: البخل - السح: السيلان - الذرف: مفردها ذارف: نقول ذرف دمه إذا هطل وانسكب.

(8) النوى: الفراق.

(9) المطل: التأجيل.

أَهْفُوا لِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ، تَعِلَّةٌ،
 فَلَعَلَّ نَارَ جَوَانِحِي بِهِبُوبِهَا
 يَا أَهْلَ وُدِّي! أَنْتُمْ أَمْلِي، وَمَنْ
 عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَا،
 وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ، قَسَمًا، وَفِي
 لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا
 لَا تَحْسَبُونِي، فِي الْهَوَى، مُتَصَنِّعًا،
 أَخْفَيْتُ حُبَّكُمْ، فَأَخْفَانِي أَسَى،
 وَكَتَمْتُهُ عَنِّي، فَلَوْ أَبْدَيْتُهُ
 وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ تَحَرَّشَ بِالْهَوَى:
 أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ،
 قُلْ لِلْعَذُولِ: أَطَلْتُ لَوْمِي، طَامِعًا
 دَعَّ عَنْكَ تَعْنِيفِي، وَدُقَّ طَعَمُ الْهَوَى،
 بَرَّحَ الْخَفَاءُ بِحُبِّ مَنْ لَوْ، فِي الدُّجَى،
 وَإِنْ اكْتَفَى غَيْرِي بِظُفْرِ خِيَالِهِ،
 وَقَفَا عَلَيْهِ مَحَبَّتِي، وَلِمَخْنَتِي،
 وَهَوَاهُ، وَهُوَ أَلَيْتِي، وَكَفَى بِهِ
 لَوْ قَالَ تَيْهًا: قِفْ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا،
 أَوْ كَانَ مَنْ يَرْضَى، بِخَدِّي، مَوْطِنًا،
 وَلَوْجِهِ مَنْ نَقَلْتُ شَذَاهُ تَشَوُّفِي⁽¹⁾
 أَنْ تَنْظَفِي، وَأَوَدَّ أَنْ لَا تَنْظَفِي
 نَادَاكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي قَدْ كُفِيَ
 كَرَمًا، فَإِنِّي ذَلِكَ الْخِلُّ الْوَفَى
 عُمَرِي، بِغَيْرِ حَيَاتِكُمْ، لَمْ أَخْلَفِ
 لِمُبَشَّرِي بِقُدُومِكُمْ، لَمْ أَنْصِفِ
 كَلَّفِي بِكُمْ خُلُقٌ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ⁽²⁾
 حَتَّى، لِعُمَرِي، كِدْتُ عَنِّي أَخْتَفِي
 لَوَجَدْتُهُ أَخْفَى مِنْ اللَّطْفِ الْخَفِي
 عَرَضْتُ نَفْسَكَ لِلْبَلَا، فَاسْتَهْدِفِ
 فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ، فِي الْهَوَى، مَنْ تَصْطَفِي
 أَنْ الْمَلَامَ عَنِ الْهَوَى مُسْتَوْقِفِي
 فَإِذَا عَشِيقَتِ، فَبَعْدَ ذَلِكَ عَنَفٍ⁽³⁾
 سَفَرَ اللَّثَامَ، لَقُلْتُ يَا بَدْرُ اخْتَفِ⁽⁴⁾
 فَأَنَا الَّذِي، بِوَصَالِهِ، لَا أَكْتَفِي
 بِأَقْلٍ مِنْ تَلْفِي بِهِ، لَا أَشْتَفِي
 قَسَمًا، أَكَادُ أَجَلَهُ كَالْمُضْخَفِ
 لَوَقَفْتُ مُنْتَثِلًا، وَلَمْ أَتَوَقَّفِ⁽⁵⁾
 لَوْضَعْتُهُ أَرْضًا، وَلَمْ أَسْتَنْكِفِ⁽⁶⁾

(1) أهفو إليه: أميل إليه - التشوف: التطلع والترقب.

(2) التكلف: التصنع.

(3) التعنيف: التوبيخ والعتاب.

(4) سفر: كشف.

(5) الغضا: نوع من الشجر معروف بشدة اشتعاله وحرارته.

(6) استنكف: استكبر.

هو، بالوصال، علي لم يتعطف
 من حيث فيه عصيتُ نهي معنفي⁽¹⁾
 عز المنوع، وقوة المستضعف
 منذ كنت، غير وداده لم يالف
 ورضابُه، يا ما أحيلاه بفي!⁽²⁾
 في وجهه، نسي الجمال اليوسفي
 سنة الكرى، قدماً، من البلوى شفي⁽³⁾
 تضبُّو إليه، وكلُّ قد أهيف⁽⁴⁾
 قال: الملاحه لي، وكلُّ الحُسن في
 للبدر، عند تمامه، لم يخسف⁽⁵⁾
 يفنى الزمان، وفيه ما لم يوصف
 يد حُسنه، فحمدتُ حُسن تصرفي
 روي بها تصبو إلى معنَى خفي
 وانثر على سَمعي حلاه، وشنف⁽⁶⁾
 معنَى، فأتجفني بذاك، وشرف
 برسالة أذيتها بتلطف
 لم تنظري، وعرفتُ ما لم تعرفي
 كلفاً به، أو سارَ، يا عينُ اذرفي
 إن غابَ عن إنسانٍ عيني، فهو في⁽⁷⁾

لا تُنكروا شغفي بما يرضى، وإن
 غلب الهوى، فأطعتُ أمرَ صبابتي،
 مني له ذلُّ الخضوع، ومنه لي
 ألف الصدود، ولي فؤاد لم يزل،
 يا ما أميلح كلُّ ما يرضى به،
 لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحه
 أو لو رآه، عائدأ، أيوب في
 كلُّ البدور، إذا تجلى مُقبلاً،
 إن قلتُ: عندي فيك كلُّ صباية؛
 كملتُ محاسنُه، فلو أهدى السنا
 وعلى تفتنٍ واصفيه بحُسنه،
 ولقد صرفتُ، لحُبّه، كُلّي، على
 فالعينُ تهوى صورة الحُسن، التي
 أسعد أخِي، وغنني بحديثه،
 لأرى بعين السمع شاهد حُسنه
 يا أخت سَعْد، من حبيبي، جئتني
 فسمعتُ ما لم تسمعي، ونظرتُ ما
 إن زار يوماً، يا حشاي تقطعي،
 ما للنوى ذنب، ومن أهوى معي،

(1) الصباية: شدة الشوق.

(3) السنة: النعاس - الكرى: النوم.

(4) صبا إليه: مال إليه - القد: القوام - الأهيف: من كان رقيق الخصر وضامر البطن.

(5) السنا: النور.

(6) حلاه: ما يتزين به من حلي - شنف: اجعل الشنف في أذني، والشنف ما يعلق في الأذن من الحلي.

(7) إنسان العين: ناظرها - فهو في: أي في قلبي.

قال ابن ملك الحموي متغزلاً وشاكياً من عدل العدال:

- قَسَمًا بِفَرْطٍ تَلْهُبِي وتَلْهُفِي
أَيَلُومُنِي حَسَدًا عَلَيْنِكَ بِجَهْلِهِ
يَا رَائِشًا قَلْبِي بِنُبْلِ لِحَاظِهِ
إِنْ كَانَ قَتَلَنِي يَرْضِيهِ صَبَابُهُ
أَوْ كَانَ نَفْسُكَ حَدَّثَتْكَ بِسَلْوَةِ
يَا هَاجِرِي هَلْ وَقَفَتْ لِي رَحْمَةً
أَنَا فِيكَ مُغْرَى بِالصَّبَابَةِ مُغْرَمٌ
رِفْقًا بِصَبٍّ فِي الْغَرَامِ مَتِيمٌ
لَا يَسْتَقِرُّ مِنَ الْبُكَاءِ قَرَارُهُ
وَعَلَى نَوَاكٍ فَمَا لَهُ مِنْ مُسْعِدٍ
قُلْ لِلْمَعْنَفِ عَنْ هَوَاهُ بِجَهْلِهِ
وَحَدِيثَ هَاتِيكَ الْمَنَاطِقِ لِي أَعِذْ
مَنْ لِي بِهِ ذَهَبِي لَوْ خَدَهُ
رُشًا مُحْيَاهُ يُرِيكَ إِذَا انْثَنَى
- لَأُخَالَفَنَّ عَلَى هَوَاكَ مَعْنَفِي⁽¹⁾
لَيْسَ الْعَدُولُ عَلَى هَوَاكَ بِمُنْصِفِي⁽²⁾
يَكْفِيكَ قَتْلِي بِالصَّقِيلِ الْمُرْهَفِ⁽³⁾
دَعْنِي أُمُوتُ جَوَى بِغَيْرِ تَكْلُفِ⁽⁴⁾
قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلِفِي⁽⁵⁾
لَمْ أَنْسَهَا لَكَ فِي غِدٍ بِالْمَوْقِفِ
فَلْيَذَرِ بِي مَنْ لَا دَرَى وَلِيَعْرِفِ
مُضْنِي حَلِيفَ السَّقَمِ عَانٍ مُدْنَفٍ⁽⁶⁾
وَجَدَا عَلَيْنِكَ وَنَارُهُ لَا تَنْظِفِي
وَعَلَى هَوَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مُسْعِفِ⁽⁷⁾
زِدْ مِنْ مَلَامِكَ يَا عَدُولُ وَعَنْفِ
وَبِذِكْرِ ذَاكَ الْقِرْطِ سَمْعِي شَنْفٍ⁽⁸⁾
دِينَارُهُ عَنْ نَاطِرِي لَمْ يُصْرَفِ
بَذْرًا عَلَى غُضْنٍ بِغَيْرِ تَكْلُفِ⁽⁹⁾

(1) فرط الشيء: كثرته - التلهب: الاشتعال والتلظى - التلهف: التشوق - المعنف: اللائم اللاحي.

(2) المنصف: العادل.

(3) النبل: السهام - اللحاظ: العيون - الصقيل المرهف: السيف المصقول والمحدد.

(4) صبابه: شوقاً وحياً - الجوى: اشتداد الوجد واللوعة من العشق.

(5) السلوة: النسيان - متلفي: مهلكي.

(6) الصب: العاشق المشتاق - مضى، حليف السقم، عانٍ، مدنف: كلها بمعنى المريض العليل.

(7) نواك: بعدك.

(8) القرط: ما يُعلَّق في شحمة الأذن من المصوغات والحلي - شنت المرأة: تزينت بالقرط.

(9) الرشأ: الغزال - المحيا: الوجه.

سَاقٍ عَنِ الْمَضْبَاحِ يُغْنِي وَجْهَهُ وَعَنِ النَّدِيمِ بِقَوْلِهِ الْمُسْتَظَرَفِ
وَتَنْوُبُ عَنْ أَقْدَاحِهِ أَخْدَاقَهُ وَالرَّيْقُ مِنْهُ عَنِ السَّلَافِ الْقَرْقَفِ⁽¹⁾
فَكَأَنَّمَا اعْتَصِرَ الْمُدَامُ بِثَغْرِهِ أَوْ فِيهِ أَوْدَعَ ذَلِكَ السَّرُّ الْخَفِي

121

قال الشاب الظريف شارحاً ما يعانيه من آلام العشق وذاكراً لرفاقه دروس الهوى:

لا تُخَفِ مَا صَنَعْتَ بِكَ الْأَشْوَاقُ وَاشْرَحْ هَوَاكَ فَكَلَّنَا عُشَّاقُ
قَدْ كَانَ يَخْفِي الْحُبُّ لَوْلَا دَمْعُكَ الـ جَارِي وَلَوْلَا قَلْبُكَ الْخَفَّاقُ
فَعَسَى يُعِينُكَ مَنْ شَكُوتَ لَهُ الْهَوَى فِي حَمْلِهِ فَالْعَاشِقُونَ رِفَاقُ
لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتُ أَوَّلَ مُغْرَمٍ فَتَكُتْ بِهِ الْوَجَنَاتُ وَالْأَحْدَاقُ⁽²⁾
وَاضْبِرْ عَلَى هَجْرِ الْحَبِيبِ فَرَبَّمَا عَادَ الْوَصَالُ وَلِلْهَوَى أَخْلَاقُ
كَمْ لَيْلَةٍ أَسْهَرْتُ أَحْدَاقِي بِهَا مَلَقَى وَلِلْأَفْكَارِ بِي إِحْدَاقُ⁽³⁾
يَا رَبِّ قَدْ بَعُدَ الَّذِينَ أَحْبَبْتَهُمْ عَنِّي وَقَدْ أَلْفَ الرِّفَاقَ فِرَاقُ
وَاسْوَدَّ حَظِّي عِنْدَهُمْ لَمَّا سَرَى فِيهِ بِنَارِ صَبَابَتِي إِحْرَاقُ⁽⁴⁾
عُرْبٌ رَأَيْتُ أَصَحَّ مِثَاقٍ لَهُمْ أَلَّا يَصَحَّ لَدَيْهِمْ مِثَاقُ
وَعَلَى النِّيَاقِ وَفِي الْأَكْلَةِ مُغْرَضٌ فِيهِ نِفَارٌ دَائِمٌ وَنِفَاقُ⁽⁵⁾
مَا نَاءَ إِلَّا حَارِبْتُ أَرْدَافَهُ خَضِرَاً عَلَيْهِ مِنَ الْعَيُونِ نِطَاقُ⁽⁶⁾
تَرْنُو الْعَيُونَ إِلَيْهِ فِي إِطْرَاقِهِ فَلِذَا رَنَا فَلِكُلِّهَا إِطْرَاقُ⁽⁷⁾

(1) الأقداح: الكؤوس - الأحداق: العيون - السلاف: الخمرة والدمام كذلك.

(2) الجزع: الخوف والفرع - الوجنات: مفردها وجنة وهي ما ارتفع من الخدين - الأحداق: العيون.

(3) الإحداق: الإحطاطة والحصار.

(4) الصبابة: الشوق وحرارته.

(5) النفاق: الحزام.

(6) النطاق: أدام النظر مع سكون طرفه - أطرق: أمال رأسه إلى صدره ناظراً إلى الأرض دون أن يتكلم.

قال بهاء الدين زهير يشوّق إلى مصر وإلى أهلها:

أَسْفِي عَلَى زَمَنِ التَّلَاقِي وَرَدَاءِ عِزِّ كُنْتُ أَزْ
وَالْعَيْشُ مُتَّسِعُ النُّطَاقِ أَيَّامُ مِضْرٍ لِيَتَّهَا
فُلُ فِي حَوَاشِيهِ الرِّقَاقِ⁽¹⁾ وَبِجَانِبِ الْفُسْطَاطِ لِي
فَدَيْتُ بِأَيَّامِي الْبَوَاقِي قَمَرُ شَرِبْتُ لَهُ الْفَرَا
قَمَرُ يَعِزُّ لَهُ فِرَاقِي⁽²⁾ وَأَرَقْتُ فِيهِ دَمِي فَكَيْ
قَ الْمُرِّ بِالكَاسِ الدِّهَاقِ⁽³⁾ أَحِبَّابِنَا مَاذَا لَقِي
فَ أَلَامُ فِي دَمْعِي الْمُرَاقِ⁽⁴⁾ لَوْ تُشْرِفُونَ رَأَيْتُمْ
تُ مِنْ الْبِعَادِ وَمَا أَلَا قِي نَفْسٌ يُصَعَّدُهُ الْجَوَى
مِنْ مِضْرٍ نِيرَانِ اشْتِيَاقِي مَا كُنْتُ أَضِيرُ عَنْكُمْ
رَاقٍ وَدَمْعٌ غَيْرُ رَاقٍ⁽⁵⁾ وَلَقَدْ تَفَضَّلَ طَيْفُكُمْ
لَوْ كُنْتُ مُنْطَلِقَ الْوِثَاقِ وَسَرَى وَبَاتَ مُضَاجِعِي
لَيْلًا وَأَنْعَمَ بِالتَّلَاقِي فَقَطَعْتُ أَنْعَمَ لَيْلَةً
وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ الرُّوَاقِ⁽⁶⁾ ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَجَدْتُ إِثْبَةً
مَا بَيْنَ لَثْمٍ وَاعْتِنَاقِ وَرَأَى الْعَوَازِلَ لَيْسَ وَجْهًا
رَ الطَّيِّبِ فِي بُرْدِيِّ بَاقِ مُذْ كُنْتُ لَمْ تَكُنِ الْخِيَا
هِيَ مِنْ وَجْهِهِمُ الصِّفَاقِ

(1) رفل: جرّ ذيل ثوبه متبختراً.

(2) الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر أو مدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص.

(3) الكأس الدهاق: الممتلئة والمتابعة على شاربها.

(4) المراق: المسكوب.

(5) تصعد النفس: صعب مخرجُه - الجوى: اشتداد الوجد من العشق.

(6) مضاجعي: النائم معي.

ولقد بَكَيْتُ وما بكى
برقيقة الألفاظ تح
لم تذر هل نطقت بها الأ
لطفت معانيها ورقت
مضريّة قد زانها
ت من الرياء ولا النفاق
كي الدّمع إلا في المذاق
فواه أم جرت المآقي⁽¹⁾
ت والحلاوة في الرقاق
لطفاً مجاورّة العراق

123

قال ابن نباتة مادحاً السلطان الناصر :

طيفُ تصيّدته واللّيلُ محتبكُ
بين الذّوائبِ تمشي في حبايلها
عجبتُ من لائم هتكى على قمرٍ
محجبٍ لا يراه العاذلون ولا
فليتّهمُ نظروهُ واستمغتُ لهم
أبكي وعاذليّ التعبانُ يطلبني
وكيف أسلوا هوى بدرٍ رضىتُ بأن
لو يعلمُ الثّركُ أهلوهُ بأنّي قد
أميرُ حسنٍ كما قلنا أميرُ تقى
سيفُ الملوِكِ وكافيهُم إذا منّحوا
من حلية الشهب أو من شعره الحبكُ⁽²⁾
يا حبّذا الطّبيّ أو يا حبّذا الشّركُ⁽³⁾
الشّمسُ منه على الحيطانِ تنهتكُ⁽⁴⁾
أصغي إليهم وإن برّوا وإن أفكّوا⁽⁵⁾
وخلّصوني من جفنيهِ واشتَبَكُوا
أسلوا فيأخذني من عقلهِ الضّحكُ⁽⁶⁾
أشقى به وهو في اللذاتِ منْهمكُ
شبهتهُ البدرَ ما أبقوا ولا تركوا
في الشّامِ وهو على شهبائه ملكُ
يومَ العطاءِ ويومَ البؤسِ إن فتكّوا⁽⁷⁾

(1) المآقي : يقصد العيون .

(2) الطيف : الخيال - محتبك : مظلم .

(3) الشّرك : المصيدة .

(4) الهتك : القيام بأعمال الضلالة دون مبالاة - تنهتك : تتمزق .

(5) أفكّوا : كذبوا .

(6) أسلو عن الشيء : أنساه وأنشغل عنه .

(7) فتكوا : قتلوا وأهلكوا .

نَحْيِي بَلْقِيَاهُ أَنْ نَفْنَى بِفُرْقَتِهِ
 قَالُوا: امْتَدِّحْهُ فَقُلْتُ: الْعِيَّ مَعْدَرَةٌ
 أَمْدَاحُهُ مِنْ عَطَاهُ أَوْ قَضَائِلُهُ
 دُو الْجُودِ وَالْبَاسِ كَمْ يَحْيِي بَيْنَهُ
 يَظُنُّ مِنْ طَارَ خَوْفًا مِنْ مَهَابَتِهِ
 وَفِي النَّهَارِ يَرَى خَيْلًا يُضَاعِفُهَا
 فَالْشَّامُ كَالْحَرَمِ الْمَأْمُونِ طَائِرُهُ
 نَعَمْ وَفِي حَلَبٍ فَاضَتْ مَرَاضِعُهَا
 وَالْغَيْثُ يَهْمِلُ لَا مَحْلٌ وَلَا سَغَبٌ
 إِنْ جَادَ فَالْمَزَنُ فِي الْعَافِينَ مَنْسَفَحٌ
 وَدَوْلَةُ النَّاصِرِ السُّلْطَانِ زَاهِرَةٌ
 كَانَتْ عَدَى الْمَلِكِ كَالثُّعْبَانِ فَاضْطَلَحُوا
 إِذَا تَفَرَّزْنَ فِي الطَّاعِينَ بِنَدَقِهِمْ
 كَسَرَى مِنَ الدَّوْلَةِ الشَّهْبَاءِ مِنْكَسِرٌ
 فَالْأَمْنُ يَعْمُرُ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَعَبُوا
 وَأَنْتَ نَجْلُ ذَوِي مُلْكٍ لَخِدْمَتِهِ
 أَنْتَ الْبِدَاوَةُ فِي الثُّرُكِ الْأُولَى نَشُؤُوا
 خُيُولُهُمْ فِي الْوَعْيِ لِلْبَيْضِ رَاكِضَةٌ
 كَأَنَّمَا نَحْنُ يَا بَحَرَ النَّدَى سَمَكٌ
 قَالُوا فَخُذْ مِنْ حُلَاهُ الدَّرَّ يَنْسَلِكُ⁽¹⁾
 كَأَنَّ أَمْدَاحَهُ مِنْ تَبْرِهِ سَبَكُوا⁽²⁾
 مِنْ حَيٍّ أَوْ يَهْلِكُ الْأَعْدَا بِمَا هَلَكُوا
 أَنَّ النُّجُومَ عَلَيْهِ فِي الدُّجَى شَبَكٌ
 كَأَنَّ ظِلَّ الْمَذَاكِى خَلَفَهَا رَمَكٌ
 فِيهِ الْأَمَانِي وَفِيهِ الْبَرُّ وَالنَّسَكُ
 جَدُوى خَوَارِزَمَ كَالْأَنْوَاءِ تَعْتَرِكُ⁽³⁾
 وَالْأَمْنُ يَشْمَلُ لَا خَوْفٌ وَلَا دَرَكُ⁽⁴⁾
 أَوْ جَالٌ فَالْدَمُ فِي الْعَادِينَ مَنْسَفِكُ⁽⁵⁾
 وَلِلسُّعُودِ عَلَى أَمْصَارِهَا بَرَكٌ
 وَبَعْضُهُمْ كَانَ كَالْبَرْغُوثِ فَاَنْفَرَكُوا
 فَرَأْسُهُ بِثَرَابِ الْحُتَفِ يَنْمَعِكُ
 قَدَمًا وَقَيْصَرُ بِالتَّقْصِيرِ مُرْتَبِكُ
 وَالرُّعْبُ يَرْدُعُ عَنْهَا فَوْقَ مَا فَتَكُوا
 قَدْ قَدَّمُوا مِنْهُ فِي الْأَرْوَاحِ مَا مَلَكُوا
 مَعَ الضَّرَاغِمِ فِي الْأَغْيَالِ تَشْتَرِكُ⁽⁶⁾
 وَفِي جِفَانِ الْقِرَى كَالْبُذْنِ تَبْتَرِكُ⁽⁷⁾

(1) العي: الوهن والضعف من المرض - الدُّر: اللؤلؤ - ينسلك: يتنظم.

(2) التبر: الذهب.

(3) الأنواء: الأمطار الغزيرة.

(4) يهمل: يهطل - المحل: الجفاف. السغب: الجوع.

(5) انسفك وانسفح: سال وانسكب.

(6) الضراغم: الأسود، مفردها: ضراغم. الأغيال: مفردها غيل: الشجر الكثيف الملفت الذي يستتر فيه، أو موضع الأسد.

(7) الوعى: الحرب - الجفان: الأواني التي تستعمل لطهي الطعام.

كَأَنَّهُمْ لِدِمِ الْأَكْيَاسِ قَدْ سَفَكُوا
وَمَنْ بِمَسْكِ ثَنَاهُ فَازَ مُمْتَسِكٌ⁽¹⁾
نَظْمًا بِهِ سَارَ قَوْمٌ أَيْةَ سَلَكَوا
قَدْ قَالَ غَيْرِي فَبَانَ الزَّهْرُ وَالْحَسَكُ
وَطَوَّلَ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ لَبَكُوا⁽²⁾
قَالَتْ حَلَاوَةُ الْفَاطِي لَقَدْ عَلَكُوا⁽³⁾
لَيْسَ الشُّكُوتُ بِمَجْدِيهِمْ وَلَا الْحَرَكَ
وَمَا يَدُورُ عَلَى حَرْفٍ لَهُمْ حَنَكٌ⁽⁴⁾
وَمَا بِي الْمَوْتَ إِلَّا هَذِهِ التَّرْكَ
وَغَبْتُ عَنْهُمْ فَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكُوا
لَكُنْهُمْ فِي غَدٍ يَدْرُونَ أَيْنَ شَكُوا
مَيْسِرًا وَحُظُوظَ النَّاسِ تَغْتَرِكُ⁽⁵⁾
كَأَنَّمَا هُوَ نَجْمٌ وَالثَّنَا فَلَكُ⁽⁶⁾

مَحْمَرَّةً فِي الْعَطَا آلاَفَ مَا وَهَبُوا
يَا مَنْ بِحَبْلِ وَلَاهُ أَوْ مَوَاهِبِهِ
جَبْرًا لَهَا مِذْحَةً لَوْلَاكَ مَا انْسَلَكْتُ
كَمْ مِثْلَهَا قَلْتُ فِي رَوْضِ الشَّبَابِ وَكَمْ
قَصَرْتُ نَظْمِي إِلَّا أَنَّهُ نَخَبٌ
وَمَا تَقَضَّتْ لِبَانَاتُ لَطَائِفِهِ
فَلْيُعْذِرِ الْآنَ مَغْلُوبٌ بِعَائِلَةٍ
تَدُورُ فِي أَحْرَفِ الْأَلْفَاظِ هَامَتُهُ
أَمُوتُ حُزْنًا إِذَا عَايَنْتُ حَالَهُمْ
خَلَّصْتُ رِزْقَهُمْ مِنْ كَيْدِ كَائِدِهِمْ
وَلِي خُصُومٌ وَلَسْتُ الْآنَ شَاكِيَهُمْ
لَا زَالَ حَظُّكَ مِنْ دُنْيَا وَآخِرَةٍ
يَجْرِي بِسُودْدِكَ الْوَضَاحِ كُلُّ ثَنَاءٍ

124

قال صفي الدين الحلبي متغزلًا:

وَأَنَا الَّذِي بَثْرَابِكُمْ أَتَمَسَّكَ
فَكَأَنَّنِي بَثْرَابِهَا أَتَبَرَّكَ
خَادَعْتُكُمْ، وَبَذَلْتُ مَا لَا أَمْلِكُ
وَالشَّرْطُ فِي كُلِّ الْمَذَاهِبِ أَمْلِكُ⁽⁷⁾

غَيْرِي بِحَبْلِ سِوَاكُمْ يَتَمَسَّكَ،
أَضَعُ الْخُدُودَ عَلَى مَمَرٍ نِعَالِكُمْ،
وَلَقَدْ بَذَلْتُ النَّفْسَ، إِلَّا أَنَّنِي
شَرَطِي بِأَنْ حُشَاشَتِي رِقٌّ لَكُمْ،

(1) ممتسك: متمسك.

(2) لبكوا: اختلط عليهم والتبسوا وارتبكوا.

(3) اللبانات: مفردا لبانة، وهي الحاجة.

(4) الهامة: الرأس.

(5) تعترك: تتصارع.

(7) الحشاشة: بقية الروح في جسد المريض.

(6) السؤدد: السيادة.

قد ذقتُ حَبِّكُمْ، فأصبحَ مُهلِكِي،
 لا تَعَجَّلُوا قَبْلَ اللَّقَاءِ بِقَتْلَتِي،
 ولقد بكيْتُ لدهشتي بقُدُومِكُمْ،
 ولربّما أبكى السُّرُورُ إذا أتى
 زَعَمَ الوُشَاةُ بأنْ هَوَيْتُ سِوَاكُمْ،
 عَارٌّ عليّ بأنْ أكونَ مُشْرَعاً
 وَمِنَ المَطَاعِمِ مَا يُذَاقُ فِيهِلِكُ⁽¹⁾
 وَصِلُوا، فَذَلِكَ فَائِتٌ يُسْتَدْرَكُ⁽²⁾
 وَضَحَكَتُ قَبْلُ وَهَجَرُكُم لِي مُهْلِكُ
 فَرَطاً، وَفِي بَعْضِ الشَّدَائِدِ يُضْحَكُ
 يَا قُوتِلَ الوَاشِي، فَأَنْتَ يُوفُكُ⁽³⁾
 دِينَ الهَوَى، وَيُقَالُ إِنِّي مُشْرِكُ

125

قال البرعي مادحاً الحبيب المصطفى ﷺ:

لَا قَيْتَ يَا نَفْسُ حَقّاً مَا حَكَى الْحَاكِي
 وَاسْتَعْذِبِي غُصَصَ التَّغْذِيبِ رَاضِيَةً
 وَاسْتَنْظِرِي فُرَصَ الْأَيَّامِ عَائِدَةً
 عَسَاكِ إِنْ مِتُّ فِي ذِكْرَاكِ مِتُّ عَلَى
 وَاللَّهِ لَوْ لَا أَمَانِي تُجَاذِبُنِي
 أَغْفَلْتُ مِنْ غَفَلَاتِ الدَّهْرِ أَوْنَةً
 أَيَّامَ لَيْلَى بِوَادِي السُّدْرِ نَازِلَةً
 وَالْعَيْشَ أَخْضَرُ وَالْأَيَّامُ مُشْرِقَةٌ
 فَاْمُضِي لِشَأْنِكَ إِنِّي لَسْتُ أَلْحَاكِ⁽⁴⁾
 وَحَكَمِي الْحُبَّ عَلَّ الْحَبِّ يَرْعَاكِ
 وَاسْتَعْمِلِي الصَّبْرَ وَارْزِعِي تَرْكَ شُكْوَاكِ
 شَهَادَةَ الْحَقِّ حَيْثُ الْحَقُّ يَلْقَاكِ
 عَهْدٍ قَدِيمٍ كُنْتُ أَنْعَاكِ⁽⁵⁾
 آوَتْ مِنْ الْجَبْرِ الغَادِينَ مَثْوَاكِ⁽⁶⁾
 مُقِيمَةً خَذَرَهَا الْمَضْرُوبُ يُمْنَاكِ⁽⁷⁾
 وَعَيْنَ رَبِّ الهَوَى الْعَذْرَى تَرْعَاكِ

(1) المطاعم: الطعام.

(2) يُستدرك: أي تستطيعون فعله فيما بعد الوصل.

(3) يوفك: نقول: أفك فلان إذا كذب وافترى

(4) ألحاك: ألومك وأعذلك.

(5) أنعاك: أذيع خبر موتك.

(6) المثوى: مكان الإقامة.

(7) الخدر: كل ما وارك من بيت أو غيره - أو هو ستر يمد للمرأة في ناحية البيت.

شاكٍ لأنِّي أنا المَشْكُورُ والشَّاكِي (1)
يا شَمْسُ حُسْنِ بَدَثٍ مِنْ بُرْجِ شُبَّاكِ
حَبَائِلِ مُرْصِدَاتٍ لِي وَأَشْرَاكِ
دارِ الأَمِيرِ عَرُوسُ نُورِهَا زَاكِ
حَبِّ الْقُلُوبِ بِإِحْيَاءٍ وَإِهْلَاكِ (2)
حِتْفًا فَعَائِفَتِي عَيْنَاكِ عَيْنَاكِ
فَمَا أَلَذُّكَ تَقْبِيلًا وَأَخْلَاكِ
قَدْ كُنْتُ يَوْمَ النَّوَى أَوْدَعْتُهَا فَاكِ
تَرعى الْقُلُوبُ فَذَنُوكَ النَّفْسُ إِلَّاكِ (3)
يَحْنُ ذُو شَجَنِ إِلَّا لِذِكْرَاكِ
أَنْوَارُ حُسْنِكَ مِنْ أَنْوَارِ حُسْنَاكِ
حُسْنٌ بَدِيعٌ مَحَانِي فِي مُحْيَاكِ (4)
نُورٌ كَبَهَجَةِ نُورِ الشَّمْسِ غَشَاكِ
مِنْ الْجَمَالِ حَوَاهَا مِنْكَ رُكْنَاكِ
فِي الْجِسْمِ يَغْبِقُ مِنْ رِيَاءِ رِيَاكِ (5)
تُنْبِي شَوَاهِدَهَا عَنْ فَضْلِ مَعْنَاكِ
وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ إِلَّا حُسْنَ مَرَاكِ
لَا يَسْتَفِيقُ بِشَيْءٍ غَيْرِ لُفْيَاكِ
مَا طَابَ نَفْسًا بِغَيْرِ حِينَ وَافَاكِ (6)
بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ حَيَّاكِ حَيَّاكِ

وَنَظْرَةً جَلَبَتْ حَتْفِي وَلَيْسَ لَهَا
رُدِّي بَقِيَّةَ رُوحٍ فَاتٍ مِنْ رَمَقِي
وَارْثِي لِقَلْبِي بِمَا فِي سِخْرِ عَيْنِكَ مِنْ
وَبَيْنَ سَفْحِ جِيَادٍ فَالْمَسِيلِ إِلَى
سَحَارَةِ الطَّرْفِ تَرْمِي مِنْ لَوَاحِظِهَا
خُذِي بِحَقِّكَ مِنْ عَيْنِيكِ لِي خَفْرًا
وَسَاعِدِيْنِي عَلَى التَّقْبِيلِ مُغْتَنِمًا
فَكَمْ وَدِيعَةً شَوْقِي لِي إِلَيْكِ مَضَتْ
عَوَاطِلُ السَّرْبِ تَرعى فِي الْخُزَامِ وَمَا
يَا لَعَبَةَ اللَّهِ كُلُّ الْقَصْدِ أَنْتَ وَمَا
صَفَتْ صِفَاتُكِ لِلْعُشَّاقِ وَابْتَهَجَتْ
خَفَفَ الْخِمَارِ جَمَالٌ مِنْكِ خَامِرُهُ
وَدُونَ سِتْرِكَ سِرٌّ فِي طَلَائِعِهِ
وَرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْخُلْدِ قَدْ مُلِئَتْ
وَتَمَّ رُوحٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ مُنْتَفِخٌ
وَفِي الشَّاهِدِ آيَاتٌ مَبِينَةٌ
مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ حَسَنٍ
كَمْ مِنْ قَتِيلِ الْهَوَى الْعَذْرَى أَحْسَبُهُ
وَكَمْ مِنْ أَفْنَى اللَّيَالِي نَضُو صَبُوتِهِ
حَيَّاكِ رَبِّي عَنِّي كُلَّ آوَنَةٍ

(1) حَتْفِي: هلاكي.

(2) الطرف: العين - اللواظ: العيون حَبَّ القلب: مهجته وسويداؤه.

(3) العواطل من الإبل: التي تركها صاحبها بلا راعٍ يرعاها - السَّرب: الماشية كلها.

(4) خامره: خالطه - المحيّا: الوجه.

(5) الرُّيّا: الريح الطيبة.

(6) نضو الصبوة: المُجْهِدُ منها - والصبوة: الميل إلى اللّهُ.

وجادَ طَيِّبَةً صَوْبُ الْمُزْنِ مُنْسَجِمًا
 حَيْثُ النُّبُوَّةُ مُضْرُوبٌ سُرَادِقُهَا
 وَحَيْثُ طَهَّرَ مِنَ الْأَقْطَارِ قَاطِبَةً
 مُحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّادَاتِ مِنْ مُضَرٍ
 هِدَايَةُ اللَّهِ فِي شَامٍ وَفِي يَمَنِ
 مُهَذَّبٌ قُرَشِيٌّ الْأَصْلُ يَشْرُفُ عَنْ
 مُسْتَجْمَعِ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ الـ
 لِسَانُهُ الْوَحْيُ وَالتَّنْزِيلُ مُعْجِزَةٌ
 مُعْطِي الْحَقُوقِ لِمَنْ وَآلَى وَقَاطِعُ مَنْ
 طَلَّقَ الْمُحْيَا لِكُلِّ النَّازِلِينَ بِهِ
 غَضَبَانِ تَحْتَ ظِلَالِ السَّمْرِ مُمْتَلِئًا
 وَرَاسِخُ الْعِلْمِ وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ إِذَا
 جَلَالَةُ مُلِئَتْ جُودًا وَمَرْحَمَةٌ
 أَغْنَى وَأَفْنَى وَأَخِيَا دِينَ أُمَّتِهِ
 وَالْحَرْبُ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ بِهِ وَسَمَتْ
 فَاتُوا فَأَذْرَكَهُمْ بِالسَّيْفِ مُنْتَصِرًا
 نِكَايَةً لَمْ تَدْعَ لِلْمُشْرِكِينَ يَدًا
 يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَمْلِي

تَشْجُهُ مُعْصِرَاتُ ذَاتِ أَخْلَاقٍ⁽¹⁾
 وَالْحَقُّ يَزْهُو بِسَامِي النُّورِ سِيْمَاكِ
 بِالسَّيْفِ مِنْ كُلِّ ذِي بَغْيٍ وَإِشْرَاكِ
 حَامِي الْجَمَى فَرْعُ أَضَلِّ طَيِّبِ زَاكِي
 وَخَيْرَةُ اللَّهِ مِنْ رُسُلٍ وَأَمْلَاكِ
 حَامٍ وَسَامٍ وَعَنْ رُومٍ وَأَثْرَاكِ
 فَيَاضٌ فَاضٍ فَلَمْ يُعْرِفْ بِإِمْسَاكِ⁽²⁾
 يُنْسِكُ عُجْمَةً قَبْطِيٍّ وَأَنْطَاكِي
 عَادِي وَعَانَدَ مِنْهُمْ قَطْعَ فَتَاكِ
 وَفِي الْكَرْبَهَةِ حَتَفُ الْفَارِسِ الشَّاكِي⁽³⁾
 بِأَسَا وَعِنْدَ عُبُوسِ الدَّهْرِ مِضْحَاكِ
 يُرْجَى وَلَيْسَ لِذِي سِتْرِ بِهَتَاكِ⁽⁴⁾
 عَنْ مَا جِدَ لِدَمِ الطَّاعِينَ سَفَاكِ⁽⁵⁾
 بِصَوْلَةٍ بَثَّهَا فِي كُلِّ مِعْرَاكِ⁽⁶⁾
 إِذَا قَامَ مُنْتَقِمًا مِنْ كُلِّ أَفَاكِ⁽⁷⁾
 فَمَا يَفِيْقُونَ مِنْ فَوْتٍ وَإِذْرَاكِ
 تَغْلُو وَمَا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْعُلَا نَاكِي⁽⁸⁾
 يَا رَا حَةَ الرُّوحِ مِنْ ضَيْمٍ وَإِضْنَاكِ⁽⁹⁾

(1) الصوب: المطر - المزن: الغيوم الماطرة - تشجه: تصبّه.

(2) الإمساك: المنع والبخل.

(3) الكربة: الحرب.

(4) هتاك: نقول: هتك السر إذا أذاعه ونشره.

(5) سفاك: سفاح.

(6) المعراك: المعركة.

(7) الأفاك: الكذاب الذي يزرع الفتنة.

(8) نكاية: نقول: نكى في العدو إذا أوقع به وهزمه وغلبه.

(9) الضيم: الظلم - الضنك: ضيق العيش والشدة.

ناداك من بُرْعِ الغَرَاءِ قائلُها
أَمَلَيْتُهَا فِيكَ مِنْ بُعْدٍ وَلَسْتُ بِهَا
إِذَا لَمْ أَكُنْ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعاً
وَلَا مِنَ الْجَهْلِ وَالْعُضْيَانِ مُمْتَنِعاً
فاجْعَلْ جَزَائِي عَلَيْهَا كُلَّ مَكْرَمَةٍ
وَالْبَسْ شِعَارَ صَلَاةِ اللَّهِ دَائِمَةً
عَبْدُ الرَّحِيمِ الْمُسِيءُ الْخَائِفُ الْبَاكِي
بَغَيْرِ غُرُوتِكَ الْوُثْقَى بِمَسَاكِ
وَلَا لِمَنْهَجِ زَلَّاتِي بِتَرَاكِ
وَلَا بِنَسْكِ أُولِي التَّقْوَى بِنَسَاكِ
مِنْ أَنْعُمٍ لَا قَنَاطِيرَ وَأَلْكَاكِ⁽¹⁾
مُتَمَدَّةً مَرَّ أَعْصَارٍ وَأَفْلَاكِ

126

استهّل شرف الدين الأنصاري مدحته للناصر بن العزيز بأبياتٍ يتغزل فيها فقال:

رِفْقاً بِرُوحِي فَهِيَ لَكَ
أَفْضَلُ بِحَقِّ مَنْ اضْطَفَا
وَكَأَنَّ رَبَّكَ فِي الْجَمَا
أَحْظَاكَ مِنْهُ بِمَنْصِبِ
مَنْ قَرَّ مِنْ دُلِّ السُّوَا
إِنْ تَخَمَّ طَرْفِي أَنْ يَرَا
إِنِّي أَغَارَ إِذَا الْأَرَا
وَيَرُوعُنِي وَاشِي النَّسِي
مَا أَقْبَحَ الصَّبْرَ الْجَمِي
وَعَلَى السَّخِيِّ بِمَا مَلَكَ⁽²⁾
لَكَ عَلَى الْمِلَاحِ وَفَضْلِكَ⁽³⁾
لِ عَلَى اقْتِرَاحِي مَثْلَكَ⁽⁴⁾
سَوَاكَ فِيهِ وَعَدْلَكَ
لِ فَعِزَّتِي أَنْ أَسْأَلَكَ
لَكَ جَعَلْتُ قَلْبِي مَنْزِلَكَ
لَكَ دَنَا إِلَيْكَ فَقَبَّلَكَ⁽⁵⁾
مَ إِذَا ثَنَّاكَ وَمَيَّلَكَ
لِ بِعَاشِقِيكَ وَأَجْمَلَكَ!

(1) ألكاك: جمع اللُّك وهو عدد مقداره مائة ألف عند أهل إيران والهند واليمن، وعشرة ملايين عند المولدين.

(2) السخي: الكريم الجواد.

(3) اصطفاك: اختارك.

(4) مثلك: شكلك.

(5) الأراك: نوع من الشجر يستخدم لتنظيف الأسنان.

127

قال ابن ملك الحموي متغزلاً:

أطالَ اللّهُ يا مولاي عُمرَكَ
حبيبي إن يكن يُرضيك قَتلي
حبيبي لي بِسيفِ اللَّحْظِ فاقْتُلْ
حبيبي مَنْ أَباحَ لَدَيْكَ هَجري
حبيبي إن يكن مِنْ خَوْفٍ واشِ
حبيبي لو خَيَّالَ مِنْكَ وَاقى
حبيبي اليومَ ما أَقْسَاكَ قَلْباً
حبيبي إن يكن سَكْنَاكَ قَلْبِي
حبيبي فَيْكَ أَغْراني عَذُولِي
وَقَالَ: تَسَلَّ واضْبِرْ تَلَقَّ خَيْراً
وَعَظَّم في قَتيلِ البحرِ أَجْرَكَ
فَيَا بُشْرَايَ ذا إِنْ كَانَ سَرَّكَ
فَمَا أَنَا مَنْ يَخَالِفُ قُطْ أَمْرَكَ (1)
ومن هذا الَّذي بِاللّهِ غَرَّكَ (2)
جفاكَ فقد قَبِلْتُ اليومَ عُذْرَكَ (3)
وَجُدْتَ بِزُورَةٍ ما كَانَ ضَرَّكَ (4)
على مُضْنَى الهوى وَأَرَقَّ خَضْرَكَ
فَلِإِنَّكَ يُوسِفُ وَسَكَنْتَ قَضْرَكَ
وَحَذَّرَنِي صُدُودَكَ لي وَهَجْرَكَ (5)
فَقُلْتُ: كَفَّاني الرَّحْمَنُ شَرَّكَ

128

قال ابن الفارض واصفاً لوعته وصبايته واشتداد وجده لحبيبه المقدّس:

هُوَ الْحُبُّ فاسْلَمْ بالحشا ما الهوى سَهْلُ
وَعِشْ خالِياً، فَالْحُبُّ راحَتُهُ عَناءُ،
فَمَا اخْتارَهُ مُضْنَى بِهِ، وَلَهُ عَقْلُ (6)
وَأَوَّلُهُ سَقَمٌ، وَآخِرُهُ قَتْلُ (7)

(1) اللَّحْظُ: النظر بمؤخر العين مما يلي الصدغ أو العين مطلقاً..

(2) غَرَّكَ: خدعك.

(3) الجفَى: القسوة والتمنع.

(4) الزورة: المرأة من الزيارة.

(5) الصدود: الابتعاد، ضد الوصال.

(6) المضنى: المريض.

(7) العنا: العناء - السقم: المرض.

حَيَاةٌ لَمَنْ أَهْوَى، عَلَيَّ بِهَا الْفَضْلُ⁽¹⁾
 مُخَالَفَتِي، فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا يَخْلُو
 شَهِيداً، وَإِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلُ
 وَدُونَ اجْتِنَاءِ التَّحْلِ مَا جَنَّتِ النَّحْلُ⁽²⁾
 وَخَلَّ سَبِيلَ النَّاسِكِينَ، وَإِنْ جَلَّوْا
 وَلِلْمَدْعَى: هِيَاهُ مَا الْكَحْلُ الْكَحْلُ⁽³⁾
 بِجَانِبِهِمْ، عَنْ صِخْتِي فِيهِ، وَاعْتَلَّوْا⁽⁴⁾
 وَخَاضُوا بِحَارَ الْحُبِّ، دَعَايَ، فَمَا ابْتَلَّوْا
 وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ، وَقَدْ كَلَّوْا⁽⁵⁾
 يُهْدِي حَسِداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوْا
 لَدَيْكُمْ، إِذَا شِئْتُمْ بِهَا اتَّصَلَ الْحَبْلُ
 فَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الرُّسُلُ
 فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ، أَنَا ذَلِكَ الْخِلُ⁽⁶⁾
 بِعَادٍ، فَذَاكَ الْهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الْوَصْلُ
 وَأَضَعْتُ شَيْءَ غَيْرِ إِعْرَاضِكُمْ سَهْلُ⁽⁷⁾
 عَلَيَّ، بِمَا يَقْضِي الْهَوَى لَكُمْ، عَدْلُ
 أَرَى أَبْدأً عِنْدِي مَرَارَتَهُ تَخْلُو
 يَضُرُّكُمْ لَوْ كَانَ عِنْدَكُمْ الْكُلُّ

وَلَكِنْ لَدَيَّ الْمَوْتُ فِيهِ، صَبَابَةٌ،
 نَصَحْتُكَ عِلْماً بِالْهَوَى، وَالَّذِي أَرَى
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً، فَمُتْ بِهِ
 فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ،
 تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الْهَوَى، وَاخْلَعَ الْحَيَا،
 وَقُلْ لِقَتِيلِ الْحُبِّ: وَقَيْتُ حَقَّهُ،
 تَعَرَّضَ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ، وَأَعْرَضُوا،
 رَضُوا بِالْأَمَانِي، وَابْتَلَوْا بِحُظُوظِهِمْ،
 فَهُمْ فِي الشَّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ
 عَنْ مَذْهَبِي، لَمَّا اسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْإِ
 وَأَحْبَبْتُ قَلْبِي، وَالْمَحَبَّةُ شَافِعِي
 عَسَى عَطْفَةُ مِنْكُمْ عَلَيَّ بِنَظَرَةٍ،
 أَحْبَابِي أَنْتُمْ، أَحْسَنَ الدَّهْرِ أَمْ أَسَا،
 إِذَا كَانَ حَظِّي الْهَجْرَ مِنْكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ
 وَمَا الصَّدُّ إِلَّا الْوُدُّ، مَا لَمْ يَكُنْ قَلِي،
 وَتَعَذِيبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ، وَجَوْرُكُمْ
 وَصَبْرِي صَبْرٌ عَنْكُمْ، وَعَلَيْكُمْ،
 أَخَذْتُمْ فَوَادِي، وَهُوَ بَعْضِي، فَمَا الَّذِي

(1) الصبابة: الشوق وحرارته.

(2) جنت: ارتكبت جناية ويقصد بها اللسع.

(3) الكحل: العيون الكحيلة خلقة.

(4) اعتلوا: وضعوا الحُجَجَ والعللَ ليبرروا فشلهم.

(5) الشرى: السير ليلاً - ظعنوا: ارتحلوا - كلوا: عجزوا وتعبروا.

(6) أسا: أساء.

(7) الصَّدُّ: الابتعاد والمنع - القلى: البغض والهجر.

نأيتنم، فَعَيَّرَ الدَّمْعَ لَمْ أَرِ وافيًا،
 فسُهِدِي حَيٍّ، في جُفُونِي، مُخَلَّدٌ،
 هَوَى طَلَّ مَا بَيْنَ الطَّلُولِ دمي فمن
 تَبَالَه قُومِي، إذ رَأُونِي مُتَيِّمًا،
 وماذا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى غَدَا،
 وَقَالَ نِسَاءُ الْحَيِّ: عَنَّا بِذِكْرِ مَنْ
 إِذَا أَنْعَمْتَ نُعَمُّ، عَلَيَّ بِنَظَرَةٍ،
 وَقَدْ صَدِئْتُ عَيْنِي بِرُؤْيَا غَيْرِهَا،
 وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي قَتِيلٌ لِحَاظِهَا،
 حَدِيثِي قَدِيمٌ فِي هَوَاهَا، وَمَا لَهُ
 وَمَا لِي مِثْلٌ فِي غَرَامِي بِهَا، كَمَا
 حَرَامٌ شِفَا سُقْمِي لِدِيهَا، رَضِيْتُ مَا
 فَحَالِي وَإِنْ سَاءَتْ فَقَدْ حَسُنْتُ بِهِ،
 وَعُنْوَانُ مَا فِيهَا لَقِيْتُ، وَمَا بِهِ
 خَفِيْتُ ضَنْئِي، حَتَّى لَقَدْ ضَلَّ عَائِدِي،
 وَمَا عَثَرْتُ عَيْنٌ عَلَى أَثَرِي، وَلَمْ
 وَلِي هَمَّةٌ تَعْلُو، إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا،

سوى زَفَرَةٍ، من حَرِّ نَارِ الْجَوَى، تَغْلُو⁽¹⁾
 وَنُومِي بِهَا مَيِّتٌ، ودمعي له غُسلٌ⁽²⁾
 جُفُونِي جَرَى بِالسَّفْحِ من سَفْحِهِ وَبَلُّ⁽³⁾
 وَقَالُوا: بَمَنْ هَذَا الْفَتَى مَسَّهَ الْخَبْلُ⁽⁴⁾
 بِنُعَمٍ، لَهُ شُغْلٌ، نَعَمَ لِي بِهَا شُغْلٌ
 جَفَانًا، وَبَعْدَ الْعِزِّ لَدَّ لَهُ الدَّلُّ
 فَلَا أَسْعِدْتُ سَعْدِي وَلَا أَجْمَلْتُ جُمْلُ
 وَلَثَمُ جُفُونِي تُرْبَهَا لِلصَّدَا يَجْلُو⁽⁵⁾
 فَإِنْ لَهَا، فِي كُلِّ جَارِحَةٍ، نَضْلُ⁽⁶⁾
 كَمَا عَلِمْتُ، بَعْدُ، وَلَيْسَ لَهَا قَبْلُ
 غَدَتْ فِتْنَةً فِي حُسْنِهَا، مَا لَهَا مِثْلُ
 بِهِ قَسَمْتُ لِي فِي الْهَوَى، وَدَمِي حِلُّ
 وَمَا حَظُّ قَدْرِي فِي هَوَاهَا بِهِ أَغْلُو
 شَقِيْتُ، وَفِي قَوْلِي اخْتَصَرْتُ وَلَمْ أَغْلُ⁽⁷⁾
 وَكَيْفَ تَرَى الْعَوَاذُ مَنْ لَا لَهُ ظِلُّ⁽⁸⁾
 تَدْعُ لِي رَسْمًا فِي الْهَوَى الْأَعْيُنُ النَّجْلُ⁽⁹⁾
 وَرُوحٌ بِذِكْرَاهَا، إِذَا رَخُصْتُ، تَغْلُو

(1) نأيتنم: بعدتم - الزفرة: المرأة من الزفير.

(2) السهد: السهر والأرق، وعدم القدرة على النوم.

(3) طَلَّ دَمُ الْقَتِيلِ: هَذَرَ وَبَطَلَ وَلَمْ يَثَارْ لَهُ وَلَمْ تَوْخِذْ دَيْتُهُ - الطَّلُولُ: مفردة طلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار - سفح الجبل: بداية ارتفاعه - الوبل: المطر الغزير.

(4) الخبل: الجنون. (5) جلا الصدا: أزاله ونظفه.

(6) اللحاظ: مفردة لحظ وهو مؤخر العين مما يلي الصدغ، وقصد به العين.

(7) لم أغل: لم أبالغ، والمغالاة في الشيء المبالغة وتجاوز الحد.

(8) الضنى: المرض - العائد: الزائر عند المرض.

(9) النجل: نقول نجلت العين اتسعت، وتأتي بمعنى قتلت.

جَرَى حُبِّهَا مَجْرَى دمي فِي مَفَاصِلِي،
 فَنَافِسَ بِبَذْلِ النَّفْسِ فِيهَا أَخَا الْهَوَى،
 فَمَنْ لَمْ يَجُذْ، فِي حُبِّ نَعْمٍ، بِنَفْسِهِ،
 وَلَوْ لَا مِرَاعَاةَ الصَّيَانَةِ، غَيْرَةً،
 لَقُلْتُ لِعُشَاقِ الْمَلَاةِ: أَقْبِلُوا
 وَإِنْ ذُكِرَتْ يَوْمًا، فَخُورُوا لِذِكْرِهَا
 وَفِي حُبِّهَا بَغْتُ السَّعَادَةَ بِالشَّقَا،
 وَقُلْتُ لِرُشْدِي وَالتَّنَسُّكِ، وَالتَّقَى:
 وَفَرَّغْتُ قَلْبِي عَنْ وَجُودِي، مُخْلِصًا،
 وَمِنْ أَجْلِهَا أَسْعَى لِمَنْ بَيْنَنَا سَعَى،
 فَأَرْتَاخُ لِلْوَاشِينَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا،
 وَأَضْبُو إِلَى الْعُذَالِ، حُبًّا لِذِكْرِهَا،
 فَإِنْ حَدَّثُوا عَنْهَا، فَكُلِّي مَسَامِعْ،
 تَخَالَفَتِ الْأَقْوَالُ فِينَا، تَبَايُنًا،
 فَشَنَعَ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ، وَلَمْ تَصِلْ؛
 فَمَا صَدَّقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا، لِشِقْوَتِي،
 وَكَيْفَ أَرْجِي وَضَلَّ مَنْ لَوْ تَصَوَّرَتْ
 وَإِنْ وَعَدَتْ لَمْ يَلْحَقِ الْفِعْلُ قَوْلَهَا؛

فَأَضْبَحَ لِي، عَنْ كُلِّ شُغْلٍ، بِهَا شُغْلُ
 فَإِنْ قَبِلْتُهَا مِنْكَ، يَا حَبْذا الْبَذْلُ⁽¹⁾
 وَلَوْ جَادَ بِالْذَّنْيَا، إِلَيْهِ انْتَهَى الْبُخْلُ
 وَلَوْ كَثُرُوا أَهْلُ الصَّبَابَةِ، أَوْ قَلُّوا⁽²⁾
 إِلَيْهَا، عَلَى رَأْيِي، وَعَنْ غَيْرِهَا وَلَوْ
 سُجُودًا، وَإِنْ لَاحَتْ، إِلَى وَجْهِهَا، صَلُّوا
 ضَلَالًا، وَعَقْلِي عَنْ هُدَايَ، بِهِ عَقْلُ⁽³⁾
 تَخَلَّوْا، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَوَى خَلَّوْا⁽⁴⁾
 لَعَلِّي فِي شُغْلِي بِهَا، مَعَهَا أَخْلُو
 وَأَعْدُو، وَلَا أَعْدُو لِمَنْ دَابُّهُ الْعَذْلُ
 لِتَعْلَمَ مَا الْقَى، وَمَا عِنْدَهَا جَهْلُ⁽⁵⁾
 كَأَنَّهُمْ، مَا بَيْنَنَا فِي الْهَوَى، رُسُلُ⁽⁶⁾
 وَكُلِّي، إِنْ حَدَّثْتُهُمْ، أَلْسُنُ تَتَلُو
 بَرَجِمَ ظُنُونِ بَيْنَنَا، مَا لَهَا أَصْلُ⁽⁷⁾
 وَأَرْجَفَ بِالسَّلْوَانِ قَوْمٌ، وَلَمْ أَسْلُ⁽⁸⁾
 وَقَدْ كَذَبَتْ عَنِّي الْأَرَاغِيْفُ وَالنَّقْلُ
 جِمَاهَا الْمُنَى، وَهَمًّا، لُصَاقَتْ بِهَا السُّبُلُ
 وَإِنْ أُوْعِدَتْ فَالْقَوْلُ يَسْبِقُهُ الْفِعْلُ⁽⁹⁾

(1) البذل: العطاء.

(2) الصبابة: الشوق وحرارته.

(3) العقل: الربط والمنع.

(4) تخلوا: ابتعدوا جانباً - خلوا: دعونا وشأننا.

(5) أرتاح له: أضع سرِّي عنده.

(7) رجم الظنون: التحدث بالظن.

(8) التشنيع والإرجاف: اختلاق الأخبار الخادعة.

(9) أوعد: هدد.

(6) أصبو: اشتاق.

عِدْنِي بِوَضْلٍ، وَامْطْلِي بِنَجَازِهِ،
وَحُرْمَةِ عَهْدِ بَيْنِنَا، عَنْهُ لَمْ أَحُلْ،
لَأَنْتِ، عَلَى غَيْظِ النَّوَى وَرِضَى الْهَوَى،
تُرَى مُقْلَتِي يَوْمًا تَرَى مَنْ أَحَبَّهُمْ،
وَمَا بَرِحُوا مَعْنَى أَرَاهُمْ مَعِي، فَلِنْ
فَهُمْ نَضَبُ عَيْنِي، ظَاهِرًا، حَيْثُمَا سَرَوْا،
لَهُمْ أَبَدًا مِنْ حُنُوٍّ، وَإِنْ جَفَوْا؛
فَعِنْدِي، إِذَا صَحَّ الْهَوَى، حُسْنُ الْمَطْلِ⁽¹⁾
وَعَقْدُ بَأْيِدِ بَيْنِنَا، مَا لَهُ حَلٌّ
لَدَيَّ، وَقَلْبِي سَاعَةً مِنْكَ مَا يَخْلُو
وَيَعْتَبُنِي دَهْرِي، وَيَجْتَمِعُ الشَّمْلُ⁽²⁾
نَاوَا صُورَةً، فِي الذَّهْنِ قَامَ لَهُمْ شَكْلُ
وَهُمْ فِي قُودِي، بَاطِنًا، أَيْنَمَا حَلُّوا
وَلِي أَبَدًا مِيلٌ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ مَلَّوْا⁽³⁾

129

قال صفي الدين الحلي متغزلًا وواصفًا ما يلاقيه من الوجد:

لَيْسَ لِلصَّبِّ عَنْ هَوَاكَ عُذُولُ
كَيْفَ أَسْلُوَ وَسَابِقَاتُ دُمُوعِي
أَرُومُ السُّلُوءِ عَنْكَ وَخَصْمِي
إِنْ أَطَعْتُ السُّلُوءَ فِي عِصْيَانِي
أَيُّهَا الْمَخْلَفُ الْوَعْدَ إِلَى كَمْ
جُدَ فَقَدْ ذُقْتُ فِي هَوَاكَ عَذَابًا
قَسَمًا بَانَسْكَارِ جَفْنِكَ وَالْخَصْمِ
لَمْ أَطْعَ لَائِمِي عَلَيْكَ وَلَمْ
فَلَمَّاذَا يَلْحُ فَيْكَ الْعُدُولُ⁽⁴⁾
فِي مِيَادِينِ وَجْنَتِي تَجُولُ⁽⁵⁾
عَارِضُ سَائِلٍ وَخَدُّ أَسِيلُ⁽⁶⁾
جَلَدٌ مُسْعِدٌ وَصَبْرٌ جَمِيلُ⁽⁷⁾
مَرْبِعِ الْأَنْسِ مِنْ وَفَاكَ مُحِيلُ⁽⁸⁾
لَمْ يَذْفُقْ كَثِيرٌ وَجْمِيلُ
رِ وَوَعْدِ الرُّضَى وَكُلِّ عَلِيلُ
أَغْصِ غِرَامِي وَلِي شُهُودُ عُذُولُ⁽⁹⁾

- (1) المظل: التأجيل.
(2) المقلة: العين.
(3) الحنو: العطف والميل - جفا: قسا وذهبت منه الرحمة واللين.
(4) الصب: المشتاق - عدول: رجوع وابتعاد - العذول: اللاتم.
(5) أسلو: أنسى وأنشغل - وجنتي: مفردتها وجنة وهي ما ارتفع من الخد.
(6) أروم: أطلب - العارض: صفحة الخد أو الثنية من الأسنان - أسيل: ناعم.
(7) الجلد: الصبر والتحمل.
(8) محل الربع: أصابه القحط والجفاف.
(9) عدول: ثقات.

مَدْمَعٌ مَطْلَقٌ وَقَلْبٌ أَسِيرٌ وَضَنَى ظَاهِرٌ وَدَاءٌ دَخِيلٌ⁽¹⁾
وَجَفُونٌ عَنِ الرِّقَادِ قِصَارٌ وَلِيَالٍ بِهَا السُّهَادُ طَوِيلٌ

130

قال عفيف الدين التلمساني متغزلاً:

شَهِدْتُ شَمَائِلَكَ الشُّمُولُ فَعَدْتُ مَعَاطِفَهَا تَمِيلُ⁽²⁾
وَصَبْتُ بِمَغْنَاكَ الصَّبَا فَلِذَا النَّسِيمُ بِهَا عَلِيلُ⁽³⁾
وَيَلُوحُ فِي الشَّفَقِ اخْمِرَا رُكْلَمَا اصْفَرَّ الْأَصِيلُ⁽⁴⁾
وَالرَّوْضُ أَضْحَكُهُ الْحَيَا وَالطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ يَقُولُ: ⁽⁵⁾
خُذْ يَا عَذُولٌ فَلَيْسَ عَنْدُ هُمْ وَإِنْ عَذَلُوا عُدُولُ⁽⁶⁾
فَغَرَامُ قَلْبِي وَاجِبُ فِيهِمْ وَصَبْرِي مُسْتَحِيلُ
يَا نَازِلِينَ بِمَنْزِلِ ظِلُّ الْأَرَاكِ بِهِ ظَلِيلُ⁽⁷⁾
قَلْبِي نَزِيلُكُمْ وَأَنْ تُنَمَّ فِي سَرَائِرِهِ نُزُولُ⁽⁸⁾

131

قال ابن نباتة مادحاً ابن ريان:

مَالِي إِلَى السَّلْوَانِ عَنْكَ سَبِيلُ فَدَعِ الْعَذُولَ وَمَا عَسَاهُ يَقُولُ⁽⁹⁾

(1) الضنى: المرض.

(2) الشمايل: الصفات - الشمول: الخمر.

(3) صبْتُ: هامت وعشقت - الصبا: ريح تهب من المشرق.

(4) الأصيل: ساعة الغروب.

(5) الحيا: المطر والخصب.

(6) العذول: من عدل عن الشيء ابتعد ومال عنه.

(7) الأراك: شجر يستاك به.

(8) النزيل: الضيف والمقيم.

(9) السلوان: من سلا عنه إذا انشغل عنه ونسيه - العذول: اللاتم.

مَهْمَا بَعَثَتْ جَوَى وَفِيضِ مَدَامِعِ
 يَا غُضْنَ بَانَ قَدْ تَبَيَّنَ جُورُهُ
 كَمْ ذَا عَلَيْكَ الْقَلْبُ تَلْهَبُ نَارُهُ
 أَهْفُو إِلَى مَرِّ النَّسِيمِ بِمَهْجَةٍ
 وَأَبْتُ جُرْحَ جَوَارِحِ بَيْدِ الْأَسَى
 أَمَّا غِرَامُ الْقَلْبِ فَهُوَ كَثِيرٌ
 مَهْ يَا عَذُولُ فَقَدْ جَهِلْتَ صَبَابَتِي
 أَنَا مَنْ يَحُولُ الْعَاشِقُونَ وَعَشْفُهُ
 الْمَعْرِقِينَ مَنَاسِبًا وَمَكَارِمًا
 وَالوَاضِحِينَ فِي الْبَدْوِ تَكْلَفُ
 وَالتَّارِكِينَ لِبَيْتِهِمْ فَرَعًا بِهِ
 إِنْ يَتَزَنُ بَيْتُ الْفَخَارِ بِذِكْرِهِ
 ثَاوٍ عَلَى حَلَبٍ وَلَكِنْ جُودُهُ
 عُرِفَتْ مَبَايِعَةُ الْمُحَامِدِ عِنْدَهُ
 وَزَهَتْ بِرُؤْيَتِهِ الدِّيَارُ كَأَنَّمَا
 وَمَحَتْ غَثَاةَ دَهْرِهِ نَعْمَاؤُهُ
 يَسْعَى لِمَغْنَاهُ الْمُؤَمَّلُ مَادِحًا
 لَوْ أَثَرَ التَّقْبِيلُ فِي يَدِ مَا جِدِ

فَعَلَى حَشَايَ وَمَقْلَتِي مَحْمُولُ⁽¹⁾
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعُطِفَ فَكَيْفَ تَمِيلُ⁽²⁾
 هَذَا وَذَكَرَكَ لِلْقُلُوبِ خَلِيلُ
 تَرْجُو شِفَاءَ مِنْهُ وَهُوَ عَلِيلُ⁽³⁾
 لَكِنَّ تَجْرِيحَ الْأَسَى تَعْدِيلُ⁽⁴⁾
 عِنْدِي وَلَكِنْ مَا السَّلُوُ جَمِيلُ
 وَبَعِيدُ شَبِّهِ عَالَمٌ وَجَهْلُ⁽⁵⁾
 كَنَدَى بَنِي رِيَّانَ لَيْسَ يَحُولُ
 تَدْرِي بِهَا الْأَوْصَافُ كَيْفَ تَجُولُ
 وَالثَّابِتِينَ فِي الْحَيَا تَبْدِيلُ
 نَشَأَتْ لَهُمْ بَعْدَ الدُّرُوسِ أَضُولُ⁽⁶⁾
 فَبِنَائُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ فَعُولُ
 يَنْهَلُ مِنْهُ عَلَى الْفُرَاتِ النَّيْلُ⁽⁷⁾
 وَوَفَتْ فَمَا فِي بَيْعِهَا مَجْهُولُ
 كُلُّ النَّسِيمِ عَلَى الدِّيَارِ قَبُولُ
 فَكَأَنَّ ذَاكَ غَثَاً وَتِلْكَ سُيُولُ⁽⁸⁾
 وَيَعُودُ وَهُوَ مُمَدِّحٌ مَأْمُولُ
 لِمَا تَوَاجَدَ كَفُّهُ التَّقْبِيلُ

(1) المقلة: العين.

(2) البان: شجر - الجور: الظلم.

(3) المهجة: الروح.

(4) الجرح والتعديل: مصطلحان من علم الرجال.

(5) مَوْ: اسم فعل أمر بمعنى اكفف - الصبابة: الشوق وحرارته.

(6) الدُّرُوس: من درس البيت إذا زال وانمحت آثاره.

(7) ثاو: مقيم.

(8) غثا: غثاء وغشاء السيل ما يحمله السيل من رغوّة ومن فتات الأشياء.

بعض الحديث إذا أعيَدَ لواصلٍ
 إيضاح رأيٍ قد حوى جملَ العلى
 ومواهبٌ مقرونةٌ بمناقبٍ
 وبراعةٌ ألفاظها مشمولةٌ
 من خطرة العسال فيها نسبةٌ
 يا حبذا القلم الذي من دأبه
 يُعلي الممالك وهو خافض رأسه
 حمدتك يا ابن سعيدٍ عنّا أنعم
 طار الحديث بها عليلاً مُحلقاً
 لا أنسَ بِشركٍ والزمانُ مقطَّبٌ
 كرمٍ أشبَّبُ في ثنائه لأنّه
 يا مَنْ علّاه عن الثناء غنيّةٌ
 حُذِ مِنْ وَلِيكَ سامِعاً ومُسامحاً
 إن لم يكن شعري بِبابك مُرقصاً

إلا حديث صفاته مملولٌ
 فيه لكلّ عريكة تسهيلٌ
 فالفضل حيث أقام والتّفضيلُ
 تشفي وجمعُ فخارها مشمولٌ⁽¹⁾
 لا غرو أن كلامها مغسولٌ
 حفظ الحمى وثراؤه مبدولٌ
 ويسمّن الأحوال وهو هزيلٌ
 روض المحامد حولها مظلولٌ
 هذا وعطف جناحه مبلولٌ
 ونوال كفك والغمام نحيلٌ⁽²⁾
 أبداً بأنساب العلى موصولٌ⁽³⁾
 والصبح أوضح أن يُقام دليلٌ
 جهد الثناء وإنّه لجليلٌ
 فليهن مدحي إنّه مقبولٌ⁽⁴⁾

* * *

132

قال بهاء الدين زهير يصف حنينه إلى الحجاز وأهله:

أحنُّ إلى عهدِ المُحصَّبِ من منى
 وعيشٍ به كانت ترفُّ ظلاله
 ويا حبذا أمواههُ ونسيمهُ
 ويا حبذا حصباؤهُ ورماله⁽⁵⁾

(1) البراعة: القلم يتخذ من القصب.

(2) مقطَّب: عابس - النوال: العطاء.

(3) شبَّب: الشاعر بالفتاة تغزل بها ووصفها.

(4) فليهن: فليهنأ.

(5) الأمواه: جمع مفردة الماء - الحصباء: الحجارة الصغيرة.

- ويا أَسْفِي إِذْ شَطَّ عَنِي مَزَارُهُ ويا حَزَنِي إِذْ غَابَ عَنِي غَزَالُهُ⁽¹⁾
 وَكَمْ لِي بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ لُبَانُهُ وَبَذَّرَ تَمَامٍ قَدْ حَوَّثَهُ حِجَالُهُ⁽²⁾
 مَقِيمٌ بِقَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ حَدِيثُهُ وَبَادٍ لِعَيْنِي حَيْثُ سِرْتُ خِيَالُهُ
 وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحِجَازِ وَأُنْشِنِي كَأَنِّي صَرِيحٌ يَعْتَرِيهِ خَبَالُهُ⁽³⁾
 وَيَا صَاحِبِي بِالْخَيْفِ كُنْ لِي مُسْعِداً إِذَا آنَ مِنْ ذَاكَ الْحَجِيجِ ارْتِحَالُهُ
 وَخُذْ جَانِبَ الْوَادِي كَذَا عَنْ يَمِينِهِ بِحَيْثُ الْقَنَا يَهْتَرُ مِنْهُ طَوَالُهُ⁽⁴⁾
 هُنَاكَ تَرَى بَيْتاً لَزِينَبَ مُشْرِقاً إِذَا جُنْتُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ جَلَالُهُ
 فَقُلْ نَاشِداً بَيْتاً وَمَنْ ذَاقَ مِثْلَهُ لَدَى جِيرَةٍ لَمْ تَذَرِ كَيْفَ احْتِيَالُهُ
 وَكُنْ هَكَذَا حَتَّى تَصَادَفَ فُرْصَةً تَصِيبُ بِهَا مَا رُمْتَهُ وَتَنَالُهُ
 فَعَرِّضْ بِذِكْرِي حَيْثُ تَسْمَعُ زِينَبُ وَقُلْ لَيْسَ يَخْلُو سَاعَةً مِنْكَ بِأَلُهُ
 عَسَاهَا إِذَا مَا مَرَّ ذِكْرِي بِسَمْعِهَا تَقُولُ فَلَانَ عِنْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ؟!

133

قال صفي الدين الحلّي مادحاً:

- عَاقَنِي الْغَيْثُ عَنْ زِيَارَةِ غَيْثٍ، بِشْرُهُ الْبَرْقُ، وَالْعَطَاءُ السَّيُولُ⁽⁵⁾
 غَارَ مَنْ كَفَّهِ وَمَنْ نُطِقَ فِيهِ بِصَنْيَعٍ يُسْدِي لَنَا، فَيُذِيلُ⁽⁶⁾
 قَطَعَ الْوَصْلَ ثُمَّ وَاصَلَ هَاطِلاً، فَبُرْغَمِي ذَاكَ الْقَطُوعُ الْوَصُولُ
 فَهَوَ فِي فَعْلِهِ وَفِيَّ، خَوْوُنٌ، عَادِلٌ، جَائِرٌ، جَوَادٌ، بِخَيْلُ⁽⁷⁾

(1) شط: بَعَدَ.

(2) اللَّبَانَةُ: الحاجة من غير فاقه - الحجالة: مفردها حَجَلَة: بيت يزين للعروس.

(3) الْخَبَال: الجنون وفساد العقل.

(4) الْقَنَا: الرماح.

(5) الْغَيْثُ الْأَوَّلَى: المطر - الغيث الثانية: الكريم الجواد.

(6) فِيهِ: فمه.

(7) خَوْوُن: كثير الخيانة.

فلذا جاء، وهو طلق عبوس، منظر رائق، ودمع هطول
فتحيرت بين مدح وذم، لست أدري في حقه ما أقول
غير أنني له شكور، شكور، عاذل، عاذر، صموت، قؤول⁽¹⁾

134

قال صفي الدين الحلبي مجيباً عن أبيات وصلته من الشيخ مجيد الدين
الخياط الدمشقي:

الآلٍ أشرقت في نُحورٍ أم نجومٌ أشرقت في ليالي⁽²⁾
أم فصولٌ من خواطرٍ مولى ذي مقامٍ في العلى ومقال
كم بنتٌ بالفكرِ بيتَ معانٍ، وابتنى بالذكرِ بيتَ معالي
نفث أقلامٍ خفافٍ نحافٍ، كم أبادت من خطوبٍ ثقال⁽³⁾
وقصارٍ في الأكف ولكن قصرت فعل الرماح الطوال
تجعل الغمض علينا حراماً، كلما جاءت بسحرٍ حلال
قيدتني بالجميل، ولكن أطلقت بالشكر فيه مقال
أمنتني غير أنني عليه خائف من شرّ عين الكمال
فاعف مولاي محباً ثناءً عن ثناء فيكم شغل بال⁽⁴⁾
ذا هموم، قلبه في اشتغالٍ، ولظى أحزانه في اشتعال⁽⁵⁾

(1) شكور: كثير الكشوى - عاذل: لائم - العاذر: الذي يضع أعذاراً - صموت: كثير الصمت - قؤول: كثير الكلام.

(2) لآلٍ: مفرد لها لؤلؤة - النحور: مفرد لها نحر، وهو مكان النحر من العنق.

(3) الخطوب: الحوادث والمصائب مفردا خطب.

(4) ثناء الأولى: منعه - ثناء الثانية: مديحه.

(5) اللظى: لهب النار.

135

قالت عائشة الباعونية في مدح النبي ﷺ وذكر صفاته:

نَبِيٌّ لَهُ فِي كُلِّ فَضْلٍ تَقَدَّمَ
وَجِيهٌ بِهِ يُسْتَمَطَّرُ الْفَضْلُ وَالْعَطَا
فَمَنْ مِثْلُهُ وَالْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَيَتَحَفُّهُ مِنْهُ بِكُلِّ خَصِيصَةٍ
وَفِي خَضِرَةِ التَّقْرِيبِ أَعْطَاهُ رُتْبَةً
فَلَا غَايَةَ إِلَّا وَمَرْمَاهُ فَوْقَهَا
وَيَكْفِيكَ بِالْإِسْرَاءِ عِلْماً بِقَدْرِهِ
وَحَسْبُكَ بُرْهَاناً شَفَاعَتُهُ الَّتِي
وَيَسْتَنْقِذُ الْخَاطِئِينَ مِنْ بَاسِ نَقْمَةٍ
فَاعْظُمْ بِهِ جَاهاً يَدْرُ بِمَجْدِهِ
بِرَاهِيْنُهُ الْأَكْوَانُ طَافِحَةٌ بِهَا
إِذَا قُلْتُ يَا ظَهَّ أَغْثَنِي يَقُولُ لِي
وَإِنْ ظَلِمْتُ رُوحِي إِلَى أَكْوَسِ الْوَفَا
وَإِنْ أَمَّ قَلْبِي أَمِلَا فَيَضُ جُودِهِ
وَمَا ظَفِرَتْ وَاللَّهِ كَفِّي بِبَغْيَةٍ
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَشْرَفَ الْوَرَى

يُرِيكَ عُلاَهُ فَوْقَ كُلِّ مَكْمَلٍ
وَيَفْجَأُ بِالْمَأْمُولِ كُلِّ مُؤْمَلٍ⁽¹⁾
يَفَاتِحُهُ بِالْمَدْحِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
أَبَانَتْ لَهُ الْعَلِيَا عَلَى كُلِّ مَرْسَلٍ
تَأَخَّرَ عَنْهَا كُلُّ صَاحِبِ مَنْزِلٍ
وَلَا سَيِّدٍ إِلَّا وَعَنْ فَيْضِهِ وَلِي⁽²⁾
وَبِالْمَجْدِ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ ذِكْرِهِ الْعَلِي
يَلُودُ بِهَا فِي الْحَشْرِ كُلِّ مَبْجَلٍ⁽³⁾
وَيَفْتَحُ لِلْأَدْنِيِّينَ بَابَ التَّفَضُّلِ⁽⁴⁾
سَحَابَ الْعَطَا فِي كُلِّ بَدْيٍ وَمَوْئِلٍ⁽⁵⁾
كَمَا طَفَحَتْ بِالْمَدْحِ فِي فَضْلِهِ الْجَلِي
وَفَاءُ الْوَفَا هُوَ أَمَامَكَ فَاجْتَلِي
أَرَاهُ يَسْقِينِي امْتِنَاناً فَا مَتْلِي
وَفَاءُ بِأَقْصَى الْقَصْدِ مِنْ قَادِرٍ مَلِي⁽⁶⁾
سِوَى أَنْ يَكُنْ فِيهَا بَطَّةٌ تَوْسُلِي
وَيَا مَنْ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ تَطْفُلِي

(1) المؤمل: من يتأمل العطاء والفضل.

(2) مرماء: غايته وهدفه.

(3) المبجل: المحترم ذو القدر.

(4) يستنقذ الخاطئين: ينقذ المخطئين.

(5) يدر: يمطر - الموائل: المقر.

(6) أم: قصد وتوجه.

يَدْخِلُنِي التَّبْرِيحُ فِي كُلِّ مَفْصَلٍ
وَلَمْ أَرْ لِي وَجْهًا إِلَى وَرْدٍ مِنْهَلٍ⁽¹⁾
حَظَى بَبْلُوغِ الْقَصْدِ فِي كُلِّ مَدْخَلٍ
وَمَالِي شِعَارٌ غَيْرَ فَرِطٍ تَذَلُّلِي
وَأَسْأَلُكَ الْعَيْشَ الَّذِي بِكَ يَصْفُو لِي
إِغَاثَةً مِنْ يَرْجُوكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَمَهْمَا تَقُلْ يُسْمَعُ فَجُذْ بِالتَّطَوُّلِ
وَأَلٍ وَأَصْحَابِ كِرَامٍ وَمَنْ يَلِي
وَفِيهَا لَنَيْلِ السُّؤْلِ أَيْ تَوْصُلِ⁽²⁾
يُخَيِّ شَذَاهَا مُسْبَلًا بَعْدَ مُسْبَلٍ⁽³⁾
وَقَرَّتْ عَيُونُ السَّرِّ بِالْمَشْهَدِ الْعَلِيِّ

تَمَلَّكْنِي صِدْقُ الْوِدَادِ وَلَمْ يَزَلْ
إِلَى أَنْ تَفَانَتْ جُلُوقُ بَصَابَتِي
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كُنْتُ غَوَّثُهُ
وَهَذِي يَدِي بِالْفَقْرِ صِدْقًا بَسْطُهَا
أَعَاجِلُكَ الْوَهْبَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَأَنْتَ رُؤُوفٌ وَالْمَرَاحِمُ تَقْتَضِي
وَأَنْتَ عَرِيضُ الْجَاءِ وَالْفَضْلُ وَاسِعٌ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
صَلَاةُ بَغَايَاتِ الْأَمَانِي كَفِيلَةٌ
مَدَى الدَّهْرِ مَا افْتَرَّ الْأَفَاحُ بِرَوْضَةٍ
وَمَا أَسْعَفَ الْجُودُ الْإِلَهِيَّ بِالْوَفَا

136

قال بهاء الدين زهير واصفًا صبابته وحرقة قلبه وشوقه للحبيب:

فَلَسْتُ أُوَدِّعُهَا لِلْكُتُبِ وَالرَّسُلِ⁽⁴⁾
فَفَتَّشُوا فِيهِ آثَارًا مِنَ الْقُبَلِ
مِنَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ⁽⁵⁾
خُذُوا حَدِيثِي عَنْ أَيَّامِي الْأَوَّلِ
حَبٌّ يُنَزِّهُ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ مَلَلٍ⁽⁶⁾

عِنْدِي أَحَادِيثُ أَشْوَاقٍ أَضُنُّ بِهَا
وَلِي رَسَائِلُ فِي طَيِّ النَّسِيمِ لَكُمْ
كَتَمْتُ حَبِّكُمْ عَنْ كُلِّ جَارِحَةٍ
وَمَا تَغَيَّرْتُ عَنْ ذَاكَ الْوِدَادِ لَكُمْ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ بِهِ

(1) جَلَّقَ: دمشق - الصبابة: الشوق وحرارته.

(2) السُّؤْلُ: المطلب والحاجة.

(3) الْمُسْبِلُ: المطر.

(4) أَضُنُّ بِهَا: أبخل.

(5) الْجَارِحَةُ: العضو العامل من أعضاء الجسد - المقل: العيون مفردتها مقللة.

(6) تَنْزَّهَ عَنِ الشَّيْءِ: تَرَفَّعَ.

وُدُّ بِلَا مَلَقٍ مِنَّا يُزْخَرُفُهُ
غِبْتُمْ فَمَا لِي مِنْ أُنْسٍ لَغَيْبَتِكُمْ
أَحْتَالُ فِي النَّوْمِ كَيْ أَلْقَى خِيَالَكُمْ
بَعْدَ الْحَبِيبِ هَجَرْتُ الشَّعْرَ أَجْمَعَهُ
وَعَاذِلِ أَمْرٍ بِالصَّبْرِ قُلْتُ لَهُ
طَلَبْتُ مِنِّي شَيْئاً لَسْتُ أَمْلِكُهُ
أَظَلْتُ عَذْلَ مُحِبٍّ لَيْسَ يَقْبَلُهُ
إِنِّي لَأَعْجُزُ عَنْ صَبْرِ تُشِيرُ بِهِ
يُغْنِي الْمَلِيحَةَ عَنْ حَلِي وَعَنْ حُلِي⁽¹⁾
سِوَى التَّعَلُّلِ بِالتَّذْكَارِ وَالْأَمَلِ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمُحْتَاجٍ إِلَى الْحِيلِ
فَلَا غَزَالَ يُلْهِيَنِي وَلَا غَزَلِي
إِنِّي وَحَقُّكَ مَشْغُولٌ عَنِ الْعَذْلِ
وَأُخَذَ يَمِينِي وَمَا عِنْدِي وَمَا قَبْلِي
فَكَانَ أَضْيَعُ مِنْ دَمْعٍ عَلَى طَلَلٍ⁽²⁾
وَلَوْ قَدَرْتُ لَكَانَ الصَّبْرُ أَرْوَحَ لِي

137

قَالَ صَفِي الدِّينِ الْحَلِي وَاصِفًا فُتًى مِنْ آلِ لَيْثِ جَنَى جَنَايَةَ فَضْرَبَ بِالسَّيَاطِ:
أَفْدِي غَزَالاً مِنْ آلِ لَيْثٍ
تَفَعَّلُ الْحَاظُهُ بِقَلْبِي
ذَا حَاجِبٍ خُطَّ تَحْتَ صَلَتِ
كَأَنَّ كَفِّي فُتًى هِلَالٍ
يَا مُشَبَّهَ الْبَدْرِ حِينَ يَبْدُو،
أَفْدِيكَ يَا مَنْ تَرَاهُ عَيْنِي
فَكُلَّ يَوْمٍ بِبَطْنِ سِجْنٍ،
كَيْفَ أَتَوْا بِالسَّيَاطِ ضَرْباً
فَأَثَرُوا فَوْقَهَا رُسُوماً،
تَمَّتْ لَهُ دَوْلَةُ الْجَمَالِ
مَا يَفْعَلُ اللَّيْثُ بِالْغَزَالِ⁽³⁾
مُنَوَّرٍ بِالْجَمَالِ، حَالِ⁽⁴⁾
عَرَّقَنَ تُوناً عَلَى هِلَالٍ
فِي التَّوْرِ وَالْبُعْدِ وَالْكَمَالِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ بِسَوْءِ حَالِ
وَكُلَّ أَنْ بَبَابٍ وَالسِّي
مَنْ فَوْقِ أَرْدَاكَ الثَّقَالِ
كَأَنَّهَا الطَّرْقُ فِي الْجِبَالِ

(1) الملق: التردد بكلام لطيف والتضرع فوق ما ينبغي.

(2) الطلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار.

(3) الألحاظ: العيون.

(4) جينٌ صلت: الواضع في سعة وبريق.

قالت عائشة الباعونية في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام:

الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا شَمْسَ الْكَمَالِ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا شَمْسَ الْكَمَالِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
رَسُولَ اللَّهِ يَا طُورَ الشُّهُودِ رَسُولَ اللَّهِ يَا طُورَ الشُّهُودِ
تَصَدَّقْ مِنْهُ بِوَفَاءِ جُودِ تَصَدَّقْ مِنْهُ بِوَفَاءِ جُودِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا غِيثَ النَّوَالِ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا غِيثَ النَّوَالِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
بَلَغْتَ مِنَ الْكَرَامَةِ أَيُّ غَايَةٍ بَلَغْتَ مِنَ الْكَرَامَةِ أَيُّ غَايَةٍ
وَكَمْ لَكَ يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ آيَةٌ وَكَمْ لَكَ يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ آيَةٌ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا حَسَنَ الْفِعَالِ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا حَسَنَ الْفِعَالِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
جَمَالَكَ فَائِئْتُ لِلْعَقْلِ فَاتِنِ جَمَالَكَ فَائِئْتُ لِلْعَقْلِ فَاتِنِ
وَسِرُّكَ فِي الْوَرَى ظَاهِرٌ وَبَاطِنُ وَسِرُّكَ فِي الْوَرَى ظَاهِرٌ وَبَاطِنُ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا مَحِي الْلِيَالِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا مَحِي الْلِيَالِي
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
إِلَيْكَ تَوَجَّهِي فِي كُلِّ أَمْرٍ إِلَيْكَ تَوَجَّهِي فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَأَنْتَ وَسِيلَتِي فِي جَبْرِ كَسْرِي وَأَنْتَ وَسِيلَتِي فِي جَبْرِ كَسْرِي

(1) الطور: الجبل.

(2) النوال: العطاء.

(3) الزلال: الصافي.

(4) الزاكي: الطاهر - الخلال: الصفات والسجيا.

(5) أضت: أضاءت - اللآلي: مفردا لؤلؤة. (6) المآل: الرجوع والعودة.

(7) الدليم: مفردا ديمة: المطر يطول زمانه في سكون.

الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا كَنْزُ الرَّجَالِ
دَوَاماً مَا بَدَا مَعْنَى مَقَالِي
إِلَى الرَّحْمَنِ يَا أَعْلَى مُشْفَعٍ
مِنَ الدَّارَيْنِ يَا كَنْزَ الْمَعَالِي
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا مَاجِي الظُّلَالِ
دَوَاماً مَا صَفَا حَالٌ لِحَالِي
وَلِي قَلْبٌ بِجَاهِكَ قَدْ تَمَسَّكَ⁽¹⁾
حَمِيدٌ قَدْرُهُ عَالِي وَعَالِي⁽²⁾
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا بَدْرَ الْجَمَالِ
دَوَاماً سَرْمَداً فِي كُلِّ حَالٍ
وَمَا دَنْتِ الْمَرَا حِمٌ بِالْكَرَائِمِ
وَلَا حَ تَجَلَّيَا لَلْوَهْمِ جَالِي

الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا سِرَّ الْوَصَالِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
تَصَدَّقْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاشْفَعْ
بِنَيْلِ مُرَادِنَا وَالْقَصْدِ أَجْمَعِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا ضَافِي الظُّلَالِ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
بِهَدْيِكَ أَقْتَدِي فِي كُلِّ مَنْسَكٍ
تَمَسُّكَ مَنْ لَهُ فِي الْحَبِّ مَسْلَكُ
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا عَالِي الْمَجَالِي
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَا هَبَّتْ نَسَائِمُ
وَأُسْعَفَتِ الْمَكَارِمُ بِالْمَعَانِمِ

139

قال الشهاب محمود متغزلاً:

لَا كُنْتُ إِنْ طَاوَعْتُ فَيْكَ عَذُولاً
فَسَكَنْتُ ظِلًّا مِنْ رِضَاكَ ظَلِيلًا
فَعَدَا بِقُرْبِكَ عَامِراً مَأْهُولاً⁽³⁾
أَشْبَهْتُ خَضْرَكَ رَقَةً وَنَحُولاً
كِي لَا أَبِيتَ بِحَدِّهِ مَقْتُولاً⁽⁴⁾

يَا مَنْ أَضَافَ إِلَى الْجَمَالِ جَمِيلاً
عَوَّضَتْنِي مِنْ نَارِ هَجْرِكَ جَنَّةً
وَحَلَلْتَ مِنْ أَحْشَائِي رُبْعاً دَارِساً
وَقَنَعْتُ حِينَ مَنَحْتَنِي سَقِماً بِهِ
وَكَفَفْتَ لِحَظِّكَ بِالْفَتُورِ تَلْطُفاً

(1) كل منسك: قصدت كل عمل فيه عبادة.

(2) المسلك: الطريق.

(3) الربع: البيت وما حوله - دَرَسَ: انمحل وزال.

(4) كففت: منعت - الفتور: الضعف المستحسن.

وسلكت بي في الحب أحسن مسلك
ولرب ليل مثل وجهك بدره
أرسلت لي فيه الخيال فكان لي
إن لم أجد بالوجد فيك بمهجتي
لم يُبق لي نحو السلو سبيلاً⁽¹⁾
ودجاه مثل مديد شغرك طولاً⁽²⁾
دون الأنيس مؤانساً وخليلاً
لا نال قلبي من وصالك سولاً⁽³⁾

140

قال ابن ملك الحموي متغزلاً بدمشق:

وأضحت دمشق الشام بالحسن جنة
وغزلاتها قد غازلتنا عيونها
وقد كسيته من سندس الروض حلة
موشعة تحلو بدر الندى الذي
فأكرم بها داراً وزبناً ومنزلاً
ألم تر فيها قد حمدنا التغزلاً
تجل لمعنى حسنها أن تفضلاً⁽⁴⁾
علينا به قاضي القضاة تفضلاً⁽⁵⁾

141

قالت عائشة الباعونية مادحة النبي المختار عليه الصلاة والسلام:

ما زال نور محمد متنقلاً
كتنقل الأعمار في أبراجها
وتبشرت كل العوالم فرحة
في الطيبين أولى المفاجر والعلی⁽⁶⁾
حتى بدا من أمه متهللاً
بظهوره وبذاك نودي في الملا

(1) السلو: نقول: سلى عنه: نسيه وانشغل عنه.

(2) الدجى: الظلام.

(3) أجد: من الجود، وهو الكرم - المهجة: الروح - الوجد: الحزن - سولا: يقصد سؤلاً أي مطلباً وغاية.

(4) السندس: الرقيق من الديباج - الحلة: الكساء والثوب.

(5) موشعة: موشحة مزينة - الندى: العطاء والمعروف.

(6) أولي: أصحاب.

وَبِئْمْنِهِ دَفَعَ إِلَهُ بِمْنِهِ
وَأَبَانَ زَمْزَمَ بَعْدَ طُولِ خَفَائِهَا
وَمِنَ السَّفَاحِ حَمَى وَصَانَ جُدُودَهُ
حَاوٍ لَغَايَاتِ الْكَمَالِ مَنْزَهَا
فَرْدًا لِأَشْتَاتِ الْمَعَالِي جَامِعًا
مَحْمُودُ أَوْصَافِ عَزِيزُ مُحَامِدٍ
وَحَوَى وَشُوفَهُ بِالْخِطَابِ تَحِيَّةً
فِي مَدْحِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ مَفْضَلًا
وَالِى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ قَدْ نُدِبَ الْوَرَى
صَلُّوا عَلَيْهِ تَظْفَرُوا بِمَغَانِمِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي دَائِمًا
وَعَلَى جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ
مَا هَيَمَنْتَ رِيحُ الصَّبَا وَتَاوَدَّتْ
وَتَتَابَعَ اللَّطْفُ الْخَفِيُّ وَأَسْعَفَتْ

فِيَلَا وَأَهْلَكَ صَحْبَهُ مُسْتَأْصِلًا⁽¹⁾
وَقَدَى أَبَاهُ وَلِلْفِدَاءِ تَقَبَّلَا
حَتَّى بَدَا مُتَطَهَّرًا مُتَكَمِّلًا⁽²⁾
عَنْ كُلِّ نَقْصٍ عَارِفًا مُتَبَيَّنًا
كَنْزًا بِلَاءِ الْعُلُومِ قَدْ امْتَلَأَ⁽³⁾
مَخْصُوصُ أَزَالٍ تَدَانَى وَاعْتَلَى
وَكِرَامَةً وَرَأَى وَشَاهَدَ وَاجْتَلَى
وَبِمَجْدِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ مَفْضَلًا
وَأَغَاثَ مَنْ أَضْحَى بِهِ مُتَوَسِّلًا
حَامَتِ عَلَى آلِهَا هَمَمُ الْأُولَى
أَزَكَّى صَلَاةً لِلْقُلُوبِ بِهَا جَلَا
وَصِحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَلَا
قُضِبَ وَلَاخَ مِنَ الزُّهُورِ لَهَا حَلَا⁽⁴⁾
بِصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ أَرْبَابُ الْوَلَا

142

قال البوصيري مادحاً الوزير ابن الزبير :

الْيَوْمَ قَدْ حَكَمَ الْهَوَى بِالْمَعْدَلَةِ
وَتَبَدَّلَتْ مِنِّي الصَّبَابَةُ سَلْوَةً
مَالِي وَلِلْعُشَّاقِ أَتْبَعُ مِنْهُمْ
وَأَرَاخَ قَلْبِي مِنْ مُكَابِدَةِ الْوَلَةِ⁽⁵⁾
صَيَنْتُ بِهَا عِبْرَاتِي الْمُتَبَدِّلَةَ⁽⁶⁾
أَمَّا تَضِلُّ عَنِ الرِّشَادِ مُضِلَّلَةً؟

(1) بئمه : بفضله وجوده - فيلاً : يقصد أصحاب الفيل .

(2) السفاح : الزنى .

(3) لالاً : تلالو .

(4) القضب : الأغصان .

(5) المعدلة : العدل - الوله : العشق .

(6) الصبابة : الشوق وحرارة - السلوة : النسيان - عبراتي المتبدلة : دموعي المنسكبة .

مِنْ كُلِّ مَنْ يَشْكُو جَنَايَةَ نَفْسِهِ
 إِنِّي أَمْرُؤُا أُعْطِيَ السُّلُوءَ قِيَادَهُ
 وَدَعَا جَمِيلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَدِيحَهُ
 مَوْلَى عَرَفْتُ بِجَاهِهِ وَبِمَالِهِ
 وَأَتَمَّ حَظِّي بَعْدَ نُقْصَانِ فَكَمْ
 وَجَبَتْ عَلَيَّ لَهُ حُقُوقٌ لَمْ أَقُمْ
 لَا أَسْتَطِيعُ جُحُودَهَا، وَشُهُودَهَا
 مَا طَالَ صَمْتُ مَدَانِحِي عَنْ مَجْدِهِ
 فَمَتَى هَمَمْتُ بِشُكْرِ سَالِفِ نِعْمَةٍ
 مَنْ مِثْلُ زَيْنِ الدِّينِ يَغْفُوبُ الَّذِي
 عَمَّ الْخَلَائِقَ جُودُهُ فَكَأَنَّمَا
 حَكَمْتُ أَنَامِلُهَا لَهُ بِالرَّفْعِ مِنْ
 وَأَحَلَّهُ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ ذِكَاؤُهُ
 سَلَّ عَنْهُ وَاسْأَلْ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ
 إِنْ صَالَ كَانَ اللَّيْثُ مِنْهُ شَعْرَةٌ
 كَمْ أَظْهَرْتَ أَقْلَامُهُ مِنْ مُعْجَزِ

وَيَرُومُ مِنْ أَخْبَابِهِ مَا لَيْسَ لَهُ؟⁽¹⁾
 وَأَرَاخَ مِنْ تَعَبِ الْمَلَامَةِ غُدْلَهُ⁽²⁾
 فَأَطَاعَهُ وَعَصَى الْهَوَى وَتَغَزَّلَهُ⁽³⁾
 عِزُّ الْغِنَى وَجَهَلْتُ ذُلَّ الْمَسْأَلَةِ⁽⁴⁾
 مِنْ عَائِدٍ لِي مِنْ نَدَاهُ وَمِنْ صَلَهِ⁽⁵⁾
 مِنْهَا بِمَا ضِيَّةٍ وَلَا مُسْتَقْبَلَهُ
 عِنْدِي بِمَا أَوْلَتْ يَدَاهُ مُعَدَّلَهُ⁽⁶⁾
 إِلَّا لِأَنَّ صَلَاتِهِ مُسْتَرْسِلَهُ⁽⁷⁾
 أَلْفَيْتُ سَالِفَتِي بِأُخْرَى مُثْقَلَهُ
 أَضَحْتُ بِهِ رُتْبُ الْفَخَارِ مُؤَثَّلَهُ؟⁽⁸⁾
 يَدُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى مُتَكَفَّلَهُ
 أفعالِهِ الْحُسْنَى بِخُمْسَةِ أَمْثَلِهِ⁽⁹⁾
 فَرَأَيْتُ مِنْهُ عُطَارِدًا فِي السُّنْبَلَةِ⁽¹⁰⁾
 تَسْمَعُ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ مُسْلَسَلَهُ
 أَوْ جَادَ كَانَ الْبَحْرُ مِنْهُ أُنْمَلَهُ⁽¹¹⁾
 لِلطَّرْسِ لَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُرْسَلَهُ⁽¹²⁾

(1) يروم: يطلب.

(2) الغدل: اللوام.

(3) الجميل: المعروف.

(4) المسألة: سؤال الناس أي الطلب منهم.

(5) الندى: العطاء.

(6) الجحود: إنكار المعروف.

(7) مسترسلة: دائمة ومتابعة.

(8) المؤئل: الأصيل.

(9) أمثلة: أضعاف.

(10) عطارد: كوكب - السنبلة: نجم في السماء.

(11) الأنملة: طرف الإصبع.

(12) الطرس: الصحيفة أو الكتاب.

مَلَأَتْ بِإِمْلَاءِ الْخَوَاطِرِ كُثْبَهُ
وَبَدَتْ فَوَاصِلُهُ خِلَالَ سَطُورِهَا
مَا صَانَهَا نَقْصُ الْكَمَالِ وَلَمْ تَفُتْ
قَدْ أَغْنَتْ الْفُقَرَاءَ وَافْتَقَرَتْ لَهُمْ
مِنْ مَعْشَرٍ شَرَعُوا الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى
آلَ الرُّبَيْرِ الْمُرْتَجَى إِسْعَادُهُمْ
الْمَكْشُرُونَ طَعَامُهُمْ وَطَعَانُهُمْ
قَوْمٌ لِكُلِّهِمْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى
إِنْ يُسَالُوا كَرَمًا وَعِلْمًا أَغْزَوْا
أَنْفُقُوا ذُنُوبًا وَدَّ كُلُّ مُقْبَلٍ
لَوْلَا مَنَاقِبُكُمْ لَكَانَتْ هَذِهِ الدُّ

حَكَمًا عَلَى وَفْقِ الصَّوَابِ مُنَزَّلَهُ
تُهْدَى لِقَارِئِهَا الْعُقُودَ مُفْصَّلَهُ
فِي الْحُسْنِ بِسْمَلَةِ الْكِتَابِ الْحَمْدَ لَهُ⁽¹⁾
هِمُّ الْمُلُوكِ فَمَا تَزَالُ مُؤَمِّلَهُ
وَتَبَوَّؤُوا مِنْ كُلِّ مَجْدٍ أَوَّلَهُ⁽²⁾
فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ وَمُغْضِلَهُ⁽³⁾
يَوْمَ النَّزَالِ وَفِي السَّنِينَ الْمُمَجِّلَهُ⁽⁴⁾
أَبْدًا يَدُ مَرْهُوبَةٍ وَمُنَوَّلَهُ⁽⁵⁾
بِبَدِيعِ أَجْوَبَةٍ لَتَلِكِ الْأَسْئَلَهُ
لَوْ أَنَّهَا حَسَنَاتُهُ الْمُتَقَبَّلَهُ
نِيَا مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَلَهُ⁽⁶⁾

143

قال ابن عربي شارحاً أصول الجود والإنعام:

قَدْ صَحَّ أَنَّ الْغِنَى لِلَّهِ وَالْكَرَمَ
لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ تَأْثِيرِ قُدْرَتِهِ
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي مِنْ نَعْتِهِ كَرَمٌ
فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا حَلَّ بِي عَدَمٌ⁽⁷⁾
عَجِبْتُ إِذْ أَثَرْتُ فِي جُودِهِ الْهِمَمُ⁽⁸⁾
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي مِنْ ذَاتِهِ الْكَرَمُ⁽⁹⁾

(1) البسملة: قول بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد له: قول الحمد لله رب العالمين.

(2) تبوأ المكان: نزل وأقام به.

(3) النائبة: الحادثة والمصيبة.

(4) الممحلة: صفة من المحل وهو الجفاف والقحط.

(5) منوَّله: مُعْطِية.

(6) المناقب: المفاخر والصفات الحسنة - معطلة: خالية.

(7) العَدَم: الفقر والفاقة.

(8) الجود: العطاء والكرم.

(9) التعت: الصفة.

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يُعْطَى وَيَتَّهِمُ
 إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تُعْطَى بِهِ الْحَكْمُ
 عَيْنَ الْقَبُولِ وَلَا يُعْطَى وَيَحْتَكِمُ
 ذَاكَ التَّكْرُمُ فَاْبَحَثْ أَيُّهَا الْعَلَمُ⁽¹⁾
 وَكُلُّ مَنْ نَعْتِهِ الْإِيجَادُ وَالْعَدَمُ⁽²⁾
 سِوَاهُ أَوْ مَنْ بِهِ الْأَلْبَابُ تَعْتَصِمُ⁽³⁾
 وَلَيْسَ تُثْبِتُهُ الْأَغْرَابُ وَالْعَجَمُ
 وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ لِي مِنْ قَبْلِ ذَا قَدَمُ
 وَلَيْسَ عِنْدِي فِيمَا قُلْتُهُ نَدَمُ
 عَنِّي التَّلَفُّظُ وَالتَّغْرِيفُ وَالْكَلِمُ⁽⁴⁾
 كَفْتُ لَهُ أَوْ هَمْتُ مِنْ كَفِّهِ دِيمُ⁽⁵⁾
 لِذَاتِهِ وَأَنَا الظِّلُّ الَّذِي عَلِمُوا
 أُذُنَ لَنَا وَبِنَا عَلَيْهِ قَدْ حَكَمُوا

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكَ عَنْ قَدَرٍ
 لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطَى بِحِكْمَتِهِ
 إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يُعْطَى وَيَغْتَنِمُ
 مَنْ يَطْلُبُ الشُّكْرَ بِالْإِنْعَامِ لَيْسَ لَهُ
 غَيْرَ الْإِلَهِ الَّذِي أَوْلَى بِنِعْمَتِهِ
 إِنِّي ضَرَبْتُ حِجَاباً لَيْسَ يَرْفَعُهُ
 هَذَا الَّذِي قُلْتُهُ الْأَلْبَابُ تَجْهَلُهُ
 بِهِ خُصِّصْتُ عَلَى كَشْفٍ وَمَعْرِفَةٍ
 قَدْ يَلْحَقُ النَّاسُ فِي أَقْوَالِهِمْ نَدَمُ
 لِأَنَّهُ الْمَنْطِقُ الْأَعْلَى فَكَانَ لَهُ
 وَالْعَبْدُ فِي عَزَلَةٍ عَنْ كُلِّ مَا كَتَبَتْ
 مَا فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ فَالْوُجُودُ لَهُ
 لَوْلَاهُ مَا نَظَرْتُ عَيْنِي وَلَا سَمِعْتُ

144

قال بهاء الدين زهير شارحاً ما يعانیه من الوجد وآلام الصبابة:

صَدَقَ الْوَاشُونَ فِيمَا زَعَمُوا أَنَا مُغْرَى بِهَوَاهَا مُغْرَمُ⁽⁶⁾
 فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ عَنِّي لَائِمِي أَنَا أَهْوَاهَا وَلَا أَخْتَشِمُ⁽⁷⁾
 غَلَبَ الْوَجْدُ فَلَا أَكْثُمُهُ إِنَّمَا أَكْثُمُ مَا يَنْكَتِمُ⁽⁸⁾

(1) الإنعام: الإعطاء والإحسان.

(2) العَدَمُ: ضد الوجود.

(4) الكَلِمُ: الكلام.

(5) هَمْتُ: هطلت - الديم: مفردها ديمة: وهي المطر الذي يطول زمنه في سكون.

(6) الواشون: مفرده واشي: وهو النمام الذي ينقل الكلام ويكذب فيه.

(7) أحتشم: أخجل وأستر ما أقوم به.

(8) الوجد: الحزن الناتج عن الحب وهمومه.

تَعِبَ الْعُدَّالُ بِي فِي حُبِّهَا
 أَيْنَ مَنْ يَرْحُمُنِي أَشْكُو لَهُ
 أَنَا مَنْ قَلْبِي مِنْهَا آيَسُ
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ وَجْدِي بِهَا
 ظَنَّ خَيْرًا بَيْنَنَا أَوْ غَيْرَهُ
 وَلَقَدْ حَدَّثْتُ مَنْ يَسْأَلُنِي
 طَالَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ شَرْحِ الْهَوَى
 عَشِقَ النَّاسُ وَمِثْلِي لَمْ يَكُنْ
 سَطَرْتُ قَبْلِي أَحَادِيثُ الْهَوَى
 قُضِيَ الْأَمْرُ وَجَفَّ الْقَلَمُ
 إِنَّمَا الشُّكْوَى إِلَى مَنْ يَرْحُمُ
 لَمْ يَكُنْ مِنْ مُقْلَتَيْهَا يَسْلَمُ⁽¹⁾
 إِنَّهُ أَعْظَمُ مِمَّا تَزْعُمُ
 فَحَبِيبِي فِيهِ تَحَلُّوا التُّهَمُ
 وَحَدِيثِي لَكَ يَا مَنْ يَفْهَمُ
 أَنْتَ يَا رَبِّي بِحَالِي أَعْلَمُ
 فاعْلَمُوا أَتَيْ فِيهِمْ عِلْمُ
 وَبِمَسْكِ مِنْ حَدِيثِي تُخْتَمُ

145

قال الشاب الظريف متغزلاً، بكلام قريب من كلام الصوفية:

حَدِيثُ غَرَامِي فِي هَوَاكَ قَدِيمُ
 بِمَا شِئْتَ عَذَّبَ غَيْرَ سُخْطِكَ إِنَّهُ
 تُمَثِّلُكَ الْأَشْوَاقُ وَهَمًّا لِخَاطِرِي
 وَتَقْنَعُ مِنْكَ الرُّوحُ لِمَحِّ تَوْهَمِ
 هَنِئَاءً لِطَرْفِ فَيْكِ لَا يَعْرِفُ الْكَرَى
 وَلَمَّا جَلَاكَ الْفِكْرُ يَا غَايَةَ الْمَنَى
 وَمَا الْكَوْنُ إِلَّا صُورَةٌ أَنْتَ رُوحُهَا
 وَفَرَطُ عَذَابِي فِي هَوَاكَ نَعِيمُ⁽²⁾
 وَصِدْقِي وَلَائِي فِي هَوَاكَ أَلِيمُ⁽³⁾
 فَيُدْرِكُنِي بِالْخَوْفِ مِنْكَ وَجُومُ⁽⁴⁾
 فَتُحْيِي بِهَا الْأَعْضَاءَ، وَهِيَ رَمِيمُ
 وَتَبَّأَ لِقَلْبِ فَيْكِ لَيْسَ يَهِيمُ⁽⁵⁾
 فَظِلٌّ بِقَلْبِي مُقْعَدٌ وَمُقِيمُ
 وَجِسْمٌ بِغَيْرِ الرُّوحِ، . كَيْفَ يَقُومُ؟

(1) مقتلتيها: عينيها - آيس: يائس، مقطوع الرجاء.

(2) فرط عذابي: كثرته وزيادته.

(3) السخط: الغضب.

(4) الوجوم: السكوت والإطراق فزعاً.

(5) الكرى: النوم - يهيم: يعشق.

تَوَهَّمْ صَحْبِي أَنَّ بِي مَسَّ جِنَّةٌ وَأَنْكَرَ حَالِي صَاحِبٌ وَحْمِيمٌ⁽¹⁾
فُبَحْتُ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْكَ مَصْرَحًا وَمَا أَنَا لَذَاتِ الْغَرَامِ كَتُومٌ
وَلَمَّا بَدَتْ فِي طُورِ خَدِّكَ جَذْوَةٌ وَلاَحَتْ لِقَلْبِي عَادَ وَهُوَ كَلِيمٌ⁽²⁾
يَلْدُ لِقَلْبِي فِي هَوَاكَ عَذَابُهُ وَلَمْ لَا وَبِالْأُخْوَالِ أَنْتَ عَلِيمٌ

146

قال ابن عربي ناصحاً:

أَمَّنَكَ اللَّهُ وَسُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِي أَنْتَ بِهِ قَائِمٌ
فَاخُكُم بِمَا تَعْلَمُهُ لَا تَنِي فَإِنَّكَ الْمَسْئُولُ يَا حَاكِمٌ⁽³⁾
يَحْكُمُ عَذْلُ اللَّهِ فِيكُمْ كَمَا أَنْتَ بِهِ فِي خَلْقِهِ حَاكِمٌ
وَأَنْتُمْ أَهْلُ لِمَا زِلْتُمْ فِي ظَنُّنَا وَرَبُّنَا الْعَالِمُ
وَحَرَّرَ الْمِيزَانَ يَا سَيِّدِي فَإِنَّهُ الْعَادِلُ وَالْقَاسِمُ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّنِي نَاصِحٌ وَمُشْفِقٌ وَمَا أَنَا زَاعِمٌ⁽⁴⁾
فَلْتَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ إِنَّهُ مَا عَلِمْتُ الْحَافِظُ الْعَاصِمُ⁽⁵⁾
وَاحْذَرْ مِنَ الْمَكْرِ فَقَدْ يَخْتَفِي فَإِنَّهُ الْقَاهِرُ وَالْقَاصِمُ⁽⁶⁾

147

قال الشاب الظريف مادحاً ومفتخراً:

- (1) الحميم: الشخص الذي توهه ويودك.
- (2) الجذوة: الجمرة الملتهبة - كليم: جريح.
- (3) لاتني: لا تقصّر أو تفتّر همتك.
- (4) زاعم: نقول زعم الأمر: ادعاه.
- (5) اعتصم: الجأ إليه وتمسك به.
- (6) القاصم: القاطع وقصد به المهلك.

وَلِي مَدَحٌ بِالْعُثِّ فِيهَا بَلَاغَةٌ وَأَثْنَيْتُ فِيهَا بِالَّذِي أَنَا عَالِمٌ⁽¹⁾
 وَلِي فِيكَ آمَالٌ عَلَيْكَ بُلُوغُهَا فَلَا دَافِعَ دُونَ الَّذِي أَنْتَ حَاكِمٌ
 أَبْعَدُكَ يَحْوِي الْمَجْدُ مَنْ هُوَ فَاحِرٌ وَبَعْدِي يَقُولُ الشَّعْرُ مَنْ هُوَ نَاطِمٌ
 وَإِنَّ لِسَانِي ذُو الْفَقَارِ عَلَيْهِ عُلاكَ، فَمَنْ مِثْلِي وَمِثْلُكَ غَانِمٌ⁽²⁾

148

قال عفيف الدين التلمساني واصفاً الطبيعة الفاتنة ومادحاً ابن الزبير :

رِيَاضٌ بُكَاهَا الْمُزْنُ وَهِيَ بَوَاسِمٌ فَنَاحَتْ بِغَيْرِ الْحُزْنِ فِيهَا الْحَمَائِمُ⁽³⁾
 وَأَوْدَعَتْ الْأَنْوَاءُ فِيهِنَّ سَرَّهَا فَنَمَتْ عَلَيْهِنَّ الرِّيَّاحُ النَّوَاسِمُ⁽⁴⁾
 يَبِيتُ النَّدَى فِي أَفْقِهَا وَهُوَ نَائِرٌ وَيُضْجِي عَلَى أَجْيَادِهَا وَهُوَ نَاطِمٌ
 كَأَنَّ الْأَقَاحِي وَالشَّقِيقَ تَقَابَلَا خُدُودٌ جَلَاهُنَّ الصَّبَا وَمَبَاسِمُ⁽⁵⁾
 كَأَنَّ بِهَا اللُّنْجِسَ الْغَضُّ أَعْيَنَا تَنَبَّهَ مِنْهَا الْبَعْضُ وَالْبَعْضُ نَائِمٌ
 كَأَنَّ ظِلَالَ الْقَضْبِ فَوْقَ غَدِيرِهَا إِذَا اضْطَرَبَتْ تَحْتَ الرِّيَّاحِ أَرَاقِمُ⁽⁶⁾
 كَأَنَّ غِنَاءَ الْوُزُقِ أَلْحَانُ مَعْبِدٍ إِذَا رَقَصَتْ تِلْكَ الْقُدُودُ النَّوَاعِمُ⁽⁷⁾
 كَأَنَّ نَشَارَ الشَّمْسِ تَحْتَ غُصُونِهَا دَنَائِيرُ فِي وَقْتٍ وَوَقْتُ دَرَاهِمُ
 كَأَنَّ بِهَا الْغُدْرَانُ تَحْتَ جَدَاوِلٍ مُتُونٌ دُرُوعٌ أَفْرَعَتْ وَصَوَارِمُ⁽⁸⁾

(1) المدح: مفرداً مِدْحَةً، وهي قصيدة المدح - بالْعُثِّ: تجاوزت الحدود - أثنت: مدحت.

(2) ذو الفقار: سيف الإمام علي كرم الله وجهه - غانم: صفة من غنم: أي ربح وفاز.

(3) المزن: الغيوم الماطرة.

(4) الأنواء: الأمطار الشديدة - نمت: أفضت السر.

(5) الأقاحي: واحدها أقحوانة نوع من الزهور - الشقيق: قصد شقائق النعمان.

(6) الأرقام: مفرداً أرقم وهو ذكر الحيات أو أخبثها.

(7) الوزق: الحمام.

(8) الصوارم: السيوف.

كَأَنَّ إِمَاراً فِي غُضُونِ تَوْسُوسِ
لِعَارِضِ خَفَاقِ النَّسِيمِ تَمَائِمُ
كَأَنَّ الْقُطُوفَ الدَّانِيَاتِ مَوَاهِبُ
وَفِي كُلِّ غُصْنٍ مَاسَ فِي الدَّوْحِ حَاتِمُ⁽¹⁾
كَأَنَّ بَنَانَ ابْنِ الزَّبِيرِ لَمْسَنُهُ
فَأَعْدَاهُ مِنْهُنَّ النَّدَى وَالْمَكَارِمُ⁽²⁾

149

قال ابن عربي أيضاً:

يَا لَائِمِي إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنُنَا
دَوَاتَهُمْ يَا لَائِمِي كُنْ هُمُ
مَا كُلُّ مَنْ حَرَّرَ أَنْفَاسَهُ
لِكُلِّ مَا جِئْتَ بِهِ يُلْهِمُ
إِنَّ الْفَتَى النَّاصِحُ هَذَا الَّذِي
يُوضِحُ مَا قَالَ وَلَا يُبْهِمُ⁽³⁾
إِنَّ الَّذِي جَاءَهُمْ نَاصِحاً
مُبَلِّغاً وَمُشْفِقاً إِنْ هُمُ
كَانُوا لِمَا قَدْ سَمِعُوا أَهْلَهُ
وَعِنْدَنَا السَّامِعُ مَنْ يَفْهَمُ
أَلْزَمْتُهُ الْهَاءُ إِلَى مِيمِهَا
وَحُكْمُ ذَا فِي الشَّعْرِ لَا يَلْزَمُ

150

قال البرعي مادحاً الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام:

سَجَعْتُ بِأَيْمَنِ ذِي الْأَرَاكِ حَمَائِمُهُ
وَهَمَّتْ عَلَى عَذَبِ الْعَذِيبِ غَمَائِمُهُ⁽⁴⁾
وَسَرَى حِجَازِي النَّسِيمِ يُعَانِقُ الْـ
مُخْضَرَّ مِنْ أَثْلَائِهِ وَيُلَاقِيهِ⁽⁵⁾
فَأَجَبْتُ سَاجِعَ وَزْقِهِ بِمَدَامِعِ
ذَرَفْتُ عَلَى طَلَلٍ دَرَسَنَ مَعَالِمُهُ⁽⁶⁾

(1) ماس: مال وانثنى.

(2) البنان: الأصابع.

(3) يبهيم: ضد يوضح ويبين.

(4) سجعت الحمامة: رددت صوتها - الأراك: شجر يُستاك به.

(5) أثلاؤه: شجر كثيف الأغصان يُعمَّر، واحده أثلة.

(6) الورق: الحمام - الطلل: ما بقي شاخساً من آثار الديار - درست الأطلال: انمحت وزالت.

وَمَحَاهُ مِنْ غَدَقِ الْحَيَا مُتْرَاكِمُهُ⁽¹⁾
 أَزْهَارُهُ حِينَ ابْتَسَمْنَ كَمَائِمُهُ
 وَتَفَرَّقَتْ هِنْدَاتُهُ وَقَوَاطِمُهُ
 عَنْ لَوْمِ صَبٍّ أَمْرَضَتْهُ لَوَائِمُهُ
 عَلَّمَتْ قَلْبِي غَيْرَ مَا هُوَ عَالِمُهُ
 وَأَبَاحَ سِرّاً مَا بَرِخْتُ أَكَاثِمُهُ⁽²⁾
 لَمَّا تَنَاءَتْ بِالْفَرِيقِ رَوَاسِمُهُ⁽³⁾
 مِنْ بَعْدِهِ عَقْدَاتُهُ وَصَرَائِمُهُ
 تَبْكِي سَحَابُهُ وَيَضْحَكُ بِاسِمُهُ
 أَحْزَانُهُ وَنُجُودُهُ وَتَهَائِمُهُ⁽⁴⁾
 لِعُلَاهُ إِكْلِيلُ الْعُلَا وَنَعَائِمُهُ⁽⁵⁾
 مَلَائِكُ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ مَكَارِمُهُ
 وَبِكُفِّ أَخْيَارِ الْخَلِيقَةِ قَائِمُهُ⁽⁶⁾
 لَبِثُهُ مِنْ جُنْدِ الضَّلَالِ جَمَاجِمُهُ⁽⁷⁾
 وَتَتَابَعَتْ فِي الْمُلْحِدِينَ مَلَاجِمُهُ⁽⁸⁾
 صَعْدَاً وَفِي أُذُنِ السَّمَاءِ زَمَائِمُهُ
 بَحْراً تَمَوَّجَ بِالطُّبَا مُتَلَاطِمُهُ⁽⁹⁾

سَحَبَتْ سَحَابُ الْجَوِّ فِيهِ ذُيُولُهَا
 وَتَضَاكَتْ أَنْوَارُهُ وَتَنَوَّعَتْ
 وَتَنَكَّرَتْ أَعْلَامُهُ وَرُبُوعُهُ
 يَا لَا إِلَهِي فَيَمَنْ كَلِفْتُ فَلَمْ أَفُقْ
 وَأَبِيكَ مَا أَنْصَفْتَ فِي عَذْلِي وَلَا
 الْحُبُّ مَا أَجْرَى الدُّمُوعَ صَبَابَةً
 وَأَنَا الَّذِي لَعِبَ الْفِرَاقُ بِعَقْلِيهِ
 نَخَدُوا الْحِجَازَ عَنِ الْجَمَى وَخَلَا الْجَمَى
 فَسَقَى الْحِجَازَ حَيَا الْغَمَامَةِ كُلَّمَا
 بَلَدُ أَضَاءَتْ مِنْ ضِيَاءِ مُحَمَّدٍ
 وَتَطَاوَلَتْ رُتَبُ الْفَخَارِ لِمَنْ دَنَا
 عَلِمَ النُّبُوَّةَ خَاتَمَ الرُّسُلِ الَّذِي
 سَيَفُتْ حَمَائِلُهُ عَلَى غُنُقِ الْهُدَى
 لَمَّا دَعَا الْكُفَّارَ بِالْبَيْضِ الطُّبَا
 وَمَحَتْ نُجُومَ الشَّرِكِ شَمْسُ ظُهُورِهِ
 بِعَرْمَرَمٍ فِي الْخَافِقَيْنِ غُبَارُهُ
 مَلَأَ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ رَأَيْتَهُمْ

(1) الحيا: المطر.

(2) الصبابة: الشوق وحرارته.

(3) الفريق: المفارق، أو الجماعة من الناس - رواسمه: نقول: رسمت الناقة أسرع ففهي راسمة.

(4) النجود: جمع نجد وهي الأرض المرتفعة، ومنطقة في شبه الجزيرة - التهائم: جمع تهامة وهي أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن.

(5) الإكليل: التاج. (6) قائم السيف: مقبضه.

(7) البيض: السيوف - الطبا: مفردة طبة - وهو حد السيف والخنجر وما أشبهها.

(8) الملحدون: جمع ملحد وهو الطاعن في الدين المائل عنه.

(9) الملا: الجماعة من أشرف القوم.

وَأَبُو الْيَتَامَى بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ إِذَا
 فَلَقْدَ سَرَى مَسْرَى النُّجُومِ هُمُومُهُ
 شَمْسُ النُّبُوءَةِ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
 وَحُسَامُ دِينَ مَا تَنَاءَى فِعْلُهُ
 إِنْ جَادَ يَوْمَ الْجُودِ فَهُوَ غَمَامَةٌ
 وَمِنْ الْمَلَائِكِ فِي الْمَعَارِكِ جُنْدُهُ
 وَالْبَيْضُ وَالْأَسْلُ الطُّوَالُ ظِلَالُهُ
 ذَاكَ الَّذِي سَجَدَ الْبَعِيرُ لَوَجْهِهِ
 وَعَلَيْهِ سَلَّمَتِ الْأَوَابِدُ مِثْلَ مَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا زَهَرَ زَهَا
 فَهُوَ الْمُتَوَجُّجُ بِالْكَرَامَةِ وَالَّذِي
 شَرَفَ الزَّمَانَ بِهِ فِطَارَ فَخَارُهُ
 وَزَهَا بِأَحْمَدَ بُرْدُهُ وَقَضِيبُهُ
 وَبِهِ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ بَعْدَ دُرُوسِهِ
 وَأَضَاءَ مِضْبَاحُ الْهُدَى بِمُحَمَّدٍ
 لُذَّ مِنْ جَمِيعِ النَّائِبَاتِ بِهِ تَجِدُ
 وَازِمَ الزَّمَانَ بِعُظْمِ جَاهِ مُحَمَّدٍ
 يَا مَنْ لَهُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ وَفَضْلُهُ

زَارَتْ ضَرَاغِمُهُ نَهْشَنَ أَرَاقِمُهُ⁽¹⁾
 وَمَضَى مُضَيَّ الْبَاتِرَاتِ عَزَائِمُهُ
 أَضْحَى بِهِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ هَاشِمُهُ
 وَكَرِيمُ قَوْمٍ أَنْجَبَتْهُ كَرَائِمُهُ
 أَوْ صَالَ يَوْمَ الرُّوعِ فَهُوَ صَوَارِمُهُ⁽²⁾
 وَالْمَوْتُ فِي حَرْبِ الضَّلَالَةِ خَادِمُهُ
 يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالنَّفُوسُ غَنَائِمُهُ⁽³⁾
 وَالْجِذْعُ حَنَّ وَظَلَّتْهُ عَمَائِمُهُ
 فَاضَتْ مِنَ الضَّرْعِ الْأَجْدُ سَوَاجِمُهُ⁽⁴⁾
 وَضَحِكُنْ فِي تُحْضِرِ الرُّبَا بَوَاسِمُهُ
 عَصَبَتْ عَلَى الْكَرَمِ الْعَرِيضِ عَمَائِمُهُ
 وَتَقَطَّعَتْ ظُلُمَاتُهُ وَمَظَالِمُهُ
 وَالتَّاجُ وَالْحَوْضُ الْمَعِينُ وَخَائِمُهُ⁽⁵⁾
 وَزَكَتْ مَطَالِعُهُ وَأَشْرَقَ نَاجِمُهُ
 وَالْحَقُّ أَشْرَقَ وَاسْتَقَمْنَ قَوَائِمُهُ
 حَرَمًا عَلَا أَنْ تُسْتَبَاحَ مَحَارِمُهُ⁽⁶⁾
 مَهْمَا رَمَتْكَ مِنَ الزَّمَانِ عَظَائِمُهُ
 وَمَقَامُهُ وَحَاطِيمُهُ وَمَوَاسِمُهُ⁽⁷⁾

(1) الضراغم: الأسود، مفردة ضرغام - الأراقم: أخبت الحيات.

(2) يوم الروع: يوم الحرب - صوارمه: سيوفه.

(3) البيض والأسل: السيوف والرماح - يوم الكريهة: يوم الحرب.

(4) الأوابد: الوحوش.

(5) البرد: كساء مخطط يلتحف به - القضيب: الغضن.

(6) لذ: الجأ نائبات الدهر: مصائبه.

(7) الحطيم: بناء قبالة الميزاب خارج الكعبة.

يَرْتَادُ مَاسِحُهُ النَّعِيمَ وَلَائِمُهُ
مَنْ يَرْتَجِيهِ عُرْبُهُ وَأَعَاجِمُهُ
وَبِسَجْنٍ سَجِينٍ يُعَاقِبُ ظَالِمُهُ
الْأَغْضَاءُ وَالْمَلِكُ الْمُهَيَّمُنُ حَاكِمُهُ
لَمَّا حَمَلَهُ عَنِ الْمَزَارِ مَائِمُهُ⁽¹⁾
تُمَحَّى بِجَاهِكِ فِي الْمَعَادِ جَرَائِمُهُ
مَنْ ذَاكَ وَاصِلُهُ سِوَاكَ وَرَاجِمُهُ
وَلِمَنْ يَلِيهِ مَوَدَّةٌ وَيَلَائِمُهُ
مَا قَالَ نَائِرُهُ عَلَيْكَ وَنَاطِمُهُ
وَالْجُودُ مَوْجُودٌ وَمِنْكَ غَمَائِمُهُ
بِرِيَّاحٍ نَجْدٍ أَوْ نَسْمَنَ نَسَائِمُهُ⁽²⁾
سَجَعْتُ بِأَيْمَنِ ذِي الْأَرَاكِ حَمَائِمُهُ

وله الصِّفَا وَالْحَجَرُ وَالْحَجَرُ الَّذِي
مَاذَا تُعَامِلُنِي جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا
فِي يَوْمِ الْمَظْلُومِ مُنْتَصِرٌ لَهُ
وَلِخَضْمِهِ يَرْجُو الْجَزَا وَشُهُودُهُ
نَادَاكَ مِنْ بُرْعٍ أَسِيرَ ذُنُوبِهِ
فَاشْفَعْ إِلَى الْبَارِي لَهُ فَلَرَبِّمَا
إِنْ لَمْ تَصِلْ عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَةٍ
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ يَا ابْنَ أَمْنَةٍ لَهُ
وَتَلَقَّ مَذْحِي بِالْبِشَارَةِ وَاسْتَمِعْ
فَالْفَخْرُ مُفْتَخِرٌ وَفِيكَ فَخَارُهُ
وَعَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ مَا هَبَّ الصَّبَا
وَعَلَى جَمِيعِ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا

151

القصيدة البديعية

قالت عائشة الباعونية في مدح رسول الله ﷺ:

أَصْبَحْتُ فِي زُمْرَةِ الْعُشَّاقِ كَالْعَلَمِ⁽³⁾
وَالْجَارُ جَارٍ بِعَذْلِ فِيهِ مُتَّهِمِي⁽⁴⁾
وَلَمْ أَجِدْ رُوحَ بُشْرَى مِنْهُمْ بِهِمْ
لَفَقْتُ صَبْرًا فَمَا أَجْدَى لِمَنْعِ دَمِي⁽⁵⁾

فِي حُسْنِ مَطْلَعِ أَقْمَارٍ بِذِي سَلَمٍ
أَقُولُ وَالْدَمْعُ جَارٍ جَارِحٌ مُقْلِي
يَا لِلْهَوَى، فِي الْهَوَى رُوحٌ سَمَخْتُ بِهَا
وَفِي بُكَائِي لِحَالٍ حَالٍ مِنْ عَدَمٍ

(1) المزار: الزيارة.

(2) الصَّبَا: ريح تهب من المشرق - نسمت: هبت.

(3) العلم: الجبل أو الراية وغيرها.

(4) المقل: العيون، مفردها مقلة.

(5) لفق التهمة: اختلقها واصطنعها من غير حق.

- يا سعدُ إن أبصرتَ عيناكِ كاظمةً
فثم أقمارُ ثم طالعين على
أحبةٍ لم يزالوا منتهى أملي
علوا كمالاً، جلوا حسناً، سبوا أمماً
أحسنْتُ ظني وإن هم حاولوا تلّفي
اليحْمَديّ وأبو تَمّام، كُلُّ شَج
قِيلَ اسْلُهم، قُلْتُ إن هَبْتُ صَبَا سَحْراً
مالي رُجوعٌ عن الأشجانِ في ولهي
رَجوتُهم يَعْطِفُوا فَضْلاً وَقَدْ عَظِفُوا
هَانَ السُّهَادُ غَراماً فيه أَقْلَقَنِي
وَعَاذِلِ رَامَ سُلْوانِي فَقُلْتُ لَهُ:
عَذَلْتَنِي وَادَّعَيْتَ النُّصَحَ فِيهِ فَلَ
كَيْفَ السُّلُوءُ وَنَارُ الْحَبِّ مَوْقَدَةٌ
وَلِي جُفُونٌ بَغِيرِ السُّهْدِ مَا اكْتَحَلْتُ
تَهَابُنِي الْأَسْدُ فِي آجَامِهَا، وَطَبَا
- وَجِئْتُ سِلْعاً فَسَلُّ عَنْ أَهْلِهَا الْقَدَمُ⁽¹⁾
طَوِيلِج، حَيَّهمْ وَانْزِلْ بِحَيَّهمْ⁽²⁾
وَإِنْ هُمُومُ بِالْتَّنَائِي أَوْجَبُوا أَلَمِي⁽³⁾
زَادُوا دَلالاً، فَنِي صَبْرِي فَيَا سَقَمِي
وَتَمَّ سِرٌّ وَصَنِّي فِيهِ مِنْ شِيَمِي⁽⁴⁾
عَانِي الْغَرَامَ إِلَى قَلْبِي لِأَجْلِهِمْ⁽⁵⁾
وَأَشْرَقَ الْبَدْرُ تَمَّ سَلَخَ شَهْرِهِمْ⁽⁶⁾
بَلْ عَنْ سُلُوي رُجُوعِي صَارَ مِنْ لَزَمِي⁽⁷⁾
لَكِنْ عَلَى تَلْفِي مِنْ فَرَطٍ عَشْقِهِمْ⁽⁸⁾
شَوْقاً وَعَزَّ الْكُرَى وَجَدّاً فَلَمْ أَنْمِ⁽⁹⁾
«مَنْ الْمُحَالِ وَجُودُ الصَّيْدِ فِي الْأَجَمِ»
بَرِخْتُ أَسْعَى بِلا حَدٍّ إِلَى النِّعَمِ⁽¹⁰⁾
وَسَطَ الْحَشَا وَعُيُونُ الدَّمْعِ كَالِدِيمِ⁽¹¹⁾
وَلِي رُسُومٌ بَغِيرِ السُّقْمِ لَمْ تُسَمِ
تِلْكَ الظُّبَا قَدْ أَدْلَتْنِي لِعِزِّهِمْ⁽¹²⁾

(1) كاظمة: ولسع: موضعان.

(2) أقمار: ثم: الأقمار المكمّلون أي البدور.

(3) التناي: البعاد والفراق.

(4) ثم: أي يوجد أو هناك سرٌّ - ضني به: احتفاظي به وبخلي - الشيم: الأخلاق والطباع والعادات.

(5) شج: شجي: وهو الحزين.

(6) اسلهم: انساهم وانشغل عنهم - صبا: ريح تهب من الشرق.

(7) لزمي: واجباتي.

(8) من فرط: من كثرة.

(9) السهاد: السهر وعدم القدرة على النوم - الكرى: النوم - عزّ: امتنع.

(10) عذلتني: لمتني.

(11) الديم: مفردا ديمة: المطر الذي يمتد فترة طويلة دون أن يُسمع له صوت.

(12) آجام: مفردا أجمة: مجتمع الشجر وكثيفه - الطُّبَا: مفردا طَبَّة: حدُّ السيف والسنان =

وأومَضَ البرقُ من تلقاءِ مبتسِمٍ
فالقضْدُ، أولى، فموتي مَوْتُ محتَشِمٍ⁽¹⁾
من اللّواحي ويلجيني لشكرهم⁽²⁾
إلا خَلِيعُ صَبَا، مثلي، إلى العَدَمِ⁽³⁾
بِحُكْمِي الفاضحين، الدمع والسَّقَمِ
قالوا انثني قلتُ عهدي غيرُ منفصم
قالوا يئستُ فقلتُ البرءُ في سَقَمِي⁽⁴⁾
إذا بدا الصُّبحُ، ما عَطَى عَشا الظُّلَمِ
إلى السُّلُوِّ وما السُّلوانُ من شِيَمِي
تَرى بِعَيْنِكَ وَجَهَ النُّصَحِ في كَلِمِي⁽⁵⁾
إذ أنتَ عِنْدِي معدودٌ من النِّعَمِ
أغابَ رشْدُكَ، أم ضَرَبَ من اللَّمَمِ؟⁽⁶⁾
مني إليك، فَسَمِعِي عَنكَ في صَمَمِ
إلا كَمَا شاءَ وَجَدِي حَافِظاً ذِمَمِي⁽⁷⁾
جميعُ ما مرَّ من حالاتِ عَشِقِهِمْ⁽⁸⁾
شاهدتهُ واستَطَعَتِ اللُّومَ بعدَ، لَمْ
من المَلَامِ، وحشِيهِ بِوَضْفِهِمْ

أزُروا بِشَمْسِ الضُّحَى والبدرِ حينَ بدوا
يا نفسُ، ماذا الونى؟ جَدِّي فَإِنْ يَصِلُوا
لِذِكْرِهِمْ صارَ سَمْعُ العَدْلِ يُطربني
بلغتُ في العِشْقِ مَرْمَى ليسَ يُدرِكُهُ
كُتْمْتُ حَالِي، ويأبى كُتْمُهُ شَجَنِي
قالوا ازْعَوِي قُلْتُ قلبي ما يُطاوعني
قالوا سَلَوْتُ فقلتُ الصَّبْرُ في كَلْفِي
يا عَاذِلِي أنتَ معذورٌ فسوفَ تَرى
أُبرِمْتَ عَذلاً ويُخشى أنَ تجرَّ به
أُجِرِ الأمورَ على إِذلالِها فَعَسَى
عن ذَمِّ مِثْلِكَ تَبْيَانِي أَنزَهُهُ
الجهلُ أغواكَ، أم في الطَّرْفِ مِنْكَ عَمِي
أُتَعِبْتَ نَفْسَكَ في عَذَلِي، ومَعذَرَةٌ
اعذِلْ وَعَنَّفْ وَقُلْ ما اسطَعْتُ لا تَرْنِي
تَسوُمْنِي الصَّبْرَ عَمَّنْ لي حَلا بِهِمْ
لَمْ يا عَذُولِي وشاهدُ حُسْنِهِمْ، فإذا
أَبْنُ أَيْلٍ، عَرَّفَن، فَرَّغَ لَنَا نَبَأَ

= والخنجر وما شابهها.

(1) الونى: الضعف والوهن.

(2) اللواحي: اللاتمين والمعتقين.

(3) الخليع: من ترك الحياء وركب هواه - صَبَا: اشتاق.

(4) الكلف: حب الشيء والتولع به - البرء: الشفاء.

(5) الكَلِم: الكلام.

(6) اللَّمَم: الجنون.

(7) الوجد: الحب - اللَّذَم: العهود.

(8) تسومني الأمر: تُكَلِّفني وتُلْزمني به.

وامرُج مَلامَكَ بالذِّكْرَى فَإِنَّ بِهَا
كَرَّرَ أَعْدَاطُ رَبِّ ابْسُطْ ثَنَّ عَنْ أَجَبْ
أَعِدْ حَدِيثَ أَحِبَّائِي فَهُمْ عَرَبٌ
وَاسْتَوْطِنُوا السَّرَّ مِنِّي فَهُوَ مَنْزِلُهُمْ
بِدا الصَّدُودُ بِبُعْدِي عَنْ جِوَارِهِمْ
أَحَبَّةٌ مَا لِقَلْبِي غَيْرُهُمْ أَرَبٌ
لَزِمْتُ صِدْقَ وَلَاهُمْ وَالتَزَمْتُ بِهِ
حَلُّوا بِقَلْبِي وَحَلَّى جُودُ مَنْتَهُمِ
مَا بِهِجَةُ الشَّمْسِ فِي الْآفَاقِ مُسْفَرَةٌ
لَا مَكْنَتَنِي الْمَعَالِي مِنْ سِيَادَتِهَا
بِفَضْلِهِمْ غَمَرُونِي مِنْ قَوَاضِلِهِمْ
وَأَقْبَسُونِي مُذْ آتَسْتُ نَارَهُمْ
وَالْبَسُونِي ثِيَابَ الْوَصْلِ مُغْلَمَةً
وَحَوَّلُونِي مُلْكًا فِيهِ فَرَزْتُ بِهِمْ
لَهُمْ شَمَائِلٌ بِالْإِحْسَانِ قَدْ شَمَلْتُ
وَلِي عَوَائِدُ مِنْهُمْ بِالْجَمِيلِ لَهَا
قَالُوا الْوَفَا، رَاقٍ عَيْشُ الْمُسْتَهَامِ بِهِمْ،

تَعَلَّلًا لِعَلِيلِ الشَّوْقِ مِنْ أَلَمٍ⁽¹⁾
قَلَّ سَلَّ جُدَّ تَرَنَّمْ بَرٌّ مَنَّ دُمِ
قَدْ أَعْرَبَ الدَّمْعُ فِيهِمْ كُلَّ مُنْعَجِمِ
وَلَمْ أَفَوِّهِ يَوْمًا لِغَيْرِهِمْ
فَعَادَ وَصَلَ بِقُرْبِي مِنْ مَحَلَّتِهِمْ⁽²⁾
وَحُبُّهُمْ لَمْ يَزَلْ يَرَبُّو مِنْ الْقَدَمِ⁽³⁾
فَلَسْتُ أَسْلُوهُ إِلَّا عَنْ سُلوِهِمْ⁽⁴⁾
جِيْدِي وَشَكَرُ الْأَيَادِي مَسْمَعِي وَفِي⁽⁵⁾
يَوْمًا بِأَبْهَجٍ مِنْ لَأَلَاءِ حُسْنِهِمْ⁽⁶⁾
إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ الْخَدَمِ
بِمَا عَجَزْتُ بِهِ عَنْ حَقِّ شُكْرِهِمْ
مِنْ طُورِ حَضْرَتِهِمْ نُورًا جَلَا ظُلْمِي⁽⁷⁾
بِقُرْبِهِمْ وَأَقْرَوَا فِي الْعُلَا عَلَمِي
فَوَزَّ الْعُفَاةَ بَوَافِي فَيُضِ فَضْلِهِمْ⁽⁸⁾
وَعَلَّمْتُ كَرَمَ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ
بِمَنْتَهُمْ اتِّصَالَ غَيْرُ مُنْحَسِمِ⁽⁹⁾
فَلَا جَفَا بَعْدَمَا جَادُوا بِوَضْلِهِمْ⁽¹⁰⁾

(1) التعلل: التسلي - والانشغال - العليل: المريض.

(2) الصدود: التمتع.

(3) الأرب: المطلب والغاية - يربو: ينمو ويزيد.

(4) ولاهم: ولاهم.

(6) اللألاء: التلاؤ.

(7) أقبسوني: أعطوني قبساً، أي: شعلة - الطور: الجبل.

(8) العفاة: الزائرون طلباً للرزق أو الطعام.

(9) بمنهم: بفضلهم وعطائهم.

(10) المستهام: المحب العاشق.

(5) الجيد: العنق.

وافرح ولا تلتفت عنهم لِغيرهم
إلى الطُلُولِ التي تسمو باسمِهِمْ⁽¹⁾
قَبْلَ الوفاةِ وهل شَملي بِمُلتِمٍ؟
ظنونٌ سَرِّي حديثاً غيرُ مُتَّهِمٍ
عن مُتَّهِمٍ عن وَفاهم نيل برَّهم
حتَمٌ، ومُورِدُهُم غُنمٌ لكلِّ ظَمي⁽²⁾
لك الأمانِي وجئتَ الحيَّ عن أُمِّ
على العقيقِ، على الجَرعاءِ من إَضَمِ⁽³⁾
لدى المَقامِ وقَبْلُ موطىءِ القَدَمِ
سلا السُلُوِّ وعانى وَجَدَهُ بِهِمِ
تعلو المعالم من سكانها القُدَمِ
أَقْبِلْ ولا تَخَفِ الواشينَ بالكَلِمِ⁽⁴⁾
ولا تَدْعُ منك جزءاً غيرَ مقتَسَمِ
نُصْحُ اللّواحي وما صَاغُوا بِنُطْقِهِمْ⁽⁵⁾
أَمْوا حمى خيرِ خلقِ اللّهِ كُلَّهُمْ⁽⁶⁾
زهراء، جدُّ أَميرِي فِتيةَ الكَرَمِ
بنِ الوافرِ العِظَمِ ابنِ الوافرِ العِظَمِ
اختارَه اللّهُ قَبْلَ اللّوحِ والقَلَمِ
عَقْلاً ونَقْلاً فلم نَرْتَبْ ولم نَهِمِ⁽⁷⁾

حلّوا بقلبي، فيا قلبي تهَنَّ بِهِمِ
قد طالَ شوقي - وقلبي منزلٌ لَهُمِ -
فليتَ شِعري هل حَالِي بِمُنْتَظَمِ
نعم، نعم، حدَّثتني - وهي صادقةٌ -
عن جودِهِم، عن نَدَاهُم، عن فَواضِلِهِم،
سادوا فجودُهُم جَمٌّ، وبَذَلُهُمِ
يا سَعْدُ، إن سَاعَدَ الإِسعادُ واجتَمَعَتْ
عَرَجٌ على قاعةِ الرِّغْساءِ منعطفاً
واقصِدْ مُصلّى به بابُ السلامِ، وقف
فلي فؤادُ بذاك الحيِّ مُرتَهَنٌ
ناشِدُهُ اللّهُ، والأنوارُ مشرقةٌ
أنتَ الكَلِيمُ، وهذا طورُ حضرتِهِمِ
وشاهدِ الحسَنَ والإِحسانَ جزوَهُمِ
ولا يَصُدِّكَ عن بذلِ الوُجُوهِ لَهُمِ
هم المَفاليسُ ما ذاقوا الغرامِ ولا
محمدُ المصطفى، ابنُ المَليحِ، أبو الز
الوافرُ العِظَمِ ابنُ الوافرِ العِظَمِ اب
المُرتضى المُجتبى المخصوصُ أحمدُ من
خيرِ النَبِيِّينَ والبرهانُ مُتَضَحٌّ

(1) الطلول: مفردھا طلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار.

(2) جَمٌّ: كثير.

(3) عَرَجٌ: ميل وانعطف.

(4) الكَلِيم: المُتَكَلِّم معه - الكَلِم: الكلام.

(5) اللواحي: اللاتمين والمعتمدين.

(6) أَمْوا: قصدوا واتجهوا نحو.

(7) نَرْتَبْ: نُشْك.

أَسْنَاهُمْ نَسَباً، أَزْكَاهُمْ حَسَباً
 طَهَّ الْمَنَادَى بِالْقَابِ الْعُلَا شَرْفاً
 عَزَّتْ جَلَالَتُهُ، جَلَّتْ مَكَانَتُهُ
 أَعْظَمَ بِهِ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ نَزَلَتْ
 يُنْبِي مُفْصَّلُهَا عَنْ عَزِّ مَرْتَبَةٍ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مِنْ أَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا
 بِرُتْبَةِ الْقَابِ، بِالْأَدْنَى بِحَظْوَتِهِ
 دَنَا وَنَالَ فَلَا ثَانٍ يَشَارِكُهُ
 أَتَى وَكَانَ نَبِيّاً عِنْدَ خَالِقِهِ
 ذُو الْجَاهِ حَيْثُ يَضُمُّ الْخَلْقَ مَحْشَرُهُمْ
 ذُو الْمَجْدِ حَيْثُ أَهْيَلُ الْمَجْدِ قَاطِبَةٌ
 ذُو الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي مِنْهَا الْكِتَابُ فَيَا
 يُتْلَى وَيَحْلُو وَلَا يَبْلَى وَلَيْسَ لَهُ
 قَلٌّ لِلَّذِي يَنْتَهِي عَمَّا يَحَاوِلُهُ
 كَمْ أَعْقَبَتْ رَاحَةً بِاللُّمَسِ رَاحَتُهُ
 وَالنَّيْرَانِ أَطَاعَاهُ، فَتِلْكَ بَدَتْ
 وَالْمَاءُ مِنْ أَصْبَعِيهِ فَاضَ فَيَضُ نَدَى
 فَرِيدُ حُسْنِ تَسَامَى عَنْ مُمَائِلَةٍ
 بَدْرُ الْكَمَالِ، كَمَا الْبَدْرِ مُكْتَسَبُ
 أَعْظَمَ بِهِ مِنْ نَبِيِّ سَيِّدٍ سَنَدِ

أَعْلَاهُمْ قُرْباً مِنْ بَارِي النِّسَمِ⁽¹⁾
 وَغَيْرُهُ بِالْأَسَامِي، ضَمَّنَ كُتُبِهِمْ
 عَمَّتْ هِدَايَتُهُ لِلْخَلْقِ بِالنُّعْمِ
 فِي مَدْحِهِ مُحْكَمُ الْآيَاتِ مِنْ حِكْمِ
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرَكَ وَلَمْ تُرْمِ⁽²⁾
 أَوْحَى، وَخَصَّصَهُ بِالْمُنْتَهَى الْعَظْمِ
 بِرُؤْيَا اللَّهِ، بِالْإِنْسَانِ، بِالْكَلِمِ
 فِي مَا حَوَاهُ مِنَ التَّخْصِيصِ وَالْكَرَمِ
 قِدَمًا وَأَدَمَ طِينٌ بَعْدَ لَمْ يَقُمْ
 وَلَا يُرَى غَيْرُهُ فِي الْكَشْفِ لِلْعُمَمِ
 تَسِيرُ تَحْتَ لِوَاهُ يَوْمَ حَشْرِهِمْ⁽³⁾
 بُشْرَى لِمُقْتَبَسٍ مِنْهُ بِكُلِّ جَمِ⁽⁴⁾
 مُبَدَّلٌ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ، فَاعْتَصِمِ
 مِنْ حَضَرٍ مُعْجَزٍ طَهَّ الطَّاهِرِ الشِّيمِ
 وَكَمْ مَحَا مِحْنَةً رِيْقٌ لَهُ بِفَمِ
 بَعْدَ الْأَفْوَلِ، وَهَذَا شَقٌّ فِي الظُّلَمِ⁽⁵⁾
 كَفَّيْهِ، مَرْدُودُ هَذَا مُعْدِمُ الْعَدَمِ
 فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحِكْمِ
 مِنْ نَوْرِهِ وَضِيَاءِ الشَّمْسِ، فَاعْتَلِمِ!
 هَادٍ، سِرَاجٌ مُنِيرٌ، صَفْوَةُ الْقُدَمِ

(1) أسناهم: أرفعهم وأعزهم.

(2) القاب: ما بين مقبض القوس وطرفها.

(3) أهيل: أهل - لواه: لوائه.

(4) المقتبس: من يطلب شعلة.

(5) النيران: الشمس والقمر - الأفول: الغياب.

بالبرُّ مُلتزِم، بالبرُّ مُعتَصِم
يسمو بمبتسم كالدرِّ منتظم⁽¹⁾
مُحمَّد الأمر في التبيان من حُكم
هذا بديعٌ وهذي آيةُ الأُمم
في حصرِ أوصافِهِ ضاقا ببعضِهِم
إذا تكررُ يُحيى بالي الرَّم⁽²⁾
في وصفهِ وقصورُ العقلِ كالعلمِ
وكلُّ حُسنٍ فمن إحسانِهِ العممِ
في الذُّكر من مدحِهِ في «نون والقلم»
والوجهُ كالبدْرِ يجلو حالكِ الظُّلمِ
كالبدْرِ حاشا تعالى كإمِلَ العِظَمِ
يَهْمِي، وغيثُ نداءهِ لا يزالُ هَمِي⁽³⁾
في حُبِّهِ غيرَ ممنوحٍ ومُغتَنِمِ
نورُ القرآنِ قرآناً من لَدُنْ حَكَمِ⁽⁴⁾
بشطرِهِ بعضُ ما في سيِّدِ الأُمَمِ⁽⁵⁾
للعالمينَ بإيجادٍ من العَدَمِ
في حُبِّهِ بالتفاني صارَ من لَزَمِي⁽⁶⁾
ولم تزل بالصفاء تسعى لهُ قدمي
نيلُ الوفاءِ ورؤاني من النغمِ

بالحقِّ مشغَل، في الخلقِ مُكتمَل
للبدلِ مغتنم، بالبشرِ مُتَّسِمِ
مُجمَّد الذُّكر في الفرقانِ بالعِظَمِ
جَمالُ صورَتِهِ عنوانُ سيرَتِهِ
ولو غدا البحرُ جِبراً والفُضا ورَقاً
وذكرُهُ كاد، لولا سُنَّةٌ سبَقَتْ،
علا عَنِ المثلِ فالتشبيهُ مُمتنعٌ
إذ كلُّ حُسنٍ مفاضٌ من محاسنِهِ
محمَّد اسمُهُ نعتٌ لجُمْلَةٍ ما
عُلاه كالشَّمسِ لا يَخفى على بَصَرِ
ولو كانَ ثَمَّ مثيلٌ قلتُ «طلعتُهُ»
قالوا: هو الغيثُ، قلتُ الغيثُ أَوْنَةُ
يُعطي العُفاة أمانِيَهُمْ فلستَ ترى
في النورِ لاح عُلاه لا نَظيرَ لهُ
حازَ الجَمالَ فما في حَسَنِ مُتَّصِفِ
هو الحبيبُ من الرَّحْمَنِ رَحْمَتُهُ
غوثُ الوري، كعبةُ الآمالِ، ملتزمي
جَرَدْتُ حُجِّي لهُ من كلِّ مفسِدَةٍ
بحرُ الوفاءِ دعاني بالوفاءِ إلى

(1) البذل: العطاء والجود - متَّسِم: متَّصف - المبتسم: الفم - الذُّر: اللؤلؤ.

(2) الرَّم: مفردُها رَمَّة: العظام البالية.

(3) الغيث: المطر - يَهْمِي: يهطل.

(4) من لَدُنْ فلان: من عند فلان.

(5) حاز: ملك.

(6) اللَّزَم: الواجبات التي لا يمكن تركها.

عَمَّنْ جَلَا غَمَمِي بِالْعَزْمِ وَالْهَمِّ
 حَازُوا غُلَا الْفَضْلِ مَذْ فَازُوا بِسَبْقِهِمْ
 وَالْحَافِظُو الْجَارِ حِفْظَ الْعَهْدِ وَالذَّمِّ
 وَيَسْلُبُوا ضَرَرَ الْإِمْلَاقِ بِالْكَرَمِ⁽¹⁾
 خَضِرُ الْمَرَابِعِ بِيضُ الْفَعْلِ فِي سَلَمِ
 بُدُورٍ تَمَّ بَدَتْ فِي حُنْدَسِ الظُّلَمِ⁽²⁾
 وَهِيَ الْمَوَاضِي عَلَى اسْتِصَالِ كُلِّ عَمٍ
 فِي أَفْقٍ مَلَّتِهِ الْبَيْضَا بِهَيْدِهِمْ⁽³⁾
 وَلَا يَشِينُ الثُّقَى بِاللِّمِّ وَاللِّمَمِ
 فِيهِ خَلِيفَتُهُ الصَّدِيقُ ذُو الْقَدَمِ
 وَفَدُّ وَلَا يَبْخَلُوا بِالرَّفْدِ فِي الْعَدَمِ⁽⁴⁾
 آمَنْتُ خَوْفِي وَنَجَّانِي مِنَ النَّقَمِ⁽⁵⁾
 إِلَّا وَبَلَّغَنِي فَوْقَ الَّذِي أَرُمُ
 لِي فِيهِ وَبَلَ عَطَا مِنْ دِيْمَةِ النَّعَمِ⁽⁶⁾
 وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَدْعُو إِلَى الْكَرَمِ
 أَحْبَابِهِ فَهَنَائِي غَيْرُ مَنْحَسِمِ⁽⁷⁾
 فِيهِ وَحُسْنُ امْتِدَاجِي فِيكَ مَخْتَمِي

بَلَّغْتُ مَا رُمْتُ مِنْهُمْ فَلَمْ أَرُمُ
 وَأَفْرَدُهُ الْمَدْحَ وَاسْتَثْنِي بِمَدْحِكَ مَنْ
 الْبَاذِلُو النَّفْسِ بِذَلِّ الْمَالِ مِنْ يَدِهِمْ
 لَا يُسْلِبُونَ بِفَضْلِ اللَّهِ مَا وَهَبُوا
 سُودُ الْوَقَائِعِ، حُمْرُ الْبَيْضِ فِي حَرْبِ
 كَانَهُمْ فِي عَجَاجِ النَّقْعِ حِينَ بَدَا
 لِلْجَمْعِ فَلُّوا وَمَا فَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ
 هُمْ النُّجُومُ فَمَا أَسْنَى مَطَالِعُهُمْ
 لَا يَمَزُجُ الشُّكُّ مِنْهُمْ صَفْوٌ مَعْتَقِدِ
 بِالسَّبْقِ فَازُوا بِتَخْصِيصِ، تَقَدَّمَهُمْ
 لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ لَا يُضَامَ لَهُمْ
 طَهَ الَّذِي إِنْ أَخَفَ ذَنْبِي وَلَذْتُ بِهِ
 وَلَا طَمَحْتُ إِلَى نَيْلٍ مِنَ الْكَرَمِ
 مَا هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا شِمْتُ بَرَقَ وَفَا
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ سُؤْلِي مِنْكَ غَيْرُ خَفٍ
 حَسْبِي بِحُبِّكَ أَنَّ الْمَرْءَ يُحْشَرُ مَعَ
 مَدَحْتُ مَجْدَكَ وَالْإِخْلَاصُ مِلَّتَزَمِي

قال ابن عربي :

- (1) الإملاق: الفقر.
- (2) العجاج والنقع: الغبار - الحندس: شديد السواد.
- (3) ما أسنى النجم: ما أشد نوره.
- (4) يُضام: يُظلم - الرفد: الوصل والعطاء.
- (5) لذت به: لجأت إليه.
- (6) وفا: وفاء - عطا: عطاء.
- (7) منحسم: مقطوع.

النُّورُ سِتْرُ الَّذِي الْأَظْلَامُ تَحْجُبُهُ
وَقُلْ بِهِ كَرَمًا إِنْ كُنْتَ ذَا كَرَمٍ
مَا أُسْدِلَ السَّتْرُ إِلَّا أَنْ يَصُونَهُ بِهِ
إِذَا أَرَدْتَ تَرَى مَا لَا تَرَاهُ فَكُنْ
لَهُ الْإِحَاطَةُ لَيْسَتْ لِي فَأُظْلِمُهَا
لَا شَيْءَ أَعْلَمَ بَعْدَ اللَّهِ مِنْهُ سِوَى
هُوَ الْمُفْضَلُ مَا فِي النُّونِ أَجْمَلُهُ
فَهَذِهِ حِكْمٌ جَاءَتْكَ مِنْ حِكْمٍ
فَالْعِلْمُ فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ وَالظُّلَمِ

عَنَّا وَتَرْفَعُهُ مَفَاتِيحُ الْكَرَمِ⁽¹⁾
فَإِنَّمَا الْكَشْفُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلَمِ
وَجَهَ الْكِيَانِ مِنَ الْإِحْرَاقِ وَالْعَدَمِ
بِهِ عَلَى قَدَمٍ عَلِيَاءٍ مِنْ قَدَمٍ
فَإِنَّهَا قَدْ تُؤَدِّينِي إِلَى النَّدَمِ
نُونِ الدَّوَاةِ فِرَاسُ السَّيِّدِ الْقَلَمِ
رَبُّ الْعِبَادِ بِمَنْشُورٍ وَمُنْتَظَمٍ
لَهُ التَّحَكُّمُ فِي الْأَلْبَابِ بِالْحِكْمِ⁽²⁾
أَقْوَى ظَهُورًا مِنَ الْعِرْفَانِ فِي الْكَلِمِ

153

قال بهاء الدين زهير واصفاً حنينه وشوقه لمحبوبه:

سَلَامِي عَلَى مَنْ لَا يَرُدُّ سَلَامِي
وَإِنِّي عَلَى مَنْ لَا أَسْمِيهِ عَاتِبٌ
فَكُنْ بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَوَدَّةٍ
يُحَقُّ لَكُمْ هَذَا التَّصْلَفُ كُلُّهُ
حَفِظْتُ لَكُمْ وَدًّا أَضَعْتُمْ عُهْدَهُ
أَجِنَّ إِلَيْكُمْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
فَلَا تَنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى

لَقَدْ هَانَ قَدْرِي عِنْدَهُ وَمَقَامِي⁽³⁾
فَيَا رَبَّ لَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ كَلَامِي
وَكُنْ بَيْنَنَا مِنْ مَوْثِقٍ وَذِمَامٍ⁽⁴⁾
لِعِلْمِكُمْ وَجَدِي بِكُمْ وَغَرَامِي⁽⁵⁾
فَهَا هُوَ مَخْتومٌ لَكُمْ بِخَتَامِي
وَأَهْذِي بِكُمْ فِي يَقْظَتِي وَمَنَامِي⁽⁶⁾
إِلَيْكُمْ فَذَاكَ الطَّيِّبُ فِيهِ سَلَامِي

(1) الستر الغطاء.

(2) الألباب: العقول.

(3) هان قدرتي: قل.

(4) الذمام: العهد والأمان.

(5) التصلف: التكبر - الوجد: الحب.

(6) أهذي: أتكلم كلاماً غير مفهوم.

فَهَلْ عَائِدٌ مِنْكُمْ رَسُولِي بِفَرْحَةٍ كَفَرْحَةِ حُبْلَى بُشِّرَتْ بِغُلَامٍ
وَيَرْتَاخُ قَلْبِي لِلضَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَعَيْشٍ مَضَى لِي عَنْهُمْ وَمَقَامِي
وَأَهْوَى وَرُودَ النَّيْلِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَمُرُّ عَلَى قَوْمٍ عَلَيَّ كِرَامٍ

154

قال التلعفري مادحاً:

بِأَبِي أَنْتَ، يَا خَلِيلِي، وَأُمِّي أَنْتَ وَاللَّهِ سَيِّدِي، لِي حُسَامٌ⁽¹⁾
كَيْفَ أَخْشَى ذُلِّي وَلِي مِنْكَ عَزٌّ فِيهِ لِلنَّائِبَاتِ أَعْظَمُ حَسَمٍ⁽²⁾
نَطَمْتُ فَيْكَ لِلْمَعَالِي عُقُوداً مَا تَرَقَّتْ إِلَيْهِ هِمَّةٌ نَجَمٍ
اللِّيَالِي عِنْدِي ظَلَامٌ وَظُلْمٌ مَعْجَزَاتٍ جَمِيعٌ نَثْرِي وَنَظْمِي
بَعْدَ ذَا اللَّمَى وَذَاكَ الظُّلْمِ⁽³⁾

155

قال ابن عربي:

مَقُولَاتُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَحْضُورَةُ الْكَمِّ بِجَوْهَرِ أَغْرَاضٍ مَعَ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ⁽⁴⁾
وَتَثَلُّوْا إِضَافَاتٍ وَوَضَعُ مَحَقِّقٍ وَلَفْظُ مَتَى وَالْأَيْنُ مِنْهَا لِذِي أَمٍّ⁽⁵⁾
وَفَاعِلُ أَشْيَاءٍ وَمُنْفَعِلٌ لَهُ وَمَا ثَمَّ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْحُكْمِ⁽⁵⁾
وَقَدْ قَسَمُوا لَفْظِي فَلَفْظُ مُحَقِّقٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كَمَا جَاءَ فِي الْعِلْمِ
وَأِنْ قَدَّمُوا الْمَعْنَى عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَيُّ لَفْظٍ لِذِي فَهْمٍ

(1) بآبي وأمي: أي أفديك بهما.

(2) الحسام: السيف - النائبات: الحوادث - والمصائب - الحسم: القطع والفصل.

(3) اللمى: سمره في الشفة مستحسنة - الظلم: بريق الأسنان وماؤه.

(4) جوهر الشيء: حقيقته الثابتة ضد العَرَض.

(5) ما ثَمَّ: أي لا يوجد.

وَقَدْ حَصَرُوا فِي الْمُفْرَدَاتِ حَقَائِقًا
وَيَثْلُوهُ مَا يَخْتَصُّ مِنْهُ بِذَاتِهِ
فَتَقْتَنِصُ الْأَفْرَادُ بِالْحَدِّ وَالَّذِي
فُبُرْهَانُ تَحْقِيقِ بُرْهَانُ رَافِعٍ
وَمَا نَمَّ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ فَحَقَّقُوا
فإِنِّي أَتَيْتُ الْأَمْرَ فِي ذَاكَ قَاصِدًا
وَهَذِي عُلُومٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهَا بَدَا
وَمَا لَفْظُهُ إِلَّا مِثَالُ مُحَقِّقٍ

كَجَنَسٍ وَنَوْعٍ ثُمَّ فَضْلٍ بِلا قِسْمٍ
وَعَارِضُ أَمْرٍ أَقْلُ ذَاكَ عَنْ وَهْمٍ
تَرَكَّبَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ فِي عِلْمِي
وَبُرْهَانُ إِفْصَاحٍ وَسَفْسَطَةُ الْخَصْمِ⁽¹⁾
وَلَا تَكُ مِنْ أَهْلِ التَّحَكُّمِ وَالظُّلْمِ
فَقُلْ وَتَنَزَّهْ عَنْ مَلَامِي وَعَنْ ذَمِّي
لِعَيْنِ سَنَاها فِي الْإِضَاءَةِ كَالنَّجْمِ
لَهَا فَاَنْظُرُوهُ بِالتَّقَاسِيمِ فِي الْقِسْمِ

156

قال الشاب الظريف نادياً حظه التمس في مطلع إحدى مدحه:

أَمَلٌ سَعَيْتُ أَجْدُ فِي إِمَامِهِ
وإِلَى مَتَى يَسْعَى الزَّمَانُ لِنَقْضِ مَا
وَإِذَا الْفَتَى قَعْدَتْ قَوَائِمُ حَظِّهِ
أَأَذَلُّ فِي أَيَّامٍ مَنْ قَدْ كَانَ لِي
أَيْنَ الْمَرْوَةِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّ مَنْ
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَ قَوْمٍ رَبِّمَا
تَعَسَّ الشَّبَابُ فَمَا سَعَدْتُ بِشَرْخِهِ
أَمْكَلْفِي ذَنْبَ الزَّمَانِ وَلَيْسَ لِي

فَعَلَامَ حَلٍّ الدَّهْرُ عَقْدَ نِظَامِهِ⁽²⁾
أَسْعَى بِكُلِّ الْجَهْدِ فِي إِبْرَامِهِ⁽³⁾
قَامَ الرَّدَى مِنْ خَلْفِهِ وَأَمَامِهِ⁽⁴⁾
ظَنُّ بَنِيْلِ الْعِزِّ فِي أَيَّامِهِ؟
لَقِيَ إِلَيْكَ ذِمَامَهُ بِزِمَامِهِ⁽⁵⁾
كُبِّرَتْ فُضَائِلُهُ عَلَى أَقْوَامِهِ⁽⁶⁾
وَلَقَدْ شَقِيتُ بِظُلْمِهِ وَظَلَامِهِ⁽⁶⁾
ذَنْبٌ يُؤَاخِذُنِي عَلَى إِجْرَامِهِ

- (1) السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والفرض منه إفحام الخظم وإسكاته.
- (2) أجْدُ: أسعى بكل جهدي - حلٌّ: فك - نظامه: النظام السلك الذي ينظم العقد.
- (3) النقض: إفساد الشيء بعد إحكامه.
- (4) الردى: الموت.
- (5) الذِّمَامُ: العهد والأمان - بزمامه: يقصد بنفسه.
- (6) شَرِّخَ الشَّبَابُ: أوَّلُه ونضارته.

الرِّزْقُ أَحْقَرُ أَنْ أَضِيعَ مُدَّتِي بِالْعَذْرِ عِنْدَ سِوَاكُمْ وَمَلَامِي

157

قالت عائشة الباعونية مادحة النبي ﷺ:

نَبِيِّ بَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نَوْرِهِ الْأَسْمَى
وَأَبْدَعَ كُلَّ الْكَائِنَاتِ لِأَجْلِهِ
وَحَصَّصَهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ
وَأَشْهَدُهُ ذَاتاً وَعَرَفَهُ حَلِي
وَنَبَأَهُ قَدْماً فَأَعْظَمَ بِفَاتِحِ
وَأَرْسَلَهُ فَضْلاً إِلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
وَأَفْرَدَهُ بِالْأُولِيَةِ مَطْلَقاً
وَفِي الْعَهْدِ يَوْمَ الذَّرِّ تَقْدِيمُهُ جَلّاً
وَفِي قَسَمِ الْمَوْلَى لَهُ بِحَيَاتِهِ
وَأَعْلَاهُمْ قَدْراً وَأَشْرَفُهُمْ عُلاً
وَأَرْفَعُهُمْ ذِكْراً وَأَعْظَمُهُمْ تَقَى
وَأَعْدَلَهُمْ حُكْماً وَأَرْجَحُهُمْ نَهْيَ
وَأَكْمَلَهُمْ ذَاتاً وَأَطْهَرَهُمْ حَلِي
وَأَعْظَمُهُمْ بَأْساً وَأَمْنَعُهُمْ حِمَى
وَحَسْبُكَ بُرْهَاناً عَلَى ذَاكَ أَنَّهُ

وَلَا عَرْشَ مَوْجُودٌ وَلَا حَادِثٌ يُسَمَّى (1)
لِيَجْلُزَ عَلَيْهَا مَظْهَرُ الرَّحْمَةِ الْعُظْمَى
وَأَوْدَعَهُ سِرّاً وَوَسَّعَهُ عِلْماً
وَمَكَّنَهُ قُرْباً وَصَرَّمَهُ حُكْماً
نُبُوتُهُ لِلْأَنْبِيَاءِ غَدَتْ خَتْماً (2)
وَاسْبَغَ فِي إِرْسَالِهِ الْفَضْلَ وَالنِّعَمَ
بِكُلِّ كِمَالٍ لَا يُرَامُ لَهُ مَرْمَى
عَلَاهُ عَلَى الْأَعْيَانِ قَاطِبَةً حَتَمًا
أَجَلٌ نَظَرًا تَلْقَاهُ أَوْفَرُهُمْ قِسْمًا
وَأَكْرَمُهُمْ جَاهًا وَأَثْبَتَهُمْ عَزْمًا
وَأَوْسَعَهُمْ عِلْماً وَأَجْوَدُهُمْ فَهْمًا (3)
وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَأَكْثَرُهُمْ حِلْمًا (4)
وَأَجْمَلُهُمْ وَجْهًا وَأَشْرَفُهُمْ جِسْمًا
وَأَصْدَقُهُمْ قِيلاً وَأَحْمَدُهُمْ اسْمًا (5)
بِهِمْ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ قَاطِبَةً أُمَّا (6)

(1) براه: خلقه - الأسمى: الأعلى.

(2) نبأه: خبره.

(3) التقى: الورع والخوف من الله في كل حال.

(4) النهى: العقل.

(5) القيل: القول.

(6) أمّا: أمّهم أي كان إماماً لهم.

وقامَ مقاماً لم يقم غيره به
وشاهد آياتِ الإله ومآلها
وخصَّصَ في يومِ الجزاءِ بشفاعةٍ
وحشُرُ جميعِ الرُّسلِ تحتَ لوائِهِ
ولولا ضيائه لآخَ في وجهِ آدم
تحيّةُ إعظامٍ لمجدِ محمّدٍ
عليه مِنَ الرَّحْمَنِ أَزكى صلاتِهِ
مدى الدَّهرِ ما انهَلْتُ سحابُ وَضْلِهِ
مكيناً بقابِ القُربِ مستعمِلاً حَزْماً
يسُعدى عن المقصودِ كلاً ولا سَلْمِي
تَعَمُّ بحسنائها إذا قَلِقُوا غَمًّا⁽¹⁾
فللَّهِ ما أسنأه مجدداً وما أسما
لما أمرَ الأملاكُ أن يسجُدوا لزما
نبيِّ الهدى الماحي بأنوارِهِ الظُّلَمَا
صلاةٌ بحقِّ الحقِّ تستهلكُ الوهما
ووافى غياثُ اللّهِ بالمننِ العُظْمَى⁽²⁾

158

قال صفي الدين الحلبي يصف عازف عودٍ من الغلمان:

شجى وشقى، لما شدا وترنما،
وجسّ من الأوتارِ مُثنى ومثلثاً،
أغنّ كأنَّ العودَ ضمَّ صدئ له،
يُحاكيه في الحالين صوتاً ولهجةً،
إذا رتلت ألفاظهُ الشعرَ مُعرباً،
له منطقٌ يَسْتَنزِلُ القَطَرَ عندما
يضمّ إلى نهديه عوداً تظنّه
كأن حشاه ضمّ سراً مكثماً،
فأنعَسَ أيقاظاً وأيقظَ نوماً⁽³⁾
فحقّت بنا الأفراحُ فذاً وتوأمًا⁽⁴⁾
يُحاكيه في ألفاظِهِ إن تكلّما
فقد كاد يُلْفَى ضاحكاً متبسّماً
أعادت لنا أوتارُهُ اللَّفْظَ مُعْجَماً
يحرّكُ في الأوتارِ كَفّاً ومعضماً
نسيماً مُجَزّاً، أو نعيماً مُجسّماً
يُمَوِّه عنه، أو حديثاً مُجمّماً⁽⁵⁾

(1) الجزاء: الجزاء.

(2) انهلت: هطلت: وانسكبت.

(3) شجى: أخزن - شدا: غنى - ترنما: طرب بصوته وتغنّى.

(4) جسّ: مَسّ - مثنى ومثلثاً: من أوتار العود - فذاً: فرداً.

(5) الحديث المجمع: الحديث غير المفهوم وغير الواضح.

يُطَارِحُنَا شَرْحَ الضَّرُوبِ مُبْرِهِنًا ، فَنَأْخُذُ نَقْلَ اللَّفْظِ عَنْهُ مُسَلِّمًا
وإن حَرَكَتُهُ الْكَفُّ أَبَدَى تَمَلُّمًا ، فَحَرَّكَ مِنَّا يَذْبُلًا وَيَلْمَلَمًا

159

قال ابن نباتة مادحاً الملك الأفضل ويعزيه بوفاة والده الملك المؤيد الأيوبي :

هِنَاءٌ مَحَا ذَاكَ الْعَزَاءَ الْمَقْدَمًا فَمَا عَبَسَ الْمَحْزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا
ثَغُورُ ابْتِسَامٍ فِي ثَغُورِ مَدَامِجٍ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا
نَرْدُ مَجَارِي الدَّمْعِ وَالْبِشْرِ وَاضِحٌ كَوَابِلِ غَيْثٍ فِي ضُحَى الشَّمْسِ قَدْ هَمَى⁽¹⁾
سَقَى الْغَيْثُ عَنَّا ثُرْبَةَ الْمَلِكِ الَّذِي عَهْدُنَا سَجَايَاهُ أَبَرَّ وَأَكْرَمَا⁽²⁾
وَدَامَتْ يَدُ النِّعْمَى عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي تَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ الْجَمَى⁽³⁾
مَلِيكَانِ هَذَا قَدْ هَوَى لِضَرْيَحِهِ بِرَغَمِي ، وَهَذَا لِلْأَسْرَةِ قَدْ سَمَا⁽⁴⁾
فَقَدْنَا لَأَعْنَانِ الْبَرِيَةِ مَالِكَا وَشِمْنَا لَأَنْوَاعِ الْجَمِيلِ مُتَمَّمَا⁽⁵⁾
إِذَا الْأَفْضَلُ الْمَلِكُ اعْتَبَرَتْ مَقَامُهُ وَجَدَتْ زَمَانَ الْمَلِكِ قَدْ عَادَ مِثْلَمَا⁽⁶⁾
أَعَادَ مَعَانِي الْبَيْتِ حَتَّى حَسِبْتُهُ بِوَزْنِ الثَّنَا وَالْحَمْدِ بَيْتًا مُنْظَمًا
وَنَادَاهُ مُلْكٌ قَدْ تَقَادَمَ إِزْنُهُ فِقَامَ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا وَتَقَدَّمَا
تَقَابَلُ مِنْهُ مُقْلَةُ الدَّهْرِ سُودَدَا صَمِيمًا وَتَنْضُو الرَّأْيَ عَضْبًا مُصَمَّمَا⁽⁷⁾
وَيَقْسِمُ فِينَا كُلَّ سَهْمٍ مِنَ النَّدَى وَيَبْعَثُ لِلْأَعْدَاءِ فِي الرَّوْعِ أَشْهُمَا

(1) البشر : طلاقة الوجه - الوابل : المطر الغزير - همى : هطل .

(2) السجايا : الصفات .

(3) عز : أصبح عزيزاً أي منيعاً .

(4) الضريح : القبر .

(5) شمنا : تطلعننا مترقين .

(6) مثلما : أي مثلما كان .

(7) المقلة : العين - السودد : السيادة - ينضو السيف : يخرج من غمده ويشهده في وجه غريمه .

فَعِشْ لِلوَرَى واسْلَمْ سَعِيداً مُهَنّاً
وَسِرْ فِي أمانِ اللَّهِ قُدْماً بِفَضْلِهِ
أَعَدْتَ زَمَانَ الْبِشْرِ والجودِ والثَّنَا
إلى أن ملأت العين والأنف والفَمَا
فَحَظُّ الْوَرَى فِي أن تَعِشَ وَتَسْلَمَ⁽¹⁾
أَسَرَّ الْوَرَى مَسْرَى وَأَيَمَنَ مَقْدَمَا

160

قال ابن عربي :

عَلَيْكَ بِحِفْظِ النَّفْسِ فالأمرُ بيِّنُ
يَصُونُ بِحُكْمِ الْحَالِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ
وإنَّ وُجُودِي صائِنٌ مَنْ عِلْمَتَهُ
فَيَحْفَظُنِي وَفْتاً وَوَفْتاً أَصُونُهُ
فَمَا تَمَّ إِلَّا الْكَشْفُ مَا تَمَّ غَيْرُهُ
إِذَا كَانَ مَخْدُومِي الَّذِي قَدْ تَرَكْتُهُ
إِذَا كَانَ مَظْلُوبِي وَمَنْ هُوَ غَايَتِي
أَرَى فِثْيَةً عَمِيَاءَ جَاءَتْ لِنُضْرَتِي
فَحَصَلْتُ مِنْهَا كُلَّ خَيْرٍ وَإِنِّي
وَمَا أَنْتَ فِيهَا ذُو نَوَاءٍ نَوَيْتَهُ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَرْحَلْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَقُمْ
فإنَّ وُجُودَ الْقَشْرِ لِلْبِّ صائِنُ
فَمَا يَذْرِي مَا تَحْوِي عَلَيْهِ الْمَصَاوِنُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْحَقِّ فِيهِ تَبَائِنُ
وَيَذْرِي الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ مَنْ يُعَايِنُ⁽²⁾
وَمَا بَعْدَ عِلْمِ الْعَيْنِ عِلْمٌ يُوَاظِنُ
بَبَسْطَامَ خَلْفِي قُلْ لِمَنْ أَنَا سَادِنُ⁽³⁾
وَيَذْرِي فَمَا فِي الْعَالَمِينَ تَغَابُنُ
تَقُولُ لَنَا بِالْحَالِ أَنْتَ الْمُفَاتِنُ
أَسَايِفُ أَوْقَاتاً وَوَفْتاً أَطَاعِنُ⁽⁴⁾
وَلَا أَنَا عَنْهَا بِالْجَمَاعَةِ ظَاعِنُ⁽⁵⁾
فَمَا الْأَمْرُ إِلَّا كَائِنٌ وَهُوَ بَائِنُ⁽⁶⁾

161

يقول التلعفري وقد هاجت الأشواق في قلبه حيناً إلى دمشق :

- (1) الوری: الناس.
- (2) يعاین: ينظر ويتأمل ويتفكر.
- (3) السادن: الخادم في الأماكن ذات الطابع الديني.
- (4) أسایف: أحارب بالسيف - أطعان: أطعن بالرمح.
- (5) ظاعن: مسافر.
- (6) البائن: البعيد المفارق.

يَهِيحُ بِالنَّيْلِ بِي شَوْقِي إِلَى بَرَدِي
اللَّهُ يَا وَرْقُ فِي عَانِي الْحَشَا وَصَب
يَقُولُ، وَهُوَ بِمَصْرِ عِنْدَ حَاجِرِهَا
جَادَتِكَ يَا شَرَفَ الْمِيدَانِ سَارِيَّةُ
وَدُبَّجَتْ لَكَ يَا سَطْرِي سُطُورَ رَبِّأُ
وَفَاحَ يَا وَادِي الشَّقَرَاءِ مِنْكَ شَذَا
وَرَأَقُ مَاؤُكَ يَا ثُورَا وَلَا بَرَحَتْ
وَدَامَ دَفْقُكَ يَا بَانَأْسُ مَتَّصِلَا
تِلْكَ الْجَنَانُ الَّتِي حَيْثُ التَّفَتُّ تَرَى
تَدْعُوكَ فِيهَا إِلَى اللَّذَاتِ أَرْبَعَةُ
ظِلُّ ظَلِيلٍ وَمَاءٌ بَارِدٌ غَدِيقُ

إِنَّ وَمَنْ بَرَدِهِ ظَمَانٌ لَهْفَانُ⁽¹⁾
صَبُّ لَهُ مِنْ رَبِّأُ جَيَّرُونَ جِيرَانُ⁽²⁾
لَيْسَ اللَّبَانَةُ إِلَّا حَيْثُ لَبْنَانُ⁽³⁾
وَلَا تَعْدَاكَ هَامِي الْوَدْقِ هَتَّانُ⁽⁴⁾
مِنَ الرِّيَاضِ لَهَا بِالزَّهْرِ أَلْوَانُ⁽⁵⁾
يَضِيعُ حِينَ يَضُوعُ الْوَرْدُ وَالْبَانُ⁽⁶⁾
تَمِيلُ فَوْقَكَ بِالْأَطْيَارِ أَغْصَانُ
حَتَّى يُرَى كُلُّ ظَامٍ وَهُوَ رَيَّانُ⁽⁷⁾
قَضْرًا مَشِيدًا بِهِ حُورٌ وَوَلْدَانُ
بَيْعُ الْحَيَاةِ بِهَا مَا فِيهِ خَسْرَانُ
وَجَوْسَقُ مَشْرِفٍ عَالٍ وَبُسْتَانُ⁽⁸⁾

162

وقال بهاء الدين البهائي (*) راثياً مدينة دمشق عندما هاجمها تيمورلنك،
واصفاً ما حلَّ بها من تدمير وقتل وسبي على أيدي التتار:

- (1) ظمآن: عطشان - لهفان: متلهف مشتاق.
 - (2) الورق: الحَمَام - العاني: المريض المتعب - الوَصْب: الموجع والمرض - الصَّبُّ: المحب المتشاق - جيرون: يقصد دمشق.
 - (3) اللبانة: الحاجة.
 - (4) السارية: الغيمة - الودق: المطر - همي وهتن: هطل.
 - (5) دُبَّجَتْ: زُيِّنَتْ وَوُشِّحَتْ.
 - (6) يضوع العطر: يفوح وينتشر.
 - (7) باناس وثورا: من فروع بردى.
 - (8) الجوسق: الحصن أو القصر - غدق: غزير.
- (*) بهاء الدين البهائي: شاعر دمشقي من أصل تركي، عاش في دمشق وتوفي فيها سنة 815هـ - وقد تردد إلى القاهرة عدة مرات - وله شعر في الوصف وفي أغراض أخرى.

لهفي على تلك البروج وحُسنها
 لهفي على وادي دمشق ولُطفه
 وشكا الحريق فؤادها لما رأت
 جَنّاتها في الماء منها أضرمت
 كانت معاصم نهرها فضيَّة
 ما ذاك إلا تُركهم وَلَجَتْ بها
 كرهت جداولها حوافر خيلهم
 خافت خدود الأرض من أفعالهم
 لو عاينت عيناك جامع تنكز
 وتعطش المَرَجين من أورادها
 لاذت جفونك بالدموع ملونا
 قطرات جفن ترجمت عن حُرقتي
 أبني أميَّة أين يُمن ولِيدكم
 شربوا الخمر بصُخنه حتى انتشوا
 لم يرحموا طفلاً بكى فقلوبهم
 قَصّوا جناح النسر عند نهوضه
 الواحه أجرت دموعي أسطراً
 إن أنكروا يوم الحساب فعَالهم

حَفَّتْ بهنَّ طوارقُ الحَدَثانِ⁽¹⁾
 وتبدَّل الغزلان بالثيرانِ
 نُورُ المنازل أبدلت بِدُخانِ
 فَعَجِبْتُ لِلجَنّاتِ في النيرانِ
 والآن صِرْنَ كذائب العُقَيانِ⁽²⁾
 فتخَضَّبَتْ منها بأحمر قانِ⁽³⁾
 فتسابت هرباً كخيل رهانِ
 فَتَلَثَّمَتْ بعوارضِ الريحانِ
 والبرُكَّتَيْنِ بحسناها الفَتَّانِ
 وتهدَّمُ المحراب والإيوانِ⁽⁴⁾
 دمعاً على اللولو مع المرجانِ⁽⁵⁾
 فكانهنَّ قلائدُ العُقَيانِ
 والمُغلُ تَقْتُلُ في ذُرَا الأركانِ⁽⁶⁾
 ألقوا عرابِدهم على النسوانِ⁽⁷⁾
 في الفتك صُخْرٌ لا أبو سفيانِ
 يا ليتَهُ لو فازَ بالطَّيرانِ⁽⁸⁾
 كُتِبَتْ على اللُّوحين من أجفاني
 فشَهِدنا عثمان ذو القرآنِ

(1) الحَدَثان: نواب الدهر ومصابه.

(2) العُقَيان: الذهب.

(3) تخَضَّبَتْ: صبغت.

(4) الإيوان: مجلس كبير على هيئة صَفَّة واسعة، لها سقف محمول من الأمام على عُقْد.

(5) اللولو: اللؤلؤ.

(6) المُغل: المغول.

(7) عرابدهم: العبيد هو من يؤذي الناس في سكره.

(8) جناح النسر: قصد به قسماً من الجامع الأموي فيه قَبَّة تدعى قبة النسر.

صارث معانيها بغير بيان
 في ذا المصاب فأنتما أختان
 فاستبدلت من عزها بهوان⁽¹⁾
 فكأنها الأفلاك في الدوران
 (هو أول وهي المحل الثاني)
 السَّبْقُ للشهباء في الأحزان
 وتحكمت في الحور والولدان
 ومقام فردوس وباب جنان⁽²⁾
 للقصر، للشرفين، للميدان
 للمزة الفيحا، أم اللوان⁽³⁾

لهفي على كُتُب العلوم ودرسيها
 أعروشنا لك أسوة بحماتنا
 غابت بدور الحسن عن هالاتها
 ناحث نواعير الرياض لفقدهم
 حُزني على الشهباء قبل حماتنا
 لا تدعي الأحزان يا شقراءنا
 رتعت كلاب المثل في غزلانها
 لهفي عليك منازلًا ومنازها
 لم أدر من أبكي وأندب حسرة
 للجبهة الغراء، أم خلخالها

163

قال ابن نباتة مادحاً الملك المؤيد:

فسطت على الآساد والغزلان⁽⁴⁾
 حتى بغيث عليه بالعقيان⁽⁵⁾
 إذ ليس حظي منه غير عيان⁽⁶⁾
 واصبوتي منه بأحمر قاني
 يا من رأى الجنات في النيران⁽⁷⁾

سلت صوارمها من الأجفان
 وتبسّمت عن لؤلؤ متمنع
 غيداء أستجلي البدور لوجهها
 تركية للقان ينسب خدّها
 خد يريك تنعماً وتلهباً

(1) الهوان: الذل.

(2) منازة: منتزهات.

(3) الغراء: البيضاء اللامعة.

(4) الصوارم: السيوف - سطا على الشيء: بطش به وقهره الآساد: الأسود.

(5) العقيان: الذهب الخالص.

(6) الغيداء: المتمايلة والمثنية بلين ورقة - العيان: المشاهدة.

(7) التلهب: الاشتعال والاستعار.

وكذا يكون الرّوضُ ذا ألوانٍ
 من أدْمعي فيها حَمِيماً ⁽¹⁾ آنٍ
 أو ما سَمِعتُ شَقائِقُ النُّعمانِ
 فتصوّلُ بالأسيافِ في الأَجْهانِ
 هزُّ الكُماةِ عَوالي المُرَّانِ ⁽²⁾
 عَطَفْتُ شَمائلُها بِمَا أرضاني
 وفعلتُ ما لا ظنُّهُ شَيْطاني
 لما رأيتُ العَفوَ حَظَّ الجاني
 فوجدتُ زُبْدَها مَتاعاً فاني
 في الفضلِ للملِكِ المؤيَّدِ ثاني ⁽³⁾
 حتّى أدكرنَ معاهدَ الأغصانِ
 أبصرتُ سِيرَ السَّيلِ من نَهْلانٍ ⁽⁴⁾
 وعلى العمادِ إقامةَ البُنْيَانِ
 وأفاضَ أنعمهُ بكلِّ مكانٍ
 مَدجِي أنا باللَّهِ والسُّلطانِ
 ووجدتُ للأوصافِ ملءَ لِساني ⁽⁵⁾
 ذكري فلو لم يُعطني لكَفّاني
 عنهم كَيْسُمِ اللّهِ في العنوانِ
 إنّ العلى والمجدَ للتعبانِ ⁽⁶⁾

ومحاسنُ تزهر وتخلّفُ عَهدَها
 كالجَنَّةِ الزهراءِ إلّا أنّ لي
 يَحمي نعيمَ حُدودِها أنْ يُجتنى
 ترنو لواحظُها إلى عُشاقِها
 ويهزُّ حلوَ قوامِها مَرَحُ الصَّبَا
 إنّ صَدَّها عني المشيبُ فطالما
 وبلغتُ ما لا سَوَّلَتُهُ شَبِيبَتِي
 وجَنيتُ من ثَمَرِ الذُّنوبِ تَعَمُّداً
 وحلبتُ هذا الدهرَ أَشْطَرُ عيشُهُ
 وسَبرتُ أخلاقَ الكرامِ فلم أجذُ
 ملكٌ ترنَّحتِ المنابرُ باسمِهِ
 بادي الوقارِ إذا احتبى وَحبا النَّدَى
 قامَتْ بسوْدُودِهِ مائِرُ بيتِهِ
 قَسماً بمنّ أعلى وأعلنَ مجدَهُ
 ما حادَ عني الفقرُ حتّى صَحْتُ في
 فوجدتُ للنعماءِ ملءَ مآربي
 ومَدَحْتُ من نَشَرْتُ مَدائِحُ مجدِهِ
 ملكاً أبرَّ على الأولى متأخراً
 تعبُ الأناملِ لا يَغِبُّ نوالُهُ

(1) الحميم: المصهور من المعادن والحجارة.

(2) الكُماة: جمع كمي وهو: الفارس الكامل السلاح والدرع.

(3) سَبرتُ: جَرَّيتُ واختبرت.

(4) نهلان: جبل.

(5) المآرب: الغايات والمطالب.

(6) الأنامل: مفردا أنملة: طرف الإصبع - يغبُ: يقلل - النوال: العطاء.

أعطى وقد منع الغمام وأرشدت
واعتادت الهيجاء منه غصنفراً
تتألف العقبان فوق رماحه
ويصح علم الكيمياء وسيفه
ويقول فيض فعليه ومقاله
يا مشتري سلع الثناء بماله
صانت يداك عن الأنام وسائلي
فمحوت إلا من ثناك خواطري
وتركت مدح العالمين وذمهم
وقمت متصل الرجاء بواحد
متسلسل الكلمات في أوصافه
لا يعدم الدهر الأخير بدائعاً
أكتال بالمكيال فضل هباته

آراؤه، والنجم كالحيران⁽¹⁾
سار من اليزني في خفان⁽²⁾
إلف الحمام على غصون البان⁽³⁾
فترى اللجين يعود كالعقيان⁽⁴⁾
مرج النهى بحرين يلتقيان
هنت مرتبة على كيوان
وثنى حماك عن البلاد عناني⁽⁵⁾
ونفضت إلا من نذاك بناني⁽⁶⁾
وشغلت عن هذا الندى في شاني
لم يختلف في الفضل منه اثنان
متقيداً بصنائع الإحسان
تنهال بين سماحة وبيان
وأبيح الأمداح بالأوزان⁽⁷⁾

* * *

164

قال صفي الدين الحلّي واصفاً ما يلاقيه من الصّباة والوجد:

لولا الهوى ما ذاب من حنينه صبّ أصابته عيون عينه⁽⁸⁾

(١) منع الغمام: أي: لم ينزل المطر. (2) الغصنف: الأسد.

(3) تتألف: تجتمع وتترافق. العقبان: جمع عقاب وهو النسر. البان: شجر.

(4) اللجين: الفضة. العقيان: الذهب.

(5) العنان: سير اللجام الذي تُمسك وتوجّه بها الدابة.

(6) البنان: الأصابع.

(7) أكتال بالمكيال: أزن بالميزان.

(8) الصبّ: المحبّ المشتاق.

مُتَيِّمٌ لَا يَهْتَدِي عُوَادُهُ،
 أَصْبَحَ يَخْشَى الظُّبْيَ فِي كِنَاسِهِ،
 يَعْتَذِرُ الرَّشْدَ إِلَى ضَلَالِهِ،
 يَا جِيرَةَ الْحَيِّ أَجِيرُوا عَاشِقًا،
 بَاطِنُهُ أَحْسَنُ مِنْ ظَاهِرِهِ،
 لَا تَحْسَبُوا مَا سَاحَ فَوْقَ خَدِّهِ
 وَإِنَّمَا ذَابَ جَلِيدُ قَلْبِهِ،
 إِلَّا بِمَا يَسْمَعُ مِنْ أُنَيْنِهِ⁽¹⁾
 وَلَا يَخَافُ اللَّيْثَ فِي عَرِينِهِ⁽²⁾
 وَيَقْرَأُ الْعَقْلُ عَلَى جُنُونِهِ
 مَا حَالَ عَنْ شَرِّ الْهَوَى وَدِينِهِ⁽³⁾
 وَظَنُّهُ أَوْضَحُ مِنْ يَقِينِهِ
 مَدَامِعاً تُسْفَحُ مِنْ عُيُونِهِ⁽⁴⁾
 فَطَرَفُهُ يَرْشَحُ مِنْ مَعِينِهِ⁽⁵⁾

165

قال البوصيري معاتباً أحد أصدقائه:

قُلْ لِعَلِّي الَّذِي صَدَّقْتُهُ
 أَخْوَكُ قَدْ عُوِّدْتَ طَبِيعَتُهُ
 وَالْآنَ قَدْ عَفَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ
 وَعَاوَدْتَ يَوْمَهَا زِيَارَتُهُ
 وَعَادَ عِنْدَ الْقِيَامِ يَحْمِلُهَا
 جِثْتُ بِهَا لِلطَّبِيبِ مُشْتَكِيًا
 عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَنَةً:
 بِشَرْبَةٍ فِي الرَّبِيعِ كُلِّ سَنَةٍ
 هَدَّتْ قُورَاهُ وَجَفَفَتْ بَدَنُهُ⁽⁶⁾
 وَمَا اغْتَرَاهَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ سَنَةٍ⁽⁷⁾
 بِرَاحَتَيْهِ كَأَنَّهَا زَمَنَةٌ⁽⁸⁾
 وَدَمَعَتِي كَالْعَوَارِضِ الْهَتِنَةِ⁽⁹⁾

(1) العوَاد: الزائرون عند المرض.

(2) الكناس: المكان الذي يلتجئ إليه الظبي بين الشجر - العرين: مأوى الأسد.

(3) حال عن: تحوّل وبدل طريقه.

(4) ساح: سال.

(5) الطرف: العين.

(6) عَفَنْتَ: فَسَدَتْ.

(7) اغترها: أصابها وحدث لها.

(8) الزمّة: المريضة، نقول زَمِنَ أَي مَرَضَتْ يَدُومَ زَمَانًا طَوِيلًا.

(9) العوارض: الغيوم التي تعترض الأفق - الهتنة: الهائلة.

فقال: عُدْ لي إذا اخْتَمَيْتَ وَكُلَّ
كَيْفَ وَصُولِي إِلَى الدَّجَاجَةِ وَالـ
جَزَاكَ رَبِّي إِذَا انْسَهَلْتُ بِمَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجَاجَةٌ دِهْنَةٌ⁽¹⁾
بَيْضَةٌ عِنْدِي كَأَنَّهَا بَدَنَةٌ؟⁽²⁾
شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَرْبَةٍ حَسَنَةٌ

قال صفي الدين الحلبي مادحاً الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل:

لَا رَاجَعَ الظَّرْفُ بِاللِّقَا وَسَنَّهُ،
طَالَ عَلَى الصَّبِّ عُمُرُ فُرْقَتِكُمْ،
صَبُّ أَجَابَ الْغَرَامَ، حِينَ دَعَا
لَمْ يَقْضِ مِنْ وَصْلِكُمْ لُبَانَتَهُ،
مَا عَرَفَ الشَّرْكَ فِي هَوَاهُ، وَلَا
وَلَوْ غَدَا، وَهُوَ عَابِدٌ وَثْنًا،
إِنْ كَرَّرَ الْعَاذِلُونَ ذِكْرَكُمْ،
مَا لَامَهُ لَا ئِمُّ لِيُحْزِنَهُ،
لَوْلَاكُمْ لَمْ تَبْتَ جَوَانِحُهُ
كَمْ ضَمَّنَ الدَّمْعَ رِيَّ غُلَّتِهِ،
لَا تُودِعُوا سِرَّكُمْ نَوَاطِرَهُ،
إِنْ ذَاقَ غَمَضًا مِنْ بَعْدِكُمْ وَسَنَهُ⁽³⁾
فَكُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْفِرَاقِ سَنَهُ⁽⁴⁾
طَوْعًا، وَأَلْقَى إِلَى الْهَوَى رَسَنَهُ
وَإِنْ قَضَى فِي هَوَاكُمُ زَمَنَهُ⁽⁵⁾
خَالَفَ دِينَ الْهَوَى وَلَا سُنَنَهُ
لَمَّا غَدَا غَيْرُ شَخْصِكُمْ وَثْنَهُ⁽⁶⁾
صَغَا، وَأَصْغَى إِلَيْهِمْ أُذُنَهُ
إِلَّا وَسَلَّى بِذِكْرِكُمْ حَزَنَهُ
حَرَى، وَلَا أَنْحَلَ الضَّنَى بَدَنَهُ⁽⁷⁾
فَمَا وَفَى بَعْدَكُمْ بِمَا ضَمِنَهُ⁽⁸⁾
فَهِيَ عَلَى السَّرِّ غَيْرُ مُؤْتَمَنَةٍ

(1) الدهنة: السمينه.

(2) البدنة: السمينه بقرة أو غيرها.

(3) الطرف: العين - الوسن والسنة: التعاس واشتداده.

(4) الصب: المحب المشتاق.

(5) اللبانة: الحاجة دون افتقار.

(6) الوثن: الصنم.

(7) الضنى: المرض.

(8) الغلة: الغليل، اشتداد حرارة الجوف.

وهي لإظهار سرِّكم خَوْنَهُ⁽¹⁾
والليلُ قد فضَّلَ الضَّحَى كَفَنَهُ
لَمَّا غَدَا الجَفْنُ جَافِياً وَسَنَهُ
أَنْ يَدِي بِالصَّنِيعِ مُرْتَهَنَهُ⁽²⁾
لَبُدَلْتُ سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَهُ
ذُلُّ فِي الصَّالِحَاتِ مَا خَزَنَهُ
يُقَلِّدُ الْوَفْدَ فِي النَّدَى مِنْنَهُ
لَأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِإِذْلَا سُفْنَهُ⁽³⁾
شِعْراً لَأَمْسَى مِنْ خَوْفِهِ لُحْنَهُ⁽⁴⁾
أَزَالَ مِنْ سِحْرِ لَفْظِهِ لُكْنَهُ⁽⁵⁾
كَسَائِلِ الْمَازِنِي مَنْ خَتَنَهُ
حَمَاسَةً بِالسَّمَاكِ مُقْتَرِنَهُ
كُلُّ أَفَاعِيلِهِنَّ مُتَّزِنَهُ
وَصَيُّرُوا أَنْفُسَ الْعِدَى ثَمَنَهُ
تِلْكَ الْمَسَاعِي، وَتَارَةً جُنَنَهُ⁽⁶⁾
وَاتَّبَعَتْ فِي اعْتِمَادِهَا سُنَنَهُ
رَفَهَا سَعْيِ الْحُجَّابِ وَالْخَزَنَهُ⁽⁷⁾
فَدَاهُ ذُو الْعَرْشِ بَعْدَمَا امْتَحَنَهُ
أَضَاقَ عَنْ حَمَلِ بَعْضِهِ عَظَنَهُ

نَوَاطِرُ بِالدَّمُوعِ وَافِيَةً،
وَرُبَّ لَفْظٍ فَسَّرْتُ مُجَمَّلَهُ،
سَاءَتْ ظَنُونُ الْحَسَادِ فِيَّ بِهِ،
لَمْ يَبْسُطُوا الْعُذْرَ لِي، وَلَا عَلِمُوا
وَلَوْ بِمَدْحِ الْمُؤَيَّدِ اعْتَبَرُوا
الْمَلِكُ الْجَامِعُ الْفَضَائِلَ وَالْبَا
يَمْتَنُّ لِلْقَابِلِي عَطَاءَهُ، وَلَا
مَلِكٌ لَوْ أَنَّ الْبِحَارَ تُشْبِهُهُ
وَلَوْ أَتَى الْأَصْمَعِيُّ يُنْشِدُهُ
وَلَوْ رَعَى الْكُنَّ عِبَارَتَهُ،
مُهِذَّبُ اللَّفْظِ فِي الْفَصَاحَةِ لَا
مِنْ آلِ أَيُّوبَ الَّذِينَ لَهُمْ
ذَوِي بَيُوتٍ فِي الْمَجْدِ سَالِمَةٍ،
هُمْ اشْتَرَوْا الْمُلْكَ غَالِيَا خَطَرًا،
طَوْرًا سِلَاحَ الْمَلِكِ الْعَقِيمِ تَرَى
يَا مَلِكًا دَانَتْ الْمُلُوكُ لَهُ،
وَمَنْ سَنَا بِشِرِهِ، وَنَائِلُهُ
وَالصَّادِقُ الْوَعْدِ فِي الْكِتَابِ وَمَنْ
أَوْسَعَتْ لِلْعَبْدِ مِنْ هِبَاتِكَ مَا

(1) خونة: مفردها خائن.

(2) مُرْتَهَنَةً: يقصد مقيدة.

(3) بإذلاً: معطياً.

(4) لُحْنَهُ: نقول لُحْنٌ بالكلام إذا لم يعرف التعبير أو خالف قواعد اللغة.

(5) الألكن: من صعب عليه الإفصاح لعلّة، أو لعجمة لسانه.

(6) طوراً: تارة أو مرة - الجنن: مفردها جُنَّة: كل ما وقى من سلاح وغيره.

(7) النائل: العطاء.

أَتَعَبْتَ بِالشُّكْرِ جُهْدَ مُهْجَتِهِ،
 أَنَسَهُ فَضْلُكُمْ، فَمَا طَلَبْتُ
 أَسْلَاهُ عَنْ أَهْلِهِ صَنِيعُكُمْ
 يُعْلِنُ بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، وَقَدْ
 مَا سَاءَهُ غَيْرُ قَوْتِ مُدَّتِهِ،
 فَلَا أَرْتَنَا الْآيَامُ فِيكَ رَدَى،
 وَعَمَّرَ اللَّهُ حَاسِدِيكَ لَكَيَّ
 كَأَتَمَّا بِالنَّعِيمِ مُتَّحَنَةً⁽¹⁾
 مَسَكَنَهُ نَفْسُهُ، وَلَا سَكَنَهُ
 بِهِ، وَأَنَسَاهُ ظِلُّكُمْ وَطَنَهُ⁽²⁾
 أَشْبَهَ فِي الْوُدِّ سُرَّهُ عِلَنَهُ
 وَمَا قَضَى تَحْتَ ظِلِّكُمْ زَمَنَهُ
 وَلَا أَمَاطَتْ عَنْ حَاسِدٍ حَزَنَهُ
 تَعِيشَ فِي الذَّلِّ عَيْشَةَ حَشِنَهُ⁽³⁾

167

قال البوصيري يروي ما حدث له مرةً عندما أراد أن يتصابى:

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ
 أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ:
 كَيْفَ أَغْصِي الْهَوَى وَطِينَةُ قَلْبِي
 سَلَبَتْهُ الرُّقَادُ بَيْصَةً خَذِرٍ
 سُمْتُهَا قُبْلَةً تُسَرُّ بِهَا النَّفْسُ
 قُلْتُ: لَا بُدَّ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الدَّا
 قُلْتُ: سِيرِي فَإِنِّي لَكِ خَيْرٌ
 وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُغُونُهُ؟⁽⁴⁾
 إِنَّ جَنِّي لَا يَدْخُلُ الْقَيْنَةَ⁽⁵⁾
 بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونُهُ؟
 ذَاتُ حُسْنٍ كَالدُّرَّةِ الْمَكْنُونَةِ⁽⁶⁾
 سَ فَقَالَتْ: كَذَا أَكُونُ حَزِينَةً⁽⁷⁾
 رَ فَقَالَتْ: عَسَى أَنَا مَعْجُونَةُ!
 مِنْ أَبِي رَاجِمٍ وَأُمِّ حَنُونَةٍ

(1) المهجة: الروح.

(2) أسلاه عن أهله: شغله عنهم وأنساه إياهم.

(3) عمره: أطل عمره.

(4) التصابي: الميل إلى اللهو واللعب - الرعونة: الخُمق والسفه.

(5) الجنى: الواحد من الجن.

(6) الدرّة المكنونة: اللؤلؤة المحفوظة.

(7) سمتها: طلبت منها.

- أَنَا نِعَمَ الْقَرِينِ إِنْ كُنْتُ تَبْغِيهِ نَ حَلَالاً وَأَنْتِ نِعَمَ الْقَرِينَةِ⁽¹⁾
 قَالَتْ: اضْرِبْ عَن وَضْلٍ مِثْلِي صَفْحاً وَاضْرِبِ الْحَلَّ أَوْ يَصِيرَ طَحِينَةً⁽²⁾
 لَا أَرَى أَنْ تَمَسَّنِي يَدُ شَيْخٍ كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لَطَشْتِي مَشِينَةً؟⁽³⁾
 قُلْتُ: إِنِّي كَثِيرُ مَالٍ، فَقَالَتْ: هَبْكَ أَنْتَ الْمُبَارِزُ الْقَارُونَةُ⁽⁴⁾
 سَيِّدِي لَا تَخَفْ عَلَيَّ خُرُوجاً فِي عَرُوضِي فَفِظَنْتِي مَوْزُونَةً⁽⁵⁾
 كُلُّ بَحْرِ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبِرْنِي لَا تُكَذِّبْ فَإِنِّي بِقُطِينَةٍ⁽⁶⁾

168

قال التلعفري متغنياً بالشَّام وربوعها:

- يَا بَارِقَ الشَّامِ حَيِّ الْأَثَلِ وَالْبَانَا وَانْقُلْ حَدِيثَكَ عَنْ لُبْنَى وَلُبْنَانَا⁽⁷⁾
 وَهَاتِ مَا حَمَلْتُ عِطْفَاكَ مِنْ خَبِرٍ فَإِنَّ لِي بِرُبَا جَيْرُونَ جَيْرَانَا⁽⁸⁾
 سَقَتْ لِيَالِيكَ بِالْأَحْبَابِ سَارِيَةً تَعِيدُ ظَامِيءَ ذَاكَ الثَّرْبِ رِيَانَا⁽⁹⁾
 وَلَا تَعْدِي الرُّبَا مِنْ قَاسِيُونَ حَيًّا يُعِيدُ فَوْقَ الصَّيَاصِي مِنْهُ غُدْرَانَا⁽¹⁰⁾
 تِلْكَ الرُّبُوعُ الَّتِي لَمْ تَأَلْ مُذْ عُمِرَتْ فِي الْأَرْضِ لِلْهُوِّ وَالْأَوْطَارِ أَوْطَانَا⁽¹¹⁾

- (1) القرين: الزوج.
 (2) ضرب صفحاً عنه: تركته وذهب إلى غيره.
 (3) المشينة: الأمر المعيب.
 (4) المبارز: المنافس - القارونة: يقصد قارون.
 (5) العروض: الطريق.
 (6) البقطين: نبات ثماره كبيرة ينمو ملاصقاً للأرض.
 (7) الأثل والبان: نوعان من الشجر.
 (8) الرُّبَا: جمع رابية وهي: المرتفع من الأرض أقل من الجبل - جيرون: موضع في دمشق.
 (9) السارية: الغيمة - الظاميء: العطشان.
 (10) الحيا: المطر والخصب - الصياصي: الحصون وكل ما يمتنع به.
 (11) عُمِرَتْ: بُنِيَتْ - أَوْ سُكِنَتْ - الأوطار: الغايات والمطالب.

قال صفي الدين الحلبي متأسفاً ومتحسراً على الأيام الخوالي وسائماً وصحراً
من الراحة واللهو :

لَسِيرِي فِي الْفَلَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ، وَكَرِّي فِي الْوَعْيِ وَالنَّقْعُ دَاجِنٌ⁽¹⁾
وَحَمَلِي مُرْهَفَ الْحَدَيْنِ ضَامٍ لِحَامِلِهِ وَجُودَ النَّصْرِ ضَامِنٌ⁽²⁾
وَهَزِّي ذَائِلًا لِلْخَيْلِ مَارٍ، بَلِيْنٌ بِهِزَهُ صَدْرًا وَمَارِنٌ⁽³⁾
وَرَكْضِي أَدَهَمَ الْجِلْبَابِ صَافٍ، خَفِيفَ الْجَرِي يَوْمَ السَّلَمِ صَافِنٌ⁽⁴⁾
وَحَطَوِي تَحْتَ رَايَةِ لَيْثٍ غَابٍ، بَسْطَوْتِهِ لَصْرَفِ الذَّهْرِ غَابِنٌ⁽⁵⁾
شَدِيدِ الْبَاسِ ذِي لَيْنٍ مُطَاعٍ، مُضَارِبِ كُلِّ قَرَمٍ، أَوْ مُطَاعِنٌ⁽⁶⁾
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَغْرِيدِ شَادٍ، وَكَأْسِ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّ شَادِنٌ⁽⁷⁾
وَحَثِّي بِالْكُؤُوسِ إِلَى بَوَاطٍ، ظَوَاهِرُهُنَّ غَابٌ وَالْبَوَاطِنُ⁽⁸⁾
وَلَثْمٍ مُضَعَّفِ الْأَجْفَانِ سَاجٍ، بِمُطَلَقِ حُسْنِهِ لِلْقَلْبِ سَاجِنٌ⁽⁹⁾
وَفِكْرِي فِي حَيَاةٍ، أَوْ وَفَاةٍ، لِأَرْضِي كُلَّ فَاتِنَةٍ وَفَاتِنِ
فَأُمْسِي، وَالشَّوَامْتُ بِي هَوَازٍ، كَمَا شِمَتْتُ بِبَكْرِ فِي هَوَازِنِ⁽¹⁰⁾

(1) الفلا : الفلاة، الأرض الخالية المقفرة - داج : مظلم - الوعي : الحرب - النقع : غبار المعركة - الداجن : الأسود.

(2) مرهف الحدين : السيف - الضامن : الكفيل والملتزم.

(3) مار : من مرى الفرس، استخرج ما عنده من الجري بسوط أو غيره - المارن : الأنف.

(4) صاف : من صفي الماء كان صافياً، والأدهم : الأسود قصد به الفرس - صافن : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.

(5) الغابن : القاهر.

(6) القرم : السيد المعظم.

(7) الشادن : صغير الغزال.

(8) البواط : البواطي مفردا باطية، إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب - البواطن : باطن كل شيء داخله.

(9) ساج : ساجي الطرف : ساكنه وفاتره.

(10) هواز : هوازى - هوازن : قبيلة.

- وَلَيْسَ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَوَاطٍ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ لَهَا مَوَاطِنُ⁽¹⁾
 بَعَزِمُ فِي الشَّدَائِدِ غَيْرِ وَاوٍ، وَبَأْسٌ فِي الْوَقَائِعِ غَيْرِ وَاهِنُ⁽²⁾
 وَضَحْبَةٌ مَاجِدٌ كَالنَّجْمِ هَادٍ، يُسِرُّ الْبَطْشَ جِلْمًا، وَهُوَ هَادِنُ⁽³⁾
 وَكُلُّ غَضَنْفَرٍ لِلْبَأْسِ كَامٍ، شَبِيبُهُ السَّيْفِ فِيهِ الْمَوْتُ كَامِنُ⁽⁴⁾
 كَرِيمٌ لَا يُطِيعُ مَقَالَ لَاحٍ، غَدَا فِي فِعْلِهِ وَالْقَوْلِ لَاحِنُ⁽⁵⁾
 تَقِيٌّ مِنْ ثِيَابِ الْعَارِ عَارٍ بِهِمَّتِهِ لِأَنْفِ الدَّهْرِ عَارِنُ⁽⁶⁾
 وَعِشْرَةٌ كَاتِبٍ لِلْعِلْمِ قَارٍ، لِحُسْنِ الْخُلُقِ بِالْآدَابِ قَارِنُ⁽⁷⁾
 أَخِي كَرَمٍ لِدَاءِ الْخِلِّ آسٍ، وَمَاءُ الْوُدِّ مِنْهُ غَيْرُ آسِنُ⁽⁸⁾
 وَإِنْ أَنْقَذْتَ نَفْسَكَ فِي مَعَادِنٍ، وَصَيَّرْتَ الْعَفَافَ بِهَا مَعَادِنُ⁽⁹⁾
 فَمَا لَكَ فِي السَّعَادَةِ مِنْ مَوَازٍ، وَلَا لَكَ فِي السِّيَادَةِ مِنْ مَوَازِنُ⁽¹⁰⁾

* * *

170

قال ابن مليك الحموي جامعاً بين الخمرة والغزل:

أَمَا وَعَذَابٌ قَلْبِي فِي هَوَاهَا وَمَا صَنَعْتُ بِأَحْشَائِي حُبَاهَا

- (1) مَوَاطٍ: مواطيء مكان الوطء.
 (2) الواهي: القليل الحقير - الواهن: الضعيف.
 (3) هَادٍ: هادي - الهادن: الهادئ والساكن.
 (4) الكمي: الفارس الكامل السلاح والدرع - الكامن: المتواري والمخفي.
 (5) اللاحي: اللاتم المعنف - اللاحن: المخطيء.
 (6) عارن: من العران: وهو خشبة توضع في أنف البعير.
 (7) قَارٍ: قارء - قَارِنُ: جامع.
 (8) آسٍ: الآسي الطيب - الآسن: الماء الآسن المتغير الذي له رائحة كريهة.
 (9) معادن: يقال فلان معدن الخير والكرم إذا كان مجبولاً عليهما، مفردا معدين من وهو المادة الأساسية في التكوين والصنع.
 (10) موازٍ: الموازي، المقابل والمواجه الموازن: المماثل في القدر والوزن.

- فؤادي لَوْ شِوتْ بِالْهَجْرِ يَوْمًا
عَلَى نَارِ الْعَرَامِ لَمَّا قَلَاهَا⁽¹⁾
- سَلَاهَا هَلْ سَلَا عَنْهَا فؤادي
فؤادي هَلْ سَلَا عَنْهَا سَلَاهَا⁽²⁾
- مُهْفَهْفَةُ الْقَوَامِ إِذَا تَثْنَتْ
فِيَا خَجَلَ الْغُصُونِ وَيَا حَيَاهَا⁽³⁾
- رَنْتَ لِي بِاللِّحَاطِ فَقُلْتُ هَذي
سَيُوفٌ جُرِّدَتْ أَمْ مُقْلَتَاهَا⁽⁴⁾
- وَقَفْتُ وَعَدِي فَمَا أَشْهَى وَأَخْلَى
وَقَدْ قَبَّلْتُ وَجَنَّتْهَا وَفَاهَا⁽⁵⁾
- بِمَرْشَفِهَا لَقَدْ هَامَ الْمَعْنَى
وَلَوْ لَمْ يَرْتَشِفْ مِنْهَا لَمَاهَا⁽⁶⁾

171

قال ابن عربي في تنزيه الذات الإلهية وتقديسها:

- هَذَا الَّذِي عَنَنْتَ لَهُ الْأَوْجُهُ
لَيْسَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ مُشَبِّهٌ⁽⁷⁾
- وَلَوْ بَدَأَ لِلْعَيْنِ فِي صُورَتِي
لَهُ الْمَقَامُ الْأَفْخَمُ الْأَنْزَهُ⁽⁸⁾
- قَدْ اسْتَوَى فِيهِ وَفِي نَفْسِهِ
الْعَالِمُ الْهَمُّهُمُ وَالْأَبْلَهُ⁽⁹⁾
- مَا يَعْرِفُ الْحَقُّ سِوَى نَفْسِهِمْ
إِنْ عَرَفُوا وَكُلُّ ذَا كُنْهُهُ⁽¹⁰⁾
- فَإِنْ تَجَلَّى لِعُيُونِ الْوَرَى
رَأَوْهُ مِنْهُمْ وَلِذَا نَزَّهُوا⁽¹¹⁾
- أَنْفُسَهُمْ فِي بَعْضِ أَقْوَالِهِمْ
قَالَ بِهِ أَرْبَابُهُ الْوُلَّه

- (1) قلاها: أبغضها وهجرها.
- (2) سلاها: أي أسألاها - سلا عنها: انشغل عنها ونسيها.
- (3) المهفهفه: الدقيقة الخصر والضاورة البطن.
- (4) رنت: نظرت - اللحاظ: العيون، وكذلك المقل.
- (5) الوجنة: ما ارتفع من الخد - فاهها: فمها.
- (6) المرشف: الفم - لماها: شفتاها، واللمى: سُمرة في الشفة تستحسن.
- (7) عنت: خضعت ودَلَّت.
- (8) الأنزه: الأرفع.
- (9) الهمهم: الهمهم: وهو الهمام أي السيد والسخي من الرجال.
- (10) كنهه: حقيقته.
- (11) الورى: الناس.

تَنْزِيهِهُمْ عَادَ عَلَيْهِمْ كَمَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ الَّذِي نَزَّهُوا
وَفِيهِ قَالَ الْعَبْدُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَهْلُ اللَّهِ قَدْ نَبَّهُوا
فَلِئِنَّهُ لَيْسَ بِأَنْفَاسِهِمْ مَا اغْتَقَدَ النَّاسُ وَمَا شَبَّهُوا

172

قال شرف الدين الأنصاري متغزلاً في جارية:

سُروري بِسَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ وَوَجْدِي بِجَارِيَةٍ سَاقِيَةٍ⁽¹⁾
أَهْزُ بِهَاتِيكَ عِظْفَ الْقَرِيضِ لِيُثْنِي عَلَيَّ هَذِهِ الثَّانِيَةَ⁽²⁾
سَبَثْنِي كَاسِيَةً بِالْجَمَالِ فَرُوحِي عِنْدِي لَهَا عَارِيَةً
عَلَى الْجِسْمِ حَاكِمَةً بِالضُّنَى وَفِي الْقَلْبِ أَمْرَةٌ نَاهِيَةً⁽³⁾
تَرَانِي إِذَا لَمْ أَزُرْ بَيْتَهَا كَأَنِّي بَيْتٌ بِلا قَافِيَةٍ
تُوَاصِلُنِي فَأَحُوزُ الْمُنَى وَأَجْلِسُ فِي الدَّسْتِ وَالْحَاشِيَةِ⁽⁴⁾
وَتَنَأَى فَأَجْلِسُ فِي مَسْجِدِي وَحِيداً وَأَلْتَفُّ بِالْبَارِيَةِ⁽⁵⁾
وَلَمَّا شَكَّوْتُ إِلَيْهَا الْجَوَى وَعَنْهُ لَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٍ
فَقَالَتْ: بِعَيْنِي هَذَا السَّقَامُ فَقُلْتُ: عَلَى عَيْنِكَ الْوَاقِيَةُ!
أَضَاحَكَةَ السَّنِّ لَوْ زُرْتَنِي عَجِبْتُ لِمُقْلَتِي الْبَاكِيةِ⁽⁶⁾
وَأَنِّي وَإِنْ نَالَ مِنِّي الْأَذَى مُعَافَى إِذَا كُنْتُ فِي عَافِيَةٍ

(1) الوجد: الحب.

(2) القرية: الشعر.

(3) الضنى: المرض الطويل.

(4) أحوز: أملك - الدست: صدر المجلس.

(5) البارية: البارياء وهي: الحصور.

(6) المقلة: العين.

173

قال ابن عربي متحدثاً عن أسرار التوحيد:

عَبَدْتُ اللَّهَ لَمْ أَغْبُذْ سِوَاهُ فَمَا مَغْبُودُنَا إِلَّا الْإِلَهُ
سَرَى تَوْحِيدُهُ فِي كُلِّ عَيْنٍ فَمَا شَيْءٌ يُسَبِّحُهُ سِوَاهُ
وَلَكِنْ لَيْسَ نَفْقَهُ عِلْمَ هَذَا وَإِنْ كَانَ الْمُسَبِّحُ قَدْ دَعَاهُ
لَقَدْ حَجَبَ الْعِبَادَ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَلَا عَيْنٌ تَرَاهُ
وَلَا عَقْلٌ يَرَاهُ بِعَيْنٍ فُكِّرِ وَبُرْهَانٍ وَلَمْ يَنْبُعْذْ مَدَاهُ
قَرِيبٌ بِالشَّرِيعَةِ حِينَ قَالَتْ بَأَنَّ الْقَلْبَ صَيَّرَهُ حِمَاهُ
بَعِيدٌ بِالْأَدْلَةِ عَنْ عُقُولِ لَقَدْ عَزَّ الَّذِي يَحْمِي ذُرَاهُ⁽¹⁾

174

قال ابن نباتة مخاطباً أحد إخوانه:

مرحباً بالنَّظْمِ يَأْتِي نفحةً من بعدِ نَفْحَةٍ
من بياضٍ بَاكَرَتْهَا سَحَرًا بِالسَّفْحِ سَفْحَةٍ⁽²⁾
وَلَا لِي نَظْمَ ثَمَّهَا بَرَكَاتٍ ضَمَّنَ سُبْحَةٍ⁽³⁾
وعروسٍ جَعَلْتُ لِي من بَيَاضِ الْوَصْلِ صَبْحَةٍ
مَعَ أَتْيِي عَاجِزٌ عَنْ ضَمَةٍ دَعَى ذِكْرَ فَتْحَةٍ
كُنْتُ فِي الشُّعْرِ جَوَادًا يَحْرُزُ السَّبْقَ بِلَمْحَةٍ⁽⁴⁾
فثَنَانِي الْعُسْرُ وَالْأَوْ لَأُذْ لَا أَمْلِكُ فَسَحَةٍ

(1) الذُّرَا: مفردُها ذُرْوَة: وَدُرْوَةُ الشَّيْءِ أَعْلَاهُ.

(2) بَاكَرَهُ: جَاءَهُ فِي وَقْتٍ مُبَكَّرٍ، وَبَادَرَ إِلَيْهِ.

(3) لَأَلٍ: مفردُها لَوْلُؤَة - السُّبْحَة: خُرَزَاتُ مَنْظُومَةٍ لِلتَّسْبِيحِ.

(4) يَحْرُزُ السَّبْقَ: يَحْقُقُ النِّصْرَ فِي السِّبَاقِ.

كُلُّ ابْنٍ لِي وَبَنِي
 وَزَنَادُ الْقَوْلِ لَا يَسْـ
 وَدُعَائِي بِكَ عَنْ قَا
 خُذْ صَفَاءَ الْوُدِّ كَاسَا
 وَاحْتَمِلْنِي إِنْ تَحَالِي
 سَيِّدِي، مَا فِي النُّوَى وَالـ
 إِنْ تَغِيبَ عَنِّي وَإِنْ تَقْـ
 أَتِيهَا الْفَتْحُ الْمَفْدَى

كَشَكَالٍ لِي وَشَبَحَهُ⁽¹⁾
 مَحُ فِي وَجْهِي بِقَدْحَهُ
 فَيَتَغَنِّي وَصَدْحَهُ
 فِيهَا أَلْفُ صَحْحَهُ
 وَأَغْرِبْتُ بِلَمْحَهُ
 قُرْبٍ لِلْمَشْتَاكِ قَرَحَهُ
 دَمٌ فَلِي بِالْهَجْرِ قَرَحَهُ⁽²⁾
 خَفْتُ مِنَ الْعَاتِبِ فَتَحَهُ

175

قال بهاء الدين زهير راجياً من محبوبه الوصال ومذكراً إياه بمهودٍ قد نسيها:

مَا لَهُ قَدْ خَانَ عَهْدَهُ
 أَنْعَمَ الدَّهْرُ بِهِ فِي
 هُوَ كَالزُّهْرَةِ وَالـ
 وَجْهُهُ الْبُسْتَانُ فَاظْطَفَ
 لَيْسَ عِنْدِي غَيْرُ شِعْرِي
 يَا كَلِيلَ الظَّرْفِ إِلَّا
 هَزَمَ الْهَجْرُ اضْطَبَّارِي

نَاسِيَا تِلْكَ الْمَوَدَّةَ
 خُلْسَةً ثُمَّ اسْتَرَدَّةَ⁽³⁾
 مَرِيخٍ فِي لَيْلٍ وَشَدَّةَ⁽⁴⁾
 آسَهُ أَوْ فَاجِنٍ وَرَدَّةَ⁽⁵⁾
 لَيْتَهُ يَنْفُقُ عَنْدَهُ
 فِي فُؤَادِي مَا أَحَدَهُ⁽⁶⁾
 فَعَسَى لِلْوَضَلِ رَدَّةَ⁽⁷⁾

(1) الشكال: حبل تشد به قوائم الدابة - الشبهة: سلسلة تشدُّ بها رجل الدابة أيضاً.

(2) الفرح: الجرح.

(3) الخُلْسَة: الفرصة.

(4) الزهرة والمريخ: كوكبان.

(5) الآس: نبات.

(6) كليل الطرف: فاتره وضعيفه، وهو من الصفات المستحسنة.

(7) رَدَّة: رجعة.

لَيْتَهُ يَرْتِي لِمَا عِنْدِي أَوْ يَرْحَمُ عَبْدَهُ

176

قال ابن مليك الحموي متغزلاً:

قَتِيلُ هَوَاكِ لَيْسَ يَرُومُ تَارَةً
عَسَى تِلْكَ الْحَزَاةُ مِنْ فُؤَادِي
أَلَا إِنَّ الْهَوَى فِيهِ هَوَانٌ
فَهَلْ خِلْتُ يُعِيرَ الصَّبَّ دَمْعاً
تَرَاءَتْ فِي الْخِمَارِ فَخِلْتُ بَذْراً
وَيَعْبُسُ لِحَظْهَا فَأَقُولُ شَنْتٌ
لَهَا رِدْفٌ تَقَاعَدَ عَنْ وَصَالِي
وَحَصَرَ قَدْ تَلَطَّفَ فِي اخْتِصَارِ
وَقَدْ قَدْ تَفَرَّدَ بِالتَّثْنِي
وَحَدَّ جُلُنَارَ الرُّوضِ أَبْدَى
وَتَغَرَّ قَدْ رَوَى النِّظَامُ عَنْهُ
وَجَفَنُ قَدْ حَكَى جِسْمِي سَقَاماً
وَمَنْ عَجِبَ لَقَدْ أَضْحَى كَسِيراً

فَصُدِّي تَارَةً وَصِلْنِي تَارَةً⁽¹⁾
تَزُولُ وَتَنْطَفِي تِلْكَ الْحَرَارَةُ⁽²⁾
وَإِنَّ الْحَلُوَّ مِنْهُ دُوَّ مَرَارَةٍ⁽³⁾
لِيَجْلُو الْانْسَامَ بِالْاِسْتِعَارَةِ⁽⁴⁾
تَبْدَى مُشْرِقاً وَعَلَيْهِ دَارَةُ⁽⁵⁾
بَنُو عَبَسَ عَلَى الْعُشَاقِ غَارَةُ⁽⁶⁾
وَأَثْقَلَهُ النُّهُوضُ عَنِ الزِّيَارَةِ
فِيَا لِلَّهِ مَا أَحْلَى اخْتِصَارَهُ
وَقَدْ جَمَعَ الرَّشَاقَةَ وَالنَّضَارَةَ⁽⁷⁾
وَمَنْ تِلْكَ النُّهُودُ غَدَتْ ثِمَارَهُ⁽⁸⁾
وَأَلْفَ مَنْ بَدَائِعِهِ ابْتِغَارَهُ
وَمَا أَقْوَى عَلَى ضَعْفِي اقْتِدَارَهُ⁽⁹⁾
وَأُبْغِي فِي الْهَوَى مِنْهُ انْتِصَارَهُ

(1) يروم: يطلب - صدي: امتنعي - تارة: مرة.

(2) الحزاة: ألم يحز في القلب من وجع أو غيظ أو خوف.

(3) الهوان: الذل.

(4) الصب: المحب المشتاق.

(5) الدارة: الهالة.

(6) اللحظ: العين.

(7) القد: القوام - التثني: التمايل.

(8) الجلنار: زهر الرمان.

(9) سقاماً: مرضاً وضعفاً ووهناً وهو مما يستحسن في الجفن.

ولا عجب هَواها كيفَ يَنمو فإنَّ النَّارَ أولَها شَرارَه

177

قال صفي الدين الحلي مادحاً الملك المنصور:

وَحَقِّكَ إِنِّي قانِعٌ بالذي تَهوَى، وراضٍ ولو حَمَلْتَنِي في الهوى رَضَوِي⁽¹⁾
وَهَبْتُكَ رُوحِي فاقضِ فيها ولا تَخَفْ، لأنَّ عِنانِي نحوَ غَيْرِكَ لا يُلَوِي⁽²⁾
وَهِيَ جِلْدِي إِنْ كانَ أَضْمَرَ خَاطِرِي سُلُوًّا، ولو أَنِّي قَضَيْتُ مِنَ البَلَوِي⁽³⁾
وَعِيشِكَ قَدْ عَزَّ السُّلُو، فَمَنْ لِي بِوَصْلِي، فَإِنَّ المَنْ أَحْلَى مِنَ السُّلَوِي
وَجَدْتُ الهوى حُلُوًّا، فَلَمَّا وَرَدَتْهُ تَأَجَّنَ حَتَّى شابَ بالكَدْرِ الصَّفَوَا⁽⁴⁾
وَأَعَقَبْتَنِي مِنْ خَمَرِ حُبِّكَ نَشَوَةً، فَها أَنَا حَتَّى الحَشْرِ لا أَعْرِفُ الصَّحْوَ⁽⁵⁾
وَلَعْتُ بِذِكْرِ الغانِياتِ مُمَوِّهاً عَنْ اسمِكَ كَيْلا يَعلَمَ النَّاسُ مِنْ أهوِي
وَأَكْثَرْتُ تَذْكَارِي لَحْزَوِي وَرامَةٍ، وما رَامَةً لَوْلا هَواكَ وما حَزَوِي؟⁽⁶⁾
وَعَدْتُ جَمِيلاً ثُمَّ أَخْلَفْتُ مَوْعِدِي، فما بِالْ وَعِدِ الهَجْرِ عِنْدَكَ لا يُلَوِي
وَصَلْتُ العَدِي رَغْماً عَلَيَّ، وَحَبَّذَا لَوْ أَنَّكَ أَصْفَيْتَ الودادَ لِمَنْ يَسُوِي
وَحَقُّ الهوى العَذْرِي، وَهِيَ أَلْيَةُ تُنَزُّهُ أَرْبابَ العَرامِ عَنِ الدَّعَوِي⁽⁷⁾
وَصالُّكَ لِلأَعْداءِ لا الهَجْرُ قاتِلِي، وَلَكِنْ رَأَيْتُ الصَّبْرَ أُولَى مِنَ الشُّكُوِي
وَقَيْتَ لَهُمْ دُونِي، فَسَوْفَ أَكِيذُهُمْ بِصَبْرِي إِلَى أَنْ أَبْلُغَ الغايَةَ القُصُوِي

(1) رضوى: جَبَل.

(2) عنان الفرس: مقودها - يُلَوِي: يميل ويحيد.

(3) السُّلُو: من سلا عنه إذا انشغل عنه ونسيه - البَلَوِي: البلاء والمصيبة.

(4) تأجَّن الماء: فسد وتغير طعمه ولونه ورائحته - الكدر: ضد الصفاء.

(5) يوم الحشر: يوم القيامة.

(6) حزوي وراماة: موضعان.

(7) الأليَّة: القَسَم.

إلى المَلِكِ المنصورِ هُضِبُ الفَلا تُطَوَى
شَرائِطُ دينِ اللّهِ بِالْعَدْلِ والتَّقْوَى
يُخَافُ وَيُرْجَى عِنْدَهُ الحَتْفُ والجدوى⁽¹⁾
بَعِيدٌ عَنِ المَرَأَى، قَرِيبٌ مِنَ النِّجْوَى
وَقَحْطٌ لِمَنْ لا وَى، وَخِصْبٌ لِمَنْ أَلْوَى⁽²⁾
وَلَكِنَّهُ عَنِ مَالِهِ لا يَرَى العَفْوَا
وَعَنِ رَعِيهِم بِالْعَدْلِ لا يَعْرِفُ السَّهْوَا⁽³⁾
وَشَنَّ عَلَى أَمْوَالِهِ غَارَةً شَعْوَا⁽⁴⁾
يَدَيُّهَا، وَسَارَتْ نَحْوَهُ تُسْرِعُ الحُطْوَا
وَأَنْضَيْتُ بِالْإِدْلَاجِ فِي وَعْرِهَا النُّضْوَا⁽⁵⁾
وَأَخْفَأُهَا مِنْ لَذَعِ قَدَحِ الحَصَى تُكْوَى
نَمِيرٌ، وَمَرْعَى الجُودِ فِي ظِلِّهِ أَحْوَى
إِذَا مَوْعِدُ الوَسْمِيِّ أَخْلَفَ أَوْ أَلْوَى⁽⁶⁾
أَفَادَتْ يَدَاهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَهْوَى⁽⁷⁾
وَصَيَّرَ جَنَاتِ النِّعَمِ لَنَا مَثْوَى⁽⁸⁾
وَلِي جُودُهُ مَحِيَاً وَلِي رَبْعُهُ مَحْوَى

وإلا، فلا أَضَحَتْ بِنُجْبٍ عَزَائِمِي
وَلِيٍّ لِأَمْرِ المُسْلِمِينَ، وَحَافِظُ
وُصُولٍ، قَطُوعٌ، عَابِسٌ، مُتَبَسِّمٌ،
وَلِيٍّ عَنِ الفَحْشَا، سَرِيعٌ إِلَى النَّدَى،
وَبَالٌ لِمَنْ عَادَى، وَوَبْلٌ لِمَنْ دَعَا
وَفِيَّ يُجَازِي المُذْنِبِينَ بِعَفْوِهِ،
وَيُصْبِحُ عَنِ عَيْبِ الحَلَانِقِ سَاهِيَاً،
وَأَبْلَجٌ قَدْ رَاعَ الزَّمَانَ بِبَاسِهِ،
وَصَفْنَا نَدَاهُ لِلْمَطْيَى، فَأُطْلَعَتْ
وَبِيدٌ عَسَفَتْ العَيْسَ فِي هَضْبَاتِهَا،
وَوَظَلَّتْ بِهَا يَكْوِي الهَجِيرُ جُلُودَهَا،
وَرَدْنَا بِهَا رَبْعاً بِهِ مَوْرِدُ النَّدَى،
وَلَدْنَا بِمَمْلَكٍ لَيْسَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ،
وَلَمَّا أَنْخَنَا عَيْسَنَا بِفَنَائِهِ،
وَأَوْرَدْنَا مِنْ جُودٍ كَفَّيْهِ كَوَثْرَاً،
وَحَسْبِي مِنَ الأَيَّامِ أَنِّي بِظِلِّهِ،

(1) الجدوى: الخير والنفع.

(2) الوَبَال: الشدة وسوء العاقبة - الوبل: المطر الغزير - القحط: المحل والجفاف ضد الخصب.

(3) الساهي: الشارد الذهن.

(4) الأبلج: من أضاء وجهه سروراً وانشرح صدره - الغارة الشعواء: الشديدة التي تفرق صفوف الأعداء.

(5) عسفت الشيء: فعله بلا روية ولا تدبر - نضيت الناقة: إذا هزلت وضعفت - النضو: الهزيل.

(6) الوسمي: مطر الربيع.

(7) ناخ الجمل: برك - العيس: الإبل التي يخالط بياضها شقرة.

(8) الكوثر: نهر في الجنة، يقصد الخير - المثوى: المقام.

قال ابن نباتة يرثي الملك المؤيد:

- ما للندى لا يُلَبِّي صوتَ داعيه؟
 ما للرجاء قد اشتدَّت مَذهبُه؟
 مالي أرى المُلْك قد فُضَّت مواقِفُه؟
 نَعَى المؤيَّد ناعيه فيا أسفي
 واروعتَ لصباحٍ عند رؤيته
 واحسرتاه لنظمي في مدائحه
 أبكيه بالذُّر من جَفني ومن كَلمي
 أروي بدمعي ثرى مُلْك له شيمٌ
 أذيلُ ماء جفوني بعدُ أسفاً
 جارٍ من الدمع لا ينفكُ يُظْلِقُه
 ومهجةً كلما فاهت بلوعتِها
 ليت المؤيد لا زالت عوارِفُه
 ليت الحِمَام حبا الأيام موهبةً
 أظنُّ أن ابنَ شاذٍ قامَ ناعيه⁽¹⁾
 ما للزَّمان قد اسودَّت نواحيه؟
 مالي أرى الوفدَ قد فاضت مآقيهِ⁽²⁾
 للغيث كيف غدت عنا غواديه⁽³⁾
 أظنُّ أن صباحَ الحشرِ ثانيهِ⁽⁴⁾
 كيف استحالَ لنظمي في مرائيه⁽⁵⁾
 والبحرُ أحسنُ ما بالذرِّ أبكيهِ⁽⁶⁾
 قد كان يذكُرُها الصَّادي فَتَرويه⁽⁷⁾
 لماء وجهي الذي قد كانَ يَحُميه⁽⁸⁾
 مَنْ كان يُطلِّقُ بالأنعامِ جاريهِ
 قالت رزيةٌ مولاها لها: إيه⁽⁹⁾
 فزادَ قلبَ المعنى في تلطُّيه⁽¹⁰⁾
 فكان يُفنى بني الدنيا ويُبقيهِ⁽¹¹⁾

(1) الندى: العطاء - الناعي: الذي يذيع نبأ الوفاة.

(2) فُضَّت: تناثرت وتفرقت - المآقي: العيون.

(3) الغوادي: الشَّعب.

(4) يوم الحشر: يوم القيامة.

(5) استحال: تحوّل.

(6) الذُّر: اللؤلؤ.

(7) الشيم: الأخلاق والطباع - مفردها شيمة - الصادي: العطشان.

(8) أذيل: أهين أي: أسكب.

(9) المهجة: الروح أو بقية الدم في القلب - اللوعة: الحُرقة - الرزية: الرزية وهي المصيبة.

(10) المعنى: المعذب المتألم - التلطي: الاحتراق والاشتعال.

(11) الحِمَام: الموت - حبا: أعطى ومنح.

فكانت الشهبُ بالآفاقِ تُفديهِ
ملءُ الزمانِ وإنِّي لا أُلقيهِ
تحتَ الترابِ وما تبلى أياديهِ⁽¹⁾
سَرَّحَ من المُلْكِ قد خلاه راعيه
ألقَتْ رداه وأوهت من مبانيهِ
فكان كوكبٌ سعدٍ في لياليهِ
من فيضِ أدمعهِ أحوالُ أهليهِ
فجاءَ مهجته في زِي عافيه⁽²⁾
يَكْفِيهِ ما قد تَوَلَّى عنه يَكْفِيهِ
باتَ الغمام على الآفاقِ يَبْكِيهِ
كُسي الزمانُ حداداً من دياجيهِ⁽³⁾
إلى الترابِ وقد حُطَّت غواشيهِ⁽⁴⁾
حقَّ العزا فهو يُشجِيها وتُشجِيهِ
من الجِمامِ عليه حكمُ قاضيه
بالمالِ يقرِيهِ أو بالعلمِ يُقرِيهِ⁽⁵⁾
فيه الملامُ كأنَّ اللومَ يُغريهِ
على العُفاةِ ومدحِ كان يُجنيهِ
إلا ثنا أضحت الدنيا تُواليهِ
فأحسنَ الله للشعر العزا فيه

ليت الأصغر تُفدى الأَكْبَرُونَ بها
أعزُّ عليَّ بأن ألقى عوارفه
أعزُّ عليَّ بأن تبلى شمائله
أعزُّ عليَّ بأن ترعى النجوم على
هلاً بغيرِ عمادِ الدينِ حادثة
هلاً ثنى الدهرُ غريباً من محاسنه
تُرى ذرى الدهرِ مقدارَ الذي فُقدت
تُرى ذرى الدهرُ ما معزى سماحته
لا أعتبُ الزمنَ المُودي بسَيِّده
لَهْفِي وهل نافعِي لهْفِي على مَلِكِ
لَهْفِي وهل نافعِي لهْفِي على مَلِكِ
لَهْفِي على المُلْكِ قد أهوت سناجقه
لَهْفِي على الخيلِ قد وقَّت صواهلها
لَهْفِي على ذلك السلطانِ حين قَضَى
لَهْفِي عليه لممتارٍ ومَطْلِبِ
لَهْفِي عليه لجودِ كان يعجبه
لَهْفِي عليه لحُكمِ كان يبسطه
ما خلَّف ابنُ عليٍّ من ذخائره
كان المديحُ له عرساً بدولته

(1) شمائله : خصاله الحميدة وأخلاقه .

(2) العافي : الزائر طلباً للرزق أو الطعام .

(3) الدياجي : مفردها داجية : الليلة المظلمة .

(4) السناجق : الألوية ، مفرده سنجق .

(5) الممتار : أمتار لعياله ، أي : جلب لهم الطعام والمؤونة - بالمال يقرية : يضيفه ويعطيه - بالعلم يقرية : يقرئه .

- كَانَ الْفَقِيرُ إِذَا أَمُرُ الزَّمَانِ بَغَى
كَانَ الْمُؤَيَّدُ فِي يَوْمِي نَدَى وَرَدَى
تُرَوَّى صِحَاحُ الْقَضَايَا عَنْ بَرَاةِ
مَنْ لِلْعُلُومِ وَلِلْأَعْلَامِ يَنْشُرُهَا
مَنْ لِلْكَسِيرِ مِنَ الْأَهْوَالِ يَجْبِرُهَا
مَنْ لِلتَّصَانِيفِ أَمْثَالَ الْكَوَاكِبِ فِي
مَضَى وَقَدْ كَانَ عَضْبًا لِلزَّمَانِ فَيَا
لَوْ أَمَكَنَّ الصَّبْرُ عَنْهُ مَا أَنْسَتْ بِهِ
أَهًا لِأَحْمَرِ دَمْعٍ بَعْدَ أَشْهَبِهِ
أَفَنَى الْمُؤَيَّدُ تَبَرَّ الدَّمْعِ مِنْ بَصَرِي
كَيْفَ السَّلْوُ وَحَوْلِي مِنْ صَنَائِعِهِ
هَذَا (حِمَاةً) أَغْصَصَ الْهَمُّ وَادِيهَا
كَأَنَّهُ اسْتَشَعَرَ الْأَحْزَانَ مِنْ قَدَمِ
هَذَا الْمَنَازِلِ وَالْدُنْيَا مَعْظَلَةٌ
جَادَ الْحَيَا قَبْرَهُ الزَّاكِي فَلَا بَرَحَتْ
نِعَمَ السَّحَابُ تَسْقِي صَوْبَ وَابِلِهَا
- عليه قام إلى السلطان يُنْهِيه⁽¹⁾
غيثاً لراجيه أو غوثاً لللاجيه⁽²⁾
والنصر في الحرب يزوي عن عواليه⁽³⁾
وللوغى ورداء الخوف يظويه؟⁽⁴⁾
وللطريد من الأيام يؤويه؟⁽⁵⁾
ليل المداد لساري الفكر يهديه؟
لَهْفِي عَلَى مُغَمِّدٍ فِي التَّرْبِ مَاضِيهِ⁽⁶⁾
فكيف والحزن من أحشاي ينعيه
أجراه حتى لقد أفناه مُجْرِيهِ⁽⁷⁾
وتلك عادته في التبر يُفْنِيهِ⁽⁸⁾
ما يمنع الصخر من أدنى تسلييه
وطاوع الحزن فيه دمع عاصيه⁽⁹⁾
فللنواعير نوح في نواحيه
كأنها اللفظ خال من معانيه
سحائب العفو والرضوان تسقيه⁽¹⁰⁾
نعم الضريح ونعم المرء ثاويه⁽¹¹⁾

(1) بغى: طغى وظلم.

(2) الندى والردى: العطاء والموت - لاجيه: أي: اللاجئ إليه.

(3) عواليه: رماحه.

(4) الوغى: الحرب.

(5) الكسير: المكسور - الطريد: المطارد.

(6) العضب: السيف القاطع - مغمد: من أغمد السيف إذا أدخله في غمده.

(7) الأشهب: الأبيض الذي يشوبه سواد يقصد حصانه.

(8) التبر: الذهب.

(9) عاصيه: نهر العاصي.

(10) الحيا: المطر والخصب.

(11) الصوب: الانصباب والانسكاب - الوابل: المطر الغزير - ثاويه: المقيم فيه.

ونحنُ نضلى بنارٍ من تنائيه
فهو المهنّا بترحيبٍ وترفيه
من اسم أيوب صبرٌ كان يُنجيه
كلُّ سيأتيه منها دورٌ ساقيه⁽¹⁾
بعد النُمو وهذا الفرعُ تُنميه⁽²⁾
سعى بحقٍ تراثِ المُلِكِ ساعيه⁽³⁾
وُلِّي به بيتَ إسماعيل ينشيه
علائمَ المُلِكِ فيه عينُ رائيه⁽⁴⁾
تحتاجُ تذكُرُ أمراً أنتَ تَذريه
فإنَّ للبيتِ ربّاً سوفَ يَحُميه

مهنؤُ بجنانِ الخُلْدِ دانيةً
مَنْ كان يُتعبُ في المعروفِ راحته
يا آلَ أيوبَ صبراً إنَّ إرثكم
هي المنايا على الأقوامِ دائرةً
هي المقاديرُ هذا الأصلُ تُنزعه
كأنني بسليلِ المكرماتِ وقد
محمدٌ وهو اسمٌ عنه مُشتهرُ
يا ناصرَ الدينِ أنتَ المَلِكُ قد قرأتُ
ومن أبيكَ تعلّمتَ الثّباتَ فما
لاتخش بيتك أن يلوِي الزمانُ به

179

قال ابن ملك الحموي متغزلاً بدمشق وكأنها أضحت معشوقته:

وطيبُ عهدٍ أويقاتِ مَضَتْ فيها
حلواً وأيامنا بيضٌ لياليها
قامت على سوقها تجري سواقِها
تُلقي علينا نِشاراً مِن أعاليها
بديعةَ الوشي قد رَقَّت حواشيها
والقطرُ ينهلُ سكباً في نواحيها
والروضُ يضحكُ عُجباً من تباكيها

يَا حَبْذاً جُلِقُ الفَيْحَا ونادِها
واهاً لعيشِ لَنَا بِالبسطِ مَرَّ بِها
حيثُ المِياهُ بها تَسقي الرياضَ وقد
ومن كِمائِمها تلكَ العُصُونُ غَدَتْ
والشُحْبُ حَاكَتْ بها من سُندُسٍ حُللاً
ومرسلُ الغيثِ قد حَلَّ النباتُ بها
وأعينُ الطلِّ ذُرُّ الدمعِ قد نَثَرَتْ

(1) المنايا: جمع منية وهي الموت.

(2) المقادير: الأقدار.

(3) السليل: نقول: فلان سليل العظماء أي: ابن العظماء ومن ذريتهم.

(4) رائيه: الناظر إليه.

وأَرْضَهَا كَسَمَاءٍ فِي نَضَارَتِهَا
وفي مَنْزِلِهَا الحَوْرُ الحِسَانُ بَدَتْ
والطَيْرُ يُطْرِبُ إِذْ تَشْدُو صَوَادِحُهَا
وَتَحْتَ رَبَوْتِهَا الأنْهَارُ جَارِيَةٌ
ويعبِقُ العَرَفُ مِنْ طَيْبِ النَّسِيمِ بِهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ قَدْ زَخَرَفَتْ وَزَهَتْ
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَشْبَهَتْهَا فِي مُحَاسِنِهَا
عَرُوسَهَا بِحِمَاةٍ لَسْتُ أَبْدِلُهَا
مَنْ ذَا الَّذِي عَنْ دِمَشْقٍ يَبْتَغِي بَدَلًا
وما رَحِيلِي عَنْهَا عَنْ رِضَائِي وَإِنْ

ونورُهَا المَشْرِقُ الزَّاهِي دَرَارِيهَا
كَأَنَّهُنَّ شُمُوسٌ فِي ضَوَاحِيهَا
ما لَيْسَ يُطْرِبُ بِالْأَلْحَانِ شَادِيهَا
تَجْرِي لَجِينًا عَلَى خَضْبَا لَالِيهَا
ويحجبُ الشَّمْسَ عَنَّا ظِلُّ وَادِيهَا
حُسْنًا وَشَادَتْ طَبَاقًا فِي مَبَانِيهَا
يَوْمًا فَقَدْ أَشْبَهَتْهَا فِي مَعَانِيهَا
ولو إِلَيَّ مُطِيعًا جَاءَ عَاصِيهَا
وَمَنْ بِمِصْرَ وَبِغَدَادٍ يُضَاهِيهَا
يَكُنْ فَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا

180

قال البرعي في مدح الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

بَأَنْتَ عَنِ الْعَدْوَةِ الْقَصَوَى بَوَادِيهَا
بُزْلٌ دَعَاها الصَّبَا النَّجْدِيُّ فَاَنْطَلَقَتْ
حَنْتٌ وَأَنْتَ لِمَعْنَى طَيْبَةٍ طَرِبًا
وَعَلَّلْتُهَا رِيَّاحُ الشَّامِ رَائِحَةً
وَلَمْ تَزَلْ لِغُبَارِ الْأَرْضِ خَائِضَةً
مَحَمَّدُ سَيِّدُ السَّادَاتِ مِنْ مُضَرٍ

وَاسْتَنْشَقْتَ رِيحَ نَجْدٍ فِي بَوَادِيهَا
وَالشَّقُوقُ فِي الْبَيْدِ هَادِيهَا⁽¹⁾
كَأَنَّ فِي طَيْبَةٍ صَوْتًا يُنَادِيهَا⁽²⁾
مِنْ الْمَعِينِ تَرَوِّي غِلًّا صَاحِيهَا
نَحْوَ الرِّيَاضِ الَّذِي نُورُ الْهُدَى فِيهَا
وَحَيْرُ الْبَرِيَّةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا⁽³⁾

(1) البُزْلُ: جمع بازل البعير الذي طلع نابه في السنة الثامنة أو التاسعة - الصَّبَا: ريح تهب من الشرق عند تساوي الليل والنهار - البِيد: جمع بيدا وهي: الصحراء.

(2) طيبة: المدينة المنورة.

(3) البرية: المخلوقات - قاصيها ودانيها: بعيدها وقريبها.

أَنْ نَالَ مِنْ رُتَبِ الْعِلْيَاءِ سَارِيهَا⁽¹⁾
 إِذْ كَانَ مُرْشِدَهَا الدَّاعِي وَهَادِيهَا⁽²⁾
 فِي لَيْلَةٍ طَابَ مَسْرَاهَا لَسَادِيهَا⁽³⁾
 ثَقَلًا وَيَشْفَعُ إِكْرَامًا لِعَاصِيهَا⁽⁴⁾
 تَسْرِي لَدَى الْعَرْشِ لَا فُخْرًا وَلَا تِيهَا⁽⁵⁾
 وَالْحُجْبُ تَرْفَعُهَا أَحْكَامُ بَارِيهَا⁽⁶⁾
 مَكْنُونٍ سِرٍّ غِيُوبِ اللَّهِ خَافِيهَا⁽⁷⁾
 بِنُورِهِ إِذَا أَتَمَّتْ أَنْ يُدَانِيَهَا⁽⁸⁾
 إِلَّا بِأَحْمَدَ لَمَّا جَازَ عَالِيَهَا⁽⁹⁾
 مَا كَفَّ وَاكْفُ غَادِيهَا وَسَارِيهَا⁽¹⁰⁾
 لَجَادَهَا الْمَزْنَ وَاخْضَرَّتْ نَوَاحِيهَا⁽¹¹⁾
 أَضْحَى سَلامًا وَبَرْدًا حَرُّ حَامِيهَا⁽¹²⁾
 وَكَمْ مِنْ كَلِمَاتٍ كَفِيهَا⁽¹³⁾
 يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ يَا مَوْلَى مَوَالِيهَا⁽¹⁴⁾
 الْعُلْيَا يَا نُورَهَا يَا رَشَدَ غَاوِيهَا⁽¹⁵⁾
 يَا ضِيغَمَ الْحَرْبِ يَا مَوْرِي مَوَاضِيهَا⁽¹⁶⁾

بَدْرُ سَرَى فَوْقَ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ إِلَى
 وَالْوَشْلُ تَشْهَدُ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ لَهُ
 نَالَ الَّذِي لَمْ يَنْلُهُ قَبْلَهُ أَحَدٌ
 أَمْسَى يُخَفِّفُ مِنْ أَوْزَارِ أُمَّتِهِ
 بَانَتْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى رَكَائِبُهُ
 وَالنُّورُ يَقْدُمُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
 لَمَّا رَأَى الْآيَةَ الْكُبْرَى وَأَدْرَكَ مِنْ
 بَانَتْ حَضَائِرُ قَدَسِ اللَّهِ مَشْرِقَةً
 وَالْحُجْبُ وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَا افْتَحَرَتْ
 ذَاكَ الَّذِي لَوْ أَعَارَ الْمَزْنَ رَاحَتَهُ
 وَلَوْ مَشَى فِي بِلَادٍ غَيْرِ مُخْصَبَةٍ
 وَلَوْ أَشَارَ إِلَى النَّارِ الَّتِي سَعُرَتْ
 كَمْ فَرَّقَتْ حَسَدًا أَوْ أَمَلَتْ جُودًا
 يَا صَفْوَةَ اللَّهِ يَا أَعْلَى الْوَرَى وَفَا
 يَا مُنْتَقَى مُضَرَّ الْحَمَرَاءِ بِأَيْدِهَا
 يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ الْعَالِي وَمَقْصِدِنَا

(1) سرى: ذهب ليلاً.

(2) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره.

(3) الأوزار: الأثقال.

(4) الركائب: الإبل المركوبة أو التي تحمل شيئاً.

(5) الباري: الخالق عز وجل.

(6) المكنون: المخبئ والمخفي.

(7) جاز: تجاوز.

(8) وكف الماء: سال وقطر قليلاً قليلاً - المزن وغاديتها وساريتها: الغيوم الممطرة.

(9) سعرت: اشتعلت والتهبت.

(10) الضيغم: الأسد - المواضي: السيوف.

يا فاضِحَ القطرِ والبحرِ المحيطِ ندأ
يا واهبَ المالِ والأعمارِ حُزَّتْ يدا
يا صاحبَ الكرمِ الفيّاضِ دَعُو مَنْ
إنِّي أخبرُ مَنْ نيابتني برع
عرائسُ لرياضِ المسكِ رائفة
ما أنشدتُ يا رسولَ الله في ملة
ولا تجلّتُ معانيها لذي أدب
أمليتها فيك يا فردَ الوجودِ علأ
لَمَّا غَدَتْ صُحُفُ أوزاري مُسَوِّدَة
فَصِلْ بِمَرَحْمَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ مَنْ
والطف بنفسٍ تريدُ الفضلَ مِنْكَ وَكُنْ
عاشتُ بِفَضْلِكَ في أَمْنٍ وفي رَعْدٍ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي كُلَّ آوَنَةٍ
وَعَمَّ صُحْبِ يا ابنَ الطيّبينَ وَمَنْ
وَجَادَ أرضاً حوثَكَ المنيرَ ما سَجَعَتْ

يا مَنْ جَنّا نِعْماً حلواً مجانيها
تَغْدِي أيادي البرايا مِنْ أياديها
نَازَاكَ مِنْ بِلَدٍ شَطَّتْ مرامِيها
مَدَائِحاً فيكَ زانتها قوافيها
زَهْرٌ محاسنُها عزٌّ لأليها
إلّا وَسَرَّ قلوبَ النَّاسِ راويها
إلّا وَحازَ نصيباً مِنْ معانيها
كَفارةً لذنوبٍ كنتُ جانيها
جَعَلْتُ مَذْحَكَ يا مَوْلَايَ ماحيها
يَلِيهِ أهلاً وأرحاماً يعانيها
مِنْ صَوْلَةِ المَكْرِ والمَكْرُوهِ حامِيها
وَأنتَ مِنْ محنِ الدَّارَيْنِ كافِيها
يا سيّدي ما تَلا الآياتِ تاليها
وَالَاكَ مُستقبلاً الدُّنيا وما فِيها
وَرَقُّ الحَمَامِ وَغَنَّتْ في نواحيها

181

قال بهاء الدين زهير مستعظفاً محبوبته، ومبيناً أشواقه الحرى إليها:

هَوَاناً بِالْهَوَى كَمْ ذَا التَّجَنِّي وَكَمْ هَذَا التَّعَلُّلُ وَالتَّمَنِّي ⁽¹⁾
هَوَى وَصَبَابَةٌ وَقَلَى وَهَجْرٌ حَبِيبِي بَعْضُ هَذَا كَانَ يُغْنِي ⁽²⁾
فَيَا مَنْ لَا أَسْمِيَهُ وَلَكِنْ أَعْرَضُ عَنْهُ لِلْوَاشِي وَأَكْنِي ⁽³⁾

(1) الهوان: الذل - التجني: من تجنى عليه: اتهمه تهمة وهو بريء منها - وقصد به الظلم.

(2) القلى: من قلاه إذا أبغضه ونفر منه.

(3) أكني: أضع له أسماء وهمية.

حَبِيبِي كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ عِنْدِي
كَمَلْتُ مَلَا حَةً وَكَمَلْتُ ظَرْفًا
ظَنَنْتُ بِكَ الْجَمِيلَ وَأَنْتَ أَهْلٌ
رَأَيْتُكَ فُقِيتَ كُلَّ النَّاسِ حُسْنًا
وَمَا أَنَا فِي الْمَحَبَّةِ مِثْلُ غَيْرِي
فَقَدْ أَضْحَى الْغَرَامُ حَلِيفَ قَلْبِي
فِيَا شَوْقِي إِلَى نَغْرٍ وَقَدْ
أَقُولُ لَصَاحِبِ فِي الْحَبِّ يَلْحَى
تَرَى فِي الْحُبِّ رَأْيًا غَيْرَ رَأْيِي
فَإِنْ وَافَقْتَنِي أَهْلًا وَسَهْلًا
مَلِيحٌ مَا خَلَا الْإِعْرَاضَ عَنِّي
فَلَيْتَكَ لَوْ سَلِمْتَ مِنَ التَّجَنِّي
بِحَقِّكَ لَا تُخَيِّبَ فِيكَ ظَنِّي
فَكَانَ بِقَدْرِ حُسْنِكَ فِيكَ حُزْنِي
إِلَيْكَ أَشِيرُ فِي قَوْلِي وَأَغْنِي
كَمَا أَمَسَى السُّهَادُ أَلَيْفَ جَفْنِي⁽¹⁾
حَلَّتْ مِنْهُ الثَّنَايَا وَالتَّثْنِي⁽²⁾
كَفَانِي ذَا الْغَرَامُ فَلَا تَزِدْنِي⁽³⁾
وَنَسْلُكَ فِيهِ فَنَاءً غَيْرَ فَنِّي
وَلَا لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

182

قال بهاء الدين زهير أيضاً في استعطاف المحبوب واسترضائه:

كَمْ ذَا التَّجَنُّبُ وَالتَّجَنِّي
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَا سِوَا
أَسْقَيْتَنِي صِرْفَ الْهَوَى
حَاشَاكَ تَوْصِفَ بِالْقَبِيحِ
لَا لَا وَحَقُّ اللّٰهِ مَا
غَالِظْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّ
مَا كَانَ هَذَا فِيكَ ظَنِّي⁽⁴⁾
كَ وَلَمْ أُحْنِكَ فَلَا تَحْنِي
فَإِذَا سَكِرْتُ فَلَا تَلُمْنِي⁽⁵⁾
حِ وَقَدْ وَصِفْتَ بِكُلِّ حُسْنٍ
عَوِّدْتَنِي هَذَا التَّجَنِّي
كَ لَمْ تَحْنُ وَزَعَمْتَ أَنِّي⁽⁶⁾

(1) السهاد: السهر وعدم القدرة على النوم - الأليف: الرفيق الدائم.

(2) الثنايا: الأسنان - التثني: التمايل.

(3) يلحى: يلوم ويعتف.

(4) التجنب: البعاد والصد - التجني: الاتهام والظلم.

(5) الصرف: الصافي الذي لا يداخله شيء.

(6) وزعمت أني: أي: زعمت أني خائن.

قل لي وحَدِّثني فما
 إنَّ القَضِيَّةَ ما تَغَطَّ
 ولقد عِلِمْتُ بما جَرَى
 ومتى جَهِلْتُ قَضِيَّةً
 ذا مَوْضِعُ الكِتْمَانِ مِنِّي
 ثُ عَنْ سِوَايَ فَكَيْفَ عَنِّي
 لَكَ كُلُّهُ حَتَّى كَأَنِّي⁽¹⁾
 وَأَرَدْتُ تَعَلُّمُهَا فَسَلَنِي

(1) حتن كاني: أي حتى كاني كنت موجوداً آنذاك - أو حتى كاني أنا فاعله.